



libya-web.net

سيرة  
عثمان بن عفان  
شخصيته وعصره

تأليف

الدكتور علي محمد الصلبي  
بدر الدين

+

+

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى  
1427هـ - 2006م

رقم الإيداع: 2005/9848  
الترقيم الدولي: I.S.B.N  
3 - 60 - 6119 - 977

+

+

# الإهداء

إلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين،  
وطلاب العلم المجتهدين، وأبناء الأمة الغيورين  
أهدي هذا الكتاب، سائلاً المولى - عز وجل - بأسمائه  
الحسنى وصفاته العلى أن يكون خالداً  
لوجهه الكريم

قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: 110].

## مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ** [آل عمران: 102].

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** [النساء: 1].

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد:

فهذا الكتاب يتحدث عن شخصية عثمان بن عفان وعصره، وهو امتداد لما سبقه من كتب تحدثت عن الصديق والفاروق تبحث في دراسة عهد الخلفاء الراشدين؛ لكي نستخرج الدروس والعبر ونستوعب السنن والقوانين الإلهية في حركة المجتمعات وبنا الدولة ونهضة الشعوب، وتربية القادة والأفراد لنشر دين الله بين الناس.

إن عودة الأمة لما كانت عليه في قيادتها للبشرية منوطة بسيرها على هدى النبي **×** وخلفائه الراشدين؛ فقد أخبر الحبيب المصطفى **×** عن المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة في مسيرتها في الحياة، فقال **×**: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضداً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» (1).

إن معرفة عهد الخلافة الراشدة ومنهاج النبوة خطوة لا بد منها في تحقيق الأهداف التي تسعى الأمة لتحقيقها في هذه الحياة، فقد قال **×**: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين **ن المهيدين من بعدي**» (2).

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع، سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، فتاريخ الخلافة الراشدة -إذا أحسن عرضه- يغذي الأرواح ويهذب النفوس، وينور القلوب ويبني العقول، ويشد الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العبر، وينضج الأفكار، ويوضح معالمها، وصفات قاداتها، ونظام حكمها، وأخلاق جيلها، وعوامل ازدهارها، وأسباب زوالها، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم الذي يتربى على منهاج النبوة وفقه الخلافة الراشدة، ونتعرف على حياة عصر من قال الله تعالى فيهم: **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْكُمْ أَجْرَيْنَ وَالْآخِرُونَ**

(1) المسند (273/4)، البزار رقم (1588) رجاله ثقات.  
(2) سنن أبي داود (201/4)، الترمذي (44/5) حسن صحيح.

إِبْرَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [التوبة: 100].

وقال تعالى +مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا" [الفتح: 29].

وقال فيهم رسول الله x: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم...» (1).

وقال فيهم عبد الله بن مسعود: «من كان مستتاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد x، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعما عقلاً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» (2).

فالشحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها فعصدهم خير العصور، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم، ورووا السنن والآثار عن رسول الله x، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في: الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات، والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد دماً يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح، وهدى رشيد، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس.

إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضاً ومرمى لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم وعقائدهم، ويحاولون أن يوجدوا فجوة في الإسلام وتاريخه الزاهر حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لفتن السموم في المجتمع الإسلامي.

لقد حاول المستشرقون -ومن قبلهم الروافض- أن ينشروا كل رواية باطلة تنتقص من شأن الشحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ، ولذلك يجب الحذر من كل رافضي كاذب، ومستشرق حاقد، وعلماني جاهل، وكل من سار على نهجهم. ولا بد من الدفاع المستميت عن تاريخنا لخالد والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة والأدلة القاطعة والبراهين الدامغة.

إن صياغة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السنة والجماعة ضرورة ملحة لأبناء الأمة، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتاب تصوغ التاريخ من هذا المنظور وهم لم يبدؤوا من فراغ؛ لأن الله حمى دينه وحمى أمة الإسلام فقيض لتاريخ الشحابة من يحقق وقائعه ويصدهج أخباره، ويكشف الستر عن الأوضاع والكذابين من ملفقي الأخبار، ويرجع الفضل في ذلك التصحيح إلى الله ثم أهل السنة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ما وضعه الملقون (3).

(1) مسلم (1963/4، 1964).

(2) شرح السنة للبعوي (214/1، 215).

(3) المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، د. محمد محزون، ص 4.

هذا وقد سرت على أصول منهج أهل السنة، فعكفت على المصادر والمراجع القديم والحديث، ولم أعتد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكتب التاريخ المشهورة فقط، بل رجعت إلى كتب التفسير والحديث وشروحاتها، وكتب العقائد والفرق، وكتب التراجم والجرح والتعديل، وكتب الفقه، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمندولة، وقد شرعت في هذا الكتاب بالحديث عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان الذي قال فيه رسول الله **خ: «وأصدقها حياء عثمان»** (1)، وقال فيه رسول الله **خ** في غزوة تبوك بعد تقديمه النفقة العظيمة: **«ما ضر عثمان بعد اليوم، ما ضر عثمان بعد اليوم»**. (2) وقد بشره رسول الله **خ** بالجنة على بلوى تصيبه (3)، وحث الناس عند وقوع الفتنة أن يكونوا مع عثمان وأصحابه؛ فعن أبي هريرة قال: **«إني سمعت رسول الله **خ** يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً أو اختلافاً وفتنة»**، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: **«عليكم بالأمن وأصحابه»** وهو يشير إلى عثمان. (4)

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم- في زمن النبي **خ** لا يعدلون بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما- قال: **«كنا في زمن النبي **خ** لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي **خ** لا نفاضل بينهم»**. (5).

وقد قال فيه الشاعر النميري:

على متوكل أوفى وطابا

عشية يدخلون بغير إذن

ورابع خير من وطئ التراب (6)

خليل محمد ووزير صدق

وقال فيه أبو محمد القحطاني:

دفع الخلافة للإمام الثاني

لما قضى صديق أحمد ندبته

بالسيف بين الكفر والإيمان

أعنى به الفاروق عنوة

ومحا الظلام وباح بالكتمان

هو أظهر الإسلام بعد خفائه

في الأمر فاجتمعوا على عثمان

ومضى وخلق الأمر شورى بينهم

وتراً فيكمل ختمة القرآن

من كان يسهر ليلة في ركعة

إلى أن قال:

(1) فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (604/1)، إسناده صحيح.

(2) سنن الترمذي، رقم: (3785).

(3) البخاري رقم: (3695).

(4) فضائل الصحابة (550/1)، إسناده صحيح.

(5) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، رقم (3698).

(6) البداية والنهاية (206/7).

عثمان فاجتمعوا على العصيان<sup>(1)</sup>

والويل للركب الذين سعوا إلى

إن حياة ذي النورين عثمان بن عفان صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وقد قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها؛ لكي تصبح في متناول أبناء أمتي على مختلف طبقاتهم؛ من علماء ودعاة وخطباء وساسة ومفكرين، وقادة جيوش، وحكام، وطلاب علم، وعامة الناس، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم، ويفتدوا بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.

لقد تحدثت في هذا الكتاب عن اسم ذي النورين ونسبه وكنيته وألقابه وأسرته، ومكانته في الجاهلية، وإسلامه وزواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبنته وهجرته للحبشة، وعن حياته مع القرآن الكريم وملازمته للنبي ﷺ، وعن مواقفه في غزوات رسول الله ﷺ، وعن حياته الاجتماعية بالمدينة، ومساهمته الاقتصادية في بناء الدولة، وتبعت أحاديث رسول الله ﷺ في ذي النورين فيما ورد في فضائله مع غيره، وما ورد عن رسول الله ﷺ في أخباره عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان، وتكلمت عن مكانته في عهد الصديق والفا روق وبينت قصة استخلافه، وما قام به عبد الرحمن بن عوف من عمل عظيم في إشرافه على إدارة الشورى، ورددت على الأباطيل الرافضية التي دسست في قصة الشورى، فأثبت بطلانها وزيفها بالحجج العلمية والبراهين القوية والأدلة المنطقية، وذكرت أقوال أهل العلم في أحقية عثمان بالخلافة وانعقاد الإجماع على خلافته، وشرحت منهج عثمان في نظام الحكم من خلال رسائله للولاة وأمراء الجند وعامة الناس، ومواقفه في الحداة، فقد وضح المرجعية العليا للدولة، وحق الأمة في محاكمة الخليفة، وقواعد الشورى والعدل والمساواة والحريات، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة المجتمعات. وقد أشرت إلى أهم صفات عثمان القيادية وذكرت تسع عشرة صفة من صفاته مع المواقف الدالة على تلك الصفات الرفيعة والأخلاق الحميدة. وتحدثت عن المؤسسة المالية فبينت معالم السياسة المالية التي أعلنها عثمان عندما تولى الحكم، وأنواع النفقات العامة في عهده؛ كصرف مرتبات الولاة والجنود، والإنفاق على الحج، وتمويل إعادة المسجد النبوي، وتوسعة المسجد الحرام، وإنشاء أول أسطول بحري، وتحويل السالح من الشعبية إلى جدة، وتمويل حفر الآبار، ورواتب المؤذنين، وأشرت إلى أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وإلى حقيقة العلاقة بين عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال، وتكلمت عن مؤسسة القضاء وبعض الاجتهادات الفقهية لعثمان والتأثير في المدارس الفقهية فيما بعد، وجمعت فتوحات عثمان المتناثرة في كتب التاريخ، وقمت بترتيبها وتنظيمها وفق حركة الجيوش في المشرق، وبلاد الشام، وفي الجبهة المصرية، والشمال الأفريقي، واستخرجت من حركة الفتوح دروساً وعبراً وفوائد؛ كتحقق وعد الله للمؤمنين، وتطور فنون الحرب والسياسة، والاهتمام بحدود الدولة، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو، وجمع المعلومات على الأعداء. وترجمت لبعض قادة الفتوح؛ كالأحف بن قيس، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وسلمان بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة الفهري رضي الله عنهم.

وأشدت بأعظم مفاخر عثمان في توحيد الأمة على قراءة المصحف العثماني، وو

(1) نونية القحطاني، ص (21-25).

ضحت المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم، وتحدثت عن الباعث على جمع القرآن في عهده، واستشارته لجمهور الصحابة، وعن عدد المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار، وفهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف، وعن مؤسسة الولاة وأقاليم الدولة في عهده، وسياسته مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم، وأساليبه في متابعة ولايته ومراقبتهم والاطلاع على أخبارهم، وبينت حقيقة ولادة عثمان رضي الله عنهم - وماذا لهم وماذا عليهم، وحقيقة علاقة عثمان بأبي ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعاً. وفصلت في أسباب فتنة مقتل عثمان وأهمية دراسة وقائع هذه الفتنة، وتحدثت عن كل سبب من الأسباب في فقرة مستقلة؛ كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتوقف الفتوحات، والورع الجاهل، وطموح الطامحين، وتأمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد الخليفة الراشد المظلوم، واستخدام الأساليب والوسايل المهيجة للناس، وعن أثر السبئية في إحداث الفتنة، والخطوات التي اتخذها عثمان لمعالجتها؛ كإرسال لجان تحقيق وتفتيش، وإرساله لكل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين، ومشورته لولاة الأمصار وإقامة الحجة على المتمردين والاستجابة لبعض مطالبهم. وبينت ضوابط التعامل مع الفتن من خلال فقه عثمان ؛ كالنثبت ولا زوم العدل والإنصاف، والحلم والأناة، والحرص على ما يجمع ونبيذ ما يفرق، ولزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، واستشارة العلماء الربانيين، والاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن. ووصفت احتلال أهل الفتنة للمدينة، وحصارهم لعثمان ودفاع الصحابة عنه ورفضه لذلك، وذكرت مواقف الصحابة من مقتل عثمان وما ورد من أقوالهم في الفتنة.

وبالجملة فإن هذا الكتاب يبرهن على عظمة ذي النورين، ويثبت للقارئ الكريم بأنه كان عظيماً بإيمانه وبعلمه وبخلقه وبآثاره، وكانت عظمته مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام، وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم ﷺ.

إن عثمان من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة؛ فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدعٍ عصمة ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه، (والانتفاع به)، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب الساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء بتاريخ 8 من شهر ربيع الثاني لعام 1423 هـ الموافق 2002/6/18م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، ولعماده نافعا، وأن يثيبني على كل حرف كتبت ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسد لم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوا عنه من دعائه: **«رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْصَّالِحِينَ»** [النمل: 19].



وقال تعالى: +مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [فاطر: 2]. صلى الله ع  
لى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك  
أشهد أن لا إله إلا أنت  
أستغفرك وأتوب إليك  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

ع

لى محمد

محمد الـ

صلايى

## الفصل الأول ذو النورين عثمان بن عفان بين مكة والمدينة

### المبحث الأول اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته ومكانته في الجاهلية

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

1- هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب<sup>(1)</sup>، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله ﷺ في عبد مناف. وأمه أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي<sup>(2)</sup>، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ، ويقال: إنهما ولدا توأماً (حكاه الزبير بن بكار)، ف كان ابن بنت عمه النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ابن خال والدته. وقد أسلمت أم عثمان وماتت في خلافة ابنها عثمان، وكان ممن حملها إلى قبرها<sup>(3)</sup>، وأما أبوه فهلك في الجاهلية.

2- كنيته: كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ لام سماء عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله<sup>(4)</sup>.

3- لقبه: كان عثمان يلقب بذو النورين، وقد ذكر بدر الدين العيني<sup>(5)</sup> في شرحه علي صحيح البخاري، أنه قيل للمهلب بن أبي صفرة<sup>(6)</sup>: لم قيل لعثمان ذو النورين؟ فق له: لأننا لا نعلم أحدا أرسل سترأ على بنتي نبي غيره<sup>(7)</sup>، وقال عبد الله بن عمر بن أبان أ لجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني، أتدري لم سمي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري، قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان، فذلك سمي ذا النورين<sup>(8)</sup>. وقيل: سمي بذو النورين لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته، فالقرآن نور وقيام الليل نور<sup>(9)</sup>.

4- ولادته: ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح<sup>(10)</sup>، وقيل: ولد في

- (1) الطبقات لابن سعد (53/3)، الإصابة (377/4) رقم (5463).
- (2) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد يحيى الأندلسي، ص 19.
- (3) الخلافة الراشدة والدولة الأموية، د. يحيى اليحيى، ص 388.
- (4) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 19.
- (5) هو محمود بن أحمد بن موسى العيني، أبو محمد: من علماء التاريخ والحديث والفقه، له تأليف كثير، توفي 855هـ، انظر: شذرات الذهب (286/7)، والضوء اللامع (131/10).
- (6) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العقلي: من الأمراء الأبطال، غزا المهلب الهند في خلافة معاوية، وولي الجزيرة لابن الزبير، وحارب الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان، ثم ولي خراسان من قبله سنة 79هـ، وترجع شهرته إلى حرب الخوارج، توفي 83هـ، انظر: وفيات الأعيان (350/5)، سير أعلام النبلاء (383/4).
- (7) عمدة القاري، شرح صحيح البخاري (201/16).
- (8) سنن البيهقي (73/7)، قال الدكتور عاطف لماسة: خبر حسن.
- (9) عثمان بن عفان ذو النورين، عباس العقاد، ص 79.
- (10) الإصابة (377/4)، رقم (5465).

الطائف، فهو أصغر من رسول الله ﷺ بنحو خمس سنين<sup>(1)</sup>.

**5- صفته الأخلاقية:** كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها، عظيم الكراديس<sup>(2)</sup>، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفّر لحيته. وقال الزهري: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح لرجلين<sup>(3)</sup>، وأقنى<sup>(4)</sup>، خدل الساقين<sup>(5)</sup>، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشعر، أحسد ن الناس ثغراً، جُمَّته<sup>(6)</sup> أسفل من أذنيه، حسن الوجه، والراجح أنه أبيض اللون، وقد قيل: أسمر اللون<sup>(7)</sup>.

### ثانياً: أسرته:

تزوج عثمان ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام وهن: رقية بنت رسول الله ﷺ وقد أنجبت له عبد الله بن عثمان، ثم تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقية، وتزوج فاختة بنت غزوان، وهي أخت الأمير عتبة بن غزوان، وأنجبت لعثمان عبد الله الأصغر، وأم عمرو بنت جندب الأزدية، وقد أنجبت لعثمان عمراً وخالداً وأبان وعمر ومريم، وتزوج فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية، وأنجبت لعثمان: الوليد وسعيداً وأم سعد، وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، وأنجبت لعثمان: عبد الله، وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة الأموية، وأنجبت لعثمان: عائشة وأم أبان وأم عمرو، وقد أسلمت رملة، وبايعت رسول الله ﷺ، وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية، وكانت على النصرانية وقد أسلمت قبل أن يدخل بها وحسن إسلامها<sup>(8)</sup>.

وأما أبنائه فقد كانوا تسعة أبناء من الذكور من خمس زوجات وهم: عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بعامين، وأخذته أمه معها عندما هاجرت مع زوجها عثمان إلى المدينة. وفي أوائل أيام الحياة في المدينة نقره الديك في وجهه قرب عينه، وأخذ مكان نقر الديك يتسع حتى طمر وجهه حتى مات في السنة الرابعة للهجرة، وكان عمره ست سنوات<sup>(9)</sup> وعبد الله الأصغر، وأمّه فاختة بنت غزوان، وعمرو، وأمّه أم عم رو بنت جندب وقد روى عن أبيه، وعن أسامة بن زيد، وروى عنه علي بن الحسين، وسعيد بن المسيب، وأبو الزناد، وهو قليل الحديث، وتزوج رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة ثمانين للهجرة. وخالده، وأمّه أم عمرو بنت جندب. وأبان، وأمّه أم عمرو بنت جندب، كان إماماً في الفقه، يكنى أبا سعيد، تولى إمرة المدينة سبع سنين في عهد عبد الملك بن مروان، سمع أباه وزيد بن ثابت، له أحاديث قليلة، منها ما رواه عن عثمان: «من قال في أول يومه وليته: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض و

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 45.

(2) الكراديس: جمع كردوس، وهو كل عظيمين التقيا في مفصل.

(3) تاريخ الطبري (440/5) أروح الرجلين: منفرج ما بينهما.

(4) أقنى: طويل الأنف مع دفعة أرنبته، وحذب في وسطه.

(5) خدل الساقين: أي ضخم الساقين.

(6) جمته: مجتمع شعر الرأس.

(7) صفة الصفوة (295/1)، صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص 15.

(8) تاريخ الطبري (441/5) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 19، الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص 364.

(9) الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص 365، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 19.

**لا في السماء وهو السميع العليم لم يضره ذلك اليوم شيء أو تلك الليلة».** فلما أصاب أبان الفالج قال: إني والله نسيت هذا الدعاء ليمضي في أمر الله. <sup>(1)</sup> ويعتبر من فقهاء المدينة في زمنه، وقد توفي سنة خمس ومائة. <sup>(2)</sup>

وعمر، وأمها أم عمرو بنت جندب. والوليد، وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية. وسعيد، وأمها فاطمة بنت الوليد المخزومية، تولى أمر خراسان عام ستة وخمسين أيام معاوية بن أبي سفيان. وعبد الملك، وأمها أم البنين بنت عيينة بن حصن، ومات صغيراً، ويقال: ولدت نائلة بنت الفرافصة ولدا لعثمان سمي عنيسة. <sup>(3)</sup>

وأما بناته، فهن سبع من خمس نساء، منهن: مريم وأمها أم عمرو بنت جندب. وأم سعيد، وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية. وعائشة، وأمها رملة بنت شبيب بن ربيعة. ومريم بنت عثمان، وأمها نائلة بنت الفرافصة. وأم البنين، وأمها أم <sup>(4)</sup> ولد.

وأما شقيقة عثمان، فهي أمنة بنت عفان، فقد عملت ماشطة في الجاهلية، ثم تزوجت الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي، وأسرت سرية عبد الله بن جحش الحكم بن كيسان، وفي المدينة أسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ، حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً في بداية السنة الرابعة للهجرة، وبقيت أمنة بنت عفان في مكة على شركها حتى يوم الفتح؛ حيث أسلمت مع أمها وبقية أخواتها، وبايعت رسول الله ﷺ مع هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن ولا يزنين. <sup>(5)</sup>

وأما إخوة عثمان من أمه فله ثلاثة إخوة وهم: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، قتل أبو ه يوم بدر صبراً وهو كافر، وخرج الوليد مع أخيه عمارة بعد الحديبية لرد أختهم أم كلثوم التي أسلمت وهاجرت، فأبى رسول الله ﷺ ردها، أسلم يوم الفتح. ومن إخوة عثمان لأمه عمارة بن عقبة، تأخر إسلامه، وخالد بن عقبة. وأما أخواته من أمه فهن: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت بمكة، وهاجرت وبايعت رسول الله ﷺ وهي أول من هاجر من النساء بعد أن عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية. ومن أخوات عثمان ن لأمه: أم حكيم بنت عقبة، وهند بنت عقبة. <sup>(6)</sup>

### ثالثاً: مكانته في الجاهلية:

كان في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه؛ فهو عريض الجاه ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه. لم يسجد في الجاهلية لصنم قط ولم يقترب فاحشة قط، فلم يشرب خمرًا قبل الإسلام وكان يقول: إنها تذهب العقل والعقل أسمى ما منحه الله للإنسان، وعلى الإنسان أن يسمو به، لا أن يصارعه. وفي الجاهلية كذلك لم تجذبه أغاني الشباب ولا حلقات اللهو، ثم إن عثمان كان يتعفف عن أن يرى عورة <sup>(7)</sup>. ويرحم الله عثمان فقد يسر لنا سبيل التعرف عليه؛ حيث قال: ما تذغني، ولا تمنيت، ولا مسست ذكرى بيمني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خ

(1) سنن الترمذي، كتاب الدعوات رقم (3385)، حديث صحيح.

(2) سيرة أعلام النبلاء (253/4)، تاريخ القضاء، ص 308.

(3) الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص 369.

(4) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 20.

(5) الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص 346.

(6) المصدر السابق، ص 354.

(7) موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، (618/1).

مرّاً في جاهلية ولا إسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام<sup>(1)</sup>. وكان على علم بـ معارف العرب في الجاهلية ومنها الأنساب والأمثال وأخبار الأيام، وساح في الأرض ف رحل إلى الشام والحبشة، وعاشر أقواما غير العرب فعرف من أحوالهم وأطوارهم ما لا يد س يعرفه غيره<sup>(2)</sup>. واهتم بتجارته التي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح يعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش كلها، فقد كان المجتمع المكي الجاهلي الذي عاش فيه عثمان يقدر الرجال حسب أموالهم، ويهاب فيه الرجال حسب أولادهم وإخوتهم ثم عشيرتهم وقومهم، فنال عثمان مكانة مرموقة في قومه، ومحبة كبيرة.

ومن أطرف ما يروى عن حب الناس لعثمان لما تَجَمَّع فيه من صفات الخير أن المرأة العربية في عصره كانت تغني لطفلها أغنية تحمل تقدير الناس له وتشاءهم عليه، فقد كانت تقول:

حبّ قريش لعثمان<sup>(3)</sup>

أحبك والرحمن

رابعاً: إسلامه:

كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تكلّف أو تلعث بل كان سابقاً أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بـ ذلك من السابقين الأولين حتى قال أبو إسحاق: كان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي بن زيد بن حارثة عثمان<sup>(4)</sup>. فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال، ولعل سبقه هذا إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام، وقد قصه على رسول الله ﷺ حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما ما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله فأمنّا وصدقا، فقال عثمان: يا رسول الله، قد مت حديثاً من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام فإذا منادٍ ينادينا: أيها النيام هم هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدما فسمعنا بك<sup>(5)</sup>.

لا شك أن هذه الحادثة تترك في نفس صاحبها أثراً إيجابياً لا يستطيع أن يتخلّى عنه، عندما يرى الحقيقة ماثلة بين عينيه، فمن ذا الذي يسمع بخروج النبي قبل أن يصل إلى البلد الذي يعيش فيه، حتى إذا نزل ووجد الأحداث والحقائق تنطق كلها بصدق ما سمع به ثم يتردد في إجابة الدعوة؟ لا يستطيع الإنسان مهما كان مكابراً إلا أن يذعن للحق، ومهما أظهر الجفاء فإن ضميره لا يزال يتلجلج في صدره حتى يؤمن به أو يموت، فيتخذ لص من وخز الضمير وتأنيبه، ولم تكن سرعة تليّبه عن طيش أو حمق، ولكنها كانت عن يقين راسخ وتصديق لا يتطرق إليه شك<sup>(6)</sup>. فقد تأمل في هذه الدعوة الجديدة بهدوء كعادته في معالجة الأمور، فوجد أنها دعوة إلى الفضيلة، ونبت الرذيلة، دعوة إلى التوحيد وتحذير من الشرك، دعوة إلى العبادة وترهيب من الغفلة، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وترهيب من الأخلاق السيئة، ثم نظر إلى قومه، فإذا هم يعبدون الأوثان، ويأكلون الميتة

(1) حلية الأولياء (60/1، 61) الخبر صحيح.

(2) عبقريّة عثمان للعقاد، ص 72.

(3) موسوعة التاريخ الإسلامي، (618/1).

(4) السيرة النبوية لابن هشام، (287/1 - 289).

(5) الطبقات لابن سعد، (55/3).

(6) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 302.

، ويسبئون الجوار، ويستحلون المحارم من سفك الدماء وغيرها (1) وإذا بالنبي محمد بن عبد الله x صادق أمين يعرف عنه كل خير، ولا يعرف عنه شر قط، فلم تعهد عليه كذبة ولم تحسب عليه خيانة، فإذا هو يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى صلة الرحم، وحسن الجوار، والصلاة والصوم، وألا يعبد غير الله (2)، فأسلموا على يد أبي بكر الصديق، ومضى في إيمانه قُدُمًا قويا هاديا، وديعا صابرا، عظيمًا راضيا، عفوا كريما، مد سنا رحيمًا، سخيًا باذلا، يواسي المؤمنين، ويعين المستضعفين، حتى اشتدت قناة الإسلا م. (3)

وفي إسلام عثمان قالت خالته سعدى بنت كريض:

هدى الله عثمانًا بقولي إلى الهدى وأرشده والله يهدي إلى الحق

فتابع بالرأي السديد محمدا وكان برأي لا يصد عن الصدق

وأنكحه المبعوث بالحق بنته فكان كبدّر مازج الشمس في الأفق

فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي وأنت أمين الله أرسلت للخلق (4)

#### خامسًا: زواجه من رقية بنت رسول الله x:

فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحًا شديدًا، وتوثقت بينه وبينهم عرى المحبة وأخو ة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله x رقية، وقصة ذلك أن رسول الله x كان قد زوجها من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد + تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيِّئًا نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَأُمْرَاتُهُ دُمَالًا الْحَطَبُ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [المسد: 1-5]. قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية + دُمَالَةَ الْحَطَبِ" فارقا ابنتي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلها بهما كرامة م ن الله تعالى لهما، وهو أنًا لابني أبي لهب (5)، وما كاد عثمان بن عفان يسمع بخبر ط لاق رقية حتى استطار (6) فرحًا، وبادر فخطبها من رسول الله x فزوجها الرسول الكريم x منه، وزفقتها (7) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة، فكان يقال لها حين زفت إليه:

أحسن زوجين رأهما إنسان رقية، وزوجها عثمان (8)

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي: أن رسول الله x دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال: «يا بنية أحسنني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقًا

(1) انظر: مرويات العهد المكي، عادل عبد الغفور، (805/2).

(2) فتنة مقتل عثمان، د. محمد عبد الله الغبان (37/1).

(3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص53.

(4) البداية والنهاية (210/7).

(5) ذو النورين عثمان بن عفان، محمد رشيد رضا، ص12.

(6) كاد يطير من شدة الفرح. (4) زفقتها: قدمتها إلى زوجها.

(8) أنساب الأشراف، ص89.

(1). «

ظننت أم جميل بنت حرب وزوجها أبو لهب أنهما بتسريح رقية وأم كلثوم -رضي الله عنهما- سيصيان من البيت المحمدي مقتلاً أو سيوهنانه، ولكن الله -عز وجل- اختار لرقية وأم كلثوم الخير، وباعت أم جميل وأبو لهب بغيهما لم ينالا خيراً، وكفى الله النبي شرهما، وكان أمر الله قدراً مقدوراً<sup>(2)</sup>.

### سادساً: ابتلاؤه وهجرته إلى الحبشة:

إن سنة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنة في الصحابة الكرام، وتحملوا من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشرف المسلمين من هذا الابتلاء، فقد أودى عثمان وعذّب في سبيل الله تعالى على يد عمه الحداد كم ابن أبي العاص بن أمية الذي أخذه فأوثقه رباطاً وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين، فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه<sup>(3)</sup>.

واشتد الإيذاء بالمسلمين جميعاً، وتجاوز الحد حيث قتل ياسر وزوجته سمية، والنبى **خ** يتألم أشد الألم، إلى أين يذهب المسلمون؟ ثم اهتدى رسول الله **خ** إلى الحبشة حيث قال للمسلمين: **«لو خرجتم إلى الحبشة، فإن بها ملكاً صالحاً لا يظلم عنده أحد»**.<sup>(4)</sup> وبدأت الهجرة والنبي **خ** يتألم، وهو يرى الفئة المؤمنة تتسلل سرّاً<sup>(5)</sup> خارجة من مكة، ويركبون البحر، وخرج يمتطي بعضهم الدواب، والبعض الآخر يسير على الأقدام، وتابعوا السير حتى وصلوا ساحل البحر الأحمر، ثم أمروا عليهم عثمان بن مظعون، وشاعت عناية الله أن يجدوا سفينتين، فركبوا مقابل نصف دينار لكل منهم، وعلمت قريش فأسرعت في تعقبهم إلى الساحل ولكنهم كانوا قد أبحرت بهم السفينتان.<sup>(6)</sup> وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية عثمان بن عفان ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله **خ**، وكان وصولهم للحبشة في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة، فوجدوا الأمن والأمان وحرية العبادة، وقد تحدث القرآن الكريم عن هجرة المسلمين الأولى نل إلى أرض الحبشة، قال تعالى: **«وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»** [النحل: 41]. وقد نقل القرطبي رحمه الله -قول قتادة رحمه الله: المراد أصحاب محمد **خ**، ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله تعالى دار الهجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين.<sup>(7)</sup> وقال تعالى: **«قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»** [الزمر: 10]. قال ابن عباس

(1) رواه الطبراني ورجاله ثقات، قاله الهيثمي، المجمع رقم: (14500).

(2) دماء على قميص عثمان، د. إبراهيم المنناوي، ص 84.

(3) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 22.

(4) الهجرة في القرآن الكريم، ص 290، السيرة النبوية لابن هشام، (1/413).

(5) دماء على قميص عثمان، ص 15، الطبقات (1/204).

(6) الطبقات (1/204)، تاريخ الطبري (2/69).

(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (10/107).

رضي الله عنهما:- يريد جعفر بن أبي طالب والذين خرجوا معه إلى الحبشة (1) وقد اسد تقاد عثمان من هذه الهجرة وأضاف خبرة ودروسا لنفسه استقاد منها في مسيرته الميمونة، ومن أهم هذه الدروس والعبر:

1- أن ثبات المؤمنين على عقيدتهم بعد أن ينزل بهم الأشرار والضالون أنواع العذاب والاضطهاد، دليل على صدق إيمانهم وإخلاصهم في معتقداتهم، وسمو نفوسهم وأرواحهم، بحيث يرون ما هم عليه من راحة الضمير واطمئنان النفس والعقل، وما يأملونه من رضا الله - جل شأنه- أعظم بكثير مما ينال أجسادهم من تعذيب وحرمان واضطهاد؛ لأن السيطرة في المؤمنين الصادقين والدعاة المخلصين تكون دائما وأبدا لأرواحهم لا لأجسادهم، وهم يسرعون إلى تلبية مطلب أرواحهم من حيث لا يبالون بما تتطلبه أجسامهم من راحة وشبع ولذة، وبهذا تنتصر الدعوات وبهذا تتحرر الجماهير من الظلمات والجهالات (2).

2- وقد تعلم عثمان من هدي النبي ﷺ الشفقة على الأمة، وظهرت هذه الشفقة لما تولى الخلافة وقبلها لَمَّا كان في المجتمع المدني في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهم، فقد رأى بعينه وبصيرة قلبه شفقة النبي ﷺ على أصحابه، ورحمته بهم، وحرصه الشديد للبحث عن أمنهم وراحتهم، ولذلك أشار عليهم بالذهاب إلى الملك العادل الذي لا يظلم عنده أحد، فكان الأمر كما قال ﷺ فأمّنوا في دينهم ونزلوا عنده في خير من ذلك (3) فالرسول ﷺ هو الذي وجه الأنظار إلى الحبشة، وهو الذي اختار المكان الآمن لجماعته ودعوته كي يحميها من الإبادة، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر أن تخطط بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة، وتبحث عن الأرض الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة، ومركزا من مراكز انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيس للخطر، أو وقع احتمال اجتياحه، فجنود الدعوة هم الثروة الحقيقية، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايتهم، دون أن يتم أي تفريط بأرواحهم وأمنهم، ومسلم واحد يعادل ما على الأرض من بشر خارجين عن دين الله وتوحيده (4).

3- وتعلم عثمان من هدي النبي ﷺ في هجرة الحبشة أن الأخطار لا بد أن يتجشمها المقربون إلى القائد وأهله ورحمه، أما أن يكون خواص القائد في منأى عن الخطر، ويدفع إليه الأبعدون غير ذوي المكانة، فهو منهج بعيد عن نهج النبي ﷺ (5) ولهذا لما تولى ذو النورين الخلافة كان أقرباؤه في مقدمة الجيوش، فهذا عبد الله بن أبي سرح في فتوحات أفريقية، وذاك عبد الله بن عامر في فتوحات المشرق، وألزم معاوية أن يركب البحر ومعه زوجته وأن يكون في مقدمة الجيوش الغازية، وسيأتي تفصيل ذلك -بإذن الله- عند حديثنا عن الفتوحات.

4- كان عثمان أول من هاجر إلى الحبشة بأهله من هذه الأمة (6)، قال رسول الله ﷺ: «صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط» (7).

ولما أشيع أن أهل مكة قد أسلموا، وبلغ ذلك مهاجري الحبشة أقبلا، حتى إذا دنوا

(1) المصدر نفسه (240/15).

(2) السيرة النبوية للدكتور مصطفى السباعي، ص 57.

(3) الهجرة في القرآن الكريم، ص 312.

(4) التربية القيادية، منير الغضبان (333/1).

(348/1).

(6) الصواعق المرسلة (314/1).

(4) المعرفة والتاريخ (268/3) ضعيف الإسناد.



ن مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا، فدخلوا في جوار بع ض أهل مكة، وكان فيمن رجع عثمان بن عفان وزوجه رقية رضي الله عنهما (1) واستق ر المقام به حتى أذن الله بالهجرة إلى المدينة، ومنذ اليوم الذي أسلم فيه عثمان لزم النبي x حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه، أو في مهمة من المهم التي يندب لها ولا يغذ ي أحد فيها غناءه، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الراشدين جميعا، كأنما هي خاص ة من خواصهم رشحهم لها من رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين (2) لقد كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الكبرى منذ سنتها الأولى، فلم يفته شيء من أخبار النبوة الخاص ة والعام ة في حياة النبي x ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية (3).

\* \* \*

(6) عثمان بن عفان، ص 80.

(1) السيرة النبوية لابن هشام (402/1).

(3) المصدر نفسه، ص 78.

## المبحث الثاني

### حياة عثمان مع القرآن الكريم

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، فهو المصدر الوحيد للتلقي، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقي وتقرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج الذي يتربى عليه الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة، فكانت الآيات الكريمة التي سمعها عثمان من رسول الله ﷺ مباشرة لها أثرها في صياغة شخصية ذي النورين الإسلامية؛ فقد طهرت قلبه، وزكت نفسه، وتفاعلت معها روحه؛ فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته.<sup>(1)</sup>

وقد تعلق عثمان بالقرآن الكريم، وحدثنا أبو عبد الرحمن السلمي كيف تعلمه من رسول الله ﷺ، وله أقوال تدل على حبه الشديد للعيش مع كتاب الله تعالى؛ فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما- أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة<sup>(2)</sup>، وذلك أن الله تعالى قال: **«كَتَابٌ آذُنُ لَنَا إِلَيْكَ مَبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»** [ص: 29] وقد روى عثمان عن رسول الله ﷺ قوله: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.<sup>(3)</sup> وقد عرض القرآن الكريم كاملاً على رسول الله ﷺ قبل وفاته. ومن أشهر تلاميذ عثمان في تعلم القرآن الكريم أبو عبد الرحمن السلمي، والمغيرة بن أبي شهاب وأبو الأسود، وزر بن حبيش.<sup>(4)</sup> وقد حفظ لنا التاريخ بعض أقوال عثمان في القرآن الكريم حيث قال: لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله عز وجل.<sup>(5)</sup> وقال: إني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله<sup>(6)</sup> (يعني إلى مصحف). وقال: دُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن.<sup>(7)</sup> وقال: أربعة ظاهرن فضيلة وباطنهن فريضة: مخالطة الصالحين فضيلة والافتداء بهم فريضة، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة، وزيارة القبور فضيلة والاستعداد للموت فريضة، وعيادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية منه فريضة.<sup>(8)</sup> وقال: أضيع الأشياء عشرة: عالم لا يسأل عنه، وعلم لا يعمل به، ورأي صواب لا يقبل، وسد لا يستعمل، ومسجد لا يصلى فيه، ومصحف لا يقرأ فيه، ومال لا ينفق منه، وخيل لا تتركب، وعلم الزهد في بطن من يريد الدنيا، وعمر طويل لا يتزود صاحبه فيه لسفره.<sup>(9)</sup> وكان حافظاً لكتاب الله، وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف، فقيل له في ذلك

(1) السيرة النبوية للصلابي (145/1).

(3) البخاري، فضائل القرآن، رقم: (5027).

(4) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين للذهبي، ص 467.

(5) الفتاوى (122/11)، البداية والنهاية (225/7).

(6) البداية والنهاية (225/7)، فرائد الكلام، ص 275.

(7) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، ص 88.

ص 278.

(9) إرشاد العباد، ص 91، فرائد الكلام، ص 278.

(2) المصدر نفسه، ص 90، فرائد الكلام،

لقد تشرب عثمان بالمنهج القرآني وتتلذذ على يدي رسول الله ﷺ وعرف من خلال القرآن الكريم من هو الإله الذي يجب أن يعبد، وكان النبي ﷺ يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربي أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليه السلام، مدركاً أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة ذي النورين إلى الله عز وجل، والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدى النبي ﷺ.

وأما نظرته إلى الجنة، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة، فأصبح هذا التصور رادعاً في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة ذي النورين عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، وسنرى ذلك في صفحات هذا البحث بإذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمدّه من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسد

(2) **قديم: يطيل، البداية والنهاية (225/7).**

(3) البداية والنهاية (225/7).

(4) الخلافة الراشدة والدولة الأموية، ص 397.

(5) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية، ص 10-16.

بأن علم الله محيط بكل شيء: +وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [يونس: 61].

وأن الله تعالى قد كتب كل شيء كائن: +إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس: 12]. وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة: +أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا [فاطر: 44]. وأن الله خالق لكل شيء +ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ عِ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الأنعام: 102].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت في حياته، وسراها -بإذن الله تعالى- في هذا الكتاب. وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان، وأن حقيقة خلقه ترجع إلى أصلين: الأصـ ل البعيد وهو الخلق الأولي من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة، قال تعالى: +الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ [السجدة: 7-9].

وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر له ما في السموات والأرض وفضله على كثير من خلقه، وكرمه بإرسال الرسل له. وإن من أروع مظاهر تكريم المولى -عز وجل- للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه، ويكون ذلك باتباع النبي x الذي دعا الناس إلى الإسلام لكي يحيا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة، قال تعالى: +مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْذِرَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: 97].

وعرف عثمان من خلال القرآن الكريم حقيقة الصراع بين الإنسان والشیطان، وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله يوسوس له بالمعصية ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعينا بالله على عدوه إبليس وانتصر عليه في حياته، وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم أن آدم هو أصل البشر، وجوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع الصحابة؛ لقول الله تعالى: +وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا دَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا [الإسراء: 53].

لقد أكرم المولى -عز وجل- عثمان بن عفان بالإسلام، فعاش به وجاهد به من أجل نشره، واستمد أصوله وفروعه من كتاب الله وهدى النبي x، وأصبح من أئمة الهدى

+

+

الذين يرسمون للناس خط سيرهم ويتأسى الناس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، ولا نذسى أن عثمان بن عفان كان من كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>.

\*\*\*

(1) السياسة المالية لعثمان، ص22، التبیین في أنساب القرشيين، ص94.

+

+

## المبحث الثالث ملازمته للنبي x في المدينة

إن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان وصقل مواهبه وفجر طاقته، وهذا ب نفسه هو مصاحبته لرسول الله x وتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان لازم الرسول x في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته؛ فقد نظم عنه ابن نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديها الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، فحرص على تعلم القرآن الكريم والسنة المطهرة من سيد الخلق أجمعين.

وهذا عثمان يحدثنا عن ملازمته لرسول الله x فيقول: إن الله - عز وجل - بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكننت ممن استجاب لله ولرسوله وأمن، فهاجرت الهجرتين الأوليين، ونلت صهر رسول الله، ورأيت هديه. (1) لقد تربى عثمان على المنهج القرآني، وكان المربي له رسول الله x، وكانت نقطة البدء في تربية عثمان هي لقاءه برسول الله x، فحدث له تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي x، فخرج من دائرة الظلام إلى دائرة النور، واكتسب الإيمان وطرح الكفر، وقوى على تحمل الشدائد والمصائب في سبيل الإسلام وعقيدته السمحة. كانت شخصية رسول الله x تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين، فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض، والعظمة دائماً تحب وتحاط من الناس بالإعجاب، ويلتف حولها المعجبون ويلتصقون بها التصاقاً بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله x يضيف إلى عظمته تلك أنه رسول الله x متلقي الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بُعد آخر له أثره في تكييف ف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضاً لتلك النفخة الربانية التي تشملته من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول x البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحوا شيئاً واحداً في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية، حب عميق شامل للرسول البشر أو للبشر الرسول، ويرتبط حب الله بحب رسوله x، ويمتزجان في نفسه فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك.

كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطقها الذي تنطلق منه. (2) لقد حصل لعثمان وللصحابة ببركة صحبتهم لرسول الله x وتربيتهم على يديه أحوال إيمانية عالية، ولقد تتلمذ عثمان على يدي رسول الله، فتعلم منه القرآن الكريم والسنة النبوية، وأحكام التلاوة وتركية النفوس، قال تعالى: **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** [آل عمران: 64].

وحرص على التبحر في الهدى النبوي الكريم خلال ملازمته رسول الله x في غزواته وسلامته، وقد أمدته تلك المعاشاة بخبرة ودربة ودراسة بشئون الحرب ومعرفة بطبائع

(1) فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (597/1)، إسناده صحيح.

(2) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب، ص 34، 35.

النفوس وغرائزها، وفي الصفحات القادمة سنبين بإذن الله تعالى- مواقفه في الميادين الـ  
جهادية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية مع رسول الله ﷺ في العهد المدني.

### أولاً: عثمان في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ:

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فأخى بيـ  
ن المهاجرين والأنصار، فكل مهاجري يتخذ أخاً له من الأنصار، فكان نصيب عثمان بـ  
ن عفان في المؤاخاة أوس بن ثابت،<sup>(1)</sup> ثم أقام النبي ﷺ المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهوـ  
د، وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديـ  
د. وكان عثمان من أعمدة الدولة الإسلامية، فلم يخل بمشورة أو مال أو رأي، وشهـ  
د المشاهد كلها إلا غزوة بدر<sup>(2)</sup>.

### 1- عثمان وغزوة بدر:

لما خرج المسلمون لغزوة بدر كانت زوجة عثمان السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ مـ  
ريضة بمرض الحصبة ولزمت الفراش، في الوقت الذي دعا فيه رسول الله ﷺ للخروج لـ  
ملاقاة القافلة، وسارع عثمان للخروج مع رسول الله ﷺ، إلا أنه تلقى أمراً بالبقاء إلـ  
ى جانب رقية رضي الله عنها- لتمريرها، وامتنل لهذا الأمر بنفس راضية وبقي إلى  
جوار زوجته الصابرة الطاهرة رقية ابنة رسول الله ﷺ إذ اشتد بها المرض، وطاف بها  
شبح الموت، كانت رقية رضي الله عنها- تجود بأنفاسها وهي تتلف لروية أبيها الذي  
خرج إلى بدر، ورؤية أختها زينب في مكة، وجعل عثمان يرنو إليها من خلال دمو  
عه، والحزن يعتصر قلبه<sup>(3)</sup>، ودعت نبض الحياة وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
رسول الله، ولحقت بالرفيق الأعلى، ولم تَرَ أباه رسول الله ﷺ؛ حيث كان ببدر مع أصدـ  
حابه الكرام، يعلون كلمة الله، فلم يشهد دفنها ﷺ، وجهزت رقية ثم حمل جثمانها الطاهر  
على الأعناق، وقد سار خلفه زوجها وهو حزين، حتى إذا بلغت الجنازة البقيع، دفنت رقـ  
ية هناك، وقد انهمرت دموع المشيعين، وسوى التراب على قبر رقية بنت رسول الله ﷺ.  
وفيما هم عائدون إذ يزيد ابن حارثة قد أقبل على ناقة رسول الله ﷺ يبشر بسلامة رسول  
الله ﷺ وقتل المشركين وأسر أبطالهم، وتلقى المسلمون في المدينة هذه الأنباء بوجه مستـ  
بشرة بنصر الله لعباده المؤمنين، وكان من بين المستبشرين وجه عثمان الذي لم يستطع  
أن يخفي آلامه لفقد رقية رضي الله عنها. وبعد عودة الرسول ﷺ علم بوفاة رقية رضي  
الله عنها- فخرج إلى البقيع ووقف على قبر ابنته يدعو لها بالغفران<sup>(4)</sup>.

لم يكن عثمان بن عفان ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده كما يزعم  
أصحاب الأهواء ممن طعن عليه بتغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ؛ لأن الفضـ  
ل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان خرج فيمن خرج  
مع رسول الله ﷺ فردّه ﷺ للقيام على ابنته، فكان في أجلّ فرض لطاعته لرسول الله ﷺ وتخليفه، و  
قد ضرب له بسهمه وأجره فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده

(1) الأمين ذو النورين، محمود شاكراً، ص 40.

(2) الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، ص 269.

(3) نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة، ص 491-504.

(4) دماء على قميص عثمان بن عفان، ص 20.

لهما (1) فعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من مصر حج البيت فقال: يا ابن ع مر إني سائلك عن شيء فحدثني أنشدك الله بحرمة هذا البيت، هل تعلم أن عثمان تغيب عن بدر فلم يشهدوها؟ فقال: نعم، ولكن أما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله فمرضت، فقال له رسول الله **×**: «**لك أجر رجل شهد بدرًا وسهمه**» (2) وعن أبي وائل، عن عثمان بن عفان أنه قال: أما يوم بدر فقد تخلفت على بنت رسول الله **×**، وقد ضرب رسول الله **×** لي فيها بسهم. وقال زائدة في حديثه: ومن ضرب له رسول الله **×** فيها بسهم فقد شهد (3) وقد عد عثمان من البدرين بالاتفاق (4).

## 2- عثمان وغزوة أحد:

في غزوة أحد منح الله -عز وجل- النصر للمسلمين في أول المعركة، وأخذت سيوف المسلمين تعمل عملها في رقاب المشركين، وكانت الهزيمة لا شك فيها، وقتل أصحاب لواء المشركين واحدا واحدا، ولم يقدر أحد أن يدنو من اللواء، وانهزم المشركون، ولولت النسوة بعد أن كن يغنين بحماس ويضربن بالدفوف، فألقين بالدفوف وانصرفن مذعورات إلى الجبل كاشفات سيقانهن، ولكن مال ميزان المعركة فجأة، وكان سبب ذلك أن الرماة الذين أكل إليهم النبي **×** مكانا على سفح الجبل لا يغادرونه مهما كانت نتيجة المعركة قد تخلوا إلا قليلا عن أماكنهم، ونزلوا إلى الساحة يطلبون الغنائم لما نظروا المسلمين يجمعونها، وانتهم خالد بن الوليد قائد سلاح الفرسان القرشي فرصة خلو الجبل من الرماة، وقلة من به منهم فكر بالخیل ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقتلوا بقية الرماة ومعهم أميرهم عبد الله بن جبير الذي ثبت هو وطائفة قليلة معه، وفي غفلة المسلمين، وأثناء انشغالهم بالغنائم أطبق خالد ومن معه عليهم، فأعملوا فيهم القتل، فاضطرب أمر المسلمين اضطرابا شديدا، وانهزمت طائفة من المسلمين إلى قرب المدينة منهم عثمان بن عفان ولم يرجعوا حتى انفض القتال، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي **×** قد قتل، وفرقة ثبتت مع النبي **×**، أما الفرقة التي انهزمت وفرت فلقد أنزل الله فيها قرآنا ينذركم إلى يوم القيامة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 155] غير أن أصحاب الأهواء لا يرون إلا ما تهوى أنفسهم، فلم يروا من المتراجعين إلا عثمان، فكانوا يتهمونهم دون سائر المتراجعين من أصحابه، وهل يبقى وحده؟ ولو فعل لخطر بنفسه (5)، وبعد أن عفا الله عن المتراجعين فلا حكم واضح جلي، لا لبس فيه ولا غموض، فلا مؤاخذه بعد ذلك على عثمان بن عفان (6)، فيكفي أن الله عفا عنه بنص القرآن الكريم، وحياته الجهادية بمجموعها تشهد له على شجاعته.

## 3- في غزوة غطفان (ذي إمر):

(1) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، للأصبهاني، ص 302.

(2) البخاري، رقم: (3698).

(3) الإمامة والرد على الرافضة، ص 304.

(4) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 47.

(5) الأمين ذو النورين، محمود شاكر، ص 49.

(6) ذو النورين مع النبي، د. عاطف لماضة، ص 32.



ندب رسول الله ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة رجل ومعهم بعض الجياد، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فأصابوا رجلاً منهم (بذي القعدة) يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم، وقال: لن يلاقوك، لما سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم، وضمه رسول الله ﷺ إلى بلال ولم يلاق رسول الله ﷺ أحداً، ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشر ليلة<sup>(1)</sup>.

#### 4- في غزوة ذات الرقاع:

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من ثعلبة وأنمار يريدون غزو المدينة، فخرج في أربعمائة من أصحابه حتى قدم صراراً، وكان رسول الله ﷺ قد استخلف على المدينة قبل خروجه عثمان بن عفان، لقي المسلمون جمعا غفيرا من غطفان، وتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس، وقد غاب عن المدينة خمسة عشر يوماً<sup>(2)</sup>.

#### 5- في بيعة الرضوان:

عندما نزل رسول الله الحديبية رأى من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلى قريش يبلغهم فيها نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، وحرصه على احترام المقدسات، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول ﷺ إلى قريش (خراش بن أمية الخزاعي) وحمله على جمل يقال له (الثعلب)، فلما دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش، فعاد خراش بن أمية إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما صنعت قريش، فأراد رسول الله ﷺ أن يرسل سفيرا أخيراً بتبليغ قريش رسالة رسول الله ﷺ، ووقع الاختيار في بداية الأمر على عمر بن الخطاب<sup>(3)</sup>، فاعتذر لرسول الله ﷺ عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله ﷺ أن يبعث عثمان بن مكانه<sup>(4)</sup> وعرض عمر رأيه هذا معززاً بالحجة الواضحة، وهي ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء، وحيث إن هذا الأمر لم يكن متحققاً بالنسبة لعمر، فقد أشار على النبي ﷺ بعثمان لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالته رسول الله ﷺ<sup>(5)</sup>، وقال لرسول الله ﷺ: إني أخاف قريشا على نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم<sup>(6)</sup>، فلم يبق لرسول الله ﷺ شيناً، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان فقال: «**أذهب إلى قريش فخبرهم أنكم لم تأت لقتل أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمة، معنا الهدى، ننحده وننصرف**»، فخرج عثمان بن عفان حتى أتى بلدح<sup>(7)</sup> فوجد قريشاً هناك، فقالوا: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إليكم، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام

(1) الروض الأنف (137/3)، الطبقات لابن سعد (34/2، 35).

(2) الأمين ذو النورين، محمود شاعر، ص 52، 53.

(3) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 83.

(4) المغازي، محمد عمر الواقدي (600/2).

(5) (2، 5) المغازي، محمد عمر الواقدي (600/2).

(7) مكان قريب من مكة.

، تدخلون في دين الله كافة، فإن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وأخرى تكفون ويكفي هذا من غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون، إن الحرب قد نهكنكم، وأذهبت بالأمانت منكم، فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون، ويقولون: قد سمعنا ما تقول ولا كان ه ذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا، فقام إليه أبا ن بن سعيد بن العاص فرحب به وأجاره وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة فأتى أشرافهم رج لا رجلاً؛ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وغيرهما من لقي ببلدح، ومنهم من لق ي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمدا لا يدخلها علينا أبداً<sup>(1)</sup> وعرض المشركون على عثمان أن يطوف بالبيت فأبى<sup>(2)</sup>، وقام عثمان بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى المست

ضعفين بمكة وبشرهم بقرب الفرج والمخرج،<sup>(3)</sup> وأخذ منهم رسالة شفهية إلى رسول الله ﷺ جاء فيها: اقرأ على رسول الله ﷺ منا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادر على أن يد خله بطن مكة<sup>(4)</sup> وتسربت شائعة إلى المسلمين مفادها أن عثمان قتل، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة وبايعوه عل ي الموت<sup>(5)</sup> سوى الجد بن قيس وذلك لنفاقه<sup>(6)</sup> وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر<sup>(7)</sup> وفي رواية على عدم الفرار<sup>(8)</sup>، ولا تعارض في ذلك؛ لأن المبايعه على المو ت تعني الصبر وعدم الفرار<sup>(9)</sup> وكان أول من بايعه على ذلك أبا سنان عبد الله بن وهب الأسدي<sup>(10)</sup>، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته<sup>(11)</sup> وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرا ت؛ في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم<sup>(12)</sup> وقال النبي ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده<sup>(13)</sup> وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول ﷺ المبايعه تحت الشجرة ألف وأربعمائة صحابي<sup>(14)</sup> وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل بيعة الرضوان، وورد فضلهم في نصوص كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، منها:

1- قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أ يَدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْ هِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»** [الفتح: 10].

2- قال تعالى: **«لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّ**

(1) زاد المعاد (290/3)، السيرة النبوية لابن هشام (344/3).

(2، 6) زاد المعاد (290/3).

(4) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 85.

(5) البخاري، رقم الحديث: (4169).

(6) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 486.

(7) البخاري، رقم: 4169.

(8) مسلم، رقم: 1856.

(9، 6، 7) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 486.

(12) زاد المعاد، (291/3).

(13) صحيح السيرة النبوية، ص 404.

(14) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 482.

**كَيْدَةً عَلَيْهِمْ وَأَنْتَابَهُمْ فَتَدْحًا قَرِيبًا** [الفتح: 17، 18].

3- قال جابر بن عبد الله : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: **«أنتم خير أهل الأرض»**، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة. (1) هذا الحديث صريح في فضل أصحاب الشجرة؛ فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما.. وتمسك به بعض الشيعة في تفضيل عليٍّ على عثمان؛ لأن علياً كان من جملة من خوطب بذلك، وممن بايع تحت الشجرة، وكان عثمان حينئذ غائباً، وهذا التمسك باطل؛ لأن النبي ﷺ بايع عنه فاستوى معهم عثمان في الخيرية المذكورة، ولم يقصد في الحدوث إلى تفضيل بعضهم على بعض. (2)

وفي الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور، منها: اختصاصه بإقامة يد النبي الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى مَنْ بمكة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النبي ﷺ لعثمان بـ موافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة (3)، فعن إياس بن سلمة عن أبيه أن النبي ﷺ بايع لعثمان إحدى يديه على الأخرى، فقال الناس: هنيئاً لأبي عبد الله الطواف بالبيت أمناً، فقال النبي ﷺ: **«لو مكث كذا ما طاف حتى أطوف»** (4).

وقد اتهم عثمان ظلماً بأنه لم يبايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وكان متغيباً عنها، فهذه من الاتهامات التي ألصقت بعثمان في أحضان فتنة أريد بها تقويض أركان الخلافة خاصة (5)، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى. وعن أنس قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايعه الناس، فقال: إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب بإحدى يديه على الأرض، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم (6).

6- شفاعته عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة:

لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي السرح عند عثمان بن عفان، فجاؤا به حتى أوقفه على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يابى، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على الصحابة فقال: **«أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله»**، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: **«إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين»** (7).

وجاء في رواية: لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وقال: **«أقفلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خ**

(1) مسلم، (1485).

(2) فتح الباري (443/7).

(3) الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص (490، 491).

(4) المصدر نفسه، ص 491، في سنده ضعف.

(5) ذو النورين مع النبي، ص 32.

(6) سير السلف الصالحين (181/1)، إسناده ضعيف، والحديث صحيح، سنن الترمذي، رقم:

(3702).

(7) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص 109.

**طل، ومقيس بن حبابة<sup>(1)</sup> وعبد الله بن سعد بن أبي السرح<sup>(2)</sup>.** فأما عبد الله بن خط ل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستيق إليه سعد بن حارث وعمار بن ياسر فسبق سد عيد عمارا، وكان أشب الرجلين فقتله، وأما عكرمة فركب في البحر فأصابهم ريح عا صف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن الهنكم لا تغني عنكم شيئا ههنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص لم ينجني في البر غيره، اللهم لك علي عهد إ ن أنت عافيتني مما أنا فيه أن أتني محمدا حتى أضع يدي في يده ولأجده عفا كريما، ف جاء وأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دع الرسول الله الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي **×**، ثم ذكر الباقي كما مر معذ <sup>(3)</sup>ا.

وعن عبد الله بن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح يكتب لرسول الله **×**، فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله **×** أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله <sup>(4)</sup>. وذكر ابن إسحاق سبب أمر رسول الله **×** بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه فقال: وإنما أمر رسول الله **×** بقتله لأنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله **×** الوحي، فارتد مشركا راجعا إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه للرضاء ة، فغيبه حتى أتى به رسول الله **×** بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له، قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد ع مر <sup>(5)</sup>.

## 7- غزوة تبوك:

في العام التاسع الهجري ولي هرقل وجهه المتآمر صوب الجزيرة العربية متلظما برغبة شريرة في العدوان عليها والتهامها، وأمر قواته بالاستعداد وانتظار أمره بالزحف ، وترامت الأنباء إلى الرسول **×** فنادى في أصحابه بالتهيؤ للجهاد وكان الصيف حارا ي صهر الجبال، وكانت البلاد تعاني الجذب والعسرة، فإن قاوم المسلمون بإيمانهم وطأة ال حر القاتل وخرجوا إلى الجهاد فوق الصحراء الملتهبة المتأججة فمن أين لهم العتاد، والذ فقات التي يتطلبها الجهاد؟ لقد حض الرسول على التبرع فأعطى كل قدر وسعه، وسار عت النساء بالحلي يقدمنه إلى رسول الله **×** يستعين به في إعداد الجيش، بيد أن التبرعا ت جميعها لم تكن لتغني كثيرا أمام المتطلبات للجيش الكبير، ونظر الرسول **×** إلى الصف وف الطويلة العريضة من الذين تهيأوا للقتال وقال: **«من يجهز هؤلاء ويغفر الله له؟»** و ما كاد عثمان يسمع نداء الرسول **×** هذا حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان، وهكذا وجدت العسرة الضاغطة (عثمانها المعطاء) <sup>(6)</sup>، وقام بتجهيز الجيش حتى لم يتركه بحاجة إلى خطاب أو عقال.

يقول ابن شهاب الزهري: قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين

(1) أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر أبو سليمان، ص79.

(2) المصدر نفسه، ص79.

(3) المصدر نفسه، ص80.

(4) المصدر نفسه، ص80.

(5) السيرة النبوية لابن هشام (57/4، 58).

(6) فتح الباري (67/7)، خلفاء الرسول، ص250، العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض، ص53.

ن بعيرا، وستين فرسا أتم بها الألف، وجاء عثمان إلى رسول الله في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صلبها بين يديه، فجعل الرسول يقلبها بيده ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**» مرتين. (1) لقد كان عثمان صاحب القدر المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة (2)، وهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل على المنبر وهو يقول: «**ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه**». (3)

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما- قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «**ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم**» يردد مرارا. (4)

إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة، ومضى الرسول ﷺ على رأس جيشه حتى وصلوا موطننا يدعى تبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق، وهناك جاءت الأنباء مشيرة بأن هرقل الذي كان يعد العدة للزحف من دمشق قد ثلم الله عزمه، وغادر دمشق نافضا يديه من محاولته اليائسة بعد أن علم بخروج النبي ﷺ وأصحابه إليه، ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمد به عثمان، فهل استرجع من ذلك شيئا؟ كلا.. وحاشاه أن يفعل، وقد ظل كما كان دو ما سريع التلبية لكل إيماءة من النبي ﷺ تعني جديدا من البذل، ومزيلا من العطاء. (5)

### ثانياً: من حياته الاجتماعية في المدينة:

#### 1- زواجه من أم كلثوم سنة 3 هـ:

عرفت أم كلثوم رضي الله عنها- بكنيتها ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيري أن اسمها أمية، وهي أكبر سنا من فاطمة رضي الله عنها (6).

قال سعيد بن المسيب: تأيم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ، وتأيمت حفصة بنت عمر من زوجها، فمر عمر بعثمان، فقال: هل لك في حفصة، وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه، وذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال: **هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج حفصة، وأزوج عثمان خيرا منها: أم كلثوم**. (7) وفي رواية البخاري: قال عمر: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر. قال: فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بد لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك

(1) سنن الترمذي، رقم: (3785). صحيح التوثيق، ص 26.

(2) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 615.

(3) سنن الترمذي، رقم: (3700).

(4) سنن الترمذي، رقم: (3702).

(5) خلفاء الرسول، ص 138، العشرة المبشرون بالجنة، ص 31.

(6) الدوحة النبوية الشريفة، فاروق حمادة، ص 45، 46.

(7) مستدرک الحاكم (49/4)، الآثار لأبي يوسف رقم: (1957).

حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر الصديق فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت عليه أَوْجَدَ مني على عثمان، فليث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعليَّ وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم، قال: فإذا لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ، إلا أني كنت علمت أن رسول الله قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله قبلتها. (1)

وتروي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها- خبر زواج أم كلثوم من عثمان فنقول: لما زوج النبي ابنته أم كلثوم قال لأم أيمن: «هي ابنتي أم كلثوم وزفيها إلى عثمان، وخفقي» (2) بين يديها بالدف، ففعلت ذلك، فجاءها النبي ﷺ بعد ثلاثة فدخل عليها فقال: «يا بنية، كيف وجدت بعك؟» قالت: خير بعل. (3)

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف عند باب المسجد فقال: «يا عثمان، هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها»، وكان ذلك سنة ثلاث من الهجرة النبوية، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة. (4)

### 2- وفاة عبد الله بن عثمان:

وفي جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة مات عبد الله بن عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين، فصلى رسول الله ﷺ عليه، ونزل حفرته والده عثمان. (5) وهذه محنة عظيمة تعرض لها عثمان، وما أكثر المحن في حياة الدعاة إلى الله تعالى.

### 3- وفاة أم كلثوم رضي الله عنها:

ولم تزل أم كلثوم عند عثمان رضي الله عنهما- إلى أن توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة بسبب مرض نزل بها، وصلى عليها رسول الله ﷺ وجلس على قبرها. وعن أنس ابن مالك أنه رأى النبي ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عيني تدمعان، فقال: «هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟» فقال أبو طلحة: أنا، قال: «فانزل في قبرها». (6)

وعن ليلى بنت قانف الثقفية قالت: كنت فيمن غسل أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عند وفاتها، فكان أول ما أعطانا رسول الله ﷺ الحق، ثم الدرع، ثم الخمار، ثم الملحفة، ثم أد رجت بعده في الثوب الآخر، قالت: ورسول الله ﷺ عند الباب ومعه كفنها يناولنا إياه ثوبا ثوبا. (7) وجاء عند ابن سعد أن علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس، وصفيّة بنت عبد المطلب. (8)

(1) البخاري، كتاب النكاح، رقم: (5122).

(2) خفق: اضطرب وتحرك.

(3) السيرة النبوية لأبي شهبه (231/2)، دماء على قميص عثمان، ص 22.

(4) سنن ابن ماجه، رقم: (110)، وفيه عثمان بن خالد وهو ضعيف.

(5) الكامل لابن الأثير (2/130)، دماء على قميص عثمان، ص 22.

(6) البخاري، كتاب الجنائز، رقم: (1342).

(7) سنن أبي داود، رقم: (3157).

(8) الطبقات لابن سعد، (39/8)، الدوحة النبوية، ص 48.

وقد تأثر عثمان وحزن حزنا عظيما على فراقه لأُم كلثوم، ورأى رسول الله **×** عثمان وهو يسير منكسرا وفي وجهه حزن لما أصابه، فدنا منه وقال: **«لو كانت عذنا ثلاثة لزوجناكما يا عثمان»**.<sup>(1)</sup> وهذا دليل حب رسول الله **×** لعثمان، ودليل وفاء عثمان لنبيه ونوفيره، وفيه دليل على نفي ما اعتاده الناس من التشاؤم في مثل هذا الموطن، فإن قدر الله ماض وأمره نافذ ولا راد لأمره<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: من مساهماته الاقتصادية في بناء الدولة:

كان عثمان من الأغنياء الذين أغناهم الله عز وجل، وكان صاحب تجارة وأموا طائلة، ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله -عز وجل- وابتغاء مرضاته وما عنده، وصار سباً لكل خير ينفق ولا يخشى الفقر، ومما أنفقه من نفقاته الكثيرة على سبيل المثال ما يأتي:

#### 1- بئر رومة:

عندما قدم النبي **×** المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله **×**: **«من يشتري بئر رومة فيجعل دلوها مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة»**.<sup>(3)</sup> وقال **×**: **«من حفر بئر رومة فله الجنة»**.<sup>(4)</sup>

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي **×** لا يشرب منه أحد إلا بئمن، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القرية بمُدٍّ، فقال النبي **×**: **«تبيعها بعين في الجنة؟»** فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي **×** فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: **«نعم»** قال: قد جعلتها للمسلمين.<sup>(5)</sup> وقيل: كانت رومة ركية لليهودي يبيع المسلمين ماءها، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل.<sup>(6)</sup>

#### 2- توسعة المسجد النبوي:

بعد أن بنى رسول الله **×** مسجده في المدينة، فصار المسلمون يجتمعون فيه ليصلوا الصلوات الخمس، ويحضرُوا خطب النبي **×** التي يصدر إليهم فيها أوامره ونواهيها، ويتعلموا في المسجد أمور دينهم، وينطلقوا منه إلى الغزوات ثم يعودون بعدها، ولذلك ضاق المسجد بالناس، فرغب النبي **×** من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد لكي تزداد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال **×**: **«من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟»** فاشتراها عثمان بن عفان من صلب ماله<sup>(7)</sup> بخمسة و

(1) مجمع الزوائد للهيتمي (83/9)، إسناده حسن لما له من شواهد.  
(2) الخلفاء الراشدون... أعمال وأحداث، د. أمين القضاة، ص 73.  
(3) صحيح النسائي للألباني (766/2).  
(4) أخرجه البخاري رقم: (2778) معلقاً، وهو صحيح لشواهده.  
(5) تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي (196/10).  
(6) فتح الباري (408/5)، الحكمة في الدعوة إلى الله، ص 231.  
(7) صحيح سنن الترمذي للألباني (209/3)، رقم: (2921).



عشرين ألف درهم، أو بعشرين ألفاً، ثم أضيفت للمسجد<sup>(1)</sup>، ووسع على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه<sup>(2)</sup>.

### 3- العسرة وعثمانها المعطاء:

عندما أراد رسول الله ﷺ الرحيل إلى غزوة تبوك حث الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز جيش العسرة الذي أعده رسول الله ﷺ لغزو الروم، فأنفق الأموال من صحابة رسول الله ﷺ كلٌّ على حسب طاقته وجهده، أما عثمان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها<sup>(3)</sup>، وقد تم بيانها عند حديثنا عن موقفه في غزوة تبوك.

\* \* \*

(1) صحيح سنن النسائي (766/2).  
(2) أعلام المسلمين لخالد البيطار (41/3).  
(3) الحكمة في الدعوة إلى الله، ص 231.



## المبحث الرابع

## من أحاديث الرسول x في عثمان بن عفان

أولاً: فيما ورد في فضائله مع غيره:

## 1- افتتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه:

عن أبي موسى قال: كنت مع النبي x في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي x: «افتح له، وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي x: «افتح له وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي x فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله x فحمد الله، ثم قال: الله المستعان. (1)

هذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين؛ وهم أبو بكر وعمر وعثمان، وأنهم من أهل الجنة كما تضمن فضيلة لأبي موسى، وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه الإعجاب ونحوه، وفيه معجزة ظاهرة للنبي x لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى. (2)

## 2- اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان:

عن أنس قال: صعد النبي x أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «اسكن أحد» -أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» (3).

## 3- اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد:

عن أبي هريرة: أن رسول الله x كان على حراء، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله x: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» (4).

## 4- حياء عثمان :

عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي x وآله وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله x وهو مضطجع على فراشه لا بد من مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك، ففرضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، ففرضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك»، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله x: «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له

(1) البخاري، رقم (3695).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، (15/ 170، 171).

(3) البخاري، رقم (3697).

(4) مسلم، رقم (2417).

على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته». (1)  
5- استحياء الملائكة من عثمان:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه. قال محمد -أحد رواة الحديث، ولا أقول ذلك في يوم واحد- فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتسَّ له ولم تَبْأَلْه، ثم دخل عمر فلم تهتسَّ له ولم تَبْأَلْه، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: «ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!». (2) قال المناوي: مقام عثمان مقام الحياء، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهد ه ويعظم قدره، مع نقص يجده في النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين، فعلت رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن من أحب الله أحب أوليائه، ومن خاف الله خاف منه كل شيء. (3)

6- أصدقها حياء عثمان:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرأها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». (4)

ثانياً: إخبار رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان:

1- من نجا من ثلاث فقد نجا:

عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال: «من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات: موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه». (5)  
ومعلوم أن الخليفة الذي قتل مصطبراً بالحق هو عثمان، فالقارئ تدل على أن الخليفة المقصود بهذا الحديث هو عثمان بن عفان. وفي الحديث -والله أعلم- لفظة عظيمة إلى أهمية السلامة من الخوض في هذه الفتنة حسيّاً ومعنويّاً، أما حسيّاً فذلك يكون في ا لفتنة من تحريض وتآليب وقتل وغير ذلك، وأما معنويّاً فبعد الفتنة من خوض فيها بالباطل، وكلام فيها بغير حق، وبهذا يكون الحديث عاماً للأمة، وليس خاصاً بمن أدرك الفتنة. (6)

2- يقتل فيها هذا المقنع يومئذ:

عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمر رجل فقال: «يقتل فيها هذا المقنع

(1) مسلم، رقم (2402).

(2) مسلم، رقم (2401).

(3) فيض القدير للمناوي، (302/4).

(4) مسند الإمام أحمد، باقي كتاب مسند المكثرين، باب مسند أنس بن مالك (12493).

(5) المسند (419/4) (346/5)، تحقيق أحمد شاكر.

(6) فتنة مقتل عثمان، د. محمد عبد الله الغبان (44/1).

**يومئذ مظلوما**» قال: فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان (1).

### 3- هذا يومئذ على الهدى:

عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، فمر رجل مقنع رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا يومئذ على الهدى». فوثبت فأخذت بضبعي عثمان، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت: هذا؟ قال: «هذا» (2).

### 4- تهيج فتنة كالصياصي، فهذا ومن معه على الحق:

عن مرة البهزي قال: كنت عند رسول الله ﷺ، وقال بهز -من رواية الحديث-: قال رسول الله ﷺ: «تهيج فتنة كالصياصي، فهذا ومن معه على الحق». قال: فذهبت فأخذت بمجامع ثوبه، فإذا هو عثمان بن عفان (3).

### 5- هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى:

عن أبي الأشعث قال: قامت خطباء بإيلياء في إمارة معاوية، فتكلموا وكان آخر من تكلم مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها، فمر رجل مقنع فقال: «هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى»، فقلت: هذا يا رسول الله؟ وأقبلت بوجهه إليه فقال: «هذا»، فإذا هو عثمان (4).

### 6- عليكم بالأمين وأصحابه:

عن أبي حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا» أو قال «اختلافا وفتنة»، فقال له قائل من الناس: ف من لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه»، وهو يشير إلى عثمان بذلك (5).

### 7- فإن أراك المنافقون على خلعه فلا تخلعه:

عن عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير عن عائشة قالت: أرسل رسول الله ﷺ لي عثمان بن عفان، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما رأينا رسول الله ﷺ أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان آخر كلام كلمته أن ضرب منكبه وقال: «يا عثمان، إن الله -عز وجل- عسى أن يلبسك قميصا، فإن أراك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني». يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصا، فإن أراك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثا. فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله فما ذكرته. قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتب

(1) فضائل الصحابة (551/1) إسناده حسن.

(2) صحيح سنن ابن ماجه (24/1).

(3) المسند (33/5) له طرق تقويه.

(4) مسند أحمد، مسند الشاميين، باب حديث كعب بن مرة السلمي أو مرة بن كعب، حديث رقم (17602).

(5) فضائل الصحابة (500/1) إسناده صحيح.

ي إليَّ به، فكتبت إليه به كتاباً (1)

## 8- إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني صابر نفسي عليه:

عن أبي سهلة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي» قلت: أبو بكر؟ قال: «لا»، قلت: عثمان؟ قال: «نعم»، فلما جاء قال: «تدحج»، فجعل يساره (2)، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني صابر نفسي عليه (3) وهذا الحديث يبين شدة محبة رسول الله ﷺ لعثمان وحرصه على مصالح الأمة بعده، فقد أخبره بأشياء تتعلق بهذه الفتنة التي سنتتهي بقتله، وحرص عليه الصلاة والسلام على سريته، حتى إنه لم يصل إلينا منها إلا ما صرح به عثمان أثناء الفتنة لما قيل له: ألا تقاتل؟ فقد قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً، وإني صابر عليه (4) ويظهر من قوله هذا، أن النبي ﷺ قد أرشده إلى الموقف الصحيح عند اشتعال الفتنة، وذلك أخذاً منه ﷺ بحجز الفتنة أن تتطلق، وفي بعض الروايات زيادة تكشف عن بعض مكنون هذه المسارة، فقد جاء فيها أن النبي ﷺ قال له: «وإن سألوك أن تتخلع من قميص قمصك الله - عز وجل - فلا تفعل» (5) ومضمون هذا العهد الذي ذكره عثمان يتعلق بالفتنة والوصية بالصبر فيها وعدم الخلع، وإن كان يفهم من هذه الأحاديث بأنه سيكون خليفة يوماً ما.

ويبدو أن هناك وصايا وإرشادات تتعلق بهذه الفتنة، انفرد بمعرفتها عثمان محافظة من النبي ﷺ على السرية فيها، ومما يبين ذلك أنه أمر عائشة رضي الله عنها بالانصراف (6) عندما أراد الإسرار بها لعثمان، كما أسر إليه إسراراً رغم ذلك لو المكان من غيرهما حتى تغير لونه، مما يدل على عظم المسرّ به. وربط عائشة رضي الله عنها - الإسرار بالفتنة دليل واضح على أن هذه المسارة كانت حول الفتنة التي قتل فيها، كما أن الإسرار تضمن توجيهات منه ﷺ إلى عثمان ليقف الموقف الصحيح عند عرض الخلع، وأن النبي ﷺ لم يقتصر على الإخبار بوقوع الفتنة، فقد أخبر بذلك في أحاديث كثيرة كما تقدم، فإسراؤه يدل على أن الأسرار تضمن أشياء أخرى زيادة على الإخبار عن وقوعها، ورغب عليه الصلاة والسلام بالمحافظة على سريته لحكمة اقتضت ذلك، الله أعلم بها.

وهذا الحديث يفسر لنا جلياً سبب إصرار عثمان على رفض القتال أثناء الحصار، كما يفسر أيضاً سبب رفضه للتنازل عن الخلافة وخلعها عندما عرض القوم عليه ذلك، وهما موقفان طالما تساءل الباحثون والمؤرخون عن السبب الذي أدى عثمان إليهما واست

(1) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، (24045).

(2) من المسارة مفاعلة، من السر أي المناجاة.

(3, 3) فضائل الصحابة (506/1)، إسناده صحيح.

(5) فضائل الصحابة (613/1) إسناده صحيح، الطبقات (66، 67/3).

(6) فقد قال لها النبي ﷺ: (تتج)، ومعنى التتحي الانصراف، الفيروز آبادي، القاموس المحيط

(396/4)، لسان العرب (311/15).

شكّلوها (1) وحدث فتنة مقتل عثمان من ضمن حوادث كثيرة أخبر رسول الله ﷺ في حياته بأنها ستقع بالغيب، فإن علم الغيب صفة من صفات الله عز وجل، ليست لأحد من خلقه وإنما ذلك علم أطلعه الله عليه وأمره أن يبينه للناس (2) قال تعالى: **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سَدُكْتُ رُبَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** [الأعراف: 188].

\* \* \*

(1, 2) فتنة مقتل عثمان، محمد عبد الله الغبان، (48/1).

## المبحث الخامس

### ذو النورين في عهد الصديق والفاروق

أولاً: في عهد الصديق:

#### 1- من أهل الشورى في مسائل الدولة العليا:

كان عثمان من الصحابة وأهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في خلافة أبي بكر، فهو ثاني اثنين في الخطوة عند الصديق؛ عمر بن الخطاب للحزامة والشدائد، وعثمان بن عفان للرفق والأناة. وكان عمر وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم وكاتبها الأكبر<sup>(1)</sup>. وكان رأيهم مقدماً عند الصديق؛ فبعد أن قضى أبو بكر على حركة الردة، أراد أن يغزو الروم، وينطلق الجيش المجاهد إلى أطراف الأرض، فقام في الناس يستشيرهم، فقال الألباء ما عندهم، ثم استزادهم أبو بكر فقال: ما ترون؟ فقال عثمان: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأياً لعامتهم صلاحاً، فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين<sup>(2)</sup>. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فأمرضه<sup>(3)</sup>.

ولما أراد الصديق أن يبعث والياً إلى البحرين استشار أصحابه، فقال عثمان: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله ﷺ إليهم فقدم عليه<sup>(4)</sup> بإسلامهم وطاعتهم، وقد عرفوه وعرفهم و عرف بلاده (يعني العلاء بن الحضرمي)، فبعث الصديق العلاء إلى البحرين<sup>(5)</sup>.

ولما اشتد المرض بأبي بكر استشار الناس فيمن يحبون أن يقوم بالأمر من بعده، فأشاروا بعمر، وكان رأي عثمان في عمر: اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله<sup>(6)</sup>. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدتك<sup>(7)</sup>.

#### 2- أزمة اقتصادية في عهد الصديق:

عن ابن عباس قال: قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق، فاجتمع الناس إلى أبي بكر فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر: اذ صبروا واصبروا، فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله الكريم عنكم، قال: فما لبثنا أن جاء أجد راء عثمان من الشام، فجاءته مائة راحلة بُرّاً -أو قال طعاماً- فاجتمع الناس إلى باب عثمان، ففرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان في ملأ من الناس، فقال: ما تشاءون؟ قالوا: الزمان قد قحط؛ السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا

- (1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 58.
- (2) تاريخ دمشق لابن عساكر (63/2 - 65)، أبو بكر الصديق للصلاحي، ص 364.
- (3) أبو بكر الصديق للصلاحي، ص 364.
- (4) أي على النبي ﷺ.
- (5) كنز العمال (620/5)، رقم: (14093)، القيود الواردة على سلطة الدولة، عبد الله الكيلاني، ص 169، تاريخ الطبري (122/4).
- (6) الكامل لابن الأثير (79/2)، الخلفاء الراشدون لمحمود شاكر، ص 101.
- (7) الكامل لابن الأثير (79/2).

أن عندك طعاماً، فبعنا حتى نوسع على فقراء المسلمين، فقال عثمان: حدياً وكرامة ادخلوا فاشترؤا، فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان، فقال: يا معشر التجار كم تربحونني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، قال عثمان: قد زادني، قالوا: للعشرة خمسة عشر، قال عثمان: قد زادني، قال التجار: يا أبا عمرو، ما بقي بالمدينة تجار غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني الله -تبارك وتعالى- بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أنني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين. (1) قال ابن عباس: فرأيت من ليلتي رسول الله ﷺ في المنام وهو على بردون أبلق (2) عليه حلة من نور، في رجليه نعلان من نور، وبيده قصبه من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، قد اشتد شوقي إليك وإلى كلامك فأين تبادر؟ قال: «يا ابن عباس، إن عثمان قد تصدق بصدقة، وإن الله قد قبلها منه وزوجه عروساً في الجنة، وقد دعينا إلى عرسه». (3)

فهل يفتح الله تعالى أذان عباده المال، ومحتكري قوت العباد شديداً وجشعاً إلى صوت هذه العظمة العثمانية حتى تدلف إلى قلوبهم فتزهها هزة الأريحية والعطف، وتوقظ فيها بواعث الرحمة والإحسان بالفقراء والمساكين، والأرامل واليتامى وذوي الحاجات من أهل الفاقة والبؤس، الذين طحتهم أزمة الحياة واعتصرت دماءهم شراباً لذوي القلوب المتحجرة من الأثرىاء؟! فما أحوج المسلمين في هذه المرحلة من حياتهم إلى نفحة عثمانية في إنفاق الأموال على الفقراء والمساكين والمحتاجين تسري بينهم تعاطفاً ومؤاساة وبراً وإحساناً. (4)

هذا موقف من مواقف الكرم والبر لعثمان ، فقد كان من أرحم الناس بالناس، فهو يقرأ قول رب الناس: **«كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغَى»** [البقرة: 6] فيصده ذلك عن الطغيان، ويقرأ قوله تعالى: **«اتَّبِعُوا مَرْغَبَاتِ النَّاسِ بِالذِّبْرِ وَتَذَسُّونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»** [البقرة: 44] فيجعله ذلك من أبعد الناس عن النفاق والمنافقين، ويقرأ قوله تعالى: **«لَيْسَ الذِّبْرِ أَنْ تُولَدُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الذِّبْرَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُتَّقِينَ يَجْعَلُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ»** [البقرة: 177] فيحمله ذلك على أن يكون من (5) **«أَوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»** [البقرة: 177].

ثانياً: في عهد الفاروق:

كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعث

(1) الرقة والبكاء لابن قدامة، ص 190، الخلفاء الراشدون لحسن أبوب، ص 191. شهيد الدار لأحمد الخروف، ص 21.

(2) الذي فيه سواد وبياض.

(3) الرقة والبكاء، ص 190.

(4) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 52.

(5) شهيد الدار، ص 22، 23.

مان، وبعيد الرحمن بن عوف. وكان عثمان يسمى الرديف، والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء تثلثوا بالعباس.<sup>(1)</sup>

وقد حدث ذات مرة أن خرج عمر بالناس وعسكر بهم بما يدعى (صرارا)، فجاء عثمان فسأله: ما بلغك؟ ما الذي تريد؟ فنأدى عمر (الصلاة جامعة)، ثم أخبر الناس عن عزمه في غزو العراق.<sup>(2)</sup> ولما ولي عمر الخلافة استشار وجوه الصحابة في عطائه من بيت مال المسلمين، فقال له عثمان: كل وأطعم.<sup>(3)</sup> وعندما أرسل أبو عبيدة إلى عمر أن ي قدم إلى بيت المقدس ليفتحه، فاستشار عمر الناس، فأشار عثمان بأن لا يركب إليهم لئلا يكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم، وقال لعمر: فأنت إن أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستعد، فلم يلبثوا إلى السير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية.<sup>(4)</sup> وأشار علي بالمسير، فهو على أن يكون أخف وطأة على المسلمي ن في حصارهم.<sup>(5)</sup>

لقد كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما - كمكانة الوزي ر من الخليفة، وإن شئت فقل: هي مكانة عمر من أبي بكر في خلافته. وقد صنع الله لأبي بكر بوزارة عمر لخلافته ما يصنعه لخير أهله، وصنع لعمر بوزارة عثمان لخلافته ما يصنعه لخير أهله، فقد كان أبو بكر أرحم الناس بالناس، وكان عمر أشدهم في الحق، فمزج الله رحمة الصديق بشدة عمر، فكانت منها خلافة الصدق وسياسة العدل، وقوم الحد زم. وكان عثمان أشبه بالصديق في رحمته، وكان عمر على سننه في شدته، فلما تولى بعد أبي بكر جعل الله له في وزارة عثمان لخلافته عوضاً من رحمة الصديق ورفقه، فكان منهما تلك الأمثال المضروبة في أنظمة الحكم وسياسة الأمة أحكم سياسة وأعدلها. وقد عرف الناس هذه المكانة لعثمان في خلافة عمر، فهو الذي أشار على عمر بفكرة الديوان وكتابة التاريخ، كما جاء في بعض الروايات.

## 1- الديوان:

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ليس تشيهرهم في هذا المال، فقال عثمان: أرى مالا كثيراً يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فأقر عمر رأي عثمان، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين.<sup>(6)</sup>

## 2- التاريخ:

جاء في بعض الروايات أن الذي أشار على عمر بجعل السنة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات على جعل مبدأ التاريخ الإسلامي من هـ

(1) تاريخ الطبري (83/4)، المرتضى للندي، ص 131.

(2, 5) عثمان بن عفان، الخليفة الشاكر الصابر، ص 63.

(4) عثمان بن عفان، لمحمد حسين هيكل، ص 47، 48، نقلاً عن السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص 24.

(5) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر، ص 63.

(6) تاريخ الطبري (203/5)، عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 60.



رة النبي ✕ لأنها فرقت بين الحق والباطل، تعددت الآراء في أي الأشهر يجعل بداية للسنة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وأول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر ومن شاهده من أصحابه رأي عثمان واستقر عليه الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام.(1)

### 3- أرض الخراج:

كان عثمان ممن أيدوا رأي عمر بن الخطاب في عدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين وإبقائها فيدياً للمسلمين وللذرية من بعدهم(2).

### 4- حجه مع أمهات المؤمنين:

لما استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحج بالناس، وحج مع عمر أيضا آخر حجة حجه عمر سنة ثلاث وعشرين، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي ✕ في الحج، فدخلن في الهودج، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدع أحدا يذنب منهن، وينزلن مع عمر كل منزل، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهن في الشعاب فيقبلانهن الشعاب، وينزلان هما في أذل الشعب، فلا يتركان أحدا يمر عليهن.(3)

\* \* \*

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 60.

(2) السياسة المالية لعثمان، ص 25.

(3) طبقات ابن سعد (134/3)، أنساب الأشراف للبلاذري، (465/1، 466)، مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر، ص 263.

## الفصل الثاني

### استخلاف ذى النورين ومنهجه في الحكم وأهم صفاته الشخصية

#### المبحث الأول

#### استخلاف ذى النورين

##### أولاً: الفقه العمرى فى الاستخلاف:

استمر اهتمام الفاروق بوحدة الأمة ومستقبلها حتى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلّى فيها إيمان الفاروق العميق وإخلاصه وإيثاره.<sup>(1)</sup> وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموساً، ومعلماً واضحاً على فقهه في سياسة الدولة الإسلامية. لقد مضى قبله الرسول ﷺ ولم يستخلف بعده أحداً بنص صريح، ولقد مضى أبو بكر الصديق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة، ولما طلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر في الأمر ملياً وقرر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام؛ فرسول الله ﷺ ترك الناس وكلهم مقررّاً بأفضلية أبي بكر وأسبقته عليهم، فاحتمل الخلاف كان نادراً وخصوصاً أن النبي ﷺ وجه الأمة قولاً وفعلًا إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده. والصديق لما استخلف عمه ركان يعلم أن عند الصحابة أجمعين فناعة بأن عمر أقوى وأفضل من يحمل المسؤولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعته عمر<sup>(2)</sup>، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد على جعل الشورى في عدد من حصص، وقد حصر ستة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولي الأمر ولو أنهم يتفاوتون، وحدد لهم طريقة الانتخاب ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة وحدد الحكم في المجلس، والمرجح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمرأى قبة سير الانتخابات في المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمح لأحد يدخل أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحل والعقد.<sup>(3)</sup> وهذا بيان ما أُجْمِلَ في الفقرات السابقة:

##### 1- العدد الذي حدده للشورى وأسماءهم:

أما العدد فهو ستة، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً. وترك سعيد بن زيد وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلته بني عدي<sup>(4)</sup>. وكان عمر حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أن فيهم من هو أ

(1) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص 161.  
(2) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي، ص 122.  
(3) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي، ص 124.  
(4) البداية والنهاية (142/4).

هل لها، فهو يبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشحين للخلافة.(1)

## 2- طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشير فقط وليس له من الأمر شيء، ويصلي بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي، وقال له: أنت أمير الصلاة في هذه الأيام الثلاثة حتى لا يولي إمارة الصلاة أحدا من الستة فيصبح هذا تر شيحا من عمر له بالخلافة.(2) وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصاري أن يرقبا سيره الانتخابات.(3).

## 3- مدة الانتخابات أو المشاورة:

حددها الفاروق بثلاثة أيام وهي فترة كافية وإن زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شدة الخلاف ستتسع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير.(4)

## 4- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات أن عمر قال لصهيب: صل بالناس ثلاثا ولي خل هؤلاء الرهط في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه.(5) فعمر أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط وشق عصا المسلمين ويفرق بينهم عم لا بقوله: «من أتاكم وأمركم جمع على رجل منكم يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه».(6) وما جاء في كتب التاريخ من أن عمر أمرهم بالاجتماع والتشاور، و حدد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل وأبى أحدهم فيضرب رأسه بالسيف، وإن اجتمع أربعة وفرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما.(7) وهذه من الروايات التي لا تصح سنداً، فهي من الغرائب التي ساقها أبو مخنف -الرافضي الشيعي- مخالفاً فيه النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصحابة رضي الله عنهم، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم -أي أهل الشورى- فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما(8)، فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم؟! (9).

وقد ورد عن ابن سعد أن عمر قال للأنصار: أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم.(10) وهذه الرواية منقطعة وفي إسنادها (سماك بن

(1) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 98.

(2) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي، ص 213.

(3) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ص 648.

(4) الطبقات لابن سعد (364/3).

(5) المرجع السابق (342/3).

(6) مسلم (1480/3).

(7) تاريخ الطبري (226/5).

(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، د. يحيى اليحيى، ص 175.

(9) الطبقات لابن سعد، (342/2).

حرب) وهو ضعيف، وقد تغير بآخذه.<sup>(1)</sup>

### 5- الحكم في حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجال منهم وثلاثة رجال منهم فحكموا عبد الله بن عمر، فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجالاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكنوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ووصف عبد الرحمن بن عوف بأنه مسدد رشيد، فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مسدد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه.<sup>(2)</sup>

### 6- جماعة من جنود الله تراقب الاختيار وتمنع الفوضى:

طلب عمر أباً طلحة الأنصاري وقال له: يا أبا طلحة، إن الله -عز وجل- أعز الإسلام بك، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم.<sup>(3)</sup> وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتهموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم.<sup>(4)</sup>

### 7- جواز تولية المفضل مع وجود الأفضل:

ومن فوائد قصة الشورى، جواز تولية المفضل مع وجود الأفضل؛ لأن عمر جعل الشورى في ستة أنفس مع علمه أن بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد؛ حيث كان لا يراعي الفضل في الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها، فاستخلف معاوية والمغيرة بن شعبه وعمر بن العاص مع وجود من هو أفضل من كل منهم في أمر الدين والعلم؛ كآبي الدرداء في الشام، وابن مسعود في الكوفة.<sup>(5)</sup>

### 8- جمع عمر بين التعيين وعدمه:

جمع عمر بين التعيين، كما فعل أبو بكر أي تعيين المرشح، وبين عدم التعيين كما فعل الرسول ﷺ، فعين ستة وطلب منهم التشاور في الأمر.<sup>(6)</sup>

### 9- الشورى ليست بين الستة فقط:

عرف عمر أن الشورى لن تكون بين الستة فقط، وإنما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة فيمن يتولى الخلافة؛ حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيام فيمكنهم من المشاورة والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة، وبها معظم الصحابة وكل من كان ساكناً في بلد غيرها كان تبعاً لهم فيما يتفقون عليه، فما زالت المدينة حتى سنة 23 هـ مجمع الصحابة؛ بل لأن كبار الصحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة.<sup>(7)</sup>

### 10- أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 176. (7) تاريخ الطبري (325/5).

(2،3) تاريخ الطبري (225/5).

(4،5) المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدي (97/2).

إن عمر أناط بأهل الشورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهم أن نشير إلى أن أحدا من أهل الشورى لم يعارض هذا القرار الذي اتخذه عمر، كما أن أحدا من الصحابة الآخرين لم يؤثر أي اعتراض عليه، ذلك ما تدل عليه النصوص التي بين أيدينا، فنحن لا نعلم أن اقتراحا آخر قد صدر عن أحد من الناس في ذلك العصر، أو أن معارضة ثارت حول أمر عمر خلال الساعات الأخيرة من حياته أو بعد وفاته، وإنما رضي الناس كافة هذا التدبير، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين. وفي وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا، مهمتها انتخاب رئيس الدولة أو الخليفة، وهذا التتظيم الدستوري الجديد الذي أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التي أقرها الإسلام، ولا سيما فيما يتعلق بالشورى؛ لأن العبرة من حيث النتيجة للبيعة العامة التي تجري في المسجد الجامع. وعلى هذا لا يتوجه السؤال الذي قد يرد على بعض الأذهان وهو: من أعطى عمر هذا الحق؟ ما مستند عمر في هذا التدبير؟ وكيفي أن نعلم أن جماعة من المسلمين قد أقرت هذا التدبير ورضيت به، ولم يسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد أن الإجماع -وهو من مصادر التشريع- قد انعقد على صحته ونفاذه. (1) ولا ننسى أن عمر خليفة راشد، كما ينبغي أن نؤكد على أن هذا المبدأ -أهل الشورى أعلى هيئة سياسية- قد أقره نظام الحكم في الإسلام في العهد الراشدي، كما أن الهيئة التي سماها عمر تمتعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا منحت لها من الله وبلغها الرسول، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة من التقوى والأمانة (2).

هكذا ختم عمر حياته ولم يشغله ما نزل به من البلاء ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاما للشورى لم يسبقه إليه أحد، ولا يشك أن أصل الشورى مقرر في القرآن الكريم والسنة القولية والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر ولم يكن عمر مبتدعا بالنسبة للأصل، ولكن الذي عمله عمر هو تعيين الطريقة التي يختار بها الخليفة وحصر عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرسول ﷺ ولا الصديق بل أول من فعل ذلك عمر، ونعم ما فعل؛ فقد كانت أفضل الطرق المناسبة لحال الصحابة في ذلك الوقت (3).

### ثانياً: وصية عمر للخليفة الذي بعده:

أوصى الفاروق عمر الخليفة الذي سيخلفه في قيادة الأمة بوصية مهمة قال فيها: أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً؛ أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم. وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردة العدو، وجباة الفيء، لا تحمل منهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بالبادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن تأخذ من حواشي أموالهم فتترد على فقرائهم. وأوصيك بأهل الذمة خيراً؛ أن تقاتل من وراءهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يد وه م صاغرون. وأوصيك بتقوى الله والحذر منه، ومخافة مقتته أن يطلع منك على ريبة

(1) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي (227/1، 228).

(2) المصدر نفسه (229/1).

(3) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي، ص 127.

، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم؛ فإن في ذلك جاذن الله- سلامة لقلبك وخطاً لوزرك، وخيراً في عاقبة أمرك حتى تقضي في ذلك إلى ما ن يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك، وأمر أن تشدد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثلاً جرمه، واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والمحابة فيما ولاك الله مما أفاء على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقتربت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط لك اقترفت به إيماناً ورضواناً، وإن غلبك الهوى اقتربت به غضب الله. وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة، وقد أوصيتك وخصصتك ونصحتك، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانت هيت إلى الذي أمرتك أخذت منه نصيباً وافراً وحظاً وافياً، وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك، ولم تترك معاطم الأمور عند الذي يرضي به الله عنك، يكن ذلك بك انتقاصاً، وأريك فيه مدخولاً؛ لأن الأهواء مشتركة، ورأس الخطيئة إبليس داع إلى كل مهلكة، وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردتهم النار وبئس المورود، وبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله الداعي إلى معاصيه. ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات، وكن واعظاً لنفسك. وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم، ولا تضر بهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بألفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطايهم عند محلها فتفقرهم، ولا تجمعهم في البعوث فينقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم، هذه وصيتي إليك، وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام.<sup>(1)</sup>

هذه الوصية تدل على بُعد نظر عمر في مسائل الحكم والإدارة، وتقصح عن نهج ونظام حكم وإدارة متكامل؛ فقد تضمنت الوصية أموراً غاية في الأهمية، فحق أن تكون وثيقة نفيسة لما احتوته من قواعد ومبادئ أساسية للحكم، متكاملة الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية يأتي في مقدمتها:

### 1- الحرص على تقوى الله وخشيته:

أ- الوصية بالحرص الشديد على تقوى الله والخشية منه في السر والعلن، في القول والعمل؛ لأن من اتقى الله وقاه، ومن خشيه صانه وحماه (أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له)، (وأوصيك بتقوى الله والحذر منه، وأوصيك أن تخشى الله).

ب- إقامة حدود الله على القريب والبعيد (لا تبال على من وجب الحق)، (ولا تأخذك في الله لومة لائم)؛ لأن حدود الله نصت عليها الشريعة فهي من الدين؛ ولأن الشريعة حجة على الناس وأعمالهم وأفعالهم تقاس بمقتضاها، وأن التغافل عنها إفساد للدين والمجتمع.

ج- الاستقامة (استقم كما أمرت)، وهي من الضرورات الدينية والدينية التي يجب

(1) الطبقات لابن سعد (339/3)، البيان والتبيين للجاحظ (46/2)، الكامل في التاريخ (210/2)، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص 171، 172.

على الحاكم التحلي بها قولاً وعملاً أولاً ثم الرعية، (كن واعظاً لنفسك) (وابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة).

## 2- الناحية السياسية، وتضمنت:

أ- الالتزام بالعدل؛ لأنه أساس الحكم، وإن إقامته بين الرعية تحقق للحكم قوة وهيبة ومثانة سياسية واجتماعية، وتزيد من هيبة واحترام الحاكم في نفوس الناس (وأوصيك بالعدل)، (واجعل الناس عندك سواء).

ب- العناية بالمسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار لسابقتهم في الإسلام، ولأن العقيدة وما أفرزته من نظام سياسي قام على أكتافهم، فهم أهل وحملته ودُمّاته (وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من م حسنهم وتجاوز عن مسيئهم).

## 3- الناحية العسكرية، وتضمنت:

أ- الاهتمام بالجيش وإعداده إعداداً يتناسب وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه لضمان أمن الدولة وسلامتها، والعناية بسد حاجات المقاتلين (التفرغ لحوائجهم وتغورهم).

ب- تجنب إبقاء المقاتلين لمدة طويلة في الثغور بعيداً عن عوائلهم، وتلافياً لما قد يسببه ذلك من ملل وقلق وهبوط في المعنويات، فمن الضروري منحهم إجازات معلومة في أوقات معلومة يستريحون فيها ويجددون نشاطهم خلالها من جهة، ويعودون إلى عوالمهم لكي لا ينقطع نسلهم من جهة ثانية (ولا تجمرهم في الثغور فينقطع نسلهم)، (وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم رداء العدو).

ج- إعطاء كل مقاتل ما يستحقه من فيء وعطاء؛ وذلك لضمان مورد ثابت له ولعائلته يدفعه إلى الجهاد، ويصرف عنه التفكير في شؤنه المالية (ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرّمهم عطايهم عند محلها فتفقرهم).

## 4- الناحية الاقتصادية والمالية، وتضمنت:

أ- العناية بتوزيع الأموال بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم، وتلافي كل ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقة منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دولة بين الأغنياء منهم).

ب- عدم تكليف أهل الذمة فوق طاقتهم إن هم أدوا ما عليهم من التزامات مالية للدولة (ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين).

ج- ضمان الحقوق المالية للناس وعدم التفریط بها، وتجنب فرض ما لا طاقة لهم به (ولا تحمل منهم إلا عن فضل منهم)، (أن تأخذ حواشي أموالهم فترد على فقرائهم).<sup>(1)</sup>

## 5- الناحية الاجتماعية، وتضمنت:

أ- الاهتمام بالرعية، والعمل على تفقد أمورهم وسد احتياجاتهم وإعطاء حقوقهم من فيء وعطاء.. (ولا تحرّمهم عطايهم عند محلها).

ب- اجتناب الأثرة والمحابة واتباع الهوى؛ لما فيها من مخاطر تقود إلى انحراف

(1) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص 174، 175.

الراعي، وتؤدي إلى فساد المجتمع واضطراب علاقاته الإنسانية (وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله)، (ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم).

ج- احترام الرعية وتوقيرها والتواضع لها، صغيرها وكبيرها، لما في ذلك من سمو في العلاقات الاجتماعية، تؤدي إلى زيادة تلاحم الرعية بقائدها وحبها له (وأنشدك الله إ لا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم).

د- الانفتاح على الرعية، وذلك بسماع شكاواهم وإنصاف بعضهم من بعض، وبمعكسه تضطرب العلاقات بينهم ويعم الارتباك في المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم م ضعيفهم).

هـ- اتباع الحق والحرص على تحقيقه في المجتمع وفي كل الظروف والأحوال؛ لكونه ضرورة اجتماعية لا بد من تحقيقها بين الناس (ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات)، (واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق).

و- اجتناب الظلم بكل صوره وأشكاله، خاصة مع أهل الذمة؛ لأن العدل مطلوب إقامته بين جميع رعايا الدولة مسلمين وذميين؛ لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة).

ز- الاهتمام بأهل البادية ورعايتهم والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام).<sup>(1)</sup>

ح- وكان من ضمن وصية عمر لمن بعده: ألا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقروا لأشعري أربع سنين.<sup>(2)</sup>

ثالثاً: منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى:

### 1- اجتماع رهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين، بعد وفاة عمر، وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين.<sup>(3)</sup>

### 2- عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشورى قال لهم عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: جعلت أمري إلى علي<sup>(4)</sup>، وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان، وقا ل سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، وأصبح المرشحون الثلاثة علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرا من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان، فقا

(1) الخليفة الفاروق للعاني، ص 173-175.

(2) عصر الخلافة الراشدة، ص 102.

(3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 62، 63.

(4) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، رقم: (3700).



ل عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إليّ والله على أن لا آلو عن أفضلكما، قالوا: نعم. (1)  
3- تفويض ابن عوف بإدارة عملية الشورى:

بدأ عبد الرحمن بن عوف اتصالاته ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشحين الـ ستة صباح يوم الأحد، واستمرت مشاوراته واتصالاته ثلاثة أيام كاملة، حتى فجر يوم الأربعاء الرابع من محرم وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها لهم عمر، وبدأ عبد الرحمن بن بعلي بن أبي طالب فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليّ، فمن ترشح للخلافة؟ قال علي: عثمان بن عفان، وذهب عبد الرحمن إلى عثمان وقال له: إن لم أبايعك، فمن ترشح للخلافة؟ فقال عثمان: علي بن أبي طالب... وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين واستشارهم، وكان يشاور كل من يلقاه في المدينة من كبار الصحابة وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاورته النساء في خدورهن، وقد أبدى رأيه، كما شملت الصبيان والعبيد في المدينة، وكانت نتيجة مشاورات عبد الرحمن بن عوف أن معظم المسلمين كانوا يشيرون بعثمان بن عفان، ومنهم من كان يشير بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وفي منتصف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى بيت ابن أخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائماً (2)، فضرب الباب حتى استيقظ فقال: أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدا، فدعوتهما له، فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي عليا فدعوته ففاجاه حتى ابهار (3) الليل ثم قام علي من عنده... ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته ففاجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح. (4)

#### 4- الاتفاق علىبيعة عثمان:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة (اليوم الأخير من شهر ذي الحجة 23هـ/ 6 نوفمبر 644م) وكان صهيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عظمها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، أرسل إلى من كانوا حاضرين من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد منهم: معاوية أمير الشام، وعمر بن سعد أمير حمص، وعمر بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر و صاحبوه إلى المدينة. (5)

وجاء في رواية البخاري: فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى كل حاضر من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن علي نفسك سبيلاً، فقال: (6) أبايعك علي سنة الله ورسوله والخليفةين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون. (7) وجاء في رواية صاحب (التمهيد والبيان) أن

(2) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 106، 107.

(3) ابهار: أي انتصف.

(4) البخاري، كتاب الأحكام، رقم: (7207).

(5) شهيد الدار عثمان بن عفان، أحمد الخروف، ص 37.

(6) قوله: "فقال" أي عبد الرحمن مخاطباً عثمان.

(7) البخاري، كتاب الأحكام، رقم: (7207).

علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف (1)  
**5- حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطة الشورى:**

نفذ عبد الرحمن بن عوف خطة الشورى بما دل على شرف عقله، ونبل نفسه، وإيثا ره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصة ونفعه الفردي، وترك عن طوعية و رضا أعظم منصب يطمع إليه إنسان في الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقق أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يجلس على عرش الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى، وقد كانت الخطوات التي اتخذها كالاتي:

**أ-** بسط برنامجيه في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذي حده له م عمر، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلوا برأيهم، فعر ف مذهب كل واحد منهم وممرماه، فسار في طريقه على بينة من أمره.

**ب-** خلع نفسه وتنازل عن حقه في الخلافة ليدفع الظنون ويستمسك بعروة الثقة الوثقى.

**ج-** أخذ في تعرف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه وشركائه في الشورى، فلم يزل يقلب وجوه الرأي معهم حتى انتهى إلى شبه انتخاب جزئي فاز فيه عثمان برأي سعد ابن أبي وقاص، ورأي الزبير بن العوام، فلاحته له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

**د-** عمد إلى معرفة كل واحد من الإمامين: عثمان وعلي في صاحبه بالنسبة لوزنه من سائر الرهط الذي رشحهم عمر، فعرف من كل واحد منهم أنه لا يعدل صاحبه أحدا إلا فاتته الأمر.

**هـ-** أخذ في تعرف رأي مَنْ وراء مجلس الشورى من خاصة الأمة وذوي رأيها، ثم من عامتها وضعفائها، فرأى أن معظم الناس لا يعدلون أحدا بعثمان، فبايع له، وبايعه عامة الناس (2).

لقد تمكن عبد الرحمن بن عوف بكياسته وأمانته واستقامته ونسيانه نفسه بالتخلي ع ن الطمع في الخلافة والزهد بأعلى منصب في الدولة، أن يجتاز هذه المحنة وقاد ركب ا لشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير (3).

**قال الذهبي:** ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، و اختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص (4).

وبهذا تحققت صورة أخرى من صور الشورى في عهد الخلفاء الراشدين، و هي الاستخلاف عن طريق مجلس الشورى ليعينوا أحدهم بعد أخذ المشورة العام

(1) التمهيد والبيان، ص 26.

(2) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 70، 71.

(3) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (10)، ص 225.

(4) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، (86/1).

ة، ثم البيعة العامة<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: أباطيل رافضية دست في قصة الشورى:

هناك أباطيل شيعية وأكاذيب رافضية دست في التاريخ الإسلامي، منها في قصة الشورى، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحسوا الروايات ويحققوا في سندها ومآلها فانتشرت بين المسلمين.

لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة وابن بابويه<sup>(2)</sup> ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة<sup>(3)</sup>، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة، ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر<sup>(4)</sup>.

وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف<sup>(5)</sup>، وعن هشام الكلبي منها ما نقله عن أبي مخنف ومنها تفرد به<sup>(6)</sup>، وعن الواقدي<sup>(7)</sup>، وعن عبيد الله بن موسى<sup>(8)</sup>، واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف<sup>(9)</sup>، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري<sup>(10)</sup>، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي<sup>(11)</sup>، وقد تضمنت الروايات الشيعية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهي:

#### 1- اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن علياً أحس بأن الخلافة ذهبت منه لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما<sup>(12)</sup>. وقد دنفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن، فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوان النبي  $\times$  ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي  $\times$ : «هذا خالي فليرنى امرؤ خاله»<sup>(13)</sup>. فإن النبي  $\times$  لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري، ولا بين

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 278.

(2) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (246/14).

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد (63/3) (67/3).

(4) المصدر السابق، (340/3).

(5، 6، 7) أنساب الأشراف، البلاذري (18/5، 19).

(8) المصدر السابق، (6/5).

(9) أثر التشيع على الروايات التاريخية، د. عبد العزيز نور، ص 321، وهو العمدة في هذه الفقرة.

(10) شرح نهج البلاغة، (49/9، 50-58).

(11) المصدر السابق (15/9).

(12) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص 322.

(13) صحيح سنن الترمذي (220/3)، رقم (4018).

أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار؛ فأخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري<sup>(1)</sup>، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك<sup>(2)</sup> وقد بنت الروايات الشيعية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسد وطبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجبل الأول، وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد<sup>(3)</sup>.

## 2- حزب أموي وحزب هاشمي:

أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المبايعة، وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة<sup>(4)</sup> وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات، فصدروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري، وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين حزب أموي وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم واستندت إليه أجرد من لا دليل عليه؛ إذ ليس نابعاً من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته، وليد س نابعاً من تصور هؤلاء أصحاب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل الله ن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحد ث الكثير التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم، فليست القضية قضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شوري لمكانتهم في الإسلام.

## 3- أقوال نسبت زوراً وبهتاناً لعلي :

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: خذتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال عبد الرحمن بن عوف: **«إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ ذَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا»** [الفتح: 10].

## 4- اتهام عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة:

وقد ذكر أبو مخنف في روايته في قضية الشوري عن عمرو بن العاص والمغيرة بـ

(1) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم (3780).

(2) منهاج السنة النبوية لأبن تيمية، (6/271، 272).

(3) الطبقات الكبرى، (3/127).

(4) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة، ص 78، 79.

ن شعبة أنهما جلسا عند الباب، ورد سعد عليهما، فهذا يستغرب من رعا ع الناس فضلا عن الصحابة الكرام، وكيف يقول سعد لهما: تريدان أن تقولاً: حضرنا وكنا من أهل الشورى وقد علم الناس أهل الشورى بأعيانهم واستفاض ذلك عندهم. وفي الحقيقة أن رواية أبي مخنف يناقض بعضها بعضاً، وهي واضحة لمن تدبرها وقارنها بالأصول الصحيحة، وغرائبها أشهر من ذكرها. وقد أشار الدكتور يحيى الجبلى إلى نماذج وأمثلة تكفي لإسقاط هذه الرواية وعدم الاعتبار بها.<sup>(1)</sup> هذه بعض الإشارات العابرة ذكرتها للتنبيه والتذكير من تلك السموم المبتوثة في تراثنا التاريخي، والموروث الثقافي للأمة، فقد أثرت في رجال الفكر والقلم والتاريخ.

### خامساً: أحقية خلافة عثمان بن عفان :

لا يشك مؤمن في أحقية خلافة عثمان وصحتها، وأنه لا مطعن فيها لأحد إلا ممن أصيب قلبه بزيغ فنقم على أصحاب رسول الله ﷺ بسبب ما حل في قلبه من الغيظ منه، وهذا لم يحصل إلا من الشيعة الرافضة الذين جعلوا رأس ماله في هذه الحياة الدنيا هو سب الصحابة رضي الله عنهم- وبغضهم، ولا قيمة لما يوجهونه من المطاعن على خلافة الثلاثة رضي الله عنهم- لظهور بطلانه، وأنها افتراءات لا تصح. وقد جاء في جملة من النصوص القطعية الصحيحة والآثار الشهيرة التنبيه والإيماء إلى أحقية خلافة عثمان بن عفان ، ومن ذلك<sup>(2)</sup>:

1- قوله تعالى: **وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسَدَّ** **تَخْلُفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** [النور: 55]. وجه الاستدلال بهذه الآية على أحقية خلافة عثمان أنه من الذين استخلفهم الله في الأرض، ومكن لهم فيها، وسار في الناس أيام خلافته سيرة حسنة؛ حيث حكم فيهم بالعدل وأقام الصلاة وأتى الزكاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهذه الآية تضمنت الإشارة إلى أحقيته<sup>(3)</sup>.

2- قوله تعالى: **وَقُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطَيَعُوا لِيُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** [الفتح: 16]. وجه الاستدلال بهذه الآية على أحقية خلافة عثمان هو أن الداعي لهؤلاء الأعراب داعي يدعوهم بعد نبية ﷺ وهو أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؛ فأبو بكر دعاهم إلى قتال الروم والفرس وترك طاعة هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم- بنص القرآن، وإذا وجبت طاعتهم صحت خلافتهم<sup>(4)</sup> رضي الله عنهم وأرضاهم.

(1) مرويات أبي مخنف، ص 179.  
(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة، (656/2).  
(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (109/4، 110).

3- عن أبي موسى قال: إن النبي ﷺ دخل حائطا وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: **انذن له وبشره بالجنة**، فإذا هو أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: **انذن له وبشره بالجنة** على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان بن عفان. (1) هذا الحديث فيه إشارة إلى ترتيب الثلاثة في الخلافة، وإخبار عن بلوى تصيب عثمان، هذه البلوى حصلت له وهي حصاره يوم الدار حتى قتل آنذاك مظلوما، فالحديث علم من أعلام النبوة، وفيه الإشارة إلى كونه شهيدا رضي الله عنه وأرضاه (2).

4- روى أبو داود رحمه الله - بإسناده إلى جابر بن عبد الله أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أُرِيَّ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ: أَنْ أَبَا بَكْرٍ نَظِيطُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَظِيطُ عَمْرُ بَابِ بَكْرٍ، وَنَظِيطُ عُثْمَانَ بِعَمْرٍ»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما تَنَظَّوْطُ بعضهم ببعض، فهم ولادة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ. (3)

5- وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكون فتنة واختلاف -أو اختلاف وفتنة-** قال: قلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأمن وأصحابه**» وأشار إلى عثمان. (4) وهذا الحديث فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ الدالة على صدق نبوته؛ حيث أخبر بالفتنة التي حصلت أيام خلافة عثمان وكانت كما أخبر، وتضمن الحديث التنبيه على أحقية خلافة عثمان؛ إذ أنه ﷺ أرشد الناس إلى أن يلزموه، وأخبر بأنه حين وقوع الفتنة والاختلاف مع أمير المؤمنين ومقدمهم أمرهم بالالتفاف حوله وملازمته لكونه على الحق، والخارجون عليه على الباطل أهل زيف وهوى، وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه سيكون مستمرا على الهدى لا ينفك عنه (5).

6- روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**يا عثمان، إنه لعل الله يقدّمك قميصاً فإن أردوك على خلعه فلا تخلعه لهم**». (6) ففي هذا الحديث الإشارة إلى الخلافة واستعارة القميص لها وذكر الخلع ترشيح؛ أي: سيجعلك الله خليفة، فإن قصد الناس عزلك فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم؛ لكونك على الحق وكونهم على الباطل. (7)

7- وروى الترمذي بإسناده إلى أبي سهلة قال: قال لي عثمان يوم الدار: إن رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه (8). فقوله: قد عهد إليّ عهداً، أي: أوصاني أن لا أخلع به قوله: «**وإن أردوك على خلعه فلا تخلعه لهم**» فأنا صابر عليه، أي: على ذلك العهد (9).

(1) البخاري، رقم (3695).  
 (2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، (657/2).  
 (3) سنن أبي داود (513/2).  
 (4) المستدرک (99/3) ثم قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.  
 (5) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، (660/2).  
 (6) فضائل الصحابة (613/1) إسناده صحيح.  
 (7) الدين الخالص، محمد صديق حسن القنوجي، البخاري (446/3).  
 (8) فضائل الصحابة (605/1) إسناده صحيح، الترمذي (295/5).  
 (9) تحفة الأحوذى، محمد عبد الرحمن المباركفوري (209/10).

8- وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة رض ي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «ادعوا لي أو ليت عندي رجلا من أصحابي»، قال: قلت: أبو بكر، قال: «لا»، قلت: عمر، قال: «لا»، قلت: ابن عمك علي، قال: «لا»، قلت: فعثمان، قال: «نعم» قالت: فجاء عثمان، فقال: «قومي»، قال: فجعل النبي ﷺ ي سر إلى عثمان ولون عثمان يتغير، قال: فلما كان يوم الدار قلنا: ألا تقاتل؟ قال: لا إن ر سول الله ﷺ عهد إليّ أمراً فأنا صابر نفسي عليه<sup>(1)</sup>.

فهذا الحديث والذي قبله فيهما دلالة على صحة خلافته، فمن أنكر خلافته ولم يره م ن أهل الجنة والشهداء وأساء الأدب فيه باللسان أو الجنان فهو خارج عن دائرة الإيمان وحيز الإسلام<sup>(2)</sup>.

9- ومما دل على صحة خلافته وإمامته ما رواه البخاري بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما- قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم<sup>(3)</sup>. وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى ألهمهم وأ لقي في روعهم ما كان صانعهم بعد نبيه ﷺ من أمر ترتيب الخلافة<sup>(4)</sup>.

قال ابن تيمية: فهذا إخبار عما كان عليه الصحابة على عهد النبي ﷺ من تفضيل أب ي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وقد روى أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فلا ينكره، وحينئذ فيكو ن هذا التفضيل ثابتاً بالنص وإلا فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين والأنصار على عه د النبي ﷺ من غير نكير، وبما ظهر لما توفي عمر فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان من غير رغبة ولا رهبة ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم<sup>(5)</sup>.

وكل ما تقدم ذكره من النصوص في هذه الفقرة أدلة قوية كلها فيها الإشارة والتبويه إلى أحقية خلافة عثمان وأنه لا مزية في ذلك، ولا نزاع عند المتمسكين بالكتاب وال سنة والذين هم أسعد الناس بالعمل بهما وهم أهل السنة والجماعة، فيجب على كل مسلم أ ن يعتقد أحقية عثمان ، وأن يسلم تسليمًا كاملاً للنصوص الدالة على ذلك<sup>(6)</sup>.

#### سادساً: انعقاد الإجماع على خلافة عثمان:

أجمع أصحاب رسول الله ﷺ، وكذا من جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنة والجماعة على أن عثمان بن عفان أحق الناس بخلافة النبوة بعد عمر بن الخطاب ، ولم يخالف أو يعارض في هذا أحد؛ بل الجميع سلم له بذلك لكونه أفضل خلق الله على الإطلاق بعد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد نقل الإجماع على أحقي ة عثمان بالخلافة بعد عمر طائفة من أهل العلم بالحديث وغيرهم، ومن تلك النق ول<sup>(7)</sup>:

- (1) فضائل الصحابة (605/1) إسناده صحيح، المستدرك (99/3) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
- (2) الدين الخالص (446/3).
- (3) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، رقم (3698).
- (4) عقيدة أهل السنة (664/2).
- (5) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (165/3).
- (6) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عايش حسن الشيخ (664/2).
- (7) المصدر نفسه (665/2).



1- ما رواه ابن أبي شيبه بإسناده إلى حارثة بن مضرب قال: حجبت في إمارة عم ر فلم يكونوا يشكون أن الخلافة من بعده لعثمان (1)

2- وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى حذيفة قال: إني لواقف مع عمر تم س ركبتي ركبته فقال: من ترى قومك يؤمرون؟ قال: إن الناس قد أسندوا أمرهم إلى ابن عفان (2).

3- ونقل الحافظ الذهبي عن شريك بن عبد الله القاضي أنه قال: قُبِضَ النّبِي ﷺ فاستخلف المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحدا أفضل منه كانوا قد غشوا، ثم استخلف أبو بكر عمر فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما احتضر ج عل الأمر شورى بين ستة، فاجتمعوا على عثمان، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غشونا (3).

فهذه النقول فيها بيان واضح في أن أصحاب النبي ﷺ قد اشتهر بينهم أولوية عثمان بالخلافة، وما زال عمر بن الخطاب حياً لما سبق من علمهم ببعض النصوص المشدرة إلى أن ترتيبه سيكون في خلافة النبوة بعد الفاروق ، ولعلمهم أنه أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم (4).

4- روى ابن سعد بإسناده إلى النزال بن سبرة قال: قال عبد الله بن مسعود حين استخلف عثمان: استخلفنا خير من بقي ولم نأله (أي لم نقصر في اختيار الأفضل). وفي رواية أخرى قال: أمرنا خير من بقي ولم نأل (5).

5- وقال الحسن بن محمد الزعفراني: سمعت الشافعي يقول: أجمع الناس على خلاف أبي بكر، واستخلف أبو بكر عمر، ثم جعل الشورى إلى ستة على أن يولوها واحدا فولوها عثمان رضي الله عنهم أجمعين (6) وقد نقل أبو حامد محمد المقدسي كلاما عزاه للإمام الشافعي أنه قال: واعلموا أن الإمام الحق بعد عمر عثمان بجعل أهل الشورى اختيار الإمامة إلى عبد الرحمن بن عوف واختياره لعثمان ، وإجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وصوبوا رأيه فيما فعله، وأقام الناس على محبة الحق، وبسط الع دل إلى أن استشهد (7).

6- وذكر ابن تيمية عن الإمام أحمد أنه قال: لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان (8).

7- وقال أبو الحسن الأشعري: وثبتت إمامة عثمان بعد عمر بعقد من عقد ل

(1) المصنف (588/14).  
(2) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص 306.  
(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبي (273/2).  
(4) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عايش (666/2).  
(5) الطبقات الكبرى (63/3).  
(6) مناقب الشافعي للبيهقي (434/1، 435).  
(7) الرد على الرافضة، ص 319، 320.  
(8) منهاج السنة (166/3)، السنة للخلال، ص 320.



به الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر، فاخثاروه ورضوا بإمامته وأجمعوا على فضله وعدله<sup>(1)</sup>.

8- وقال عثمان الصابوني مبينا عقيدة السلف وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر أنهم يقولون أولاً بخلافة الصديق ثم عمر، قال: ثم خلافة عثمان بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به، حتى جعل الأمر إليه<sup>(2)</sup>.

9- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع العلماء المصلحين-:

وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان لم يتخلف عن بيعته أحد... فلما بايعه ذوو الشوك والقدرة صار إماماً، وإلا فلو قدر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه علي ولا غيره من أصحاب أهل الشوك لم يصير إماماً، ولكن عمر لما جعلها شورى في ستة: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، ثم إنه خرج طلحة والزبير وسعد باختيارهم، وبقي عثمان وعلي وعبد الرحمن لا يتولى ويولي أحد الرجلين، وأقام عبد الرحمن ثلاثاً حلف أنه لم يغمض فيها بكبير نوم يشاور السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان يشاور أمراء الأجناد، وكانوا قد حجوا مع عمر ذلك العام، فأشار عليه المسلمون بولاية عثمان، وذكر أنهم كلهم قدموا عثمان فبايعوه لا عن رغبة أعطاهم إياها ولا عن رهبة أخافهم بها، ولهذا قال غير واحد من السلف والأئمة كأيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني وغيرهم: من قدم علياً على عثمان فقد ازدري بالمهاجرين والأنصار، وهذا من الأدلة على أن عثمان أفضل؛ لأنهم قدموه باختيارهم واشتوارهم<sup>(3)</sup>.

10- وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- حاكياً إجماع الصحابة على خلافة عثمان بن عفان: ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أمرهم ليؤلفهم، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى، وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان حتى إنه قال لعلي: أرأيت إن لم أولئك بمن تشير به علي؟ قال: بعثمان، وقال لعثمان: أرأيت إن لم أولئك بمن تشير به؟ قال: بعلي بن أبي طالب. والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل، والله على شيء من الإسلام ليجتهد في أفضل الرجلين فيؤلفيه، ثم نهض عبد الرحمن بن عوف يستشير الناس فيهما ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً، مثني وفرداً، ومجتمعين سراً وجهراً، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياليها، لا يغمض بكثير نوم إلا في صلاة ودعاء واستخارة وسؤال من ذوي الرأي عنهم، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان، فلما كانت الليلة التي يسفر صبحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن أخته المسورة بنت مخرمة وأمره أن ينادي له علياً وعثمان -رضي الله عنهما- فناداهما فحضرا إلى عبد الرحمن فأخبرهما أنه سأل الناس فلم يجد أحداً يعدل بهما أحداً، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن، ثم خرج إلى المسجد وقد لبس

(1) الإبانة عن أصول الديانة، ص 68.  
(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسالة المنبرية (139/1).  
(3) منهاج السنة (134/1).

عبد الرحمن العمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ وتقلد سيفاً، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ونودي في الناس عامة الصلاة جامعة، فامتأل المسجد بالناس حتى غص بالناس، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس فيه إلا في أخريات الناس، وكان رجلاً حبيباً، ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ فوقف وقوفاً طويلاً ودعا دعاء طويلاً لم يسمعه الناس، ثم تكلم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم فلم أجذكتم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان، فقم إلي يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن علي جهد ي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده، وقال: قم إلي يا عثمان، فأخذ بيده وقال: هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، وقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وقال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر، قال: فقع عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية، وجاء إليه الناس يبايعونه، وبايعه علي بن أبي طالب أولاً، ويقال ثانياً<sup>(1)</sup>.

فهذه النقول المتقدم ذكرها للإجماع عن هؤلاء الأئمة كلها تقيد إفادة قطعية أن البيعة بالخلافة تمت لعثمان بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين - ولم يخالف أو يعارض في ذلك أحد<sup>(2)</sup>.

#### سابعاً: حكم تقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة أن مَن قدّم علياً على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم علياً على عثمان فإنه مخطئ ولا يضلونه ولا يبدعونه<sup>(3)</sup> وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم علياً على عثمان بأنه قال: من قدم علياً على عثمان فقد زعم أن أصحاب الرسول ﷺ خانوا الأمانة؛ حيث اختاروا عثمان على علي رضي الله تبارك وتعالى عنهما<sup>(4)</sup>. وقال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة مسألة لة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله<sup>(5)</sup>.

#### وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل عليّ على عثمان، فقال: فيها روايتان:

إحداهما: لا يسوغ ذلك، فمن فضل علياً على عثمان خرج من السنة إلى البدعة، لم خالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السخيتاني وأحمد بن حنبل والدارقطني.

(1) البداية والنهاية (159/7-161).  
(2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عايض (671/2).  
(3) مجموع الفتاوى (101/3، 102).  
(4) حقبه من التاريخ، عثمان الخميس، ص 66.  
(5) مجموعة الفتاوى (101/3، 102).

+

+

شخصيته وعصره

عثمان بن عفان

والثانية: لا يُبدَّع من قدَّم عليا؛ لتقارب حال عثمان وعلي.<sup>(1)</sup>

\* \* \*

(1) المصدر نفسه (267/4).

+

+

## المبحث الثاني

### منهج عثمان بن عفان في الحكم

عندما بويع عثمان بالخلافة قام في الناس خطيباً فأعلن عن منهجه السياسي، مبيناً أنه سيتقيد بالكتاب والسنة وسيرة الشيخين، كما أشار في خطبته إلى أنه سيسوس الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبه من الحدود، ثم حذرهم من الركون إلى الدنيا والافتدائهم بحطامها؛ خوفاً من التنافس والتباغض والتحاسد بينهم، مما يفضي بالأمة إلى الفرقة والخلاف. وكان عثمان ينظر وراء الحجب ببصيرته النفاذة إلى ما سيحدث في هذه الأمة من الفتن بسبب الأهواء وتهالك الناس بعدما بويع (1) فقال:

(أما بعد، فإني كلفت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله وسنة نبيه x ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسن أهل الخير فيما تسننوا عن ملاء، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم العقوبة. وإن الدنيا خضرة وقد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تنفقوا بها فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها) (2).

وأما قول بعض الناس بأن عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال: أيها الناس، إن أول مركب صعب وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها، فشيء يذكره صاحب العقد (3)، وغيره من يذكر طرف الفوائد، وأن إسناده غير صحيح (4).

#### أولاً: كُتِبَ عثمان إلى عماله وولاته وأمراء الجند وعامة الناس:

أقر عثمان عمال عمر، فلم يعزل منهم أحداً عاماً كاملاً أخذاً بوصية عمر، والناظر في الكتب التي بعث بها إلى الولاة وعمال المال وأمراء الأجناد يقف على النهج الذي أراد السير عليه وأخذ الأمة به (5).

#### 1- أول كتاب كتبه عثمان إلى جميع وولاته:

أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جبابرة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، لم يخلقوا جبابرة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جبابرة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنتظر في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تنتهوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء (6).

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (392/1).

(2) تاريخ الطبري (443/5).

(3) المراد ابن عبد ربه الأندلسي، صاحب كتاب (العقد الفريد)، وهو كتاب في طرق الأخبار والحكايات والنوادر، ولا يهتم بسند الخبر أو صحته.

(4) خلافة عثمان بن عفان، د. السلمي، ص 34، 35، والخبر من طريق الواقدي وهو متروك.

(5) تحقيق مواقف الصحابة، د. محمد أمزون (393/1).

(6) تاريخ الطبري (244/5).

والملاحظ أن عثمان أكد في هذا الكتاب الموجه إلى ولاته في الأمصار واجبههم نحو الرعية، وعرفهم أن مهمتهم ليست هي جمع المال، وإنما تتمثل في رعاية مصالح الناس، ولأجل ذلك بيّن السياسة التي يسوسون بها الأمة، وهي أخذ الناس بما عليهم من الواجبات وإعطائهم حقوقهم، فإذا كانوا كذلك صلحت الأمة، وإذا انقلبوا جباة ليس همهم إلا جمع المال انقطع الحياء وفقدت الأمانة والوفاء.<sup>(1)</sup> لقد كان في كتاب عثمان للولاية التي ركيز على قيم العدل السياسي والاجتماعي والاقتصادي، بإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم وأخذ ما عليهم، وإعلاء شأن مبدأ الرعاية السياسية لا الجباية وتكثير الأموال<sup>(2)</sup>.

ونبه على ما سيكون عند تغيير الولاية من رعاة إلى جباة؛ بأن ذلك سبب في تقلص مكارم الأخلاق التي مثل لها بالحياء والأمانة والوفاء، وذلك أن بين الراعي والرعية خيطاً سامياً من العلاقات المتينة، ويؤكد ويثبت اتفاق الجميع على هدف واحد، وهو ابتغاء وجه الله تعالى، فالوالي يسعى لهذا الهدف بما يقدمه لإمامه من طاعة وولاء وأمانة ووفاء، ويبقى خلق الحياء الذي أشار إليه عثمان يظل الجميع فيمنعهم من ارتكاب ما يستفح أو التعرض لجرح المشاعر والإيقاع في الحرج، ثم يوصي عثمان ولاته بالعدل في الرعية؛ وذلك بأخذ ما عليهم من الحقوق وبذل ما لهم من ذلك، ويشير إلى نقطة مهمة وهي أن الوفاء بالعهد من أهم أسباب الفتح والنصر على الأعداء، وقد بين التاريخ أثر هذا الخلق الرفيع في تفوق المسلمين الإداري والحربي<sup>(3)</sup>.

## 2- كتابه إلى قادة الجنود:

وكان أول كتاب كتبه إلى قادة الأجناد في الفروج<sup>(4)</sup>: أما بعد، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يرغب عنا، بل كان على ملائنا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون؛ فإني أذظر فيما أؤمن الله النظر فيه والقيام عليه<sup>(5)</sup>.

وفي هذا الكتاب لفت النظر إلى أن الأمور لن تتغير بتغيير الخليفة؛ لأن الخلفاء ومن دونهم من الولاية يسيرون على خط واحد، وهو القيام بمهمة تطبيق الإسلام في واقع الحياة، وقوله: (وقد وضع لكم عمر ما لم يرغب عنا بل كان على ملائنا)، إشارة إلى أن حكم أولئك الخلفاء يقوم على الشورى، وذلك يترتب عليه أن جميع القضايا المهمة تكون معلومة بتفاصيلها عند أهل الحل والعقد، فإذا ذهب الحاكم وخلفه حاكم آخر سار على نفس المنهج؛ لوضوح الهدف لدى الجميع. وقوله: (ولا تغيروا فيغير الله بكم) وعي لسنن الله تعالى في هذا الكون، فمعية الله -جل وعلا- لأوليائه بالتوفيق والحماية والنصر مشروطة بلزومهم شريعته واستسلامهم لأمره، فإذا تغيروا في ذلك غير الله ما بهم واستبدل بهم غيره في الهيمنة والتمكين<sup>(6)</sup>، وفي ذلك يقول الله تعالى: **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مَن أَمَرَ اللَّهُ إِنَّا لَا يَغْيِرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ**

- (1) تحقيق مواقف الصحابة (393/1).
- (2) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين، ص 246.
- (3) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي (369/12).
- (4) الفروج: يعني الأقاليم.
- (5) تاريخ الطبري (244/5).
- (6) التاريخ الإسلامي (370/12).

ص 199.

**مَنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** [الرعد: 11] وذكرهم بأنه على علم بواجبه يؤديه ويقوم عليه ليتلاقى عمل الرعية وعمل الراعي في الشعور بالواجب والقيام به، ويشعر كل فرد أنه يعمل لأمرته كما يعمل لنفسه<sup>(1)</sup>.

### 3- كتابه إلى عمال الخراج:

وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج:

أما بعد، فإن الله خلق بالحق فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم<sup>(2)</sup>.

خص في هذا الكتاب وزراء المال الذين يجبونه من أفراد الأمة لينفق في مصالحها العامة، فبيّن لهم أن الله لا يقبل إلا الحق، والحق قائم على الأمانة والوفاء، ثم ميز صنفين من الرعية هما ضعيفاها؛ اليتيم والمعاهد، فحضر على التجافي عن ظلمهما؛ لأن الله هـ والمتولي حمايتهما<sup>(3)</sup>. ويذكرهم بأنهم إذا ظلموهم فإنهم معرضون لنقمة الله تعالى؛ لأنه خصم لمن ظلم هؤلاء المستضعفين. وفي هذا لفتة إلى جانب من جوانب عظمة الإسلام؛ حيث يدعو إلى نصر المظلومين وإن كانوا من الكفار المعاهدين<sup>(4)</sup>.

### 4- كتابه إلى العامة:

أما بعد، فإنكم إنما بلغت بالافتداء والاتباع فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداء بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله ﷺ قال: **«الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا»**.<sup>(5)</sup>

وفي هذا الخطاب نلاحظ أن عثمان رغب عامة الأمة في الاتباع وترك التكلف والابتداء، وأنه حذرهم تغيير الحال إذا اجتمعت لهم ثلاث خلال: تكامل النعم الذي يبطر النفوس ويدفعها إلى الترف، ويصدها عن الاجتهاد والعمل، ويصرفها إلى الفراغ والكسل، حتى تفتر حيوبيتها وتخور عزائمها. وبلوغ أولادها من السبايا، وقد لمست الأمة في تاريخها أثر هؤلاء في المجتمع الإسلامي من الوجهة السياسية والاجتماعية والدينية. وقرءة الأعراب والأعاجم القرآن، وإنما يريد عثمان بذلك ما في طبائع الأعراب من جفوة وغلظ الأكباد، فلا تبلغ هداية القرآن مكان الخير من أفئدتهم، وكذلك يريد ما في الأعاجم من أخلاق موروثة وعقائد متأصلة، وعادات قديمة تباعد بينهم وبين سنن القرآن في الهداية، وقد ظهر أثر الأعراب في فرقة الخوارج الذين كانت كثرتهم من أولئك الجفاة؛ فهم كانوا أقرأ الناس للقرآن وأبعدهم عن هدايته، ثم ظهر فيهم عداهم أثر الأعاجم فيما ابتدءوه من مذاهب وتكلفوه من آراء كانت شرّاً على المسلمين في عقائدهم، ومنهم أكثر الفرقة الضالة التي لعبت في تاريخ الإسلام أخطر دور.<sup>(6)</sup>

### ثانياً: المرجعية العليا للدولة:

- (2) تاريخ الطبري (244/5).  
 (3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 198.  
 (5) تاريخ الطبري (245/5).  
 (6) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 199.

أعلن ذو النورين أن مرجعيته لدولته كتاب الله وسنة رسوله x والاقتداء بالشيخين ف ي هديهم، فقد قال: «... ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله و سنة نبيه x ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم....» (1)

1- فالمصدر الأول هو كتاب الله، قال تعالى: **«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِزِينَ خَصِيماً»** [النساء: 105]. فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكاماً قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم.

2- المصدر الثاني: السنة المطهرة التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن (2).

3- الاقتداء بالشيخين: قال رسول الله x: **«اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر»**. (3)

إن دولة ذي النورين خضعت للشرعية وأصبحت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون، وأعطت لنا صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة، والحاكم فيها مقيد بأحكامها لا يتقدم ولا يتأخر عنها. (4) ففي دولة ذي النورين وفي مجتمع الصحابة الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم، وطاعة الخليفة مقيدة بطاعته لله، قال رسول الله x: **«لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف»**. (5) وهيمنة الشريعة على الدولة من صائص الخليفة الراشدة، فحكومة الخلافة الراشدة تتميز عن الحكومات الأخرى بعدة صائص، منها:

\* أن اختصاص الحكومة (الخليفة) عامة؛ أي تقوم على التكامل بين الشئون الدنيوية والدينية.

\* أن حكومة الخلافة ملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة.

\* أن الخلافة تقوم على وحدة العالم الإسلامي. (6)

**ثالثاً: حق الأمة في محاكمة الخليفة:**

الأمر الذي لا شك فيه أن سلطة الخليفة ليست مطلقة، وإنما هي مقيدة بقيدين:

1- ألا يخالف نصاً صريحاً ورد في القرآن الكريم والسنة، وأن يكون الإجراء الذي يتخذه متفقاً فضلاً عن ذلك- مع روح الشريعة ومقاصدها.

2- ألا يخالف ما اتفقت عليه الأمة الإسلامية أو يخرج على إرادتها.

وأساس ذلك أن الخليفة نائب عن الأمة، منها يستمد سلطانه، ويرجع إليها في تحديد هذا السلطان ومده، فالأمة تستطيع في كل وقت أن توسع من هذا السلطان، وأن تضيق

(1) تاريخ الطبري (443/5).

(2) فقه التمكنين في القرآن الكريم للصلاحي، ص 432.

(3) صحيح سنن الترمذي، (200/3).

(4) نظام الحكم في الإسلام، ص 227.

(5) البخاري، رقم (7145).

(6) فقه الخلافة، للسنبوري، ص 80.

منه أو تقيده بقبود كلما رأت في ذلك مصلحة أو ضمانا لحسن القيام على أمر الله ومصلحة الأمة. (1) ويكون ذلك من خلال مجلس شورى الأمة. وقد أكد عثمان حق الأمة في محاسبة الخليفة في قوله: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد. (2) وحينما أخذت طائفة عليه بعض أخطاء في زعمها- في تصريحه لشئو ن الحكم وإسناد وظائفه، وتظاهرت عليه جموع منهم لمحاسبته على أعماله، فأذعن رضوان الله عليه- لرغبتهم، ولم ينكر عليهم هذا الحق، وأبدى استعدادا كريما لإصلاح ما عسى أن يكون أخطأه التوفيق في إبرامه. (3).

#### رابعاً: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: **فَإِذَا مَكَاتُ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُمْ قَبْلَ الْفَجْرِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا عَلِيمًا** (الشورى: 43). **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** [الشورى: 38]. وقد اتخذ عثمان في دولته مجلساً للشورى يتألف من كبار أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. (4) وقد طلب عثمان من العمال والقادة قائلًا: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم. (5) فأخذ قاداته بذلك، فكانوا إذا هموا بالغزو والتقدم في الفتوحات الإسلامية استأذنوه واستشاروه، فيقوم هو بدوره بجمع الصحابة واستشارتهم للإعداد والإقرار والتنفيذ ووضع الخطط المناسبة لذلك، ومن ثم يأذن (6) لهم؛ فقد قام عبد الله بن أبي السرح بالكتابة إلى الخليفة عثمان

وقال تعالى: **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** [الشورى: 38]. وقد اتخذ عثمان في دولته مجلساً للشورى يتألف من كبار أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. (4) وقد طلب عثمان من العمال والقادة قائلًا: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم. (5) فأخذ قاداته بذلك، فكانوا إذا هموا بالغزو والتقدم في الفتوحات الإسلامية استأذنوه واستشاروه، فيقوم هو بدوره بجمع الصحابة واستشارتهم للإعداد والإقرار والتنفيذ ووضع الخطط المناسبة لذلك، ومن ثم يأذن (6) لهم؛ فقد قام عبد الله بن أبي السرح بالكتابة إلى الخليفة عثمان طالباً منه أن يأذن له بأن يغزو أطراف إفريقية، وذلك لقرب جزر الروم من المسلمين، فأجابه الخليفة عثمان إلى ذلك بعد المشورة وندب إليه الناس. (7) كما أن معاوية بن أبي سفيان حين أراد فتح جزيرة قبرص ورودس فعل الشيء نفسه في استشارة القيادة العليا المركزية، وطلب الإذن بالسماح له، ولم يأت به الجواب إلا بعد انعقاد مجلس الشورى وبحثه في الموضوع، ومن ثم السماح له. (8) وكان قادة الخليفة عثمان في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون فيما بينهم؛ (9) كما شاور عثمان كبار الصحابة في جمع القرآن، وفي قتل عبيد الله بن عمر للهزيم، وحول التدابير الكفيلة بقطع دابر الفتنة، وفي مقام القضاء، وغير ذلك من المواقف والأحداث التي سيأتي بيانها في محلها بإذن الله.

#### خامساً: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تسا

(1) الدولة والسيادة، د. فتحي عبد الكريم، ص 268.

(2) مسند الإمام أحمد، الموسوعة الحديثية، رقم 524.

(3) الدولة والسيادة، ص 379.

(4) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (277/1).

(5) المصدر نفسه (277/1)، نقلاً عن تاريخ الطبري.

(6) فتوح مصر، ص 83.

(7، 8) الإدارة العسكرية (278/1).

(4) المصدر نفسه، ص 183.



هم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة؛ فقد كتب ذو النورين إلى الناس في الأمصار: أن ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، ولا يذل المؤمن نفسه، فإني مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً إن شاء الله. (1) فقد كانت سياسته تقوم على العدل باسمي صورته؛ فقد أقام الحد على والي الكوفة الوليد بن عقبة (أخوه لأمه) عند ما شهد عليه الشهود بأنه شرب الخمر، وعزله عن الولاية بسبب ذلك، وسيأتي تفصيل هذه القضية بإذن الله. وقبوله بتولية أبي موسى الأشعري مكانه؛ لأن أهل الكوفة لم يوافقوا على تولية سعيد بن العاص خلفاً للوليد. وقد روي عنه أيضاً أنه غضب على خادم له يوماً فعرك أذنه حتى أوجعه، ولم يستطع أن ينام ليلته آنذاك إلا بعد أن دعا خادمه إلى مضعه وأمره أن يقتص منه فيعرك أذنه، وقد أبى الخادم في بادئ الأمر، ولكن عثمان أمره ثانية في حزم فأطاعه (2).

### سادساً: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، و يقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحرية العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس -جميع الناس- دعوة واسعة وعريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة (3)؛ كحرية العقيدة الدينية، وحرية التنقل، وحق الأمن، وحرمة المسكن، وحرية الملكية، وحرية الرأي.

### سابعاً: الاحتساب:

اهتم أمير المؤمنين عثمان بالاحتساب بنفسه كما أسنده إلى غيره، فقد ثبت قيامه بالاحتساب في مجالات عدة، منها:

#### 1- إنكاره على لبس الثوب المعصر:

ومن احتسابه أنه أنكر على محمد بن جعفر بن أبي طالب لبسه الثوب المعصر، فعن أبي هريرة قال: راح عثمان إلى مكة حاجاً، ودخلت على محمد بن جعفر بن أبي طالب امرأته، فبات معها حتى أصبح، غداً عليه ردع (4) الطيب وملحفة مع صفرة مفعمة (5)، فأدرك الناس بملل (6)، قبل أن يروحوا، فلما رآه عثمان انتهر وأقف وقال: «ألبس المعصر وقد نهى عنه رسول الله ﷺ؟!». (7)

#### 2- إنكاره على قاصدات العمرة والحج وهن في العدة:

ومن احتسابه أنه كان يرد النساء اللواتي كن يخرجن للعمرة أو الحج وهن في العدة؛ فقد روى الإمام عبد الرزاق عن مجاهد قال: كان عمر وعثمان رضي الله عنهما -

(1) تاريخ الطبري (414/4).

(2) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، ص 149.

(3) المصدر نفسه، ص 157، 158. (3) ردع: لطمخ وأثر.

(5) مفدمة: مشبعة حمرة. (5) ملل: موضع بين مكة والمدينة.

(7) المسند، رقم 517، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر: تعليقات الشيخ على المسند (384/1).

يرجعان حواج ومعتبرات من الجحفة وذوي الحليفة<sup>(1)</sup>.

### 3- أمره بذبح الحمام:

ومن احتسابه أنه منع الناس من الانشغال في طيران الحمام<sup>(2)</sup>، لما بدأوا فيه مع سعة العيش، وأمرهم بذبحه؛ فقد روى الإمام البخاري عن الحسن قال: سمعت عثمان يأمُر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام<sup>(3)</sup>.

### 4- احتسابه على اللعب بالنرد:

كان عثمان ينهى عن اللعب بالنرد وأمرهم بتحريقه أو كسره ممن كان في بيته؛ فقد روى الإمام البيهقي عن زبيد بن الصلت أنه سمع عثمان بن عفان وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس، إياكم والميسر يريد النرد- فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت الناس منكم، فمن كان في بيته فليحرقها أو فليكسرها. وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس، إني قد كلمتكم في هذا النرد، ولم أركم أخرجتموها، فلقد هممت أن أمر بحزم الحطب، ثم أرسل إلى بيوت الذين هم في بيوتهم فأحرقها عليهم<sup>(4)</sup>.

### 5- إخراجهم من يراه على شر أو يشهر سلاحا في المدينة:

ومن احتسابه أيضا أنه كان ينكر على من يراه على شر أو كان يحمل معه سلاحا ويخرجه من المدينة؛ فعن سالم بن عبد الله قال: وجعل عثمان لا يأخذ أحدا منهم على شر أو شهر سلاح، عصا فما فوقها إلا سيره<sup>(5)</sup>.

### 6- ضربه لمن استخف بعم النبي ﷺ:

ففي أيام خلافته ضرب رجلا في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، فقيل له عن مبررات ضربه، فقال: نعم، أي فخذ رسول الله ﷺ عمه وأرضص في الاستخفاف به، لقد خالف رسول الله ﷺ من فعل ذلك ومن رضي به منه<sup>(6)</sup>.

### 7- نهيه عن الخمر لأنها أم الخبائث:

روى النسائي في سننه والبيهقي في سننه عن عثمان بن عفان أنه قال: اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلأ قبلكم يتعبد، فعلقته امرأة أغوته، فأرسلت إليه جاريته، فقالت له: إنها تدعوك للشهادة، فانطلق مع جارتها فطفق كلما دخل بابا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة، عندها غلام وباطية خمر، فقالت: والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليّ، أو تشرب من هذه الخمر كأسا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر كأسا، فسقته كأسا فقال: زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل الغلام، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإيمان الخمر إلا ويوشك أن يخرج أحدهما صاحبه<sup>(7)</sup>.

(1) المصنف، رقم (12071).

(3) الأدب المفرد، باب ذبح الحمام، رقم (1307).

(4) السنن الكبرى، كتاب الشهادات، (215/10).

(5) تاريخ الطبري (416/5) معظم هذه الفقرة أخذتها من كتاب الحسبة في العصر النبوي والعهد الراشدي، للدكتور فضل إلهي.

(6) تاريخ الطبري (417/5).

(7) سنن النسائي، كتاب الأشربة، موسوعة فقه عثمان، ص 52.

## 8- من خطب عثمان في المجتمع ومن حركمه:

## أ- خطبة في الاستعداد ليوم المعاد:

يقول الحسن البصري رحمه الله:- خطب عثمان بن عفان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله فإن تقوى الله غُذِمَ، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لم بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لظلمة القبر، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيرا، وقد يكفي الحكيم جوامع الكلام، والأصم ينادي من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئا، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده<sup>(1)</sup>.

وعن عثمان أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْجَمَاءَ لَتُقَصَّ مِنْ الْقِرَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(2)</sup>.

## ب- التذكير بمكارم الأخلاق:

قال عثمان : إنا والله صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر فكان يعود مرضانا، ويشيع جنازتنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسا يعلمونني به عسى أ لا يكون أحدهم رآه قط<sup>(3)</sup>.

## ج- من حكمه التي سارت بين الناس:

\* قال : لو طهرت قلوبنا ما شبعتم من كلام ربكم<sup>(4)</sup>.

\* وقال : ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه<sup>(5)</sup>.

\* إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن<sup>(6)</sup>.

\* وكان لا يقيم للدنيا وزنا، فقال فيها: (همُّ الدنيا ظلمة في القلب، وهمُّ الآخرة نور في القلب)<sup>(7)</sup>.

\* ومن حكمه البالغة: كيفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك<sup>(8)</sup>.

\* وقال في أيام الفتنة: أستغفر الله إن كنت ظلمت، وقد عفوت إن كنت ظلمت<sup>(9)</sup>.

\* ومن حكمه ومواعظه : إن لكل شيء آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذا الدين وعاهة هذه النعمة عيَّابون صغانون، يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون، طغام

(1) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص 107.

(2) الموسوعة الحديثية، مسند أحمد، رقم (520).

(3) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص 107.

(4) جامع العلوم والحكم، ص 363.

(5) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص 269.

(6) الكامل في اللغة والأدب (157/1).

(7) الاستعداد ليوم المعاد، ص 9.

(8) مجمع الأمثال للميداني (453/2).

(9) تاريخ خليفة بن خياط، ص 171.

مثال النعام.(1)

\* ولما قدم عبد الله بن الزبير بفتح إفريقية، أمره عثمان بن عفان -رضي الله عنهم - فقام خطيباً، فلما فرغ من كلامه قال عثمان: انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن، فإنني لم أر في ولد أبي بكر الصديق أشبه به من هذا(2)، وعبد الله بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر. ويريد أن ابن الزبير كان شبيهاً بجده في الشجاعة والإقدام والفصاحة(3).  
\* وقال: ما من عامل يعمل عملاً إلا كساه الله رداء عمله(4).

\* وقال: إن المؤمن في خمسة أنواع من الخوف؛ أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان، والثاني من قبل الحفظ أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة، والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله، والرابع من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها وتشغله عن الآخرة(5).

وقال: وجدت حلاوة العبادة في أربعة أشياء: أولها في أداء فرائض الله، والثاني في اجتناب محارم الله، والثالث في الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله، والرابع في النهي عن المنكر اتقاء غضب الله(6).

#### 9- عثمان والشعر والشعراء:

لم تذكر لنا المصادر والمراجع سوى النزر القليل عن علاقة عثمان مع الشعراء والشعر، مع أن فترة خلافته كانت طويلة نسبياً، ومن هذا القليل تبين لنا أنه كان ملتزماً بالمنهج العام للعقيدة الإسلامية التي وضح معالمها الرسول ﷺ، والتي سلك طريقها سلفه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولا شك أن لكل منهم شخصيته الأدبية المميزة، فقد اشتهر أبو بكر بمعرفة الأنساب، وبعلمه الوافر وحسن مجالسته وبروايته للشعر، واشتهر عمر بالحث على تعلم الشعر، وأنه لم تكن تعرض له قضية إلا تمثل ببيت شعر، أضف إلى ذلك أنه كان شاعراً، أما عثمان بن عفان -رضوان الله عليه- فلم يؤثر عنه ذلك الانغماس الكبير في الشعر، أو تلك العلاقة الحميمة مع الشعراء. وإذا كنا نعرف أن الشعراء كانوا يتهافتون على أبواب الأعمام طمعاً برضاهم وبأعطيتهم، فإننا نرى أن الشعراء أيام عثمان يتركون الحواضر ودار الخلافة ويؤثرون العودة إلى البادية(7) وقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ بعض الأبيات نسبتها إلى عثمان أو كان يتمثل بها، ومن هذه الأبيات يروي أنه قال:

واعلم أن الله ليس كصنعه صنيع ولا يخفى على ملحد

وكان كثيراً ما ينشد أبياتاً قالها ويطيل ذكرها لا تعرف لغيره:

تفنى اللذائذ ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

(1) مجمع الأمثال للميداني (453/20).

(2) البيان والتبيين (95/2).

(3) فرائد الكلام، ص 271.

(4) الزهد للإمام أحمد، ص 185.

(5) 3، فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص 278.

(7) أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، ص 99.

يلقى عواقبَ سوءٍ من مغبتها لا خير في لذة من بعدها نار<sup>(1)</sup>

قال يوم دخل عليه الثائرون في بيته ليقتلوه:

أرى الموت لا يبقي عزيزاً ولم يدع لعاد ملاذاً في البلاد ومرتعاً<sup>(2)</sup>

<

وقال لَمَّا حوصر في داره:

يُبَيِّت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال الموت شمراخها العُلا<sup>(3)</sup>

ويروى له أيضاً:

غنيُّ النفس يغني النفس حتى يكفَّها وإن عَضَّها حتى يضرَّ بها الفقر

وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها بكائنة إلا سيتبعها يُسرُّ

ونلاحظ في البيت الأخير أنه يتضمن معنى قرآنياً؛ إن مع العسر يسراً، وهذا ليس غريباً على الخليفة المسلم، الذي نشأ وترعرع في أحضان محمد ✕ فهو يعاقب على شعور الهجاء والذي يتعارض وأحكام الشريعة الإسلامية، ويثني على الشعر الحسن ويحب الاستماع إليه، وكل ذلك ضمن المفاهيم الإسلامية<sup>(4)</sup>.

وإذا كان الخليفة الراشد الثالث لم يهتم بالشعر، ولم يقرب إليه الشعراء، فإن مقتله من قبل الغوغاء فتح الباب على مصراعيه لازدهار الشعر العباسي الذي أصبح الأداة الصحافية الفاعلة في العصور الإسلامية المتلاحقة، فعند مقتله بكاه كثير من شعراء الصداة، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله.

\* \* \*

(1) شعراء الخلفاء، نبال تيسير الخماش، ص 27.

(2, 3) البداية والنهاية (192/7).

(4) أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، ص 102.

## المبحث الثالث

### أهم صفاته

إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف بصفات القائد الربان ي، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات: إيمانه العظمى بالله واليوم الآخر، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقوة والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع، وقبول النصيحة، والحلم، والصبر، وعلم الهممة، والحزم، والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات. وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية استطاع أن يحافظ على الدولة ويقمع الثورات التي حدثت في الأراضي المفتوحة، وينتقل بفضل الله وتوقيفه- بالأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، ومن أهم تلك الصفات التي نحاول تسليط الأضواء عليها في هذا المبحث هي:

#### أولاً: العلم والقدرة على التوجيه والتعليم:

يعتبر عثمان من كبار علماء الصحابة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيأتي الحديث عن اجتهاداته الفقهية في المجال القضائي والمالي والجهادي بإذن الله تعالى، وكأن حريصاً على اتباع هدي النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فعن عروة بن الزبير، أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود عبد يغوث قالوا له: ما يمنعك أن تكلم خالك يكلم أمير المؤمنين عثمان في الوليد بن عقبة، وقد أكثر الناس فيما فعل؟ قال عبيد الله: فاعتزضت لأمر المؤمنين عثمان حتى خرج إلى الصلاة فقلت له: إن لي إليك حاجة هي نصيحة، قال: يا أيها المرء، إني أعوذ بالله منك. قال: فانصرفت، فلما قضت الصلاة جلست إلى المسور وابن عبد يغوث فحدثهما بالذي قلت لأمر المؤمنين وقال لي، فقالوا: قد قضيت الذي عليك، فبينما أنا جالس معهما جاءني رسول أمير المؤمنين عثمان فقالا لي: قد ابتلاك الله، فانطلقت حتى دخلت على عثمان، فقال: ما نصيحتك التي ذكرت لي آنفاً؟ قال: فتشهدت ثم قلت له: إن الله عز وجل- بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، ورأيت هديه وقد أكثر الناس في شأن الوليد، فحق عليك أن تقيم عليه الحد، قال: فقال لي: ابن أختي، أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: فقلت: لا، ولكن خلص إلي من علمه واليقين ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: فتشهد ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن بما بعث محمد ﷺ، ثم هاجرت الهجرتين كما فعلت، ونلت صهر رسول الله ﷺ، وبايعت رسول الله ﷺ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلف بعده أبو بكر فبايعناه فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلف عمر فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلفني الله أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم علي؟ قال: فقلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنك؟ فأما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه -إن شاء الله- بالحق، قال: فجلد الوليد أربعمائة سوطاً، وأمر علياً بجلده فكان هو يجلده<sup>(1)</sup>.

(1) فضائل الصحابة (597/1) رقم (791)، إسناده صحيح.

لقد لازم ذو النورين النبي ﷺ فاستفاد من علمه وهديه، مما جعله من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وكان قادراً على توجيه رعيته توجيهاً مفيداً، وتعليمهم واجباتهم ونقل آرائه النابعة من علمه وخبرته وتجاربه وممارسته إليهم؛ حتى يرتقوا في مجال الدعوة والتربية والتعليم والجهاد والاستعداد للقاء الله عز وجل.

ومن توجيهات عثمان ما تضمنته خطبة خلافته التي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ: إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتكم صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طوبت على الغرور، فلا تحزنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ ارموا الدنيا بالذي هو خير<sup>(1)</sup>، قال تعالى: **وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا عَمَلِ آدَمَ إِذْ كُنَا هَٰ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** [الكهف: 45، 46].

ولقد كان المعنى الذي يدور حوله توجيه الخليفة الثالث في هذه الخطبة هو الحذر على الإقبال على الله والزهد في الدنيا، وهذا هو المناسب لخطبته في ذلك الوقت الذي ألقى فيه الإسلام بجرانه<sup>(2)</sup> في أقطار المعمورة وفتحت البلدان وأقبلت الدنيا بنعيمها، وبدأ الناس في التنافس فيها وبخاصة غير أصحاب رسول الله ﷺ فكان المقال مناسباً للمقام<sup>(3)</sup>.

وقد روى عثمان أحاديث عن رسول الله ﷺ انتفعت بها الأمة؛ فهذا أبو عبد الرحمن السلمي يحدثنا عن حديث سمعه من عثمان فعمل به، فعن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان ، عن النبي ﷺ قال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.<sup>(4)</sup> قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا. وفي رواية عن شعبة قال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وكان يعلم القرآن.<sup>(5)</sup> وكان عثمان يروي أحاديث رسول الله ﷺ للمسلمين كل في محله ومناسبته، ومن هذه الأحاديث:

### 1- أهمية الموضوع:

توضاً عثمان على البلاط، ثم قال: لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه، سمعت النبي ﷺ يقول: **«من توضأ فأحسن الوضوء، ثم دخل فصله، غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها»**.<sup>(6)</sup>

(1) البداية والنهاية (153/7).

(2) جرائه: أي ثبت واستقر.

(3) الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، للقادري، ص 93.

(4) البخاري رقم (5028).

(5) الخلافة الراشدة، د. يحيى الجبلي، ص 420، 421.

(6) الموسوعة الحديثية، مسند أحمد، رقم (400)، إسناده صحيح.

## 2- تقليده لرسول الله ﷺ في الوضوء:

عن حمران بن أبان، عن عثمان بن عفان: أنه دعا بماء فتوضأ ومضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم ضحك، فقال لأصحابه: ألا تسألوني عما أضحكني؟ فقالوا: مم ضحكك يا أمير المؤمنين؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بماء قريباً من هذه البقعة، فتوضأ كما توضأت ثم ضحك، فقال: «ألا تَسْأَلُونِي مَا أَضْحَكُنِي؟» فقالوا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا بَوْضُوءٍ فغسل وجهه، حط الله عنه كل خطيئة أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإن مسح برأسه كان كذلك، وإن طهر قدميه كان كذلك»<sup>(1)</sup>.

## 3- كفارات الوضوء:

عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فَالْصَّلاَةُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتُ مَا بَيْنَهُنَّ»<sup>(2)</sup>.

## 4- الوضوء وصلاة ركعتين ومغفرة الذنوب:

دعا عثمان بماء وهو على المقاعد، فسكب على يمينه فغسلها، ثم أدخل يمينه في الإِنَاءِ فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرار، ومضمض واستنثر، وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرار، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرار، ثم قال: ل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضْؤِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَحْدُثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا، غُفِرَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(3)</sup>.

## 5- كلمة الإخلاص وكلمة التقوى:

قال عثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ»، فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي أَلْزَمَهَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى الَّتِي أَلَّا ص<sup>(4)</sup> عَلَيْهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَمَهُ أَبَا طَالِبٍ عِنْدَ الْمَوْتِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(5)</sup>.

## 6- العلم بالله يدخل العبد الجنة:

عن عثمان بن عفان، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(6)</sup>.

## 7- الحسنات والباقيات:

عن الحارث مولى عثمان قال: جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فجاءه المؤذن، فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مُدٌّ، فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هَذَا ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ تَوَضَّأَ وَضْؤِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ فَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَصْرِ»<sup>(7)</sup>.

(1) الموسوعة الحديثية، مسند أحمد رقم (415) صحيح لغيره.  
(2) الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد رقم (406)، إسناده صحيح.  
(3) المصدر نفسه رقم (418) إسناده صحيح.  
(4) الأصل: أي راوده فيها.  
(5) مسند أحمد رقم (447)، إسناده قوي.  
(6) مسند أحمد رقم (464)، إسناده صحيح.  
(7) المصدر نفسه رقم (464)، إسناده صحيح.



ر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت بتمرغ ليلته، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات». قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هن لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. (1)

#### 8- خطورة الكذب على رسول الله x:

عن عثمان قال: قال رسول الله x: «من تعد عليّ كذبا، فليتبوأ بيّتا في النار» (2).

هذه بعض الأحاديث التي رواها عثمان عن رسول الله x، وتدل على علم عثمان وحرصه على الاستزادة من الهدي النبوي، وفقه الشريعة الغراء.

#### ثانياً: الحلم:

إن الحلم ركن من أركان الحكمة، وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ»** [آل عمران: 155] وقد بلغ النبي x في حلمه وعفوه الغاية المثالية، وكان الخليفة الراشد عثمان بن عفان شديد الاقتداء في أقواله وأفعاله وأحواله برسول الله x، وكانت له مواقف كثيرة تدل على حلمه وضبطه لنفسه، ومن أوضح المواقف التي تدل على حلمه قصته في حصار الثائرين عليه؛ حيث أمر من عنده من المهاجرين والأنصار أن ينصرفوا إلى منازلهم ويدعوه وكانوا قادرين على منعه، وكان حلمه مبنيًا على شوقه إلى لقاء ربه، وإرادته حقن دماء المسلمين ولو بقتله (3).

#### ثالثاً: السماحة:

عن عطاء بن فروخ مولى القرشيين: أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبأ عليه، فلقبه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبننتي فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، فقال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله x: **«أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً ومقتضياً»**. (4) ف هذا مثل رفيع في السماحة في البيع والشراء، وهو يدل على ما جبل عليه عثمان من الكرم وعدم التعلق بالدنيا، فهو يستعبد الدنيا لخدمة مكارم الأخلاق التي من أهمها الإيثار، ولا تستعبده الدنيا، فتجعل منه أنانياً يؤثر مصالحه الخاصة وإن أضر بالناس (5).

#### رابعاً: اللين:

امتن الله تعالى علي رسول الله x بأن رزقه صفة اللين رحمة منه به وبعباده، قال تعالى: **«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا»**

(1) مسند أحمد رقم (513) إسناده حسن.

(2) مسند أحمد رقم (507) إسناده صحيح.

(3) الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، د. عبد الله قادري، ص 65.

(4) مسند أحمد رقم (410)، حسن لغيره.

(5) التاريخ الإسلامي (17، 126/18).

وَأَمِنْ دَوْلِكَ" [آل عمران: 159].

أفادت الآية الكريمة أن صفة اللين رحمة من الله يرزق بها من شاء من عباده، وأن الرسول x قد رزق هذه الصفة رحمة من الله به وبعباده الذين بعثه إليهم، ويفهم من الآية أن المتصف باللين يحبه الناس ويلتقون حوله ويقبلون منه ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه (1)؛ فاللين من الصفات الطيبة التي اتصف بها عثمان ، فكان ليناً على رعيته ع طوفاً على أمته، يخاف أن يصاب أحد دون علمه فلا يتمكن من تلبية حاجته، وكان ينتبـع أخبار الناس، فينصر الضعيف، ويأخذ الحق من القوي .

#### خامساً: العفو:

عن عمران بن عبد الله بن طلحة: أن عثمان بن عفان خرج لصلاة الغداة فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب فقال: انظروا، فنظروا فإذا رجل معه خنجر ر أو سيف، فقال له عثمان : ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك، قال: سبحان الله!! ويحك، علام تقتلني؟ قال: ظلمني عاملك باليمن، قال: أفلا رفعت ظلامتك إليّ فإن لم أنصفك أو أعديك على عاملي أردت ذلك مني؟ فقال لمن حوله: ما تقولون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين ، عدو أمكنا الله منه، فقال: عبد هم بذنوب فكفه الله عني، انتتني بمن يكفل بك، لا تدخل ا لمدينة ما وليت أمر المسلمين، فأثاءه برجل من قومه فكفل به فخلى عنه (2).

فهذا تسامح كبير من أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؛ حيث عفا عمن أراد قتله، والعفو عند المقدرة صفة من صفات الكمال في الرجال، وهو دليل على التجرد من حظ النفس وتقلص الأنانية، وضعف الارتباط بالدنيا، وقوة الارتباط بالآخرة، وهذا الخلق إ ضافة إلى أنه عمل صالح يرفع من درجات صاحبه في الآخرة فإنه سياسة حكيمة في الـ دنيا؛ إذ أن هذا الرجل الذي أراد الاعتداء لو أنه قتل أو عوقب عقوبة بليغة لربما أحدث فتنة بإيغار صدور أفراد قبيلته واستعدادهم للانتقام إذا سحنت لهم الفرصة، لكن العفو عـنه يجعل أفراد قبيلته وأبناء بلده يعذلونهم ويعفونهم على ما حاول الإقدام عليه، وبذلك تتطفئ الفتنة قبل تصاعدها، ويكسب صاحب العفو قلوب الناس وولاءهم (3).

#### سادساً: التواضع:

قال تعالى: **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** [الفرقان: 63].

جعل المولى -عز وجل- صفة التواضع أولى صفات عباده المؤمنين، ولقد كان الخلـ يفة الراشد عثمان متصفا بهذه الصفة، وكانت هذه الصفة تنبع من إخلاصه لله سبحانه وتعالى؛ فعن عبد الله الرومي قال: كان عثمان بن عفان يأخذ وضوءه لنفسه إذا قام من اللـ ل، فقيل له: لو أمرت الخادم كفاك، قال: لا، الليل لهم يستريحون فيه (4) فهذا مثل من اتـ صاف أمير المؤمنين عثمان بالرحمة، فهو مع كبر سنه وعلو منزلته الاجتماعية يـ دم نفسه في الليل ولا يوقظ الخدم، وإن وجود الخدم من تسخير الله تعالى للمخدومين، وإـ

(1) الكفاءة الإدارية، ص 69.

(2) التاريخ الإسلامي (18، 22/17) نقلا عن تاريخ المدينة المنورة، ص (1027، 1028).

(3) التاريخ الإسلامي (17، 22/18).

(4) فضائل الصحابة رقم (742)، إسناده صحيح وهو رواية أخرى.

ن مما ينبغي للمسلم الذي سخر الله تعالى من يخدمه أن يتذكر أن الخادم إنسان مثله له طاقته محدودة في العمل، وله مشاعر وأحاسيس فينبغي له أن يراعي مشاعره، وأن يبسر له الراحة كاملة في النوم، وأن لا يشق عليه بعمله<sup>(1)</sup> وكان من تواضعه واحترامه لعلم النبي ﷺ إذا مر به وهو راكب نزل حتى يزول العباس احتراماً وتقديراً له<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: الحياء والعفة.

الحياء من أشهر أخلاق عثمان وأحلاها، تلك الصفة النبيلة التي زينه الله بها، فكانت فيه منبع الخير والبركة، ومصدر العطف والرحمة، فقد كان من أشد الناس حياءً<sup>(3)</sup> فقد ذكر الحسن البصري -رحمه الله- عثمان بن عفان يوماً وشدة حيائه فقال: إنه ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه ثوبه ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه<sup>(4)</sup> ومن حيائه ما روته بنانة -وهي جارية لامرأته- تقول: كان عثمان إذا اغتسل جثته بشيابه فيقول لي: لا تنظري إلي، فإنه لا يحل لك<sup>(5)</sup> وقد وردت الأحاديث النبوية التي تحدثت عن حيائه وقد ذكرت في موضعها.

وأما عن عفته وبعده عن مساوئ الأخلاق فحدث في ذلك بما شئت ولا حرج، فإنه لم يعرف طريق الفحشاء في الجاهلية ولا في الإسلام، يقول عثمان: ما تغنيت ولا تمنيت<sup>(6)</sup>، ولا مسست ذكرى بيمينني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمراف ي جاهلية ولا في الإسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في الإسلام<sup>(7)</sup>.

### ثامناً: الكرم:

كان عثمان من أكرم الأمة وأسأها، وله في ذلك مواقف ومآثر لا تزال غرة في جبين التاريخ الإسلامي؛ فقد مر معنا ما قام به في غزوة تبوك، وشرأه لبئر رومة و تصدقه به على المسلمين، وتوسيعه للمسجد النبوي في عهد النبي ﷺ، وتصدقه بالقافلة الم حملة بالخيرات في عصر الصديق، وكان يعتق كل جمعة رقبة في سبيل الله منذ أسلم، فجميع ما أعنته ألفان وأربعمائة رقبة تقريباً<sup>(8)</sup> وقد روى أنه كان له على طلحة بن عبيد الله -وكان من أجود الناس- خمسون ألفاً، فقال له طلحة يوماً: قد تهياً مالك فاقبضه، فقال له عثمان: هو لك معونة على مروءتك<sup>(9)</sup> لقد كان سخاء عثمان وجوده صفة أصلية في شخصيته الفذة، فقد وظف أمواله في خدمة دين الله فلم يبخل في تأسيس الدولة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى، وخدمة المجتمع ابتغاء رضوان الله تعالى.

### تاسعاً: شجاعته:

(1) التاريخ الإسلامي (17، 62/18).

(2) التبيين في أنساب القرشيين (152).

(3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 48، 49.

(4) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص 43.

(5) طبقات ابن سعد (59/3)، خير لا بأس به.

(6) تغنيت: من الغناء، تمنيت: من التمني، وهو الكذب واختلاق الباطل.

(7) صحيح التوثيق، ص 44.

(8) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي (237/1).

(9) البداية والنهاية (227/7).

يعد عثمان من الشجعان، والدليل على ذلك:

1- **خروجه للجهاد في سبيل الله**، وحضوره المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وإذا اتهم بتخلفه عن بدر فقد سبق أن قلنا إن ذلك كان بأمر من رسول الله ﷺ، ثم عده رسول الله ﷺ من الذين شهدوها وأعطاه سهمه منها، ونال أجره إن شاء الله، وليس بعد كلام رسـول الله ﷺ كلام.

## 2- سفارة رسول الله ﷺ له إلى قريش في الحديبية:

امتثل عثمان -كما مر معنا- لطلب الرسول ﷺ وذهب إلى قريش وهو يعرف ما أقدم عليه، غير أن رجولته وبطولته قد أثبتا عليه إلا الامتثال والطاعة. إن من يقبل السفارة في مثل تلك الظروف لشجاع عظيم، وبطل من الأبطال النواذر، صحيح أنها أمر من رسول الله ﷺ ولكنها في الوقت نفسه شجاعة لا يمكن أن يقبل بها جبان أو رجل عادي<sup>(1)</sup>.

## 3- الفداء بالنفس:

عندما حوَّصر في داره طلب منه المارقون التنازل عن الخلافة لا خيار غيره أوالقتل، أو عزل ولاته وتسليم بعضهم، فأصر على موقفه مضحياً بنفسه من أن تصبح الخلافة بيد ثلثة تزيح من ترغب، وتعين من تحب، أو تنزع الخلافة من صاحبها الذي اختارته الأمة، ويصبح ذلك قاعدة<sup>(2)</sup> فأصر على موقفه وهو يرى الموت في سيوف المحاصرين، وإن الذي يقف هذا الموقف لهو الشجاع وإنه لصاحب حق، ولن يقف هذا الموقف رجل جبان أو محب للدنيا أبداً، فالحياة عند هؤلاء الجبناء أفضل من المكانة ومن الذل يا كلها<sup>(3)</sup>، ولكن هذا الإصرار العجيب والعزيمة النافذة، والشجاعة الفائقة من عثمان ثمرة إيمان قوي بالله عز وجل- واليوم الآخر وقر في قلبه، وجعله يستهين بكل شيء في هذه الحياة حتى بالحياة نفسها<sup>(4)</sup>.

## 4- الجهاد بالمال:

إن الجهاد بالنفس اقترن مع الجهاد بالمال، وربما قدم عليه، قال تعالى: **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** [النساء: 95].

وهناك آيات كثيرة تقرن المال بالنفس، وإن الذي ينفق المال في سبيل الله بسخاء إنه هو مجاهد وشجاع، وقد أنفق عثمان الكثير حتى قال رسول الله ﷺ: **«ما ضر عثمان ن ما عمل بعد اليوم»** مرتين<sup>(5)</sup>.

(1) الأمين ذو النورين، ص 194- 196.

(2) المصدر نفسه، ص 197.

(4) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد الوكيل، ص 304.

(5) سنن الترمذي، رقم (3785).

لقد كان عثمان شجاعاً لا يهاب الموت، جريئاً يواجه الباطل في تحدٍّ سافر، حليماً لا يجهله حمق الحمقى<sup>(1)</sup>.

### عاشرًا: الحزم:

إن صفة الحزم في شخصية ذي النورين أصيلة، ونجد الصديق عندما عرض عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان إنك رجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدونها قوماً<sup>(2)</sup>. وفي سنة 26 هـ زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم، ووضع الأثمان في بيت المال، فصيحوا بـ عثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرأكم عليّ؟ ما جرأكم عليّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به، ثم كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد، فأخرجوا<sup>(3)</sup>.

ومن المواقف التي تدل على حزمه: حمايته لنظام الخلافة من الضياع، فلم يجب الخارجين إلى خلق نفسه من الخلافة، فكان بذلك يمثل الثبات واستمرار النظام؛ لأنه لو أجاز الخارجين إلى خلق نفسه لأصبح منصب الإمامة العظمى العوبة في أيدي المفتونين الساعين في الأرض بالفساد، ولسادت الفوضى واختل نظام البلاد، وكان ذلك تسليطاً للرعاع والغوغاء على الولاة والحكام. لقد كانت نظرة عثمان بعيدة الغور، فلو أجابهم إلى ما يريدون لسن بذلك سنة، وهي كلما كره قوم أميرهم خلعه، ولألقى بأس الأمة بينه، وشغلها بنفسها عن أعدائها، وذلك أقرب لضعفها وانهارها، على أنه لم يجد سوى نفسه يفدي بها الأمة، ويحفظ كياناتها وبنينها من التصدع، ويدعم بهذا الفداء نظامها الاجتماعى ويحمي سلطانها الذي تساس به من أن تمتد إليه يد العيب والفوضى. ومما لا شك فيه أن هذا الصنع من عثمان كان أعظم وأقوى ما يستطيع أن يفعله رجل ألقى إليه الأمة مقابلاً ليدها؛ إذ لجأ إلى أهون الشرين وأخف الضررين ليدعم بهذا الفداء نظام الخلافة وسلطانها<sup>(4)</sup>. وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله.

### حادي عشر: الصبر:

اتصف عثمان بصفة الصبر، ومن المواقف الدالة على هذه الصفة ثباته في الفتنة؛ إذ كان موقفه إزاء تلك الأحداث التي ألمت به وبالمسلمين المثل الأعلى لما يمكن أن يقدمه الفرد من تضحية وفداء في سبيل حفظ كيان الجماعة، وصون كرامة الأمة، وحقق دماء المسلمين؛ فقد كان بإمكانه أن يقي نفسه ويخلصها لو أنه أراد نفسه ولم يرد حياة الأمة، ولو كان ذاتياً ولم يكن من أهل الإيثار لدفع بمن هب للذود عنه من الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار إلى نحور الخارجين المنحرفين عن طاعته، ولكنه أراد جمع شمل الأمة، ففداها بنفسه صابراً محتسباً، وقد أعلن عثمان أنه سيواجه الفتنة العارمة بالصبر الجميل<sup>(5)</sup> ممتثلًا قوله سبحانه: **وَالَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** [آل عمران: 173].

(1) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 304.

(2) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 47.

(3) تاريخ الطبري (250/5).

(4) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (474/1).

(5) سير الشهداء للسخستيانى، ص 57، 58.

إن عثمان كان قوي الإيمان بالله، كبير النفس، نفاذ البصيرة، نبيل الصبر، حيث فدى الأمة بنفسه، فكان ذلك من أعظم فضائله عند المسلمين. (1) قال ابن تيمية رحمه الله: ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكف الناس عن الدماء، وأصبر الناس على مَنْ نال منْ عرضه، وعلى من سعى في دمه، فحاصروه وسعوا في قتله وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم. وقيل له: تذهب إلى مكة، فقال: لا أكون مع أحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام، فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتله، فقال: لا أكون أول من خلف محمداً في أمته بالسيف. فكان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين. (2).

### ثاني عشر: العدل:

واتصف عثمان بصفة العدل؛ فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال له: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وهو ذا يصلي بنا إمام فتنة -عبد الرحمن بن عديس البلوي- وأنا أخرج من الصلاة معه، فقال له عثمان: إن الصلاة أحسد ن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أسأوا فاجتنب إساءتهم. (3)

وروى ابن شبة بإسناده، قال: دخل عثمان بن عفان على غلام له يعلف ناقه، فرأى في علفها ما كرهه، فأخذ بأذن غلامه فعركها، ثم ندم، فقال لغلامه: اقتص فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه فجعل يعركها، فقال له عثمان: شد حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، ثم قال عثمان: واهماً لقصاص قبل قصاص الآخرة. (4).

### ثالث عشر: عبادته:

كان عثمان من المجتهدين في العبادة، وقد روى من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه. (5) ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: **وَقَانِمَا يُحَذِّرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** [الزمر: 9] قال: هو عثمان بن عفان. (6) وقال ابن عباس في قوله تعالى: **هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** [النحل: 76] قال: هو عثمان. (7) وكان يفتتح القرآن ليلة الجمعة، ويختمه ليلة الخميس (8)، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله. (9).

(1) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (472/1).

(2) منهاج السنة (202/3، 203).

(3) البخاري رقم (695).

(4) أخبار المدينة، لابن شبة (236/3).

(5) الطبقات الكبرى (76/3)، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء، الذهبي، ص 476.

(6) تفسير ابن كثير (47/4).

(7) تفسير ابن كثير (579/2).

(8) علو الهمة (93/3).

(9) صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي (302/1).

#### رابع عشر: خوفه من الله وبكاؤه ومحاسبته لنفسه:

فقد جاء في إحدى خطبه: أيها الناس، اتقوا الله؛ فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لقبره، وبخشي أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيرا.<sup>(1)</sup> وقد روى عنه قوله: لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لتمنيت أن أصير رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وكانت روحه ترتجف وعبراته تفيض عندما يذكر الآخرة، وعندما يتخيل نفسه وقد انشق قبره ونسل من جدته إلى العرض والحساب<sup>(2)</sup>؛ فعن هاني مولى عثمان، قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبطل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «والله ما رأيته منظرًا إلا والقبر أفزع منه». قال: وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، ثم قال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له بالثبث؛ فإنه الآن يسأل».<sup>(3)</sup> وهذا من فقه القدر وم على الله الذي استوعبه عثمان وعاش به في حياته، وما أحوجنا إلى هذا الفقه العظيم الذي به تحيا النفوس وتتفجر الطاقات.

#### خامس عشر: زهده:

اشتهر أمير المؤمنين عثمان بأنه من أهل الغنى والثروة، ولكن مع هذه الشهرة فإنه قد رويت عنه أخبار تدل على أنه كان من الزاهدين في الدنيا، فعن حميد ابن نعيم، أن عمر وعثمان رضي الله عنهما- دعيا إلى طعام، فلما خرجا قال عثمان لعمر: قد شهدنا طعاما لوددنا أنا لم نشهده، قال: لم؟ قال: إني أخاف أن يكون صنع مباهاة<sup>(4)</sup> فهذا فقير من عثمان بمجالات السخاء الإسلامي؛ فالسخاء في الإسلام لا يكون بالتفاخر بالكرم والتباهي بنوع الطعام أو كثرته، وإنما يكون ببذل المال من غير إسراف ولا خيلاء، مع شكر المنعم -جل وعلا- والتواضع للناس. وهذه النظرة من عثمان تعتبر من الترهيد بالجاء الدنيوي، وهذا يدل على أنه كان من الزاهدين في ذلك.<sup>(5)</sup> ومن زهد عثمان وتواضعه ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان عليه بغلة وخلفه غلامه نائل وهو خليفة.<sup>(6)</sup> وكذلك ما أخرجه من حديث الهمداني قال: رأيت عثمان نائما في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين.<sup>(7)</sup> كما أخرج من حديث شرحبيل بن مسلم أن عثمان بن عفان كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخبز والزيت.<sup>(8)</sup>

فهذه أمثلة جليلة من زهد أمير المؤمنين عثمان، وحينما يكون الزاهد متوسطا في المعيشة فإن زهده لا يلفت النظر كثيرا ولا يثير العجب، ولكن حينما يكون غنيا فإن

(1) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، مجدي فتحي السيد، ص 107.

(2) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، ص 205.

(3) فضائل الصحابة رقم (773)، إسناده حسن.

(4) الزهد للإمام أحمد، ص 126.

(5) التاريخ الإسلامي (17، 48/18).

(6) (3) الزهد، ص 127.



ز هذه يكون مدهشا للمتأملين وعبرة للمعتبرين؛ ذلك لأن كثرة المال تغري بالانصراف ن حو الملذات والتوسع في النفقات، فلا بد ليكون الغني زاهدا من استيعابه لآفقه القدوم على الله حتى يكون مهيمنا على نفسه مذكرا لقلبه، فتكبر الآخرة في عينه وتصغر الدنيا في نف سه، وهكذا كان عثمان الذي كان من أعظم الأثرياء في الإسلام، قد غلبت قوة إيمانه شهوته وهواه فكان من أعظم الزاهدين، وضرب من نفسه مثلا لجميع الأغنياء بإمكان ال جمع بين الغنى والزهد في الدنيا.(1)

#### سادس عشر: الشكر:

كان عثمان كثير الشكر لله تعالى باللسان والجنان والأركان، دعى ذات يوم إلى قوم على ربيعة، فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم، فأعنت رقبة شكرا لله أن لا يكون جرى على يديه خزي مسلم(2).

#### سابع عشر: تفقد أحوال الناس:

كان ودودا رؤوفا يسأل عن أحوال المسلمين، ويتعرف على مشكلاتهم ويطمئن على غائبهم، وبواسي قادمهم، ويسأل عن مرضاهم؛ فقد روى الإمام أحمد، عن موسى ب ن طلحة قال: رأيت عثمان بن عفان وهو على المنبر، وهو يستخبر الناس يسألهم عن أ خبارهم وأسعارهم.(3) وروى ابن سعد في الطبقات عنه أيضا قال: رأيت عثمان بن عفا ن يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران، فيجلس على المنبر، فيؤذن المؤذن، وهو يتد دث يسأل الناس عن أسفارهم وعن قادمهم وعن مرضاهم.(4) وكان يهتم بشئون الر عية، ويصل ذوي الحاجة، ويفرض العطاء للمواليد من بيت المال(5)؛ فقد روى عن عر وة بن الزبير أنه قال: أدركت زمن عثمان، وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله ح ق. يعني بيت المال(6).

#### ثامن عشر: تحديد الاختصاصات:

المراد بتحديد الاختصاص تقسيم وظائف العمل على العاملين، بحيث يكون كل موظ ف عالمًا بالعمل الذي كلفه ليقوم به دون تقصير فيه، ولا يتجاوز إلى عمل آخر مسند إل ى سواه. وتقسيم الوظائف سنة كونية ربانية عمل بها رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون م ن بعده؛ ففي عهد عثمان وزعت الوظائف والأعمال على المسلمين كل في ميدانه ك ما سيأتي بيانه بإذن الله؛ ففي مؤسسة القضاة والمال، والجيش وولاية الأمصار ظهرت ا لصفة القيادية في تحديد الاختصاصات عند الخليفة الراشد عثمان ، فقد تم تقسيم الأع مال وحددت قواعد بين العاملين كانت من أهم عوامل النجاح في دولة الخلفاء الراشدين، وبذلك تعامل الخليفة الراشد عثمان مع السدّتين الكونية والشرعية في تحديد الاختصاص ات(7).

(6) علو الهمة (481/5).

(1) التاريخ الإسلامي (17، 49/18).  
(3) فضائل الصحابة رقم (812)، إسناده صحيح.  
(4) الطبقات (59/3).  
(5) تحقيق مواقف الصحابة (396/1).  
(6) المصنف في الحديث لابن شعبة (1023/3).  
(7) الكفاءة الإدارية، ص 117.



## تاسع عشر: الاستفادة من أهل الكفاءات:

إن الإشادة بالأكفاء وإرشاد الأمة إلى احترامهم، وتكريمهم ووضعهم في مواضعهم وعدم هضمهم، والاستفادة من طاقاتهم واختصاصاتهم، إن ذلك مما جعل أهل القرون المفضلة من سلف هذه الأمة ينالون العز والمجد والتمكين في هذه المعمورة.<sup>(1)</sup> وقد ظهرت هذه الصفة في شخصية عثمان عندما استفاد من كفاءات زيد بن ثابت واللجنة التي عينت معه في جمع القرآن على حرف واحد.

هذه بعض الصفات التي تلاحظ في شخصية عثمان وهي محل قدوة وأسوة لقادة المسلمين وعوامهم، لمن يريد أن يتبع هدي النبي ﷺ والخلفاء الراشدين في هذه الحياة.

إن معرفة صفات الخلفاء الراشدين ومحاولة الاقتداء بهم، خطوة صحيحة لمعرفة صفات القادة الربانيين الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، فمن أسباب التمكين لهذا الدين العمل على إيجاد قادة ربانيين، جرى الإيمان في قلوبهم وعروقهم، وانعكست ثماره على جوارحهم، وتقجرت صفات التقوى في أعمالهم وسكناتهم وأحوالهم؛ فالقيادة الربانية الحكيمة هي التي تسعى لتحكيم شرع الله وتقدير طاقاته الأمة وتوجيهها، وهي التي تحتضن الإسلام وتتهجه قلباً وقالبا، جوهرًا ومنظراً، وعقيدة وشريعة، وديناً ودولة، وهي التي تصبح وتمسي وهما عقيدتها وأمتها، وهي التي تسعى بكل ما تملك لحل المشاكل التي تواجهها، وتعمل بكل جهد وإخلاص للقضاء على عوائق التمكين الداخلية والخارجية.

\* \* \*

(1) المصدر نفسه، ص 157.

## الفصل الثالث المؤسسة المالية والقضائية في عهد عثمان

### المبحث الأول المؤسسة المالية

لما تولى عثمان الخلافة لم يغير من سياسة عمر المالية، وإن كان قد سمح للمسلمين باقتناء الثروات وتشيد القصور وامتلاك المساحات الشاسعة من الأراضي، فقد زال ت عن المسلمين شدة عمر التي كانت ترهبهم وتخيفهم، والتي كانت تحول دون الكثير مما يشتهون، وكان عهده عهد رخاء على المسلمين<sup>(1)</sup>.

#### أولاً: السياسة المالية التي أعلنها عثمان عندما تولى الحكم:

وجه عثمان كتابا إلى الولاة وكتابا آخر إلى عمال الخراج، وأذاع كتابا على العامة، وقد ذكرت نصوصها عند حديثي عن منهجه في الحكم، وفي ضوء تلك النصوص تكون عناصر السياسة المالية العامة التي أعلنها ثالث الخلفاء الراشدين قد قامت على الأسس العامة التالية:

- \* تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية.
- \* عدم إخلال الجباية بالرعاية.
- \* أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين.
- \* إعطاء المسلمين ما لهم من بيت مال المسلمين.
- \* أخذ ما على أهل الزمة لبيت مال المسلمين بالحق، وإعطاؤهم ما لهم، وعدم ظلمهم.

م.

- \* تخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء.
- \* تقادي أية انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة<sup>(2)</sup>.
- ونفصل فيما يلي هذه الأسس:

#### 1- نية عثمان بن عفان تطبيق سياسة مالية عامة:

مما لا شك فيه أن الخليفة الثالث عثمان بن عفان عزم على تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية؛ فقد بوع على أساس تطبيق حكم الله وسنة رسوله x وسياسة الخلفتين قبله، وقد طبق أبو بكر ما نزل به القرآن وما سنّه رسول الله x فيما يتعلق بالسياسة المالية وغيرها من الأحكام، وقام عمر بتطوير المؤسسة المالية ونظم قواعدها وأرسى مبادئها وزاد مواردها ورشد إنفاقها، ونهج عثمان طريقهم، واجتهد في بعض الأمور القابلة للاجتهاد، فنفذ حكم الله في الأرض في قضايا الأموال وغيرها؛ فأشرف على دفع الزكاة

(1) مبادئ الاقتصاد الإسلامي، سعاد إبراهيم صالح، ص 217.

(2) السياسية المالية لعثمان، قطب إبراهيم، ص 61.

الة لبيت المال، وتوزيعها على مستحقيها، وأهل الكتاب في دفعهم الجزية لبيت مال الدولة الإسلامية، وبذلك يدخلون في ذمتها تحميهم وتوفر لهم الأمان وتضفي عليهم سائر خدماتها العامة، والمجاهدون يغنمون الأموال ويرسلون خمسها لبيت مال المسلمين، ويقوم بيت المال بتوزيعها على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل وغيرها من وجوه الإنفاق طبقاً لقوله تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمَدُّم بِإِلَهِ وَمَا أَدْرَاكُنَا عَلَىٰ عَيْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41] وغير ذلك من مصادر الدولة المعروفة. وقد تميزت المالية العامة في عهد ذي النورين والخلفاء الراشدين بأنها مرتبطة بالإسلام وتطبيق تعاليمه وحماية إرادته، ويساند الإنفاق العام فيها نشر راية الإسلام وخير المسلمين، وهي مرشدة للإنفاق؛ لأن تعاليم الإسلام تمنع الإسراف وتحاربه، والله لا يحب المسرفين، وتمنع السفهاء من التحكم في الأموال وهي مالية عامة خيرة؛ لأن بعض مواردها العامة توجه للبنية الضعيفة من الرعية، وهي نقية من الدنس، ولا تتضمن مواردها كسباً من حرام؛ لأن الله لا يبارك الكسب الحرام.

## 2- عدم إخلال الجباية بالرعاية:

ينبه عثمان بن عفان في كتابه للولاية أن جباية أموال بيت المال كادت تطغى على الواجب الأول للولاية وهي رعاية الرعية، وذلك أن الجباية أحد واجبات الرعية المكلف بها رئيس الدولة الإسلامية، فلا يصح أن تطغى على سائر الواجبات<sup>(1)</sup> وقد استنبط الفقهاء من الهدي النبوي والعهد الراشدي تكاليف الرعاية؛ أي واجبات الخليفة لتحقيق رعاية الأمة كما يلي:

**قال الماوردي:** والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

**أحدها:** حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة.

**والثاني:** تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين؛ حتى تعم الذصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.

**والثالث:** حماية البيضة والذب عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعاش وينتسروا في الأسفار، أمنين من تغرير بنفس أو حال.

**والرابع:** إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

**والخامس:** تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة؛ حتى لا تطفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دمًا.

**والسادس:** جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة إليه حتى يسلم أو يدخل الذمة، ليقام بحق الله تعالى في إظهاره (الإسلام) على الدين كله.

(1) السياسة المالية لعثمان ، ص 62.

**والسابع:** جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه نصداً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف.  
**والثامن:** تقدير العطايا وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

**والتاسع:** استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة.

**والعاشر:** أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة<sup>(1)</sup>.

وبإيجاز، فإن واجبات الخليفة تنفرع عن شرطي عقد البيعة، وهما حراسة الدين وسد ياسة الدنيا<sup>(2)</sup> للذين هما مهمة الرسول ✕ الذي هو خليفته، وإن كان الماوردي والفراء لا متعاصراً قد تطابقت تحديداتهما لواجبات الإمام، فإنما ذلك اجتهاد منهما حسب حاجة الأمة في عصرها، ولا ينبغي أن تقتصر حقوق الأمة على ما عدده عالم من علمائها أو أكثر مهما بلغ من فضل وسعة علم، ومهما كانت نظراته للموضوع شاملة، هذا إن كان العالم معاصراً، فكيف إن كانت آراؤه واجتهاداته قد سبقنا بها بقرون<sup>(3)</sup>. ولذا فينبغي أن تـ حدد واجبات الإمام بناء على الشرطين العامين لصحة عقده وهما حراسة الدين وسياسة الدنيا، وينبغي أن تقوم لجان من علماء الأمة بتحديد ذلك لأهل زمانهم<sup>(4)</sup>.

هذه بعض تكاليف الرعاية كما أوردها الفقهاء، وهي قابلة للتطوير بما يلائم تطور الأزمان والعصور بحيث لا يخالف التطوير نصداً من نصوص القرآن أو حكماً من أحكام الدين<sup>(5)</sup>.

### 3- أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين:

عمال الخراج نواب عن الدولة في استئداء حقوق بيت المال، فإذا أخذوا ما على المسلمين بالحق أدوا واجبه المنوط بهم، وإذا غالوا في جباية حقوق بيت المال ظلموا المملين وألحقوا بهم الضرر وحمّلوهم فوق ما يطيقون، والرسول ✕ يحذر من المغالاة في استئداء حقوق بيت المال؛ فقد نهى عن جباية كرائم الأموال في الزكاة، وأمر بالتخفيف في استئداء زكاة الثمر<sup>(6)</sup>.

### 4- إعطاء المسلمين ما لهم من بيت المال بالحق:

عطاء بيت المال للمسلمين إما أن يكون مباشراً كصرف الزكاة للمستحقين لها، وما يقضي به نظام الأعطيات من توزيع فائض الأموال على المسلمين، أو يكون العطاء العام غير مباشر يتمثل في الخدمات العامة التي تؤديها الدولة للرعية، وهذه ينفق عليها من بيت مال المسلمين. وفي كلا العطاءين ينبغي أن يتسم العطاء بالحق، فلا يجوز في العطاء المباشر أن يخالف الأسس التي تحددت لوضعه محاباة لبعض الأفراد أو حرماناً أو نق

(1) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن الماوردي، ص 16، 17.

(2) مقدمة ابن خلدون، ص 191.

(3) الخلافة بين التنظيم والتطبيق، محمد المرداوي، ص 66.

(4) المصدر نفسه، ص 67.

(5) السياسة المالية لعثمان، ص 62.

(6) المصدر نفسه، ص 64.

صانا للبعض الآخر دون مبرر، ولا يجوز أن يتأخر العطاء عن مواعده بسبب تعقد الإجراء أو كثرة الحجب التي تحجب أرباب الظلمات عن الوصول لمن بيدهم أمر العطاء لبحث ظلامتهم من تأخير العطاء أو قلته، أو عدم وصوله إليهم، ولا يجوز في العطاء غير المباشر المتمثل في الخدمات العامة التي تؤديها الدولة للشعب أن تكون المنفعة لفرء معين؛ بل يجب أن يعود نفعها على الأمة جمعاء<sup>(1)</sup>.

**5- عدم ظلم أهل الذمة وأخذ ما عليهم لبئب المال بالحق وإعطائهم حقوقهم بالحق كذلك:**

لا يجوز ظلم أهل الكتاب عند أخذ الجزية منهم؛ لأن أهل الكتاب من الذميين الذين يقيمون في الدولة الإسلامية وهم في ذمتها ورعايتها ما داموا يؤدون الجزية، وقد أوصى بهم رسول الله ﷺ؛ فقد ولى عبد الله بن أرقم على جزية أهل الذمة، فلما ولى عنده ناداه فقال: **ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حججه يوم القيامة**.<sup>(2)</sup> واستناداً لذلك فقد أوصى بهم عمر بن الخطاب حين موته: **أوصى الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم**.<sup>(3)</sup>

فإذا أدى عمال الجزية الذميين أو كلفهم فوق طاقتهم أو عذبهم، أو أخذوا الجزية من الشيخ الكبير الذي لا شيء له ولا يستطيع العمل، أو أخذوها من النمي الذي أسلم، كما أن هذا لونا من ألوان الظلم الذي نبه عليه الخليفة الثالث في كتابه إلى عمال الخراج بعد ارتكابه مستنداً في ذلك لتعاليم الرسول ﷺ<sup>(4)</sup>.

هذا وعلاوة على الجزية يؤدي أهل الذمة الذين يزرعون أرض الخراج وهي التي آلت للدولة الإسلامية كغنيمة نتيجة للفتح الإسلامي- ما يستحق عليها من خراج لبئب ما ل المسلمين، ويجب أن يراعى عمال الخراج الحق في تحديد قيمته المستحقة على الأراضى التي يزرعها أهل الذمة، وذلك بمراعاة العوامل التي تحكم تحديده؛ لأن إغفالها كله أو بعضها يوقع الظلم بأهل الذمة الذين يزرعونها، وهذه العوامل أربعة:

- \* ما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها أو رداءة يقل بها ريعها.
- \* ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه.
- \* ما يختص بالسقي والشرب؛ لأن ما التزم المئونة في سقية النواضح والدوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السيوح والأمطار.
- \* أن لا يستقضى في وضع الخراج غاية ما تحمله ليجعل فيها لأرباب الأرض بقية يجبرون بها في النواذب والجوانع<sup>(5)</sup>.

هذا وإذا كانت الدولة الإسلامية قد أبرمت عهداً أو عقدت صلحاً مع أهل الكتاب، فوجب الدولة الإسلامية وعمال خراجها أن يلتزموا بما ورد بها من شروط، ومنها الشرو

(1) السياسة المالية لعثمان، ص 66.

(2) المنتخب من السنة، ص 261.

(3) السياسة المالية لعثمان، ص 67.

(4) المصدر نفسه، ص 67.

(5) 2، السياسة المالية لعثمان، ص 67.

ط التي تحدد قيمة ما يدفعونه من جزية أو خراج؛ لأن المسلمين إذا أبرموا عقداً أو عهداً وعهداً التزموا بالوفاء بالعقود والعهود<sup>(1)</sup>.

#### 6- عدم ظلم اليتيم:

لليتيم حقوق في المال العام بنصوص القرآن الكريم، فهو من المستحقين لأموال الزكاة إن كان فقيراً، قال تعالى: **«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»** [التوبة: 60].

واليتيم نصيب في خمس الغنائم تطبيقاً لقوله جل وعلا: **«وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْتُمْ بِاللهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ فَرْقَانٍ يَوْمَ النُّقَىٰ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** [الأنفال: 41] ولليتيم نصيب في عطاء بيت المال، فقد كان يفرض للأطفال عموماً ومنهم يتامى الأطفال، وإذا كان اليتيم غنياً فيؤدي الزكاة المفروضة على أمواله إذا توافرت، وواجب المصدق أن يأخذ الزكاة بالحق والعدل حتى لا يذهب ظلمه بمال اليتيم أو جزء منه بغير وجه حق<sup>(2)</sup>.

#### 7- تخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء:

قال تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً»** [النساء: 58].

وقال تعالى: **«وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ»** [المؤمنون: 8].

طالب الخليفة الراشد عثمان بن عفان عمال الخراج أن يتحلوا بالأمانة وهي صفة لازمة لجميع من يشتغلون بالأموال العامة، وإذا لم تتوافر فيهم هذه الصفة جاروا على حقوق بيت المال وجاروا على الممولين، وانتكست العلاقة بين بيت المال والممولين. والقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تنبه وتحض على التزام الأمانة، وطالب الخليفة عثمان كذلك عمال الخراج بأن يتحلوا بالوفاء. وقد ورد الوفاء مطلقاً في كتاب الخليفة؛ فيشمل الوفاء لبيت المال بمراعاة أخذ حقوقه كاملة من الرعية، والوفاء للممولين بعدم ظلمهم بالمغالاة في تحديد الفرائض المالية المطلوبة منهم، والوفاء لأهل الذمة بالرفق وحسن المعاملة وتطبيق ما تضمنته شروط الصلح معهم من جزية وخراج دون زيادة<sup>(3)</sup>.

#### 8- أثر تكامل النعم على مسار الأمة:

لم يرد عثمان بن عفان أن يترك العامة دون تبصيرهم، فحذرهم من أن تجذبهم الدنيا إلى ملاذها ومتاعها، وخشي أن أمر الأمة صائر إلى الابتداع بعد أن توفرت لهم ثلاث: وهي تكامل النعم، وبلوغ أولاد السبايا، وقراءة الأعاجم<sup>(4)</sup>. فعثمان أدرك أن تك

(2) المصدر نفسه، ص 68.

(3) السياسة المالية لعثمان، ص 69.

(4) تاريخ الطبري (245/5).

أمل النعم لدى البعض سيميل بأولي النعم عن المسار السليم؛ لأن تكامل النعمة بزيادة الأموال لدى أفراد الرعية قد يفسدهم بسبب ما ينفقونه على الترف والفساد<sup>(1)</sup>، قال تعالى: **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَنَدَمْنَاهَا نَدْمِيرًا** [الإسراء: 16].

## 9- المقارنة بين السياسة العمرية والعثمانية:

هذه السياسة المالية التي أعلنها ذو النورين تكاد تتفق مع السياسة العامة المالية التي نفذها الفاروق حين ولي أمر المسلمين، فقد أعلن ونفذ: أن المال العام لا يصلحه إلا خيلاً لثلاث؛ أن يؤخذ بالحق ويعطى في الحق ويمنع في الباطل.<sup>(2)</sup> فالسياسة العمرية والعثمانية في المال تتبعان من مشكاة واحدة، وهي مشكاة الإسلام ومبادئه وأصوله وقواعده<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: توجيهات عثمانية توضح للناس قواعد زكاتهم:

قال عثمان : هذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤده حتى تخرجوا زكاة أموالكم، ومن لم تكن عنده لم تطلب منه حتى يأتي بها تطوعاً، ومن أخذ منه حتى يأتي هذا الشهر من قابل، قال إبراهيم بن سعد: أراه يعني شهر رمضان.<sup>(4)</sup> وقال أبو عبيد: وقد جاءنا في بعض الآثار أن هذا الشهر الذي أراده عثمان هو المحرم،<sup>(5)</sup> وبهذا القول أكد عثمان المبادئ التالية:

**أ-** مبدأ سنوية الزكاة؛ إذ يشترط لأداء الزكاة ما عدا زكاة الزروع - حولان الحول، ويظهر ذلك من قول عثمان أن من أخذ منه لا يؤدي زكاة عن أمواله حتى يأتي نفس الشهر في السنة التالية، فلا تتكرر عليه الزكاة في عام واحد.

**ب-** إذا أخذنا بقول أبي عبيد أن الشهر الذي قصده عثمان بن عفان هو شهر محرم، فكأنه أراد أن تكون السنة المالية الإسلامية مطابقة للسنة الهجرية؛ فعلى المسلمين بعد مرور سنة هجرية كاملة على ما لديهم من أموال أن يسددوا ما عليها من زكاة في أول السنة الهجرية التالية، وهو شهر المحرم إذا توافرت شروطها.

**ج-** ويدعو عثمان بن عفان الناس إلى حساب وعاء الزكاة، فيطلب منهم أداء ما عليهم من ديون حتى تؤخذ الزكاة على الباقي.<sup>(6)</sup> ولعل عثمان أراد أن يستحث الناس على أداء ما عليهم من ديون؛ وفاء منهم للدائنين، وتسهيلاً لحساب المال الخاضع للزكاة، وحتى يقطع بجدية الدين وعدم تطرق الصورية إليه<sup>(7)</sup>.

**د-** يقول عثمان : ومن لم تكن عنده لم تطلب منه حتى يأتي بها تطوعاً. وبذلك يفتح عثمان بن عفان الدعوة إلى التطوع، فقد يرى بعض المسلمين أنهم لا يستحق عليهم

(1) السياسة المالية لعثمان، ص 70.

(2) السياسة المالية لعمر بن الخطاب، قطب إبراهيم محمد، ص 23، وما بعدها.

(3) السياسة المالية لعثمان، ص 76.

(4) الأموال لأبي عبيد، ص 534.

(5) المصدر نفسه، ص 535.

(6، 6) السياسة المالية لعثمان ، ص 76.

زكاة، ومع ذلك يرون التطوع بأداء صدقات من أموالهم يؤدونها لبيت المال، فيقبلها منهم م ويضمها إلى موارد الزكاة، وتصرف الدولة منها على نفس مصارف الزكاة. (1) وقد يك ون قول عثمان : ومن أخذنا منه لم نأخذ منه حتى يأتينا بها تطوعا، أنه يقصد أن لا ي جبى بيت المال صدقة الذهب والفضة إلا إذا أتى بها صاحبها لبيت المال، وأما الصدقة ا لتي يكره الناس عليها ويجاهدون على منعها فهي صدقة الماشية والحرث والنخل، وبذل ك يكون عثمان قد ترك لأصحاب الأموال أداء الزكاة على ما يعرف بالأموال الباطنة، وهي أموال الذهب والفضة والتجارة، ولا يقبلها منهم إلا إذا أتى بها صاحبها تطوعا (2). يقول في ذلك أبو عبيد: ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد كان يبعث مصدقيه إلى الماشية فيأخذ ذونها من أربابها بالكره منهم وبالرضا، وكذلك كانت الأئمة بعده، وعلى منع صدقة الما شية قاتلهم أبو بكر، ولم يأت عن النبي ﷺ ولا عن أحد بعده أنهم استكروا الناس على صدقات الصامت، إلا أن يأتوا بها غير مكرهين وإنما هي أماناتهم يؤدونها، فعليهم فيها أداء العين والدين؛ لأنها ملك أيانهم وهم مؤتمنون عليها، وأما الماشية فإنها حكم يحكم ب ها عليهم، وإنما تقع الأحكام فيما بين الناس على الأموال الظاهرة وهي فيما بينهم وبين ا لله على الظاهرة والباطنة جميعا (3).

### 1- رأيه في زكاة دين الدائن:

عن السائب بن يزيد أن عثمان كان يقول: إن الصدقة في الدين الذي لو شئت تقاضيت ته من صاحبه، والذي هو ملئ تدعه حياء أو مصانعة ففيه الصدقة. (4)  
وعن عثمان قال: زكته يعني الدين- إذا كان عند الملى (5).

فمن هذين القولين لعثمان بن عفان يبين أن الصدقة واجبة على الدين للدائن على الم دين الملى، ويستطيع أن يحصل من المدين على دينه ولكن يستحي أن يذكر المدين به، أ و أن الدائن يدع دينه للمدين مصانعة له، والمصانعة تعني سكوت الدائن عن المطالبة بد ينه نظير منفعة يحصل عليها من المدين (6).

### 2- اقتراضه من مصرف الزكاة وإنفاقه للمصالح العامة:

أخذ عثمان من أموال الزكاة فأنفق منها في الحرب وفي غير الحرب على المرا فق العامة، فأنفق على الجهاد على أن يرد ذلك إذا اتسع المال لرده، ومن حق الإمام أن ي قترض من مصرف لمصرف، لا يخالف بذلك الدين، ولا يغير سنة موروثة ما دام مصم ما على أن يرد على أموال الصدقة ما أخذ منها. (7)

وتذهب بعض الآراء إلى أن أحد مصارف الزكاة وهو مصرف «في سبيل الله» يع طي للغازي في سبيل الله من أموال الزكاة؛ لأن انقطاعه للجهاد أقعده عن العمل والكس ب، وليس هذا من باب التشجيع على البطالة، فهذا الصنف قد أثر مصلحة الإسلام على

(1) السياسة المالية لعثمان، ص 77.

(2، 3، 4) الأموال لأبي عبيد، ص 537.

(5) المنتخب من السنة (301/6).

(6) السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص 79.

(7) السياسة المالية لعثمان، ص 80.



مصلحة نفسه، وترك العمل لشخصه ليعمل في مجال أرحب وأوسع وهو العمل لإعلاء كلمة الله ونشر دينه في المعمورة. ويرى بعض العلماء جواز صرف الزكاة في المنافع العامة وما تقتضيه حاجات الأمة<sup>(1)</sup>.

### 3- الإنفاق من الزكاة على الطعام للفقراء وأبناء السبيل:

سَدَنَّ عثمان سُدْنَةً جديدة، فكان يضع الطعام في المسجد في رمضان وقال: للمتعبد الذي يتخلف في المسجد، وابن السبيل، والمعتزين<sup>(2)</sup>. والخليفة عثمان بذلك يكرم المسلمين من بيت المال، وفي ذلك اقتداء بالرسول ﷺ الذي كان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان. وهذه السنة التي استتها عثمان ترغب المسلمين في الاعتكاف في المساجد ما دام أكلهم معداً، وفي ذلك تشجيع على إحياء سنة الرسول الكريم ﷺ في الاعتكاف<sup>(3)</sup>.

### 4- إنشاء منازل للضيافة من أموال الزكاة:

بلغ عثمان أن أبا سمال الأسدي ومعه نفر من أهل الكوفة ينادي مناد لهم إذا قدم الميادار<sup>(4)</sup>: أن من كان من القبائل ليس لقومهم بالكوفة منزل فنزله على أبي سمال، فاتخذ عثمان بعض الدور كمنازل للضيافة ينزل بها الغرباء ممن ليس لهم منزل، ومن هذه الدور منزل عبد الله بن مسعود في هذيل، وكان الأضياف ينزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد<sup>(5)</sup>.

### 5- العطاء من بيت المال لكل مملوك:

مما زاد عثمان على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة مئة كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم<sup>(6)</sup>. والغالب على أن مصدر هذه الأموال التي وزعها عثمان على كل مملوك هو أموال الزكاة باعتبار أن لهم فيها نصيباً؛ لأنهم أحد المصارف الثمانية التي حددتها آية الزكاة، وهي مصرف **«وَفِي الرِّقَابِ»** [التوبة: 6]<sup>(7)</sup>.

### ثالثاً: خمس الغنائم:

بدأ الجهاد في عهد الرسول ﷺ، واستمر في عهد أبي بكر وعمر، وكذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وكانت نتيجة ذلك انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية، وكانت فتوحات عهد عثمان كبيرة حققت غنائم كثيرة إلى بيت المال، منها أضعاف الخمس، كما أنه أُلِّقَ إلى بيت المال جزية من أثر البقاء على دينه من أهل الكتاب ولم يحارب، فهناك ارتباط إذن بين بيت المال والفتوحات الإسلامية، فقد قام بيت المال في عهد عثمان في تمويل هذه الفتوحات، سواء بما كان يدفعه للجنود من مرتبات أو

(1) المصدر نفسه، ص 81.  
(2) تاريخ الطبري (245/5)، المعتز: الفقير، المتعرض للمعروف بدون سؤال.  
(3) السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص 82، 83.  
(4) الميادار: جمع مائر وهو جالب الميرة، والميرة: الطعام.  
(5) تاريخ الطبري، (273/5).  
(6) المصدر نفسه، (275/5).  
(7) السياسة المالية لعثمان، ص 84.

لشراء الأسلحة والعتاد بجانب التطوع بالأموال والأنفس، وإذا تحقق النصر فرضت الجزية على من لم يسلم من أهل الكتاب والخراج على الأرض التي أخذت عنوة، وإذا أسلم أهل البلاد سدّدوا الزكاة إذا بلغت أموالهم نصاباً وتوافرت شروطها باعتبارها من أركان الإسلام، ولا يكمل إسلام المسلم إلا بأدائها، وهذه كلها تساهم في زيادة الإيرادات العامة للدولة الإسلامية، وأحل الله للمسلمين غنائم الحرب، ويوزع أربعة أخصاسها بين الفاتحين، والخمس الباقي يؤول لبيت مال المسلمين<sup>(1)</sup>.

وفيما يلي بعض المسائل التي أسفر عنها تطبيق السياسة المالية العامة في عهد عثمان بن عفان بشأن خمس غنائم الفتوحات:

### 1- لم يسهم للصبي في الغنائم في عهد عثمان بن عفان:

عن تميم بن المهري قال: شهدت فتح الإسكندرية في المرة الثانية، فلم يسهم لي حتى كاد أن يقع بين قومي وبين قريش منازعة، فقال بعض القوم: أرسلوا إلى بصرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني، فإنهما من أصحاب رسول الله ﷺ فاسألوهما عن هذا، فأرسلوا إليهما فاسألوهما فقالا: انظروا فإن كان أنبت<sup>(2)</sup> فأسهموا له، فنظر إليّ بعض القوم فوجدوني قد أنبت فأسهموا لي<sup>(3)</sup>.

ومعنى ذلك أنه لا يسهم للصبي ولا للمرأة، إنما يرضخ لهم؛ أي يعطون شيئاً قليلاً لمساعدتهم في غزوات المسلمين، وهذا ما كان يطبق في عهد رسول الله ﷺ<sup>(4)</sup>.

### 2- السلب للقاتل في عهد عثمان كما كان في عهد رسول الله ﷺ:

السلب هو ما كان على القاتل في الحرب وما كان من سلاح، وما كان تحته من فرس، وقد قضى رسول الله ﷺ بالسلب للقاتل؛ فعن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «**من قتل قتيلاً له بيعة فله سلبه**»<sup>(5)</sup>. ومفاد هذا الحديث أنه لا يستحق للقاتل السلب إلا بعد أن يقيم البيعة على أنه هو الذي قتله، حتى إذا تنازع اثنان كل منهما يدعى أنه قتله فالسلب لمن يقيم البيعة منهما<sup>(6)</sup>.

وقد حدث بعد انتفاض الإسكندرية وجاءت الروم وعليهم منوئل الحصى وأرسلوا بالأسكندرية، وتركهم عمرو حتى يسيروا إليه فيصيبوا من مروا به في البلاد فخرى الله بـ بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورهم، ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به، فلم يعرض عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم في البر والبحر، فحاربوا بالنشاب ثم خرجوا من البحر، فاجتمعوا هم والذين في البر واستمروا في حرب النشاب، وبرز بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب، فدعا إلى البراز فبرز له رجل من زبيد يقال له (حومل) يكنى أبا مذبح، فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان، ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيد

(1) المصدر نفسه، ص 86، 87.

(2) أنبت: أي ظهر شعر في وجهه.

(3) فتوح مصر وأخبارها، ص 121.

(4) السياسة المالية لعثمان، ص 93.

(5) البخاري، كتاب المغازي، رقم (4322).

(6) السياسة المالية لعثمان، ص 93.

ف، وألقى حومل رمحه وأخذ بسيفه، وجعل عمرو يصيح: أبا مذبح فيجبية: لبيك، والناس على شاطئ النيل في البر على تعيبتهم وصفوفهم، فتجاولا ساعة بالسيفين ثم حمل عليه البطريق فاحتمله، ثم أخذ حومل خنجرا كان في منطقته أو في ذراعه فضرب به نحر عدوه فأوتر قوته فأنبته ووقع عليه فأخذ سلبه، ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمة الله عليه، ثم شد المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية، ففتح الله عليهم وقتل منويل الحصى<sup>(1)</sup>.

### 3- قيمة الغنائم ونصيب بيت المال في أحد فتوحات عثمان:

من حديث عبد الملك بن مسلمة عن غيره قال: غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية فسم بيننا الغنائم بعد إخراج الخمس، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، للفارس ألف دينار وللفارسه ألف دينار، وللراجل ألف دينار، فقسم لرجل من الجيش توفى بذات الحمام فدفع لأهله بعد موته ألف دينار<sup>(2)</sup>. ومن حديث لعثمان بن صالح وغيره قال: فكان جيش عبد الله بن سعد ذلك عشرين ألفا، ومن المعروف أن يؤول الخمس لبيت المال، استنادا إلى قول الله تعالى: **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيَّ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [الأنفال: 41] وقد رفع نصيب الرسول ﷺ وذي القربى في عهد أبي بكر بعد وفاة الرسول ﷺ ووجه إلى السلاح والكراع، وسأيره عمر بن الخطاب من بعده في التطبيق، وكذا عثمان بن عفان ، والأربعة أخماس الباقية من الغنائم توزع على الفاتحين بنسبة 3 للفارس وفرسه، 1 للراجل. فمن الحديثين السابقين يمكن حسا ب قيمة الخمس الذي آل لبيت المال وكذلك قيمة الغنائم كلها، فبافتراض أن الفوارس عشرين الجيش الذي بلغ عشرين ألفا، وأن الباقين من الراجلين يكون الحساب كالاتي:

$$2000 \text{ فارس} \times 3000 \text{ دينار} = 6000.000 \text{ دينار.}$$

$$18000 \text{ راجل} \times 1000 \text{ دينار} = 18000.000 \text{ دينار.}$$

مجموع ما خص المحاربين = 24 مليون دينار، وهو ما يمثل أربعة أخماس قيمة الغنائم، ويكون نصيب بيت المال خمس الغنائم؛ أي = 6 ملايين دينار، ويكون مجموع ما غنمه المسلمون = 30 مليون دينار<sup>(3)</sup>.

### 4- الإنفاق العام من خمس الغنائم:

ينفق خمس الغنائم طبقا لنص الآية للرسول ﷺ وذي القربى واليتامى والمساكين وإدب السبيل بحق الخمس لكل منهم، وأنه بعد موت الرسول ﷺ آل نصيبه ونصيب ذي القربى إلى بيت المال لينفق منها على الكراع والسلاح، وقد استنفد الخليفة الراشد عثمان نصيب رسول الله ﷺ وذي القربى الذي آل إلى بيت المال على الإنفاق على الكراع والسلاح لكثرة الفتوحات التي تمت في عهده وما استلزمته من أسلحة وخيول<sup>(4)</sup>.

(1) فتوح مصر وأخبارها، ص 119، 120.

(2) المصدر نفسه، ص 125.

(3) السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص 95.

(4) المصدر نفسه، ص 97.

## 5- نجاح السياسة المالية في تمويل فتوحات الإسلام في عهد عثمان:

من ضمن التحديات التي واجهها عثمان انتكاس بعض البلاد المفتوحة، واستطاع عثمان إجبار البلاد التي نقضت العهد على الالتزام بعهودهم مع الدولة الإسلامية والانصياع لحكمها.

وفي ضوء ما تم من فتوحات جديدة فإنه يمكن القول: إن تنفيذ السياسة المالية فيما يتعلق بهذه الفتوح قد أسفر عن قيام المالية العامة في عهد عثمان بن عفان بالمطلوب منها، سواء من ناحية تمويلها لهذه الفتوح أو بما حققته الانتصارات من غنائم كثيرة حصل به يت المال على نصيبه منها أو من موارد أخرى، وهي زكاة من أسلم من أهل الأمصار، وجزية من أبى الإسلام من أهل الكتاب وخراج أراضيهم<sup>(1)</sup>.

### رابعاً: الإيرادات العامة من الجزية في عهد عثمان :

#### 1- استقرار المسائل الفنية للجزية في عهد عثمان :

استقرت أحكام الجزية وقواعدها ونظام تطبيقها وتحصيلها في عهد عمر بن الخطّاب، ولذلك كان دور بيت المال في عهد عثمان أن يتلقى ما يتم تحصيله من جزية بعد الاتفاق على قيمتها، وأن تقر الدولة ما تم عقده من صلح في عهود سابقة أو إقرار صلح جديد، وأن تتكفل الدولة لمن أدوا الجزية بالحقوق التي تترتب على هذا الأداء<sup>(2)</sup>.

#### 2- نماذج مما آل لبيت المال من إيرادات الجزية:

أ- غزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في عهد عثمان أذربيجان، وصالح أهلها على ثمانمائة ألف درهم حبسوها عند وفاة عمر، فوطئهم بالجيش وانقادوا له وقبض منهم المال<sup>(3)</sup>.

ب- لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وكان الذي صالحهم عليه عبد الله ثلثمائة فنطار ذهب (ولعل ذلك يعادل المبلغ الأول)<sup>(4)</sup>.

ج- صلح قبرص وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين<sup>(5)</sup>.

ح- صالح سعيد بن صالح أهل جرجان وكان يجبون أحياناً مائة ألف، ويقولون: هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف وأحياناً ثلاثمائة ألف<sup>(6)</sup>.

د- غلب عبد الله بن عامر على نيسابور وخرج إلى سرخس، فأرسل إليه أهل مرو يطلبون الصلح، فبعث إليهم ابن حاتم فصالح مرزبان مرو على ألفي ألف، وقال آخر: صالحهم على ستين ألف درهم<sup>(7)</sup>.

و- سار الأحنف بن قيس إلى بلخ فحاصروهم، فصالحه أهلها على أربعمائة ألف، فرضي

(1) المصدر نفسه، ص 99.

(2) السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص 103.

(3) تاريخ الطبري، (246/5).

(5،5) المصدر نفسه، (261/5).

(7) المصدر نفسه، (318/5).

(3) المصدر نفسه، (255/5).

(7) المصدر نفسه، (307/5).

منهم بذلك، واستعلم ابن عمه وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه<sup>(1)</sup>.

### 3- عثمان بن عفان ينفذ كتاب الرسول x لأهل نجران:

كان النبي x قد أقر أهل نجران على شروط اشترطها عليهم واشترطوها هم، وكتب لهم بذلك كتاباً يوضح هذه الشروط ومنها دفعهم الجزية ومقدارها، ثم جاءوا بعد الرسول x فكتب لهم أبو بكر كتاباً بهذه الشروط، ثم جاءوا من بعد أن استخلف عمر إليه، وكان عمر قد أجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم بنجران العراق؛ لأنه خافهم على المسلمين وكتب لهم كتاباً،<sup>(2)</sup> فلما قبض عمر واستخلف عثمان بن عفان أتوه إلى المدينة، فكتب لهم إلى الوليد بن عقبة وهو عامله الكتاب التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد بن عقبة سلام الله عليك، إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الأسقف والعاقب وسراة أهل نجران الذين بالعراق أتوني، فسكوا إليّ وأروني شرط عمر لهم، وقد علمت ما أصابهم من المسلمين، وإني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم وتركتهما لوجه الله تعالى جل ثناؤه، وإني وفيت لهم بكل أمر ضهمم التي تصدق عليهم عمر عقبي مكان أرضهم باليمن، فاستوص بهم خيراً فإنهم أقوام لهم ذمة. وكانت بيني وبينهم معرفة، وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها، وإذا قرأت صحيفتهم فاردها عليهم، والسلام.)<sup>(3)</sup> وكان ذلك في النصف من شعبان سنة سبع وعشرين.<sup>(4)</sup>

### ومما سبق يتضح منه أمور:

أ- أن عثمان أوفى بعهد الرسول x، وعهد صاحبه -رضي الله عنهما- من بعده، وأن ذلك ينبع من مبدأ عام في الإسلام، وهو أن من عقد عقداً أو عهد عهداً أو وعد و عدا أوفى به.

ب- خفف عثمان عنهم الجزية ووفى لهم بكل أرضهم، وطلب من عامله الوليد بن عقبة أن يوفي لهم بما ورد في كتاب عمر، وأن يستوصي بهم خيراً لأنهم أقوام لهم ذمة<sup>(5)</sup>.

### 4- أهل الكتاب في ذمة المسلمين ما داموا يؤدون الجزية:

بعد انتصار عمرو بن العاص في الإسكندرية، وكان قد جمع من القرى أثناء الحرب ما أصاب أهل القرى، فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض، فقالوا: قد كنا على صلحنا، وقد مر علينا هؤلاء اللصوص (أي الروم) وأخذوا متاعنا ودوابنا، وهو قائم بين يديك، فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه، وأقاموا عليه البينة. وقال بعضهم لعمرو بن العاص: ما حل لك ما صنعت بنا، كان لنا أن نقاتل عنا لأننا في ذمتك ولم ننقض، فأما من نقض فأبعده الله<sup>(6)</sup>. فانظر كيف نظام الجزية يرتب حقوقاً تمسكوا بها، وهى حمايتهم نظير ما يدفعون بالرغم من أنهم لا يشتركون في الدفاع عن البلاد مع المسلم، وإنما يدفعونها نظير حقوق يحصلون عليها من الدولة الإسلامية، ومن هذه الحقوق

(2، 2) الخراج لأبي يوسف، ص 74.

(4، 4) السياسة المالية لعثمان، ص 105.

(6) المصدر نفسه، ص 106.

حق الحماية وحق الرعاية، وقد أقرهم عمرو بن العاص على هذه الحقوق ورد إليهم أموالهم.<sup>(1)</sup>

### 5- مشاركة أهل الذمة في الأعباء العامة في عهد عثمان:

ومما يذكر بشأن فتح الإسكندرية الثاني في خلافة عثمان بن عفان مما يتصل بالجزية أن صاحب اخنا - وكان اسمه ظلما-، قدم على عمرو بن العاص فقال: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها؟ فقال عمرو -وهو يشير إلى ركن كنيسة-: إنما أنتم خزنة لنا إن كنتم علينا أكثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، فغضب صاحب اخنا فخرج إلى الروم فقدم بهم، فهزمهم الله وأسر، فأتي به إلى عمرو، فقال له الناس: اقتله، فقال: لا، و قيل: إن عمرا لما أتى به سورته وتوجه وكساه برنس أرجوان، وقال له: انتنا بمثل هؤلاء، فرضى بأداء الجزية، فقيل لطلما: لو أتيت ملك الروم، فقال: لو أتيت لقتلني، وقال: قتلت أصحابي.<sup>(2)</sup>

وعندما نحل قول عمرو بن العاص: إنما أنتم خزنة لنا، إن كنتم علينا أكثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، نستنتج بعض المبادئ للسياسة المالية في عهد عثمان بالنسبة لغير المسلمين، منها:

أ- أهل الذمة يساهمون في بيت مال المسلمين بما يؤدونه من جزية، فهم خزنة لبيت المال، يحصل منها بيت المال على نصيبه في أموالهم على هيئة جزية.

ب- أن هذا النصيب في أموال أهل الذمة يتحدد في ظل الأعباء الملقة على الدولة، فإن كبر هذا العبء ارتفعت قيمة الجزية، وإن خف هذا العبء خفت قيمة الجزية.

ج- هذا التحول في قيمة الجزية -ارتفاعا وانخفاضاً- مع أعباء الحكم ينبثق من مبدأ المشاركة المالية من مواطني الدولة في الأعباء، بحيث يساهم كل على قدر طاقته وبما يحقق العدالة في توزيع الأعباء، وفي ظل الوصايا التي أوصى بها الرسول الكريم بحسب معاملة أهل الذمة عامة<sup>(3)</sup>.

### خامساً: الإيرادات العامة من الخراج والعشور في عهد عثمان:

#### 1- الخراج:

امتدت فتوحات الإسلام في عهد عثمان بن عفان ، ونتج عن هذه الفتوحات أن دخلت الأرض الزراعية للبلاد المفتوحة في حوزة الدولة الإسلامية، وكان عمر قداء تبرها فينا للمسلمين، وأبقى عليها أهلها من أهل الكتاب الذين آثروا الإبقاء على دينهم يزرعونها، ويؤدون عنها خراج الأرض لبيت مال المسلمين، وقد ساهم خراج هذه الأراضي في زيادة إيرادات بيت المال في عهد عثمان بسبب امتداد الفتوحات الإسلامية في عصره<sup>(4)</sup>.

(1) السياسة المالية لعثمان، ص 106.

(2) فتوح مصر وأخبارها، ص 102.

(3) السياسة المالية لعثمان، ص 107.

(4) السياسة المالية لعثمان، ص 113.

## 2- عشور التجارة:

استقر نظام العشور في عهد الفاروق على الأسس والقواعد التي وضعها عمر ، وفي عهد عثمان بن عفان يبدو بصفة عامة أن إيرادات بيت المال زادت من عشور التجارة نتيجة لزيادة رقعة الدولة الإسلامية، بسبب الفتوحات التي تمت في عهده ونتيجة لزيادة الثروات لدى البعض، مما زاد القوة الشرائية بصفة عامة خصوصاً في السنوات الأولى في عهد عثمان بن عفان التي اتسمت بالاستقرار، وزيادة القوة الشرائية تزيد الطلب على السلع، وزيادة الطلب على السلع تدعو إلى تنشيط استيرادها وخضوعها لعشور التجارة متى توافرت شروط الإخصاء، ومن العوامل التي أدت إلى زيادة حصيلة عشور التجارة في عهد عثمان بن عفان ارتفاع الأسعار، وارتفاع أسعار السلع يؤدي بالتالي إلى زيادة حصيلة عشور التجارة منها، لأنها ضريبة قيمية تؤخذ نسبة معينة على قيمة السلعة، وليس نوعية تؤخذ من نوع السلعة<sup>(1)</sup>.

## سادساً: سياسة عثمان بن عفان في إقطاع الأرض:

مضى أبو بكر في تطبيق السياسة النبوية في إقطاع الأراضي للناس طلباً لصلاحها؛ فقد أقطع الزبير بن العوام أرضاً مواتاً ما بين الجرف وقناة<sup>(2)</sup>، وأقطع مجاعة ابن مرارة الحنفي الخضرمة (قرية كانت باليمامة)<sup>(3)</sup>. وأراد إقطاع الزبرقان بن بدر، ثم عدل عن ذلك لاعتراض عمر ، كما أراد إقطاع عبيدة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس التميمي أرضاً سبخة (ليس فيها كلاً ولا منفعة) أراداً استصلاحها، ثم عدل عن ذلك أخذاً برأي عمر في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسلام، وقال: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ دليل، وإن الله - عز وجل - قد أعز الإسلام فاذهباً فاجهدا جهدكما.

ومن الواضح أن اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي بل على أشخاص بعينهم لا يرى تأليفهم على الإسلام، وقد توسع عمر في إقطاع الأرض لغرض استصلاحها جرياً على السياسة النبوية، فقد أعلن: يا أيها الناس، من أحيا أرضاً ميتة فهي له<sup>(4)</sup> وهناك آثار ضعيفة تؤكد انتزاع عمر ملكية الأرض المقطعة إذا لم يتم استصلاحها<sup>(5)</sup>. وتحدد رواية ضعيفة لذلك ثلاث سنوات من تاريخ الإقطاع، وقد ثبت إقطاع عمر لخوان بن جبير أرضاً مواتاً، وللزبير بن العوام أرض العقيق جميعها، ولعلي بن أبي طالب أرض ينبع، فتدفق فيها الماء الغزير فأوقفها علي صدقة على الفقراء<sup>(6)</sup>.

ولما تولى عثمان الخلافة توسع في الإقطاع وخاصة في المناطق المفتوحة؛ حيث ترك عدد من الملاكين أراضيهم فارين، فصارت صوافي تقوم الدولة باستثمارها، فأقطع عثمان منها خوفاً من بوارها<sup>(7)</sup>، ولكن الإمام أحمد يرى أنه أقطع من السواد أي

(1) المصدر نفسه، ص 123.

(2) الطبقات الكبرى لأبن سعد، (104/3).

(3) عصر الخلافة الراشدة للعمرى، ص 220.

(4) عصر الخلافة للعمرى، ص 221.

(5) المصدر نفسه، ص 221.

(6) المصدر نفسه، ص 222.

(7) المصدر نفسه، ص 223.



ضاً، ومما لا شك فيه أن الصوافي قد يقع كثير منها في أرض السواد، وعلى أية حال فإن الإقطاع من الصوافي رفع غلتها من تسعة ملايين درهم (9000000 درهم) سنوياً في خلافة عمر إلى خمسين مليون درهم (50.000.000 درهم) في خلافة عثمان، مما يدل على نجاح سياسته في إدارة الصوافي. وتذكر المصادر قائمة بأسماء الذين أقطعهم عثمان ومعظمهم ليسوا من قريش، ومعظم الروايات في إقطاع عثمان ضعيفة، وهي بالجملة تثبت توسعه في الإقطاع، ومن المفيد ذكر أسماء المقطعين وهم:

\* عبد الله بن مسعود الهذلي (أرض بين نهري بيل وبين السواد).

\* عمار بن ياسر (أستينيا).

\* خباب بن الارت التميمي (صعنبى - قرية بالسواد).

\* عدي بن حاتم الطائي (الروحاء - قرية من قرى بغداد على نهر عبس)

\* سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي (قرية هرمز بدير فارس).

\* الزبير بن العوام.

\* أسامة بن زيد الكلبي.

\* سعيد بن زيد العدوي القرشي.

\* جرير بن عبد الله البجلي (أرض على شاطئ الفرات).

\* ابن هبار.

\* طلحة بن عبيد الله التميمي القرشي (النشاستيح - ضيعة بالكوفة).

\* وائل بن حجر الحضرمي (أرض توالي قرية زرارة بالكوفة).

\* خالد بن عرفطة القضاعي (أرض عند حمام أعين بالكوفة).

\* الأشعث بن قيس الكندي (طيزنباذ - موضع بين الكوفة والقادسية).

\* أبو مريد الحنفي (أرض بالأهواز على نهر تيري).

\* نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي (قطيعة بشط عثمان بالبصرة)

\* أبو موسى الأشعري (قطيعة بحمام عمرة).

\* عثمان بن أبي العاص الثقفي (شط عثمان بالبصرة).

ويبدو أن جلاء أهل هذه الأراضي عنها صيرها مواتاً، وأقطعها عثمان لإحيائها، ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان أقطع قطائع في سواحل الشام لتعميرها وإعدادها لموا جهة هجمات الروم، وكذلك أقطع قطائع بأنطاكية بأمر عثمان، وآخر بقاليقلا<sup>(1)</sup>، وأما إقطاعه فذلك لمروان بن الحكم فلم يعرف من طريق صحيحة، وقيل: إن الذي أقطع فذلك لمروان هو معاوية بن أبي سفيان<sup>(2)</sup>.

إن سياسة عثمان في إقطاع الأراضي ساهم في زيادة موارد بيت مال المسلمين بما يؤديه الجميع من زكاة على أموالهم إذا توافرت شروطها، وقد نجح مشروع عثمان في إقطاع الأرض بدليل زيادة إيراد الدولة من أملاكها الخاصة في العراق؛ إذ بلغت خمسين ألف درهم بعد أن كانت 900.000 درهم في عهد الفاروق<sup>(3)</sup>.

### سابعاً: سياسة عثمان في حمى الأرض:

وهي أراض خصصت لرعي الإبل والخيل التي تملكها الدولة، وقد استمرت حماية

(2) المصدر نفسه، ص225.

(1) عصر الخلافة الراشدة، ص224.

(3) السياسة المالية لعثمان، ص118.



وادي النقيع في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ حيث كان النبي ﷺ قد حماه للخير ل<sup>(1)</sup>، وطوله ثمانون كيلومترا، ويبدأ جنوب المدينة بـ 40 كيلومترا<sup>(2)</sup>. وقد كثرت المناط ق المحمية في خلافة عمر لكثرة ما تملكه الدولة من الإبل والخيول المعدة للجهاد، وم ن ذلك حمى الربة لنعم الزكاة، وعين عليه مولاه هذبي وأوصاه بالسماح لأصحاب الإبل القليلة بالرعي فيه دون الأغنياء، وحمى أرضا في ديار بني ثعلبة رغم احتجاجهم على ذ لك فقد أجابهم: البلاد بلاد الله، تحمي لنعم مال الله<sup>(3)</sup>. ونهج عثمان نهج من سبقه في الد مي بسبب اتساع الدولة وازدياد الفتوحات في عهده، وقد اقتصر في الحمى على صدقات المسلمين لحمايتها، وعلى هذا فإن عثمان زاد في الحمى لما زادت الرعية، وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة<sup>(4)</sup>.

ولما كان أبو بكر وعمر قد حميا دون أن ينكر عليهم أحد ذلك، فإن عثمان وسع الد مي لكثرة إبل الصدقة وماشيتهما، وكثرة الخصومات بين رعاة ماشية الصدقة، فلا اعترا ض على فعله<sup>(5)</sup>، بل ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان في الحمى قد اشتهر ذلك بين الصد ابة فلم ينكر عليهم منكر، ويعتبر ذلك إجماعا<sup>(6)</sup>. وقد حكى الإجماع ابن قدامة<sup>(7)</sup>.

### ثامناً: أنواع النفقات العامة في عهد عثمان:

#### 1- نفقات الخليفة:

كان عثمان لا يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً؛ فقد كان أكثر قريش مالا وأجد هم في التجارة، فكان ينفق على أهله ومن حوله من ماله الخاص.

#### 2- صرف مرتبات الولاة من بيت المال:

في عهد عثمان كانت الدولة الإسلامية مقسمة إلى ولايات، وكان على كل ولاية وال يعينه الخليفة يأخذ مرتبه من بيت المال، ويدير شئون الولاية طبقاً لأحكام الشريعة ا لإسلامية، وإذا لم يعين الخليفة ممثلاً له على بيت مال الولاية، فإنه يدخل في اختصاص الوالي الإشراف على جباية موارد الولاية، وهي الجزية والخراج وعشور التجارة ينفق منها على شئون الولاية، والفائض يرسله إلى بيت مال المسلمين في المدينة، أما الزكاة ا لتي تحصل من أغنياء الولاية فكانت تصرف على فقرائهم<sup>(8)</sup>.

#### 3- الإنفاق من بيت المال على مرتبات الجند:

كان بيت المال يدفع مرتبات للجند علاوة على ما يحصلون عليه من نصيب في الغنائم، وكان جند كل ولاية يحصلون على مرتباتهم من بيت مال الولاية، فمثلاً بالنسبة لجند مصر كتب عثمان ابن عفان إلى عبد الله بن سعد والي مصر الكتاب التالي لصرف مرتبات الجند الم رابطين في الإسكندرية: (قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية وقد نقصت الرو م مرتين، فالزم الإسكندرية رابطتها ثم أجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر)

(1) صحيح سنن أبي داود، الألباني (595/2). (2) عصر الخلافة الراشدة، ص 225، 226.

(3) الطبقات (326/3)، والأثر صحيح.

(4) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، د. مصطفى حلمي، ص 78.

(5) المصدر نفسه، ص 78.

(6) نظام الأراضي في صدر الدولة الإسلامية، ص 169. (7) المغني لابن قدامة، (581/5).

(8) السياسة المالية لعثمان، ص 130. (2) المصدر نفسه، ص 140.

(1)

#### 4- الإنفاق العام على الحج من بيت المال:

كان الإنفاق العام على الحج في عهد عثمان من بيت المال، وكانت كسوة الكعبة من القباطي، وهو ثياب من كتان من نسيج مصر (2).

#### 5- تمويل إعادة بناء المسجد النبوي من بيت المال:

كلم الناس عثمان بن عفان أول ما تولى الخلافة أن يزيد في مسجد الرسول x؛ إذ كان يضيق بالناس في صلاة الجمعة بسبب امتداد الفتح وزيادة سكان المدينة زيادة عظيمة، فاستشار عثمان أهل الرأي فأجمعوا على هدم المسجد وبنائه وتوسيعه، فصلى عثمان أظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله x وأزيد فيه وأشهد أنني سمعت رسول الله يقول: «من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» (3)، وكان لي فيه سلف وإمام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب بكان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله، فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه، فحسن الناس يومئذ ذلك ودعوا له، فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه (4).

#### 6- تمويل توسعة المسجد الحرام من بيت المال:

كانت الكعبة أيام الرسول x قائمة وليس حولها إلا فناء ضيق يصلي الناس فيه، وظل المسجد كذلك في خلافة أبي بكر، وفي عهد عمر وسع المسجد فاشترى دوراً حول الكعبة وهدمها وأدخلها في بيت الله الحرام وأحاطها بجدار قصير، وأدخل إنارة المسجد ليلاً؛ وذلك لأن المسجد كان قد ضاق بالحجاج الذين يأتون لأداء فريضة الحج بعد أن امتدت فتوحات الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلما ضاق المسجد ثانية في عهد عثمان احتذى بمثل عمر وأضاف إلى الكعبة دوراً اشترأها وأحاطها بجدار قصير لا يرتفع إلى قامة الرجل كما فعل عمر من قبل (5). كما كان الولاة يبنون المساجد في ولاياتهم ويذفقون عليها من بيت مال الولاية، كما حدث عند بناء مسجد الرحمة بالإسكندرية، ومسجد في اصطخر في فتوحات المشرق (6).

#### 7- الإنفاق على إنشاء أول أسطول بحري:

ساهم بيت مال المسلمين في إنشاء أول أسطول بحري في الإسلام في عهد عثمان، وسيأتي دور هذا الأسطول في الفتوحات الإسلامية بإذن الله تعالى عند حديثنا عن الفتوحات (7).

#### 8- الإنفاق على تحويل الساحل من الشعبية إلى جدة:

في سنة ست وعشرين هجرية كلم أهل مكة عثمان أن يحول الساحل من الشعبية وه

(2) المصدر نفسه، ص 140، 141. (4) المسند رقم (434) إسناده صحيح.

(4) البداية والنهاية (60/7)، تاريخ الطبري (267/5).

(5) تاريخ الطبري (250/5)، ذو النورين، محمد رشيد، ص 25.

(6) السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص 147، 148.

(7) المصدر نفسه، ص 148.

ي ساحل مكة قديما في الجاهلية إلى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة، فخرج عثمان إلى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل إليها، ودخل البحر واغتسل فيه وقال إنه مبارك، وقال لمن معه: ادخلوا البحر للاغتسال إلا بمنزر، ثم خرج من جدة من طريق عسفان إلى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبية في ذلك الزمان واستمرت جدة بندرا إلى الآن لمكة المشرقة (1).

### 9- تمويل حفر الآبار من بيت مال المسلمين:

ومن الأعمال التي مولها بيت مال المسلمين في عهد عثمان حفر بئر للشرب بالمدينة، وتسمى بئر أريس وهي على ميلين من المدينة وكان ذلك في سنة ثلاثين هجرية، وحدت أن قعد عثمان على رأس البئر وكان بإصبعه خاتم رسول الله، فانسل الخاتم من إصبعه فوق في البئر، فطلبوه من البئر ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به، واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس من العثور على الخاتم صنع خاتما آخر مثله من فضة على مثاله وشبهه ونقش عليه (محمد رسول الله) فجعله في أصبعه حتى قتل، فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يدر من أخذه (2).

### 10- الإنفاق على المؤذنين من بيت المال:

كان عثمان أول من رزق المؤذنين من بيت المال، قال الإمام الشافعي: (قد أرزق المؤذنين إمام هدى عثمان بن عفان (3)، وقد جعل عثمان على الأذان جعالة، ولا يستأجر استئجارا) (4).

### 11- تمويل أهداف الإسلام العليا:

يتضح من دراسة النفقات العامة السابقة من بيت المال أنها ساهمت في تمويل الأهداف العليا للدولة الإسلامية، فضلا عن الإنفاق العام على إدارة الدولة ومصالح الرعية، ثم الإنفاق على نشر الإسلام كي تكون كلمة الله هي العليا. وتم تمويل إنشاء أول أسطول بحري للدولة الإسلامية، كما تم تعمير بيوت الله بالإنفاق على إقامة المساجد وتجديدها ورزق المؤذنين، والولادة، والقضاة والجنود، وعمال الدولة، كما تم الصرف على رحلات الحج إلى بيت الله الحرام، وكسوة الكعبة وهي قبلة الإسلام والمسلمين، كما أن بيت مال المسلمين قدم أمواله لحفر الآبار ليشرّب منها الغادي والرائح من مواطني الدولة الإسلامية، ومن مصادر الدولة، كالزكاة وخمس الغنائم، ثم تمويل شرائح المجتمع الضعيفة في الدولة الإسلامية وهم الفقراء والمساكين واليتامى، وفي مساندة الغرباء وأبناء السبيل وفك الرقاب (5).

### تاسعاً: استمرار نظام الأعطيات في عهد عثمان بن عفان:

استمر نظام الأعطيات في عهد عثمان كما كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقد اعتمد السابقة في الدين أساسا للبقاء، وكتب بذلك لواليه على الكوفة بقولاً

(1) ذو النورين عثمان بن عفان، محمد رشيد، ص26.

(2) البداية والنهاية (161/7)، تاريخ الطبري (284/5).

(3، 3) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص14.

(5) السياسة المالية لعثمان بن عفان، ص150.

ه: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسد بيهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تتأقّلوا عن الحق وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لك منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل.<sup>(1)</sup> وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده كثرت موارد الدولة المالية، مما أدى ذلك بالـ خليفة عثمان أن يتخذ له الخزائن<sup>(2)</sup>، فانعكس ذلك بدوره على العطاء، فزاد في أرزاق الجند بمقدار مئة درهم لكل منهم، فهو أول خليفة زاد الناس في العطاء واستن به الخلا فاء من بعده في الزيادة.<sup>(3)</sup>

قال الحسن: شهدت منادي عثمان ينادي: يا أيها الناس، اغدوا على كسوتكم فيأخذون الدّلال، واغدوا على السمن والعسل. قال الحسن: أرزاق دارّة، وخير كثير، وذات بين حسن، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلا يوده وينصره ويألفه.<sup>(4)</sup> واهتم الخليفة عثمان بأمر الثّ غور والمراطة فيها، فكان يأمر قادته بإجراء الأرزاق والعطاء ومضاعفته للجند المرابطين.<sup>(5)</sup>

### عاشراً: أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

في عهد عثمان كثر الخراج وأتاه المال من كل وجه، فاتخذ له الخزائن، وأثر ذلك بدوره في الأثر الاقتصادي والاجتماعي؛ فعن أبي إسحاق أن جده مر على عثمان فقال له: كم معك من عيالك يا شيخ؟ قال: معي كذا، قال: قد فرضنا لك في خمس عشرة، يعني ألفاً وخمسمائة، وفرضنا لعيالك مئة مئة.<sup>(6)</sup> وعن محمد بن هلال المديني قال: حدثني أبي عن جدي أنها كانت تدخل على عثمان فافتقدها يوماً فقال لأهله: ما لي لا أرى فلانة؟ فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين، ولدت الليلة غلاماً، فقالت: فأرسل إليّ بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية، ثم قال: هذا عطاء ابنك وهذه كسوته، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى ماءة.<sup>(7)</sup> كما وسع على عيال أهل العوالي بالمدينة المنورة في القوت والكسوة.<sup>(8)</sup> وحين قام القائد قطن بن عمرو الهلالي بإعطاء الجيش الذي برفقته -وعده أربعة آلاف جندي- أربعة آلاف درهم كتشجيع لهم استكثر ذلك والي البصرة عبد الله بن عامر وكتب بالخبر إلى الخليفة عثمان فاجازها وقال: ما كان معونة في سبيل الله فجازر، فصارت الجائزة اسمًا للعطية.<sup>(9)</sup>

وقام عثمان بتوريث عطاء الجندي الإسلامي لورثته من بناته وزوجاته، فقد قال الزبير ابن العوام للخليفة عثمان بعدما مات عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم-: أعطني عطاء عبد الله؛ فعيال عبد الله أحق به من بيت المال، فأعطاه خمسة عشر ألفاً.<sup>(10)</sup>

- (1) تاريخ الطبري، (280/5).
- (2) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (683/2)، النجوم الزاهرة (87/1).
- (3) تاريخ الطبري (245/5).
- (4) مجمع الزوائد (93/9، 94)، فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 52.
- (5) فتوح مصر، ص 192، فتح البلدان للبلانري (157-152/1).
- (6) الإدارة العسكرية (768/2).
- (7) المصدر نفسه (769/2).
- (8) الطبقات (298/3).
- (9) الأوائل للعسكري (26/2، 27).
- (10) الإدارة العسكرية (770/2).

هذا وقد نشطت الحركة الزراعية والصناعية والتجارية في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وبسبب ما من الله به على المسلمين من فتوح، أصبح أهل المدينة خاصة والمسلمون عامة في نعمة ويسار، وكان يقترن بهذا الثراء ضروب واسعة من الحضارة لم تعرفها الجزيرة العربية قبل الفتوحات الكبيرة. لقد اطلع المسلمون على ما عند الأمم الأجنبية واقتبسوا منهم، وبدأ هذا الاقتباس يتسع في خلافة عثمان، فبنى بعض الصحابة الدور والمنازل الكبيرة، وساهم الأجانب الذين سُدُّوا في الفتوح في تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية<sup>(1)</sup>.

### حادي عشر: عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال:

اتهم عثمان من قبل الغوغاء والخوارج بإسرافه في بيت المال وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد ساند هذا الاتهام حملة دعائية باطلة قادها السبنيون والشيعنة الروافض ضده، وتسربت في كتب التاريخ وتعامل معها بعض المفكرين والمؤرخين على كونها حقائق وهي باطلة لم تثبت؛ لأنها مختلفة، والذي ثبت من إعطائه أقاربه أمور تعد من مناقبه لا من المثالب فيه:

1- إن عثمان كان ذا ثروة عظيمة وكان وَدُولاً للرحم<sup>(2)</sup> يصلهم بصلات وفيه رة، فنقم عليه أولئك الأشرار وقالوا بأنه إنما كان يصلهم من بيت المال، وعثمان قد أجاب عن موقفه هذا بقوله: وقالوا إني أحب أهل بيتي وأعطيتهم، فأما حبي لهم فإنه لم يمل معهم إلى جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإنني إنما أعطيتهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسني ولا لأحد من الناس، وقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرعية من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحيد أن أنيت على أسنان أهل بيتي<sup>(3)</sup> وفني عمري وودعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا<sup>(4)</sup>!

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، وجعل ولده كبعض من يعطي، فبدأ ببني أبي العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف، فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب<sup>(5)</sup>. فهذه النصوص وغيرها مما اشتهر عنه وما صح من الأحاديث في فضائله الجمة، تدل على أن كل ما قيل فيه من إسرافه في بيت المال وإنفاق أكثره على نفسه وأقاربه وقصوره في حكايات بدون زمام ولا خطام يطول ذكرها مفترى عليه، مع براءة عثمان مما نسب إليه، قال تقي الدين بن تيمية: إن سهم ذوي القربى ذهب بعض الفقهاء إلى أنه لقرابة الإمام كما قال الحسن وأبو ثور، وأن النبي ﷺ كان يعطي أقاربه بحكم الولاية فذوو القربى في حياة النبي ﷺ ذوو قرياه، وبعد موته هم ذوو قربى من يتولى الأمر بعده؛ وذلك لأن نصر ولي الأمر والذب عنه متعين، وأقاربه ينصرونه ويدبون عنه ما لا يفعله غيرهم. وقال: وبالجمل، فعامة من تولى الأمر بعد عمر كان يخص بعض أقاربه إما بالولاية أو بمال<sup>(6)</sup>. وقا

(1) الحضارة العربية الإسلامية، د. وضاح الصمد، ص 114.

(2) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 82.

(3) جاوزت أعمارهم.

(4) تاريخ الطبري (356/5).

(5) المصدر نفسه (356/5).

(6) منهاج السنة (187/3، 188).

ل: إن ما فعله عثمان في المال له ثلاثة مآخذ: أحدها: أنه عامل عليه والعامل يستحق مع الغنى، والثاني: أن ذوي القرى هم ذوو قرى الإمام، والثالث: أن قرابة عثمان كانوا قبيلة كبيرة كثيرة ليسوا مثل قبيلة أبي بكر وعمر، فكان يحتاج إلى إعطائهم وولايتهم أكثر من حاجة أبي بكر وعمر إلى تولية أقاربهم وإعطائهم.. وهذا مما نقل عن عثمان بن عفان الاحتجاج به<sup>(1)</sup>.

**2-** جاء في تاريخ الطبري أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: إن فتح الله عليك بإفريقية فلنك ما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنمة نفلًا، فخرج بجيشه، حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض إفريقية وفتحوها وسهلها وجبالها، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ خمس الخمس، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النضري، فشكى وفد ممن كان معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله، فقال لهم عثمان: إنما أمرت له بذلك، فإن سد خطم فهو رد. قالوا: إنا نسخطه، فأمر عثمان عبد الله أن يرده فردّه<sup>(2)</sup> وقد ثبت في السند أنه تنفيل أهل الغناء والبأس في الجهاد<sup>(3)</sup>.

**3-** وكان قد بقي من الأخماس والحيوان في فتح إفريقية- ما يشق حمله إلى المدينة، فاشتره مروان بمائة ألف درهم، ونقد أكثرها وبقيت منه بقية، وسبق إلى عثمان مبشر بالفتح، وكانت قلوب المسلمين في غاية القلق خائفة من أن يصيب المسلمين نكبة من أمر إفريقية، فوهب له عثمان ما بقي جزاء بشارته. ولالإمام أن يعطي البشير ما يراه لائقًا بتعبه وخطر بشارته، هذا هو الثابت في عطية عثمان لمروان، وما ذكره من إعطائه خمس إفريقية فكذب<sup>(4)</sup> لقد كان عثمان شديد الحب لأقاربه، ولكن ذلك لم يمل به إلى غشيان محرم أو إساءة السيرة والسياسة في أمور المال أو غيرها، وإنما دست في كتب التاريخ أكاذيب باطلة كان خلفها الدعاية السبئية والشعبية الرافضية ضد عثمان.

إن سيرة عثمان في أقاربه تمثل جانبًا من جوانب الإسلام الكريمة الرحيمة لقول تعالى: **وَذَلِكَ الَّذِي يَبْدُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنَةً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** [الشورى: 23]، وقوله جل ثناؤه: **وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا** [الإسراء: 26] كما أنها تمثل جانبًا عمليًا من سيرة المصطفى **×**؛ فقد رأى من رسول الله **×** وعلم من حاله ما لم ير أو يعلم غيره من منتقديه، وعقل من الفقه ما لم يعقله مثله من جمهور الناس، وكان مما رأى شدة حب رسول الله **×** على أقاربه وبره لهم وإحسانه إليهم، وقد أعطى عمه العباس ما لم يعط أحدا عندما ورد عليه مال البحرين<sup>(5)</sup> وولى عليا وهو ابن عمه وصهره، ولعثمان وسائر المؤمنين في رسول الله **×** أعظم القدوة<sup>(6)</sup>.

(1) المصدر نفسه (237/3)، الدولة الأموية، حمدي شاهين، ص 163.

(2) تاريخ الطبري (253/5).

(3) (3) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 84.

(5) البخاري، كتاب الجزية.

(6) (2) البداية والنهاية (201/7).

يقول ابن كثير رحمه الله:- وقد كان عثمان كريم الأخلاق ذا حياء كثير، وكرم عزيز، يؤثر أهله وأقاربه في الله تأليفا لقلوبهم من متاع الدنيا الفاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النبي ﷺ يعطي أقواما ويدع آخرين إلى ما جعل في قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الذوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار<sup>(1)</sup>؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما- قال: بيدهما رسول الله ﷺ يقسم غنيمة بالجعرانة<sup>(2)</sup>، إذ قال له رجل: اعدل، فقال: «**شقيت إن لم أعدل**». <sup>(3)</sup> ويحتج عثمان لبره أهل بيته وقرابته مخاطبا مجلس الشورى بقوله: أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما سبيل احتسابا، وإن رسول الله ﷺ كان يعطي قرابته وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه<sup>(4)</sup>.

وقد رد ابن تيمية رحمه الله- على من اتهم عثمان بتفضيله أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال فقال: «وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال حتى أنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته أربعمئة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار (مليون دينار)، فالجواب يقال: أين النقل الثابت بهذا؟! نعم كان يعطي أقاربه ويعطي غير أقاربه أيضا، وكان يحسن إلى جميع المسلمين، وأما هذا القدر الكثير فيحتاج إلى نقل ثابت، ثم يقال ثانياً: هذا من الكذب البين، فإنه لا عثمان ولا غيره من الخلفاء الراشدين أعطوا أحدا ما يقارب هذا المبلغ<sup>(5)</sup>».

\* \* \*

(2) ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

(3) البخاري، كتاب فرض الخمس.

(4) الطبقات الكبرى (64/3).

(5) منهاج السنة (190/3).



## المبحث الثاني

## المؤسسة القضائية وبعض الاجتهادات الفقهية

يعتبر عهد ذي النورين امتدادا للعهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي فيه خاصة امتدادا للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، وتظهر أهمية العهد الراشدي في القضاء بأمرين أساسيين:

\* المحافظة على نصوص العهد النبوي في القضاء، والتقيد بما جاء فيه، والسير في ركابه، والاستمرار في الالتزام به.

\* وضع التنظيمات القضائية الجديدة لترسيخ دعائم الدولة الإسلامية الواسعة، ومواجهة المستجدات المتنوعة (1).

استطاع الفاروق بتوفيق الله ثم عبقريته الفذة أن يطور مؤسسة القضاء للدولة الإسلامية، وأصبحت لها قواعد ونظم، استفاد منها الخليفة الراشد عثمان في تعيين القضاة وأرزاقهم، واختصاصهم القضائي ومعرفة صفات القاضي، وما يجب عليه، ومصادر الأحكام القضائية، والأدلة التي يعتمد عليها القضاة، كما أنه أصبحت هناك سوابق قضائية من الصديق والفاروق استفاد منها القضاة في عهد عثمان .

عندما تولى عثمان الخلافة كان على قضاء المدينة يومئذ علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، والسائب بن يزيد رضي الله عنهم. ويذكر بعض الباحثين أن عثمان لم يترك لأحد من هؤلاء القضاة الاستقلال بالفصل في قضية من القضايا، كما كان الحال في عهد عمر ، بل كان ينظر في الخصومات بنفسه، ويستشير هؤلاء وغيرهم من الصحابة فيما يحكم به، فإن وافق رأيهم رأيته أمضاه، وإن لم يوافق رأيهم لم رأيته نظر في الأمر بعد ذلك. وهذا يعني أن عثمان قد أعفى القضاة الثلاثة في المدينة من ولاية القضاء وأبقاهم مستشارين له في كل شجار يرفع إليه مع استشارة آخرين، ويرى بعضهم أنه لم يثبت نص صريح يفيد الإعفاء، وغاية ما ورد في ذلك يدل على أن عثمان قد أقر قضاء عمر بالمدينة، ولكنه تحمل عنهم النظر في كثير من القضايا الكبيرة مع استشارتهم فيها، ومنشأ هذا الخلاف تعارض الروايات الواردة في ذلك:

\* روى البيهقي في سننه، ووکیع في أخبار القضاة واللفظ له، عن عبد الرحمن بن سعيد قال: أخبرني جدي، قال: رأيت عثمان بن عفان في المسجد، إذ جاءه الخصمان، قال لهذا: اذهب فادع عليا، وللآخر: اذهب فادع طلحة بن عبيد الله والزبير وعبد الرحمن، فجاءوا فجلسوا، فقال لهما: تكلما، ثم يقبل عليهما فيقول: أشيروا علي، فإن قالوا ما يوافق رأيته أمضاه عليهما، وإلا نظر فيقومون مسلمين، ولا يعلم أن عثمان بن عفان استعمل قاضيا بالمدينة إلى أن قُتل .

(1) تاريخ القضاء في الإسلام للزحيلي، ص 83، 84.



\* جاء في تاريخ الطبري عند الحديث على أعمال عثمان: وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت، وهذا يشعر بأن عثمان أبقي زيدا على ولاية القضاء، ويستلزم الإذن له بالفصل في الخصومات، وما دام الجمع بين النصين ممكنا، فإن الأخذ به أولى من الأخذ بأحد النصين في غير المرجح، ويجمع بين النصين بأن عثمان أبقي قضاء المدينة للفصل في بعض الخصومات، ولكن بعضها الآخر من معضلات القضايا جعله خاصا به مع استشارة أصحابه فيها، ومنهم قضاته(1).

وكان عثمان يعين القضاة على الأقاليم حيناً؛ مثل تعيينه كعب بن سور على قضاء البصرة، ويترك القضاء للوالي حيناً آخر؛ مثل طلبه من واليه على البصرة أن يقوم بالقضاء بين الناس إضافة إلى عمل الولاية، وذلك بعد عزل كعب بن سور، وكذلك كان يعلي بن أمية واليا وقاضيا على صنعاء(2). ويلاحظ أن بعض الولاة كانوا يختارون قضاة بلدانهم بأنفسهم، و يكونون مسئولين أمامهم، مما يشير إلى ازدياد نفوذ الولاة في خلافته من القضاء(3) والمأثور عن عثمان كتبه ورسائله إلى أمراء الأمصار، وإلى أمراء الأجناد بالثغور وإلى عامة المسلمين، وهذا يدعو إلى غلبة الظن بأنه جعل القضاء من اختصاص الولاة، يتولونه بأنفسهم، أو يعينون له من يستطيع القيام به(4). ففي الوقت الذي نجد فيه مراسلات كثيرة بين عمر وقضاة الأمصار نجد ندرة في المراسلات في عهد عثمان بينه وبين أولئك القضاة(5).

#### \* ابن عمر يعتذر عن القضاء:

قال عثمان لابن عمر: اقض بين الناس، فقال: لا أقضي بين اثنين ولا أوم رجلين، أما ما سمعت النبي ﷺ يقول: «**من عاد بالله فقد عاد بمعاد**»؟ قال عثمان: بلى، قال: فإني أعوذ بالله أن تستعملني، فأعفاه، وقال: لا تخبر بهذا أحدا(6).

#### \* دار القضاء:

تذكر بعض كتب التاريخ أن من مآثر ذي النورين اتخاذ دار للقضاء، كما يظهر ذلك من رواية رواها ابن عساکر عن أبي صالح مولى العباس قال: أرسلني العباس إلى عثمان أدعوه فأتيته في دار القضاء إلى آخر الحديث، فإذا صح فيكون عثمان هو أول من اتخذ في الإسلام دارا للقضاء، وقد كان الخليفان قبله يجلسان للقضاء في المسجد كما هو مشهور(7).

#### \* أشهر القضاة في خلافة عثمان:

- 1- زيد بن ثابت (المدينة).
- 2- أبو الدرداء (دمشق).
- 3- كعب بن سور (البصرة).
- 4- أبو موسى الأشعري (البصرة بالإضافة إلى ولايته).

(1) النظم الإسلامية، (378/1)، وقائع ندوة أبي طي، 1405 هـ.

(2) عصر الخلافة الراشدة، ص 143.

(3، 4) النظم الإسلامية (378/1).

(5) الولاية على البلدان (92/2).

(6) مسند الإمام أحمد، رقم (475)، حسن لغيره.

(7) أشهر مشاهير الإسلام (740/4).

5- شريح (الكوفة).

6- يعلى بن أمية (اليمن).

7- ثمامة (صنعاء).

8- عثمان بن قيس بن أبي العاص (مصر) <sup>(1)</sup>.

هذا وقد ترك الخليفة الراشد أحكاماً فقهية في مجال القصاص والجنايات والحدود والتعزير والعبادات والمعاملات، كان لها الأثر الواضح في المدارس الفقهية الإسلامية، وهذه بعض الأحكام التي أصدرها عثمان أو أفتى بها:

أولاً: فيما يتعلق بالقصاص والحدود والتعزير:

1- أول قضية واجهت عثمان قضية قتل:

أول قضية حكم فيها عثمان قضية عبيد الله بن عمر، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تستر فقتله، وكان قد قيل إنهما مالا أباً لؤلؤة على قتل عمر فأنه أعلم. <sup>(2)</sup> وكان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده، فلما ولي عثمان وجلّس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبيد الله، فقال علي: ما من العدل تركه، وأمر بقتله. وقال بعض المهاجرين: أيقّل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، قد برأك الله من ذلك، قضية لم تكن في إياك فدعها عنك، فودي <sup>(3)</sup> عثمان أولئك القتلى من ماله؛ لأن أمرهم إليه؛ إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلى سبيل عبيد الله. <sup>(4)</sup> وقد جاءت رواية في الطبري تفيد بأن القمادبان بن الهرمزان قد عفا عن عبيد الله، عن أبي منصور قال: سمعت القمادبان يحدث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيرو ز بأبي ومعه خنجر له رأسان، فتناولوه منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: أذس به، فرآه رجل، فلما أصيب عمر قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز، فأقيد ل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال: يا بني، هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم (وسبوا عبيد الله)، فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم. <sup>(5)</sup> ولا يوجد تعارض بين هذه الرواية والرواية الأخرى التي تذكر أن الخليفة عثمان عفا عن عبيد الله بن عمر وتحمل هو الدية الشرعية لورثة الهرمزان؛ لأنه يوجد في فهم جميع الصحابة حق لابن الهرمزان في القصاص، وقد استجاب لرجائهم له في العفو على النحو السالف ذكره، كما أن عفو الخليفة يرجع إلى سلطة التحقيق في الجريمة، والحكم فيها هو للخليفة وليس لابن المقتول، فيكون عبيد الله قد اعتدى على حق الخليفة، ومن ثم فرواية العفو منه تتصرف إلى العفو بسبب هذا الحق، وهذه المخالفة من عبيد

(1) عصر الخلافة الراشدة، ص 159، 160.

(2) البداية والنهاية (154/7).

(3) ودي: وقع دية القتلى.

(4) البداية والنهاية (154/7).

(5) تاريخ الطبري (243/5)، إسناده لا يصح.

لله حيث أضاع على الدولة أمرا هاما هو معرفة الخلايا التي تتصل بالجريمة من الجناة والأشخاص والجهات التي كانت خلف هذه المؤامرة، كما ينصرف العفو من الخليفة إلى من ليس لهم ولي وهم جفينة وابنة المجوسي القاتل، ولا يوجد خلاف في الروايات والمصادر التاريخية على أن الخنجر الذي قتل به عمر ابن الخطاب كان بيد الهرمزان وجفينة قبل الحادث، وقد شاهد ذلك اثنان من الصحابة وهما عبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن بن أبي بكر، ورواية عبد الرحمن بن أبي بكر تفيد أن القاتل أبا لؤلؤة كان مع هذين الشريكين يتتاجون ثلاثتهم، فلما باغتهم سقط الخنجر من بينهم، وبعد قتل عمر وجدوا أنه نفس الخنجر الذي وصفه الشاهدان<sup>(1)</sup> وبالتالي فالهرمزان وجفينة يستحقان القتل، أما ابن لؤلؤة الذي قتل نفسه ليخفي المشتركين معه، فهذه قتلت خطأ ولا يقتل فيها أحد، وقد رأى عبيد الله أنها من المشاركين في القتل؛ حيث كانت تخفي السلاح لأبيها<sup>(2)</sup>.

## 2- قتل اللصوص:

إن شبابا من شباب أهل الكوفة في ولاية الوليد بن عقبة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكأثره، فذبر بهم، فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ فقالوا له: اسكت، فإنما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة، وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم، فصاح بهم وضربوه فقتلوه، وأحاط الناس بهم فأخذوهم، وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي، وشبيل بن أبي الأزدي في عدة، فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضا من الناس، فقتله بعضهم، فكتب فيه إلى عثمان فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرحبة، وقال في ذلك عمر بن عاصم التميمي:

لا تأكلوا أبدا جيرانكم سرفا  
أهل الزعارة في ملك ابن عفان

وقال أيضا:

إن ابن عفان الذي جربتم  
فطم اللصوص بمحكم الفرقان

ما زال يعمل بالكتاب مهيمنا  
في كل عنق منهم وبنان<sup>(3)</sup>

## 3- رجل قتل تاجرا لماله:

كان ذلك في خلافة عثمان، وكانت العقوبة القتل قصاصا<sup>(4)</sup>.

## 4- عقوبة الساحر:

حدث في عهد عثمان بن عفان أن جارية لحفصة سحرتها، فاعترفت الجارية بذلك، فأمرت حفصة بها عبد الرحمن بن زيد فقتلها، فأنكر ذلك عليها عثمان، فقال ابن عمر: ما تتكر على أم المؤمنين امرأة سحرتها واعترفت، فسكت عثمان، وعثمان لم ينكر على حفصة القتل ولكنه أنكر عليها الافتئات على حق الإمام في إقامة الحدود، فإن أمر الحدود إلى الإمام، وهذا ما يدل عليه قول ابن عمر: ما تتكر على أم المؤمنين من امرأة سحر

(1) الطبقات الكبرى (355-350/3).

(2) الخلافة والخلفاء الراشدين، ص 218، 1219.

(3) تاريخ الطبري (272/5).

(4) عصر الخلافة الراشدة، ص 153.

حرتها واعترفت؛ يعني أن القضاء فيها واضح، وأن استحقاقها القتل لا تدفعه شبهة(1).

#### 5- جنائية الأعمى:

الأعمى مع قائده كالألة، يتحرك بأمره، وهو مع مُجَالسه غفل، يتحرك وهو قد يتردى في حركته أو يتضرر، فلا يتوقع أنه يتحاشا إضرار غيره بحركته وهو لا يراه، ولذلك فإنه إذا ما جنى على قائده أو من جالسه دون قصد فجنائته هدر، قال عثمان بن عفان: أيما رجل جالس أعمى فأصابه الأعمى بشيء فهو هدر(2).

#### 6- جنائية المقتتلين على بعضهما:

قد يقع شجار بين الأشخاص فيجني كل واحد من المتشاجرين على صاحبه، فإن حصل شيء من هذا فالواجب القصاص، أن هذه الجنائية عمد؛ إذ الظاهر أن كل واحد منهم ما حريص على أن ينال من صاحبه، قال عثمان بن عفان: إذا اقتتل المقتتلان فما كان بينهما من جراح فهو قصاص(3).

#### 7- الجنائية على الحيوان:

إذا وقعت الجنائية على الحيوان فالواجب فيها الضمان بالقيمة، فعن عقبة بن عامر قال: قتل رجل في خلافة عثمان بن عفان كلبا لصيد لا يعرف مثله في الكلاب، فقوّم بثمنا مائة درهم، فألزمه عثمان تلك القيمة، وأغرم رجلا ثمن كلب قتله عشرين بغير(4).

#### 8- الجنائية على الصائل:

إذا صال شخص على مال شخص آخر أو على نفسه أو على عرضه فقتله المصول عليه أثناء اعتدائه قدمه هدر، فقد روى ابن حزم في المحلى أن رجلا رأى مع امرأته رجلا فقتله، فارتفعوا إلى عثمان فأبطل دمه(5).

#### 9- استتابة المرتد وحده:

لا يقام الحد على المرتد حتى يستتاب ثلاثا، فإن أصر على رده قُتل، وحدث أن أخذ عبد الله بن مسعود بالكوفة رجلا ارتدوا عن الإسلام، وأخذوا ينشون حديث مسيلمة الكذاب، فكتب فيهم إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فكتب عثمان إليه: أن أعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن قبلها وبرئ من مسيلمة فلا تقتله، ومن لم يزم دين مسيلمة فاقتله، فقبلها رجال منهم فتركوا، ولزم دين مسيلمة رجال فقتلوا(6).

#### 10- إني قتلت فهل لي من توبة:

قال رجل لعثمان: يا أمير المؤمنين، إني قتلت فهل لي من توبة؟ فقرا عليه عثمان من أول سورة غافر: **+حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ** [غافر: 1-3] ثم قال له: اعمل ولا تيأس(7) والـ

(1) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 169، 170.

(2) المصدر نفسه، ص 99.

(3) المصدر نفسه، ص 100.

(4) موسوعة فقه عثمان، ص 102.

(2) المصدر نفسه، ص 103.

(4) سنن البيهقي (17/8).

(6) المصدر نفسه، ص 150.

جدير بالذكر أن التوبة من الآثام إذا ارتكبت في حق العباد لا بد فيها من أداء الحقوق لأصحابها أو تنازلهم عنها<sup>(1)</sup>.

### 11- حد الخمر:

المعروف أن رسول الله ﷺ قد عاقب الحر إذا شرب الخمر بأربعين جلدة، ضربه الفوم بالنع0ال وأطراف الثياب امتهاناً له، وكذلك أبو بكر، وكذلك عمر في أول خلافته، ثم لم يلبث أن زاد العقوبة بمشورة من الصحابة إلى ثمانين جلدة، لما رأى الناس يتحاقدون هذه العقوبة ولا يرتدعون بها. أما عثمان بن عفان فقد ثبت عنه أنه جلد الحر أربعين جلدة، وثبت عنه أنه جلد ثمانين جلدة، ولم يكن ذلك منه عن تشه أو هوى، ولكنه فرق بين الشاربين، فلم يعاقب من كان شربه زلة منه عقوبة من أدمن شربها، فجعل عقوبة من كان شربه لها أول مرة، وكانت من زلة أربعين جلدة، وجعل عقوبة من اعتاد شربها وم ن أدمن عليها ثمانين جلدة، وكأنه كان يجعل الأربعين الأولى حداً، والأربعين الثانية تعزيراً<sup>(2)</sup>.

### 12- إقامة الحد على أخيه من أمه الوليد بن عقبة:

عن حصين بن المنذر قال: شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد فشهد عليه رجلاً -أحدهما حرمان- أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقياً، فقال عثمان: إنه لم يتقياً حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حارها من تولى قارها<sup>(3)</sup>، فكانه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعل ي بعد، حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سدة، وهذا أحب إلي<sup>(4)</sup> ويؤخذ من هذا الحديث بأن سلف عثمان -رضي الله عنهم- نفذوا هذا الحد، وبأن للمنفذ أو المأمور أن ينيب عنه غيره. ويؤخذ منه أيضاً: قوة عثمان في الحق، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم؛ فالوليد بن عقبة بن أبي معيط أخوه لأمه<sup>(5)</sup>، وتنفيذ الأحكام الشرعية هو أحب أعمال الشرطة<sup>(6)</sup>.

### 13- سرقة الغلام:

لا يقام حد السرقة إلا إذا كان السارق بالغاً عاقلاً مختاراً عالماً بالتحريم، وقد أتى إل عثمان بغلام سرق، فقال: انظروا إلى مؤثره فنظروا فلم يجدوه أنبت، فلم يقطعه<sup>(7)</sup>.

### 14- الحبس تعزيراً:

استعار ضابي بن الحارث البرجمي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان يصيد الطباء، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار، فهاجمهم وقال في ذلك:

(1) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص93.

(2) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص93.

(3) أي: ول شدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب الحدود (216/11).

(5) ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، ص105.

(6) المصدر نفسه، ص104.

(7) صحيح التوثيق، ص77، موسوعة فقه عثمان، ص171.

تجشَّم دوني وفد قرحان خطة  
فباتوا شباعا ناعمين كأنما  
فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم  
فإن عقوق الأمهات كبير  
فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه فعزَّره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين، فاستنق  
ل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه<sup>(1)</sup>.

### 15- حد القذف بالتعريض:

كان عثمان يقيم حد القذف بالتعريض به، فقد قال رجل لآخر: (يا ابن شامة الود  
ر) -يعرض له بزنا أمه- فاستعدى عليه عثمان بن عفان، فقال الرجل: إنما عنيت كذا وك  
ذا، فأمر به عثمان فجلد الحد؛ أي حد القذف، ولم يلتفت إلى تفسير مراده مما قال<sup>(2)</sup>.  
16- عقوبة الزنا:

إذا ثبت الزنا على رجل أو امرأة وكان دُرًّا محصنًا فإنه يعاقب بالرجم بالحجارة حتى  
الموت، وقد زنت امرأة محصنة في عهد عثمان بن عفان فقضى عثمان برجمها ولم يحضر  
رجمها<sup>(3)</sup>.

### 17- التعزير بالنفي والطرْد:

بلغ عثمان أن ابن الحبكة النهدي يعالج نيرنجًا قال محمد بن سلمة: إنما نيرج أخذ  
كالسحر وليس به- فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك، فإن أقر به فأوجعه، فدعا  
به فسأله، فقال: إنما هو رفق وأمر يعجب منه، فأمر به فعزر، وأخبر الناس خبره وقرأ  
عليهم كتاب عثمان: إنه قد جد بكم، فعليكم بالجد، وإياكم والأهْزَال، فكن الناس عليه، وت  
عجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره، فغضب نففر في الذين نفروا، فضرب معهم، ف  
كتب إلى عثمان فيه، فلما سير إلى الشام من سير، سير كعب بن ذي الحبكة ومالك بن  
عبد الله -وكان دينه على دينه- إلى دنياوند، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد:  
لعمري لئن طردتني ما إلى التي طمعت بها من سقطتي لسبيل

رجوتُ رجوعي يا ابن أروى ورجعتي  
وإن اغترابي في البلاد وجفوتي  
وإن دعائي كل يوم وليلة  
إلى الحق دهرًا غال ذلك غول  
وشتمي في ذات الإله قليل  
عليك بدُّنيا وندكُم لطويل<sup>(4)</sup>

### 18- دفع الناس عن جنازة العباس:

(1) تاريخ الطبري (420/5).  
(2) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 247.  
(3) المصدر نفسه، ص 164.  
(4) تاريخ الطبري (419/5).

عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: لما أتى بجنائز العباس بن عبد المطلب إلى موضعي الجنائز تضايق الناس فتقدموا به إلى البقيع، ولقد رأيتنا يوم صلينا عليه بالبقيع، وما رأيت مثل ذلك الخروج على أحد من الناس قط، وما يستطيع أحد أن يدنو من سريره، وغلب عليه بنو هاشم، فلما انتهوا إلى اللحد ازدحموا عليه، فأرى عثمان اعتزل وبعث الشرطة يضربون الناس عن بني هاشم، حتى خلص بنو هاشم فكانوا هم الذين نزلوا في حفرته ودلوه في اللحد. (1) وهذا يدل على كثرة رجال الشرطة آنذاك، ويعتبر عثمان لدى بعض المؤرخين (2) أول من اتخذ صاحب شرطة من الخلفاء، وقد أسند هذه المهمة في المدينة إلى الصحابي الجليل المهاجر ابن قنفذ بن عمير القرشي. (3) وهذا يدل على عنايته بها، وأن صيتها قد ذاع في عهده. وفي الكوفة كان عبد الرحمن الأسدي على شرطة سعد بن العاص (والها عثمان) كما كان نصير بن عبد الرحمن على شرطة معاوية بن أبي سفيان (والي عثمان على الشام). (4)

وفي الحقيقة لا يعلم خليفة في الإسلام بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - يقيم الحدود على القريب والبعيد، والشريف والوضيع، والغني والفقير ولا يبالي، ويعطي كل ما يطلب منه من إصلاح أو حقوق كعثمان، وكفاه فخراً أن ينتمي لحكم الخلافة الراشدة (5).

## ثانياً: في العبادات والمعاملات:

### 1 - إتمام عثمان الصلاة بمنى وعرفات:

في حج عام 29 هـ صلى عثمان بالناس بمنى أربعاً، فأتى عبد الرحمن بن عوف، فقال: هل لك في أخيك قد صلى بالناس أربعاً؟ فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين، ثم خرج حتى دخل على عثمان، فقال له: ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟ قال: بلى، قال: أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين؟ قال: بلى، قال: أفلم تصل مع عمر ركعتين؟ قال: بلى، قال: ألم تصل صدراً من خلافتك ركعتين؟ قال: بلى، قال: فاسمع مني يا أبا محمد (6)، إني أخبرت أن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إن الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين، وقد اتخذت بمكة أهلاً، فرأيت أن أصلي لخوف ما أخاف على الناس، وأخرى قد اتخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال، فربما أطلعت فيه فأقمت فيه بعد الصدر، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عذر، أما قولك: اتخذت أهلاً، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وتقدم بها إذا شئت، إنما تسكن بسكنائك، وأما قولك: ولي مال بالطائف فإنك بينك وبين الطائف مسيرة ثلاثة ليال وأنت لست من أهل الطائف، وأما قولك: يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وهو مقيم، فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل، ثم أبو بكر مثل ذلك، ثم عمر، فضرب الإسلام بجرانه، فصلى لهم عمر حتى مات ركعتين، فقال عثمان: هذا رأ

(1) الطبقات (32/4).

(2) تاريخ خليفة بن خياط، ص 179.

(3) ولاية الشرطة في الإسلام، ص 105.

(4) المصدر نفسه، ص 106.

(5) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (409/1).

(6) أبو محمد كنية عبد الرحمن بن عوف.

ي رأيته، فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود فقال: أبا محمد، غير ما يعلم؟ قال: لا، قال: فما أصنع؟ قال: اعمل بما تعلم، فقال ابن مسعود: الخلاف شر، قد بلغني أنه صلى أربعا فصليت بأصحابي أربعا، فقال عبد الرحمن بن عوف: قد بلغني أنه صلى أربعا فصليت بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول (يعني تصلي معه أربعا)(1).

إن عثمان صنع ما صنع من إتمام الصلاة في منى وعرفات شفقة على ضعفاء المسكين أن يفتتوا في دينهم، فقد أبدى لفعله سببا معقولا حينما سأله عبد الرحمن بن عوف عنه وعما دعاه إليه، فلما أطلعه عثمان على وجهة نظره، أخذ عبد الرحمن بقوله وأتم الصلاة بأصحابه، وكذلك صنع عبد الله بن مسعود وغيره من جمهور الصحابة، فتابعوه ولم يخالفوه؛ لأنه إمام راشد تجب متابعتة فيما لم يخرج عن حدود الشريعة المطهرة، ولو كان فيما جاء به عثمان أدنى شبهة لمخالفة نص شرعي ما أمكن مطلقا جمهور الصحابة أن يتابعوه(2) والذي أبداه عثمان في تحاوره مع عبد الرحمن بن عوف واحتج به لرأيه معقول المعنى، ولو تأمل فيه ناظر في أسرار الدين وحكم الشريعة لرأى أن إتمام الصلاة الذي انتهى إليه رأي عثمان أرجح حينئذ من قصرها، وقد حدثت من الأمور ما لم يكن على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فخاف عثمان أن يفتن الناس في صلاتهم، ولا سيما جفاة الأعراب في مضاربهم، ومن بعدت بلادهم في أطراف الأرض، وقد لا يتصل بهم من أهل العلم من يعلمهم ويرشدهم، فأراد عثمان بما صنع حسم هذا الشر المخوف على كثير من ضعفاء المسلمين، وقد بالغ عثمان في إبعاد الشبهة عن نفسه، فقال: إنه اتخذ ذمكة أهلا، وله بالطائف مال ربما نظر إليه وأقام فيه بعد انتهاء الموسم، فيكون حينئذ مقبلا ففرضه الإتمام، وذلك منه من دقيق النظر في الدين، وفهم أسرار حكمه(3).

وقد رأى جماعة من الصحابة إتمام الصلاة في السفر، منهم: عائشة، وعثمان وسلمان، وأربعة عشر من أصحاب رسول الله ﷺ(4) فعثمان لم يوجب القصر في السفر، وإنما كان يتجه كما رآه فقهاء المدينة ومالك والشافعي وغيرهما، ثم إنها مسألة اجتهادية، ولذلك اختلف فيها العلماء؛ فقله فيها لا يوجب تكفيرا ولا تقسيقا(5) وأما قول ابن مسعود: الخلاف شر(6)، وفي رواية: إني أكره الخلاف(7)، ففيه ترشيد لنا وتذكير على استحباب الخروج من الخلاف في مسائل الاجتهاد، ويحسن بالمسلم أن يستحضرها ويحاول أن يقلل الخوض والجدال في الفروع المختلف فيها(8)؛ إذ الظروف المحيطة بنا لا تسد أعيننا على إضاعة مزيد من الوقت الثمين في الجدال والخلاف عما يجب أن نفعله لمواجهة التحديات الخطيرة(9)، كما أن في فعل ابن مسعود وابن عوف رضي الله عنهما - من الصلاة خلف عثمان بيانا لحرص الصحابة على الاجتماع والوحدة، وهذا خلق عظيم من أخلاق جيل النصر.

## 2- زاد الأذان الثاني يوم الجمعة:

- (1) تاريخ الطبري (268/5).
- (2) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص192.
- (3) كتاب الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني، ص312.
- (4) الرياض النضرة، ص566.
- (5) تاريخ الطبري (268/5).
- (6) قواعد الفقهية للندوي، ص336.
- (7) فقه الأولويات، محمد الوكيل، ص169.
- (8) الفكر الإسلامي بين المثالية والتطبيق، كامل الشريف، ص29.



قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»<sup>(1)</sup>، وهذه الزيادة من سنة الخلفاء الراشدين، ولا شك أن عثمان من الخلفاء الراشدين ورأى مصلحة أن يزداد هذا الأذان لتبنيه الناس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعة المدينة، فاجتهد في هذا ووافقه جميع الصحابة، واستمر العمل به لم يخالفه أحد حتى في زمن علي بن أبي طالب ووزمن معاوية وزمني بني أمية وبني العباس إلى يومنا هذا، فهي سنة بإجماع المسلمين<sup>(2)</sup>. ثم هو له أصل في الشرع، وهو الأذان الأول في الفجر، فقام عثمان هذا الأذان عليه<sup>(3)</sup>. لقد سن عثمان ذلك أخذاً من سنة الرسول ﷺ وأذانه الذي شرعه في الفجر قبل دخوله الوقت لينبه النائم ويستعد اليقظان ومريد الصيام، فهو مستن بسنة الرسول ﷺ وأخذ من طريقته، وقد اختلف أهل العلم: هل أوقعه قبيل دخول الوقت كما هو الحال في الأذان الأول من الفجر أم أوقعه في الوقت؟ وبميل الحافظ إلى أن وقوعه كان إعلاماً بالوقت، قال في فتح الباري: وتبين أن عثمان أحدثه لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة قياساً على بقية الصلوات فألحق الجمعة بها، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدي الخطيب، وفيه استنباط معنى من الأصل لا يبطله، وأما ما أحدث الناس قبل وقت الجمعة من الدعاء إليها والذكر والصلاة على النبي ﷺ فهو في بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولاً<sup>(4)</sup>. وأما الذين قالوا: إنه أحدث قبيل دخول الوقت، قالوا: لأن الغرض منه الإعلام بالمعنى والسعي إليها على غرار الأذان الأول في الفجر، فلو كان بعد دخول الوقت لما أدى المعنى المطلوب إلا بتأخير الجمعة بعض الشيء وهو خلاف السنة، وبه يستغنى عما أحدثه في التذكير والذكر وغيرهما مما أشار إليه الحافظ ولم ينكره إلا بقوله: (واتباع السلف الصالح أولى)<sup>(5)</sup>.

### 3- اغتساله كل يوم منذ أسلم:

كان عثمان بن عفان يغتسل كل يوم منذ أسلم<sup>(6)</sup>، وقد صلى ذات يوم الصبح بالناس وهو جنب دون أن يدري، فلما أصبح رأى في ثوبه احتلاماً، فقال: كبرت والله إنني لأرأى أني أجنب ولا أعلم، ثم أعاد الصلاة<sup>(7)</sup> ولم يعد من صلى خلفه<sup>(8)</sup>.

### 4- سجود التلاوة:

كان عثمان بن عفان يرى أن سجود التلاوة يجب على المكلف التالي للقرآن، وعلى الجالس لسماع القرآن، أما من سمعه من غير قصد فليس عليه سجود التلاوة، فقد مر بقاص فقراً القاص سجدة ليسجد معه عثمان، فقال عثمان: إنما السجود على من استمع ثم مضى ولم يسجد<sup>(9)</sup>، وقوله: على من استمع: يعني على من قصد السماع. وقال: إنما السجدة على من جلس لها<sup>(10)</sup>، وروى عن عثمان أن الحائض إذا استتمعت السجدة

(1) سنن أبي داود، كتاب السنة رقم (4607). سنن الترمذي، كتاب العلم، رقم (2676).

(2) حقه من التاريخ، عثمان الخميس، ص 88. (3) المصدر نفسه، ص 89.

(4) فتح الباري (345/4).

(5) السنة والبدعة، عبد الله باعلوي الحضرمي، ص 132، 133.

(6) فضائل الصحابة رقم (756)، إسناده حسن.

(7) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 190.

(8) المصدر نفسه، ص 192.

(9) الخلافة الراشدة والدولة الأموية، د. يحيى اليعقوبي، ص 444.

(10) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 168.

دة تومئ بها إيماء ولا تتركها، ولا تسجد لها سجود الصلاة(1).

#### 5- صلاة الجمعة في السواحل:

قال الليث بن سعد: كل مدينة أو قرية فيها جماعة أمروا بالجمعة، فإن أهل مصر وسوا حلها كانوا يجمعون الجمعة على عهد عمر وعثمان بأمرهما وفيهما رجال من الصحابة(2).

#### 6- استراحة عثمان في الخطبة:

عن قتادة أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يخطبون يوم الجمعة حتى شق القيام على عثمان فكان يخطب قائماً ثم يجلس، فلما كان معاوية خطب الأولى جالسا والأخرى قائماً(3).

#### 7- جعل القنوت قبل الركوع:

قال أنس: إن أول من جعل القنوت قبل الركوع -أي دائماً- عثمان؛ لكي يدرك الناس الركعة(4).

#### 8- أعلم الناس بأحكام الحج:

يقول محمد بن سيرين: كانوا يرون أن أعلم الناس بالمناسك عثمان بن عفان، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما(5).

#### 9- النهي عن الإحرام قبل الميقات:

لما فتح عبد الله بن عامر خراسان قال: إن هذا نصر من الله لا بد لي من أن أشكره عليه، ولأجل أن أشكر الله أن أخرج من موضعي هذا - خراسان - محرماً، فأحرم من نيسابور وخلف على خراسان الأحنف بن قيس، فلما قضى عمرته أتى عثمان، وذلك في السنة التي قتل فيها، فقال له عثمان: لقد غررت بعمرتك حين أحرمت من نيسابور(6).

#### 10- سفر المعتدة للحج والعمرة:

المعروف أن المعتدة لا تنبت إلا في بيتها، ولا تسافر إلا بعد انتهاء عدتها؛ لأن سفرها يقتضي مبيتها في غير بيتها، والحج لا يخلو من سفر، ولذلك فإن عثمان كان يرى أن المعتدة لا يلزمها الحج ما دامت في العدة، وكان يرجع المعتدة حاجة أو معتمرة من الجحفة وذو الحليفة(7).

#### 11- النهي عن متعة الحج:

نهى عثمان المتعة أو الجمع بينهما ليعمل بالأفضل لا ليبطل المتعة، ولا يخفى على عثمان ومن دونه أن من أراد الإحرام فهو مخير بين الأفراد والقران والتمتع، ولكن رأى الأفراد أفضل من الاثنين، فعن مروان بن الحكم قال: شهدت عثمان وعلياً رضي الله عنهما - وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى علي ذلك أهل

(2) فتح الباري (441/2).

(3) الخلافة الراشدة، بحبي الجبى، ص(444).

(4) المصدر نفسه، ص444، فتح الباري (569/2).

(5) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص112.

(6) سنن البيهقي (31/5)، موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص17.

(7) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص112.

بهما وقال: لبيك بعمره وحجة، وقال: ما كنت لأدع سنة النبي ✕ لقول أحد. (1) ولم ينكر عثمان على علي ذلك منه؛ لأن عليا يخشى أن يحمل غيره النهي على الإبطال والتدريم، وإنما قال: ما كنت لأدع سنة رسول الله ✕ لقول أحد، ليظهر جواز ذلك وأنها سنة ماضية، وكلاهما مجتهد مأجور. (2)

وفي الحديث من الفوائد الظاهرة: مناظرة العلماء ولالة الأمر بقصد إشاعة العلم ومناصحة المسلمين، وسعة صدر الولاة لاجتهاد العلماء في المسائل التي يتسع معها الاجتهاد، وأن المجتهد لا يجبر مجتهدا آخر باتباعه لسكوت عثمان عن علي، وفيه أن العلم يسبق القول والعمل. (3)

## 12- أكل لحم الصيد:

لا يجوز للمحرم أن يأكل من الصيد الذي صاده هو، أو صاده غيره من الحلال (4)، فعن عبد الرحمن بن حاطب أنه اعتمر مع عثمان بن عفان في ركب، فلما كان بالروحاء قدم لهم لحم طير (يعاقيب)، فقال عثمان: كلوا، وكره أن يأكل منه، فقال عمرو بن العاص: أناكل مما لست منه أكلا؟ قال عثمان: لست في ذلكم مثلكم، إنما صيدت لي، وأميتت باسمي، أو قال: من أجلي. (5) وقد تكرر ذلك من عثمان مرة أخرى، كما روى عبد الله بن عامر بن ربعة قال: رأيت عثمان بن عفان بالعرج وهو محرم في يوم صائف قد غطي وجهه بقطيفة أرجوان، ثم أتى بلحم صيد فقال لأصحابه: كلوا، فقالوا: ألا تأكل إذ نت؟ قال: إني لست كهيتنكم، إنما صيد من أجلي. (6)

## 13- كراهية الجمع بين القرابة في الزواج:

أخرج الخلال من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه، عن أبي بكر و عمر وعثمان أنهم كانوا يكرهون الجمع بين القرابة مخافة الضغائن. (7)

## 14- في الرضاعة:

روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب قال: فرق عثمان بين ناس تتأكحوا بقول امرأة سوداء أرضعتهم. (8)

## 15- في الخلع:

عن الرُّبِيع بنت معوذ قالت: كان بيني وبين ابن عمي كلام - وكان زوجها - قالت: قلت له: لك كل شيء وفارقني، قال: قد فعلت، فأخذ والله كل شيء حتى فراشي، فجئت عثمان وهو محصور فقال: الشرط أملك، خذ كل شيء حتى عقاص رأسها. (9) وفي رواية: اختلعت من زوجي بما دون عقاص رأسي، فأجاز ذلك عثمان. (10)

(1) البخاري، كتاب الحج، رقم (1563).

(2) شهيد الدار عثمان بن عفان، ص 86.

(3) شهيد الدار عثمان بن عفان، ص 86.

(4، 3) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 20.

(6) سنن البيهقي (191/5)، موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 20.

(7) الخلافة الراشدة، د. يحيى اليحيى، ص 449.

(8) الفتح (18/5).

(9) الطبقات (448/8).

(2) الخلافة الراشدة، د. يحيى اليحيى، ص 449.

## 16- يجب الإحداد على المعتدة لوفاة زوجها:

ومن الإحداد ترك الزينة، وترك المبيت في غير البيت الذي توفي فيه زوجها إلا لضرورة، ويجوز لها أن تخرج نهاراً لقضاء حاجتها، ولكنها لا تنبت في المساء إلا في بيتها<sup>(1)</sup>؛ فعن فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري أنها جاءت إلى رسول الله، فأخبرته أن زوجها خرج في طلب أعيد له، فقتلوه بطرف القدوم، فسألت رسول الله أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله **×**: نعم، قالت: فأنصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله أو أمر بي فنوديت، فقال: (كيف قلت؟) فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، قالت: فلما كان عثمان ابن عفان أرسل إليّ فسألني عن ذلك؟ فأخبرته، فاتبعه وقضى به<sup>(2)</sup> ولذلك كان عثمان يتشدد في أمر مبيت المرأة المعتدة خارج بيتها، فقد حدث أن امرأة توفي عنها زوجها زارت أهلها في عدتها، فضربها الطلق فأتوا عثمان فسألوه فقال: أحملوها إلى بيتها وهي تطلق<sup>(3)</sup>.

## 17- لا تتكحها إلا نكاح رغبة:

جاء رجل إلى عثمان في خلافته وقد ركب، فسأله فقال: إن لي إليك حاجة يا أمير المؤمنين، فقال له عثمان: إني الآن مستعجل، فإن أردت أن تترك خلفي حتى تقضي حاجتك، فركب خلفه، فقال: إن لي جاراً طلق امرأته في غضبه، ولقي شدة، فأردت أن أحتسب بنفسي ومالي فاتزوجها ثم ابنتي بها ثم أطلقها فترجع إلى زوجها الأول، فقال له عثمان: لا تتكحها إلا نكاح رغبة<sup>(4)</sup>.

## 18- طلاق السكران:

كان عثمان بن عفان يرى أن كل ما يتكلم به السكران فهو هدر، فلا تصح عقود ه، ولا فسوخته، ولا إقراره، ولا يقع طلاقه؛ لأنه لا يعي ما يقول ولا يريد ما يقول، ولا إزام لغير إرادة<sup>(5)</sup> قال عثمان: ليس لسكران ولا مجنون طلاق<sup>(6)</sup>.

## 19- هبة الوالد لولده:

إذا نحل الأب ولده نحلة، كان عليه أن يشهد على هذه الهبة، فإذا أشهد عليها اعتبر هذا الإشهاد قبضاً لها، وصح أن تبقى بعد ذلك في يد الأب، فقد ورد عن عثمان بن عفان قوله: من نحل ولداً له صغيراً لم يبلغ أن يجوز نحلة، فأعلن ذلك وأشهد عليه فهي جائزة وإن وليها أبوه<sup>(7)</sup>، وأما إذا لم يشهد ولم يسلمها للولد فهي هبة غير لازمة. قال عثمان: ما بال أقوام يعطي أحدهم ولده العطية، فإن مات ولده قال: مالي وفي يدي، وإ

(1) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 244. (4) المصدر نفسه، ص 224، الموطأ

(591/2).

(3) المصدر نفسه، ص 225. (6) المصدر نفسه، ص 81.

(5) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 53، الفتاوى (72/14).

(6) الفتاوى (61/33)، موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 53.

(7) سنن البيهقي (170/6)، موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 288.

ن مات هو قال: وهبته، لا يثبت من الهبة إلا ما حازه الولد من مال أبيه<sup>(1)</sup>.

## 20- الحجر على السفية:

كان عثمان بن عفان يرى الحجر على السفية؛ فقد حدث أن اشترى عبد الله بن جعفر أرضا بمبلغ ستين ألف دينار، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب، فقرر على أن الأرض لا تساوي هذا المبلغ من المال، وأن عبد الله بن جعفر قد غبن فيها غبنًا فاحشًا، بل إنه قد تصرف تصرفًا أخرق، وأعرب أنه سيتوجه نحو أمير المؤمنين عثمان بن عفان ليطلب منه الحجر على عبد الله بن جعفر لسفاهه وإساءته التصرف في ماله، فأسرع عبد الله بن جعفر إلى الزبير - وكان تاجرًا حاذقًا - وقال له: إني ابتعت بيعًا كذا وكذا، وإن عليا يريد أن يأتي عثمان فيسأله أن يحجر علي، فقال له الزبير: فأنا شريكك في البيع، وأتى علي عثمان بن عفان فقال له: إن ابن أخي اشترى سبعة بستانين ألفا ما يسرنى أنها لي بنعلي، فاحجره لي، وقال الزبير لعثمان: أنا شريكه في هذا البيع، فقال عثمان بن عفان لعلي بن أبي طالب: كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير؟<sup>(2)</sup> يعني: إننا لا نستطيع أن نحكم على جعفر بالسفاهة لتصرف تصرفه شريكه فيه الزبير؛ لأن الزبير لا يمكن أن يشارك في تصرف تجاري أخرق لحذقه بالتجارة<sup>(3)</sup>.

## 21- الحجر على المفلس:

كان عثمان بن عفان يرى الحجر على المفلس، وإذا حجر على مفلس اقتسم الدائنون ماله بنسبة ديونهم، لكن إن وجد بعض دائنيه سلعته التي باعه إياها بعينها عنده، جاز له أن يفسخ البيع ويأخذ سلعته<sup>(4)</sup>، فهو أحق بها من غيره<sup>(5)</sup>.

## 22- تحريم الاحتكار:

كان عثمان بن عفان يمنع الاحتكار وينهى عنه<sup>(6)</sup>، ويظهر أن عثمان بن عفان كان كسلفه عمر بن الخطاب لا يفرق في تحريم الاحتكار بين الطعام وغيره؛ لأن نهيه عن الاحتكار كان عامًا، خاصة أن ما ورد عن رسول الله في تحريم الاحتكار منه ما هو مطلق في كل شيء، ومنه ما هو مقيد عند الجمهور لعدم التعارض بينهما، بل يبقى المطلق على إطلاقه<sup>(7)</sup>.

## 23- ضوال الإبل:

روى مالك أنه سمع ابن شهاب يقول: كانت ضوال الإبل في زمن عمر بن الخطاب إبلا مرسلّة تتأجج لا يمسه أحد، حتى إذا كان زمن عثمان بن عفان أمر بتعريفها ثم تباع

(1) الفتاوى (154/31).  
(2) سنن البيهقي (661/6)، موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 119.  
(3) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 119.  
(4) سنن البيهقي (46/6).  
(5) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 119.  
(6) موطأ مالك (651/2).  
(7) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 15.

، فإذا جاء صاحبها أعطي ثمنها<sup>(1)</sup> وقد كان فعل عمر تبعاً لحديث الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال: جاء أعرابي النبي ﷺ فسأله عما يلتقطه، فقال: أعرف عفاصها ووكاءها<sup>(2)</sup>، ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها، قال: فضالة الغنم يا رسول الله؟ قال: هي لك، أو لأخيك أو للذئب، قال: فضالة الإبل؟ قال: ما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها<sup>(3)</sup>.

وقد رأى الأستاذ الحجوي أن هذا الاجتهاد من عثمان بن عفان مبني على المصلحة المرسله؛ أنه رأى الناس مدوا أيديهم إلى ضوال الإبل، فجعل راعياً يجمعها، ثم يتابع قياماً بالمصلحة العامة<sup>(4)</sup>. غير أن الأستاذ عبد السلام السليمانى، رد على هذا القول بقوله: غير أنه من الصعب التسليم بمقالة الأستاذ الحجوي على إطلاقها؛ لأن المصلحة المرسله هي التي لم ينص الشارع لا على اعتبارها ولا على إلغائها، في حين أن النبي ﷺ قد نص على حكم ضوال الإبل في الحديث المذكور أعلاه، فهي إذن مصلحة معتبرة نص عليها النبي بنفسه، فلا يصح أن يقال إن ما فعله عثمان من بيع ضوال الإبل يعد مصلحة مرسله، فالمصلحة المرسله لا تكون في مقابلة النص.

والذي يظهر لنا أن اجتهاد عثمان في هذه القضية بني على المصلحة العامة فعلاً لكنها ليست مصلحة مرسله، وأن هذه القضية من القضايا القابلة للاجتهاد، والتي يمكن أن يتغير حكمها بتغير الأزمنة والأحوال، وبالنظر إلى ما يحقق مصلحة أصحاب ضوال الإبل؛ لأن علة الحكم فيها على ما يظهر، هي المحافظة على هذه الإبل إما بأعيانها أو في شكل ثمنها وكلا الأمرين مصلحة، ولا شك أن سيدنا عثمان بصنيعة هذا كان هدفه تحقق المصلحة العامة؛ لأنه رأى أن ترك الإبل على حالها - كما كان الأمر في عهد النبي ﷺ - وإلى زمن عمر - يعرضها للضياع، بعد أن تغيرت أخلاق الناس، وأصبحوا يمدون أيديهم لـ ضوال الإبل، فرأى أن يقطع الطريق عليهم بما فعل، وهو اجتهاد سليم وحكم سديد بلا ريب<sup>(5)</sup>.

## 24- توريث المرأة المطلقة في مرض الموت:

طلق عبد الرحمن بن عوف زوجته وهو مريض فورثها عثمان منه بعد انقضاء مدة عدتها، وقد روى أن شريحاً كتب إلى عمر بن الخطاب في رجل طلق امرأته ثلاثاً وهو مريض، فأجاب عمر: أن ورثها ما دامت في عدتها، فإن انقضت عدتها فلا ميراث له. فبعد أن اتفقا على أن طلاق المريض مرض الموت لا يزيل الزوجية كسبب موجب للإرث، جعل عمر حداً لذلك وهو العدة، بينما لم يجعل عثمان حداً لذلك، وقال: ترث مطلقاً سواء مات في العدة أو بعدها، وليس في المسألة نص يرجع إليه، والباعث على الحكم هو معاملة الزوج بنقيض قصده؛ لأن الزوج بطلاقه في مرض الموت يعتبر فاراً من توريث زوجته<sup>(6)</sup>.

(1) موطأ مالك، ص 648، 649، طبعة دار الآفاق الجديدة.  
(2) العفاص: الوعاء الذي تحفظ فيه النفقة، والوكاء: الخيط الذي يربط به.  
(3) البخاري، كتاب اللقطة رقم (2427، 2428، 2429).  
(4) الفكر السامي (245/1).  
(5) 144.  
(6) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص 118. نشأة الفقه الاجتهادي، محمد السائيس، ص 27. الاجتهاد في الفقه الإسلامي، ص 142.

## 25- توريث المطلقة ما لم تنقض عدتها:

قال عثمان بن عفان: إذا مات أحد الزوجين قبل الحيضة الثالثة للمطلقة ورث الحي منهما الميت<sup>(1)</sup>، ولا يمنع التوارث بينهما طوال فترة العدة، كما إذا حاضت المعتدة حيضة أو حيضتين ثم ارتفعت حيضتها؛ فقد طلق حبان بن منقذ امرأته وهو صحيح، وهي ترضع ابنه، فمكثت سبعة عشر شهرا لا تحيض، يمنعها الرضاع أن تحيض، ثم مرض حبان بعد أن طلقها سبعة أشهر أو ثمانية، فقيل له: إن امرأتك ترضع، فقال: أحملوني إلى عثمان، فحملوه إليه، فذكر له شأن امرأته، وعنده علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، فقال لهما عثمان: ما تريان؟ فقالا: نرى أنها ترثه إن مات، ويرثها إن ماتت، فإنها ليست من لقواعد من النساء اللائي يئسن من المحيض، وليست من الأبقار اللائي لم يحضن، ثم هي على عدة حيضها ما كان من قليل أو كثير، فرجع حبان إلى أهله فأخذ ابنه، فلما فقدت الرضاع حاضت حيضة، ثم حاضت أخرى، ثم توفي حبان قبل أن تحيض الثالثة، فاعتدت عدة الوفاة وورثت زوجها حبان بن منقذ<sup>(2)</sup>.

## 26- توريث الحميل:

إذا سببت امرأة من الكفار ومعها طفل تحمله مدعية أنه ولدها، وهو ما يسمى بـ (الحميل)، فإنها لا تصدق بدعواها، ولا يجري التوارث بينها وبينه إلا إذا أقامت البينة على أنه ابنها. وقد استشار عثمان في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأبدي كل منهما رأيه، وقال عثمان آنذ: ما نرى أن نورث مال الله إلا بالبينات، وقال: لا يورث الحميل إلا ببينة<sup>(3)</sup>.

هذه بعض اجتهادات ذي النورين أثرت في المؤسسة القضائية في مجال القصاص والحدود والجنايات والتعزير، كما أنه ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه، وغزارة علمه وعمق فهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء، فهو خليفة راشد، أعماله تسترشد بها الأمة في مسيرتها الطويلة لنصرة دين الله تعالى وإعزازه.

\* \* \*

(1) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 28.  
 (2) سنن البيهقي (419/7). موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 29.  
 (3) موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص 28.

## الفصل الرابع الفتوحات في عهد عثمان بن عفان

تمهيد:

شجع خبر مقتل عمر بن الخطاب أعداء الإسلام وخصوصاً في بلاد الفرس والروم إلى الطمع في استرداد ملكهم، فبدأ يزيدج ملك الفرس يخطط في العاصمة التي يقيد فيها وهي مدينة (فرغنة) عاصمة سمرقند، وأما زعماء الروم فقد تركوا بلاد الشام واندقلوا إلى القسطنطينية العاصمة البيزنطية، وبدأوا في عهد عثمان في البحث عن الوسائل التي تمكنهم من استرداد ملكهم. وكانت بقايا جيوش الروم في مصر وقد تحصنوا بالإسكندرية في عهد عمر بن الخطاب، فطلب عمرو بن العاص منه أن يأذن بفتحها، وكانت معززتة بتحصينات كثيرة وكانت المجانيق فوق أسوارها، وكان هرقل قد عزم أن يباشر القتال بنفسه ولا يتخلف أحد من الروم؛ لأن الإسكندرية هي معقلهم الأخير.<sup>(1)</sup> وفي عصر عثمان تجمع الروم في الإسكندرية وبدأوا يبحثون عن وسيلة لاسترداد ملكهم فيها، حتى وصل بهم الأمر إلى نقض الصلح واستعانوا بقوة الروم البحرية<sup>(2)</sup>، فأمدوهم بثلاثمائة سفينة بحرية تحمل الرجال والسلاح. ولقد واجه عثمان ذلك كله بسياسة تتسم بالحسم والعزم وتمثلت في الخطة الآتية:

- 1- إخضاع المتمردين من الفرس والروم وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد.
- 2- استمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد؛ لقطع المدد عنهم.
- 3- إقامة قواعد ثابتة يربط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية.
- 4- إنشاء قوة بحرية عسكرية لافتتار الجيش الإسلامي إلى ذلك<sup>(3)</sup>.

كانت معسكرات الإسلام ومسالحه في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق الكوفة والبصرة، ومعسكر الشام في دمشق بعد أن خلص الشام كله لمعاوية بن أبي سفيان ومعسكر مصر، وكان مركزه القسطنطينية، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام ومواصلة الفتوحات، ونشر الإسلام<sup>(4)</sup>.

(1) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص 221.

(2) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 324.

(3) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص 222.

(4) عثمان بن عفان صادق عرجون، ص 199، 200.



## المبحث الأول

## فتوحات عثمان في المشرق

أولاً: فتوحات أهل الكوفة: أذربيجان 24 هـ:

كانت مغازي أهل الكوفة الري وأذربيجان، وكان يربط بها عشرة آلاف مقاتل؛ ستة آلاف بأذربيجان، وأربعة آلاف بالري، وكان جيش الكوفة العامل أربعين ألف مقاتل، يغزو كل عام منهم عشرة آلاف، فيصيب الرجل غزوة كل أربعة أعوام. ولما أخلص عثمان الكوفة للوليد ابن عقبة انتفض أهل أذربيجان، فمنعوا ما كانوا قد صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام عمر، وثاروا على واليهم عقبة بن فرقد، فأمر عثمان الوليد أن يغزوهم، فجهز لهم قائده سليم بن ربيعة الباهلي، وبعثه مقدمة أمامه في طائفة من الجند، ثم سار الوليد بعده في جماعة من الناس، فأسرع إليه أهل أذربيجان طالبين الصلح على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة، فأجا بهم الوليد وأخذ طاعتهم، وبث فيمن حولهم السرايا وشن عليهم الغارات، فبعث عبد الله بن شد بيل الأحمسي في أربعة آلاف إلى أهل موغان والبير الطيلسان، فأصاب من أموالهم وغنم وسد بي، ولكنهم تحرزوا منه فلم يفلح أحدٌ، ثم جهز سليمان الباهلي في اثني عشر ألفاً إلى أرمينية فأخضعها وعاد منها مليء بالغنائم، وانصرف الوليد بعد ذلك عائداً إلى الكوفة.<sup>(1)</sup>

ولكن أهل أذربيجان تمردوا أكثر من مرة، فكتب الأشعث بن قيس والي أذربيجان إلى الوليد بن عقبة فأمدّه بجيش من أهل الكوفة، وتتبع الأشعث الثائرين وهزمهم هزيمة منكرة، فطلبوا الصلح فصالحهم على صلحهم الأول، وخاف الأشعث أن يعيدوا الكرة فوضع حامية من العرب وجعل لهم عطايا وسجلهم في الديوان، وأمرهم بدعوة الناس إلى الإسلام. ولما تولى أمرهم سعيد بن العاص عاد أهل أذربيجان وتمردوا على والي الجند يد، فبعث إليه جرير بن عبد الله البجلي فهزمهم وقتل رئيسهم، ثم استقرت الأمور بعد أن أسلم أكثر شعبها وتعلموا القرآن الكريم. وأما الري فقد صدر أمر الخليفة عثمان إلى أبي موسى الأشعري وفي وقت ولايته على الكوفة، وأمره بتوجيه جيش إليها لتمردها، فأرسل إليها قريظة بن كعب الأنصاري فأعاد فتحها.<sup>(2)</sup>

ثانياً: مشاركة أهل الكوفة في إحباط تحركات الروم:

عندما انتهى الوليد بن عقبة من مهمته في أذربيجان وعاد إلى الموصل جاءه أمر من الخليفة عثمان نصه: (أما بعد، فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني أن الروم قد أجلبت<sup>(3)</sup> على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدة وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانين ألفاً أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيتك فيه رسولي<sup>(4)</sup>، والسد لأم). فقام الوليد في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً، ورد عليهم بلادهم التي كفرت، وفتح بلاداً لم تكن افتتحت، وردهم سالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين. وقد كتب إليّ أمير

(1) تاريخ الطبري (246/5).

(2) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص 224.

(3) أجلبت: تجمعت للحرب.

(4) (3، 4) تاريخ الطبري (247/5).

ر المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة آلاف إلى الثمانية آلاف، تمدون إخوانكم من أهل الشام، فإنهم قد جاشت عليهم الروم، وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين. فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي، فانتدب الناس، فلم يمضِ ثلاثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا وأهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي، فشنوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاءوا من سبي، وملاؤا أيديهم من المغنم، وافتتحوا بها حصونا كثيرة. (1) وفي جهاد الوليد وغزوه يقول بعض الرواة: رأيت الشعبي جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، فذكر محمد غزوة مسلمة بن عبد الملك، فقال الشعبي: كيف لو أدركتم الوليد وغزوه وإمارته؟ إن كان لي غزو فينتهي إلى كذا وكذا ما قصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل من عمله. (2).

### ثالثاً: غزوة سعيد بن العاص طبرستان 30 هـ:

غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وذاس من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه الحسن والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً ونزل أبرشهر، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً، فنزل سعيد قوميس، وهي صلح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان فصالحوه على ما أتى ألف، ثم أتى طميسة، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مرفقه، وحاصرهم، فسألوا لأمان فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سبطاً عليه قفل، فظن فيه جواهر، وبلغ سعيداً، فبعث إلى النهدي فأثاه بالسبط فكسروا قفله، فوجدوا فيه سبطاً ففتحوه فإذا فيه خرقة صفراء وفيها أيران: كميت وورد. (3) وعندما قفل سعيد إلى الكوفة، مدحه كعب بن جعبل فقال:

وإذا هبطوا من دستبي ثم أبهرا

فنعم الفتى إذا جال جيلان دونه

إذا هبطت أشفت من أن تُعقرا

تعلم سعيد الخير أن مطيتي

تحرّد من ليث العرين وأصدراً

كأنك يوم الشعب لا يث خفية

ثمانين ألفاً دارعين وحُدراً (4)

تسوس الذي ما ساس قبلك واحد

### رابعاً: هروب ملك الفرس (يزدجرد) إلى خراسان:

قدم ابن عامر البصرة ثم خرج إلى فارس فاقتحمها، وهرب يزيدجرد من وجوز هو

(2) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 201.

(3) تاريخ الطبري (270/5).

(4) المصدر نفسه (271/5).

ي أردشير خرة- في سنة ثلاثين، فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي، فاتبه إلى كرمان، فنزل مجاشع السيرجان بالعسكر، وهرب يزديجرد إلى خراسان<sup>(1)</sup>.

### خامساً: مقتل يزديجرد ملك الفرس 31 هـ:

اختلف في سبب ذكر قتله كيف كان، قال ابن إسحاق: هرب يزديجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالا فمنعوه وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه، وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر لأرجاء<sup>(2)</sup> على شط المرغاب<sup>(3)</sup> فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله<sup>(4)</sup> وجاء في رواية عند الطبري: بل سار يزديجرد من كرمان قبل ورود العرب إليها، فأخذ على طريق الطبسين وقهمستان، حتى شارف مرو في زهاء أربعة آلاف رجل، ليجمع من أهل خراسان جموعاً، ويكر إلى العرب ويقاتلهم، فنلقاه قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمرو، يقال لأحدهما براز والآخر سنجان، ومنحاه الطاعة، وأقام بمرو، وخص براز فحسده ذلك سنجان، وجعل براز يبغى سنجان الغوائل، ويوغل صدر يزديجرد عليه، وسعى سنجان حتى عزم على قتله، وأقضى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز وإطافها، فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يزديجرد على قتل سنجان، وفشا ما كان عزم عليه يزديجرد من ذلك، فنذر<sup>(5)</sup> سنجان وأخذ حذره، وجمع جمعا كنعو أصحاب براز، ومن كان مع يزديجرد من الجند، وتوجه نحو القصر الذي كان يزديجرد نازله، وبلغ ذلك براز، فنكص عن سنجان لكثرة جموعه، ورعب جمع سنجان يزديجرد وأخافه، فخرج من قصره متنكراً، ومضى على وجهه راجلاً لينجو بنفسه، فمشى نحو من فرسخين حتى وقع إلى رجا فدخل بيت الرجا فجلس فيه كالآل<sup>(6)</sup> لغبا<sup>(7)</sup>، فرآه صاحب الرجا ذات هيئة وطرة وبركة كريمة، ففرش له، فجلس وأتاه بطعام قطع، ومكث عنده يوماً وليلة، فسأله صاحب الرجا أن يأمل له بشيء فيبذل له منطقته مكللة بجوهر كانت عليه، فأبى صاحب الرجا أن يقبلها، وقال: إنما كان يرضيني من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب، فأخبره أنه لا ورق معه، فتملقه صاحب الرجا حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله، واحتز رأسه وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقه، وألقى جيفته في النهر الذي كان تدور بمائه رجا وبقر بطنه، وأدخل فيه أصولاً من أصول طرفاء<sup>(8)</sup> كانت نابتة في ذلك النهر لتجس جثته في الموضع الذي ألقاه فيه، فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله، وما أخذ من سلبه، وهرب على وجهه<sup>(9)</sup> وجاء في رواية: وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته، وأخذوا ما كان مع كسرى، ووضعوا كسرى في تابوت وحملوه إلى اصطخر<sup>(10)</sup>.

وقد ذكر الطبري حديثين مطولين، وأحدهما أطول من الآخر يتضمن ضرباً من الاضطرابات تقلب فيها، وأنواعاً من الدوائر دارت عليه حتى كانت منيته آخرها<sup>(11)</sup>. وقد

- (1) المصدر نفسه (288/5).
- (2) الأرجاء: جمع رجا: الطاحون.
- (3) تاريخ الطبري (295/5).
- (4) نذر: علم.
- (5) لغبا: متعباً أشد التعب.
- (6) طرفاء: شجر.
- (7) خلافة عثمان، للسلمي، ص 57.
- (8) تاريخ الطبري (297/5).
- (9) الاكتفاء، للكلاعي (417/4).
- (10) (2) تاريخ الطبري (297/5).

قال يزديجرد لمن أراد قتله في بعض الروايات ألا يقتلوه وقال لهم: ويحكم، إنا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني واثبتوا بي إلى الدهقان، أو سرحوني إلى العرب فإنهم يستحيون مثلي من الملوك. (1) وكان ملك يزديجرد عشرين سنة منها أربعة سنين في دعة، وباقي ذلك هاربا من بلد إلى آخر، خوفا من الإسلام وأهله، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق. (2) فسبحان ذي العظمة والملوكوت، الملك الحق الحي الدائم الذي لا يموت، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون. (3) وقد قال رسول الله ﷺ في ملوك الفرس والروم: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله». (4)

سادساً: تعاطف النصاري مع يزديجرد بعد مقتله:

بلغ قتل يزديجرد رجلا من أهل الأهواز كان مطرانا على مرو يقال له إيلياء، فجمع من كان قبله من النصاري، وقال لهم: إن ملك الفرس قد قتل، وهو ابن شهريار بن كسرى، وإنما شهريار ولد شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها من غير وجه، ولهذا الملك عنصر في النصرانية مع ما نال النصاري في ملك جده كسرى من الشرف. وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير، حتى بنى لهم بعض البديع، وسدد لهم بعض ملتهم، فينبغي لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجدته شيرين إلى النصاري، وقد رأيت أن أبني له ناووسا (5)، وأحمل جثته في كرامة حتى أواربها فيه، فقال النصاري: أمرنا لأمرك أيها المطران تبع، ونحن لك على رأيك هذا مواطنون، فأمر المطران فبنى في جوف بستان المطارنة بمرور ناووسا، ومضى بنفسه ومعه نصاري مرو حتى استخرج جثة يزديجرد من النهر وكفنها، وجعلها في تابوت، وحمله من كان معه من النصاري على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذي أمر ببنائه له وواروه فيه، وودموا بابه (6).

سابعاً: فتوحات عبد الله بن عامر 31 هـ:

في هذه السنة 31 هـ شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان ففتح أبرشهر وطوس وبيورد ونسا حتى بلغ سرخس، وصالح فيها أهل مرو. وقد جاء في رواية عن السكن بن قتادة العرني قال: فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة، واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر، فدخل علي ابن عامر رجل من بني تميم كنا نقول: إنه الأحنف -ويقال: أوس بن جابر الجشمي جُذِمَ تميم- فقال له: إن عدوك منك هارب، وهو لك هائب، والبلاد واسعة، فسدر فإن الله ناصرك ومعز دينه، فتهزأ ابن عامر، وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زيادا، وسار إلى كرمان، ثم أخذ إلى خراسان؛ فقوم يقولون: أخذ طريق أصبهان، ثم سار إلى خراسان، واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي، وأخذ ابن عامر على مفازة وابر، وهي

(1) المصدر نفسه (418/4)، تاريخ الطبري (302/5).

(2) خلافة عثمان، د. السلمي، ص 57.

(3) الاكتفاء للكلاعي (419/4).

(4) مسلم في الفتن، رقم (2918)، (2919).

(5) الناووس: حجر منقور تجعل فيه جثة الميت.

(6) تاريخ الطبري (304/5).

ثمانون فرسخاً، ثم سار إلى الطَّبَّسِين يريد أبرشهر، وهي مدينة نيسابور، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس، فأخذ إلى قُهستان، وخرج إلى أبرشهر فلقية الهباطلة، وهم أهل هراة، فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور. (1)

وجاء في رواية: نزل ابن عامر على أبرشهر فغلب على نصفها عنوة، وكان النصف الآخر في يد كناري، ونصف نساوطوس، فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو، ف صالح كناري، فأعطاه ابنه أبا الصلت ابن كناري وابن أخيه سليماً رهناً. ووجه عبد الله بن خازم إلى هراة، وحاتم بن النعمان إلى مرو، وأخذ ابن عامر ابني كناري، فصار إلى النعمان بن الأقيم النصرى فأعتقهما (2)، وفتح ابن عامر ما حول مدينة أبرشهر، كطوس وبيورد، ونسا وحرمان، حتى انتهى إلى سرخس، وسرح ابن عامر الأسود بن كلثوم الع دوي -عدى الرباب- إلى بيهق وهو من أبرشهر، بينهما وبين أبرشهر ستة عشر فرسخاً، ففتحها وقتل الأسود بن كلثوم، وكان فاضلاً في دينه، وكان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبري. وكان عامر يقول بعدما أخرج من البصرة: ما آسى من العراق على شيء إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين، وإخوان مثل الأسود بن كلثوم. (3) واستطاع ابن عامر أن يتغلب على نيسابور، وخرج إلى سرخس، فأرسل إلى أهل مرو يطلب الصلح، فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي، فصالح براز مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف. (4)

### ثامناً: غزوة الباب وبلنجر سنة 32هـ:

كتب عثمان بن عفان إلى سعيد بن العاص: أن اغزُ سلمان الباب، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: أن الرعية قد أبطرو كثيراً منهم البطنة، فقصر، ولا تقتحم بالمسلمين، فإني خاشع أن يبتلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصر عن بلنجر، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات (5)، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتوه أو قتلوه، فأسرعوا في الناس (6)، ثم إن الترك اتعدوا يوماً فخرج أهل بلنجر، وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا، فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة (وكان يقال له ذو النورين)، وانهزم المسلمون فتفرقوا، فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج من الباب، وأما من أخذ طريق الخزرج وبلادها فإنه خرج على جيلان وجرجان وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه في سبط فبقى في أيديهم، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستصرون به. (7)

### 1- مقتل يزيد بن معاوية: غزا أهل الكوفة بلنجر سنين من إمارة عثمان لم تَرم (8)

فيهن امرأة، ولم ييتم فيهن صبي من قتل، حتى كان سنة تسع من خلافة عثمان قبل المزا حفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أن غزالا جيء به إلى خبائه لم يرَ غزالاً أحسن منه

(1) المصدر نفسه (305/5).

(2) المصدر نفسه (306/5).

(3) تاريخ الطبري (307/5).

(4) المصدر نفسه (307/5).

(5) العرادة: آلة حربية كالمنجنيق، ترمي بالحجارة المرمى البعيد لدك الحصون.

(6) تاريخ الطبري (308/5).

(7) المصدر نفسه (309/5).

(8) لم تتم امرأة: لم تقعد زوجها.

حتى لف في ملحفته، ثم أتى به قبر عليه أربعة نفر لم يرقبوا أشد استواء منه ولا أحسن منه حتى دفن فيه، فلما تقادى الناس على الترك رمى يزيد بحجر، فهشم رأسه، فكأنما ز ين ثوبه بالدماء زينة، وليس بتلطخ، فكان ذلك الغزال الذي رأى (1) وكان يزيد رقيقاً جم يلا رحمه الله، وبلغ ذلك عثمان فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، انتكث أهل الكوفة، اللهم ت ب عليهم وأقبل بهم. (2)

**2- ما أحسن حمرة الدماء في بياضك:** كان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه أبيض: ما أحسن حمرة الدماء في بياضك، فأصيب عند الالتحام مع العدو بجراحة، فرأى قباءه كما انتهى وقتل. (3)

**3- ما أحسن لمع الدماء على الثياب:** كان القرشع يقول: ما أحسن لمع الدماء على الثياب، فلما كان يوم المزاخرة قاتل القرشع حتى خُرِّقَ بالحرايب، فكأنما كان قباؤه ثوبا أرضه بياضاً ووشيه أحمر، وما زال الناس ثبوتاً حتى أصيب، وكانت هزيمة الناس مع مقتله. (4)

**4- إن هؤلاء يموتون كما تموتون:** كان الترك في تلك المعركة قد اختفوا في الغياض (5)، وكانوا قد خافوا المسلمين واعتقدوا أن السلاح لا يعمل فيهم، واتفق أن تركياً اخ تقى في غيضة ورشق مسلماً بسهم فقتله، فنادى في قومه إن هؤلاء يموتون، فلم تخافوه م؟ فاجترأ الترك على المسلمين وخرجوا عليهم من مكانهم وأوقعوا بهم، واشتد القتال فثب ت عبد الرحمن حتى استشهد. (6)

**5- صبراً آل سلمان:** جاء في رواية أخرى: حين استشهد عبد الرحمن، أخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة الباهلي وقاتل بها، ونادى مناد: (صبرا آل سلمان)، فقال سلمان: أ و ترى جزعا، وخرج سلمان ومعه أبو هريرة الدوسي على جيلان (7) فقطعوها إلى جرج ان (8) منسحبا من معركة خاسرة (9)، بعد أن دفن أخاه عبد الرحمن بنواحي بلنجر (10)، وب هذا الانسحاب أنقذ سلمان بقية باقية من جيش أخيه (11).

وقد رجح هذه الرواية محمود شيت خطاب وقال: إن الانسحاب أشبه بقتال المسلمين يومئذ، وذلك في حالة اشتداد الضغط عليهم من العدو وتكبيدهم خسائر فادحة بالأرواح، والانسحاب هو من أجل الانحياز إلى فئة من المسلمين، ليعيدوا الكرة ثانية على عدوهم. وقد جاء سلمان بن ربيعة مدداً لعبد الرحمن بأمر عثمان بن عفان، فليس من المعقول أن يبقى ومدده في (الباب)، وليس من المعقول أن يتركه أخوه عبد الرحمن هناك وهو يخو ض معركة قاسية شرسة، يكون فيها القائد بأمس الحاجة إلى الجندي الواحد، فكيف يتر

(1) تاريخ الطبري (310/5). الذي رأى: أي في نومه.

(2) المصدر نفسه (311/5).

(3، 4) المصدر نفسه (310/5).

(5) الغياض: جمع غيضة، وهي المواضع التي يكثر فيه الشجر ويلتف.

(6) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، محمود خطاب، ص 151.

(7) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان.

(8) جرجان: مدينة مشهورة عظمة بين طبرستان وخراسان.

(9) تاريخ الطبري (309/5)، قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 151.

(10) معجم البلدان (278/2).

(11) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 151.

ك عبد الرحمن جيشاً كاملاً على رأسه أخوه دون أن يستفيد منه في المعركة؟

إن المؤرخين القدامى كانوا يستعملون تعبير (الهزيمة) وهم يريدون بها تعبير الانسحاب؛ ذلك لأن أكثرهم مدنيون لا يفرقون بين هذين التعبيرين، (الهزيمة) وهي ترك ساحة القتال بدون نظام ولا قيادة فهي كارثة، و(الانسحاب) وهو ترك ساحة القتال وفق خطة مرسومة بقيادة واحدة، فهو -أي الانسحاب- صفحة من صفحات القتال، الهدف منه عادة الكرة على العدو بعد إكمال متطلبات المعركة عدداً وعدداً، وعسى ألا يقع المؤرخون المحدثون في مثل هذا الخطأ في التعبير، فلا يفرقون بين (الهزيمة) و(الانسحاب)؛ لأن الفرق بين التعبيرين شاسع بعيد<sup>(1)</sup>.

### تاسعاً: أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام 32 هـ:

لما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة، فتنازع حبيب وسلمان على الإمارة، وقال أهل الشام: لقد هممنا بضرب سلمان، فقال في ذلك الناس: إذن والله نضرب حبيباً ونحبسه، وإن أبيتم كثرت القتلى فيكم وفينا، حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس بن مغراء:

إن تضربوا سلمان نضرب حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان ذرّحل

وإن تقسطوا فالنعر نعر أميرنا وهذا أمير في الكتائب مقبل

ونحن ولادة النعر كنا دُمّاته ليالي نرمي كل نعر وننكل<sup>(2)</sup>

وتغلب المسلمون على الفتنة بتوفيق الله ثم بوجود أمثال حذيفة بن اليمان، الذي كان على الغزو بأهل الكوفة، فقد غزا ذلك النعر ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة<sup>(3)</sup>.

### عاشرًا: فتوحات ابن عامر سنة 32 هـ:

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ، والطارقان والفارياب، والجوزجان، وطخارستان؛ فبعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مرو روذ فحصر أهلها، فخرجوا إليهم فقاتلوه، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم فأشرفوا عليه، قال: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى، ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه، فأمهلونا نذّظر يومنا، وارجعوا إلى عسكركم، فرجع الأحنف، فلما أصبح غاداهم وقد أعدوا له الدرب، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة، فقال: إني رسول فأمّونني، فأمنوه، فإذا رسول من مرزبان مرو ابن أخيه وترجمانه، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب، قال: فإذا هو إلى أمير الجيش، إنا نحمد الله الذي بيده الدول، يغير ما شاء من المملك، ويرفع من شاء بعد الذلة، ويضع من شاء بعد الرفعة، إنه دعاني إلى مصالحتك ومواعتك ما كان من إسلام جدي، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة، فمرحبا

(1) المصدر نفسه، ص 152، 153.

(2) تاريخ الطبري (311/5)، البداية والنهاية (166/7).

(3) تاريخ الطبري (311/5).



بكم وأبشروا، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا، على أن أؤدي إليكم خراجا ستين ألف درهم، وأن تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحبة التي أكلت الناس، وقطعت السبيل من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج، ولا تخرج المرزبة<sup>(1)</sup> من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك.

فكتب إليه الأحنف: بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذ ان مرزبان مرو رود ومن معه من الأساورة والأعاجم، سلام على من اتبع الهدى، وأما ن واقى، أما بعد: فإن ابن أخيك ماهك قدم عليّ، فنصح لك جهده، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواء، وقد أجبتك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدي على أكرتك<sup>(2)</sup> وفلاحيك والأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبينا لما كان من قتله الحبة التي أفسدت الأرض وقطعت السبيل، والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده، وإن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة، إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك، جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين وذمم آبائهم، شهد على ما في هذا الكتاب جزء بن معاوية، أو معاوية بن جزء السعدي، وحمزة بن الهرماس، وحميد بن الخيار المازنيان، وعياض بن ورقاء الأسدي، وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر المحرم، وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس، ونقش خاتم الأحنف نعبد الله<sup>(3)</sup>.

### حادي عشر: القتال بين جيش الأحنف وأهل طخارستان والجوزجان والطارقان والفارياب:

صالح ابن عامر أهل مرو، وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مرو رود، وجمع له أهل طخارستان، وأهل الجوزجان والطارقان والفارياب، فكانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفا، وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له، فاستشار الناس فاختلّفوا فبين قائل: نرجع إلى مرو، وقائل: نرجع إلى أبرشهر، وقائل: نقيم نستمد، وقائل: نلقاهم فنناجزهم، فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديث الناس، فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة<sup>(4)</sup>، أو يعجن، وهم يتحدثون ويذكرون العدو، فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح، حتى يلقي القوم حديث لقيهم، فإنه أربح لهم فيناجزهم، فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم، أتأمرونه أن يلقي حد العدو مصحرا في بلادهم، فيلقى جمعا كثيرا بعدد قلوب، فإن جالوا جولة اصطلمونا<sup>(5)</sup>، ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل، فيجمع ل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره، فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه

(1) المرزبة: الرئاسة عند العجم، والمرزبان: الرئيس المقدم فيهم.

(2) الأكرة: جمع أكار: الحراث.

(3) تاريخ الطبري (316/5).

(4) الخزيرة: الحساء من الدسم والدقيق.

(5) اصطلم: اقتلعه من أصله.



، فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال فضرب عسكره، وأقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه، فقال: إني أكره أن أستتصر بالمشركون، فأقيموا على ما أعطيناكم وجعلنا بيننا وبينكم، فإن ظفرونا فنحن على ما جعلنا لكم وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم، فوافق المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون فناهضوهم، فقاتلوهم وصد بر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن جؤيئة الأعرجي:

أحقُّ من لم يكره المنية  
حزورٌ (1) ليس له ذرية (2)

وجاء في رواية: فقاتلهم حتى ذهب عامة الليل ثم هزمهم الله، فقاتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف. وكان مرزبان مرو وروذ قد تربص بحمل ما كانوا صالحوه عليه، لينظر ما يكون من أمرهم، فلما ظفر بالأحنف سرح رجلين إلى المرزبان، وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه، ففعلا، فعلم أنهم لم يصنعوا ذلك به إلا وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه (3)، وبعث الأحنف الأقرع بن حابس فبي جريدة خيل (4) إلى الجوزجان حيث بقية كانت بقيت من الزحوف الذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم فجال المسلمون جولة فقتل فرسان من فرسانهم، ثم أظفر الله المسلمين بهم فمزموهم وقتلوهم، فقال كُثير النهشلي:

سقى مزناً السحاب إذا استهلَّت (5)  
مصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رُسْتاق دُوط  
أقادم هناك الأقرعان (6)

### ثاني عشر: صلح الأحنف مع أهل بلخ 32 هـ:

سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصروهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألف، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمه، وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خارزم فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه: ما تشاءون؟ فقالوا: قد قال عمر بن معد يكره:

إذا لم تستطع أمراً فدعه  
وجاوزه إلى ما تستطيع

فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، وكان وافق وهو يحبهم. المهرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودرهم ومئات وثياب، فقال ابن عم الأحنف: هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا: لا، ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطفه به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المهرجان، قال: ما أدري ما هذا؟ وإني لأكره أن أرده ولعله من حقي، ولكن أقبضه وأعزله حتى أذظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: أتى به الأمير، فحملة إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبضه يا أبا بحر، فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمه إليك يا مسمار، فضمه القرشي وكان مضاً

(1) الحزور: الغلام القوي.

(2, 3) تاريخ الطبري (317/5).

(4) جريدة الخيل: كتيبة الخيل التي لا رجالة فيها.

(5) استهلَّت السحابة: أمطرت واشتد مطرها.

(6) تاريخ الطبري (318/5).

مأ. (1)

ثالث عشر: لأجلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا:

ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر: ما فتح على أحد ما قد فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان، قال: لا جرم، لأجلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا، فأحرم بعمره من نيسابور، فلما قدم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس<sup>(2)</sup>.

رابع عشر: هزيمة قارن في خراسان.

لما رجع ابن عامر من الغزو استخلف قيس بن الهيثم على خراسان، فأقبل قارن في جمع من الترك، أربعين ألفاً، فالتقاه عبد الله بن خازم السلمي في أربعة آلاف، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل، وأمر كلا منهم أن يجعل على رأس رمحه ناراً، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم، فناوشتهم المقدمة، فاشتغلوا بهم وأقبل عبد الله بن خازم به من معه من المسلمين فأحاطوا بهم، فولى المشركون مدبرين، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاعوا وقتل قارن فيمن قتل، وغنموا سبياً كثيراً، وأموالا جزيلة، ثم بعث عبد الله بن خازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي عنه وأقره على خراسان، وذلك أنه كان قد احتال على الوالي السابق قيس بن الهيثم السلمي حتى أخرجه من خراسان، ثم تولى حرب قارن، فلما هزمه وغنم عسكره، رضي عليه ابن عامر، وأقره على ولاية خراسان<sup>(3)</sup>.

وهكذا تصدى الخليفة الراشد عثمان لحركات التمرد في المشرق، وواصل فتوحاته، ولم تفت تلك الثورات في عضد المسلمين، ولم تنل من عزم الخليفة الذي كان كُفْئاً لها؛ حيث واجهها بالعزم والرأي والسرعة في تصريف الأمور، وتسيير النجدة، وإسناد كل عمل إلى من يحسنه كما يظهر من تتبع الأحداث في تاريخ الطبري وابن كثير والكلاعي، بما لا يدع شكاً في أن اختيار عثمان للقادة الذين قاموا بهذه الانتصارات وتطويق هذه القلائل كان اختياراً موفقاً، مع العلم أن أعباء الجهاد كانت أشق وأكبر وأحوج إلى التوجيه؛ لامتداد خطوط القتال، وتعدد الفتن، وتباعد المسافات بين البلدان.

إن علاج تلك المعضلات التي فاجأت عثمان بعد ولايته، وتصدى لها بالعزم والساد والسرعة والحيطة والأناة لدليل على قوة شخصيته ونفاذ بصيرته، وكان له بعد ذلك أكبر الفضل بعد الله- في تثبيت مهابة الدولة بعدما أصابها من الوهن والتخلخل عند مقتل عمر، وكانت ثمرات تلك الوقفات الرائعة:

أ- إخضاع المتمردين وإعادة سلطة المسلمين عليهم.

ب- ازدياد الفتوحات الإسلامية إلى ما وراء البلاد المتمردة؛ منعا لارتداد الهاربين إليها، وانبعاث الفتن والدسائس من قبلها.

ج- اتخاذ المسلمين قواعد ثابتة يربط فيها المسلمون لحماية البلاد التي خضعت للمسلمين

(1) تاريخ الطبري (319/5).

(2) البداية والنهاية (167/7)، تاريخ الطبري (319/5).

(3) البداية والنهاية (167/7).

ن.

فهل كانت تلك الفتوحات العظيمة والسياسة الحكيمة والضبط للأقاليم يمكن أن تتحقق لو كان عثمان ضعيفا غير قادر على اتخاذ القرار<sup>(1)</sup>، كما يزعم من وقع وتورط في روايات الرفض والتشيع والاستشراق، ومن سار على نهجهم السقيم؟!.

### خامس عشر: من قادة فتح بلاد المشرق في عهد عثمان: الأحنف بن قيس:

كانت الفتوحات في عهد عثمان عظيمة، فرأيت من المناسب أن نسلط الأضواء على بعض قادة الفتوح في عهد عثمان، وبما أنني تحدثت عن فتوح المشرق، فلا بد إذن من إعطاء صورة مشرقة عن أحد قادة تلك الفتوح، فاخترت الأحنف بن قيس.

### 1- نسبه وأهله:

هو أبو بحر، الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة التميمي<sup>(2)</sup>، واسمه الضحاك وقيل: صخر.<sup>(3)</sup> وأمه حبة بنت عمرو بن قُرط الباهلية<sup>(4)</sup>، كان أخوها الأخطل بن قرط من الشجعان، وقد قال الأحنف مفاخرا بخاله هذا: ومن له خال مثل خالي؟<sup>(5)</sup>

### 2- حياته:

كان من سادات التابعين وأكابرهم، وسيدا مطاعا في قومه<sup>(6)</sup>، وسيد أهل البصرة<sup>(7)</sup>، وكان موضع ثقة الناس جميعا بمختلف طبقاتهم وأهوائهم وميولهم، وكان أحد الحكماء والدهاء العقلاء<sup>(8)</sup>، ذا دين وذكاء وفصاحة<sup>(9)</sup>، وكان سيد قومه موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم، يضرب بحلمه المثل، وقد قال فيه الشاعر:

إذا الأبصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابة منه خشوعا<sup>(10)</sup>

وقال عنه خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه.<sup>(11)</sup> وإليك بعض صفاته التي أثرت فيمن حوله:

### أ- حلمه:

كان الأحنف حليما يضرب بحلمه المثل، سئل عن الحلم: ما هو؟ فقال: الذل مع الصبر. وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه: إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور، ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري<sup>(12)</sup>؛ لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه، فأتى القاتل مكتوفا يقاد إليه، فقال: ذعرت الفتى، ثم أقبل على الفتى فقال: بئس ما فعلت، نقصت عددك وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت لقومك، خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول

(1) تحقيق مواقف الصحابة (408/1، 409).

(2) جمهرة أنساب العرب، ص 217، طبقات ابن سعد (95/7).

(3، 3) قادة فتح السند وأفغانستان، محمود خطاب، ص 285.

(5) جمهرة أنساب العرب، ص 212.

(6) قادة فتح السند وأفغانستان، ص 285.

(7) الإصباة (103/1)، أسد الغابة (55/1).

(8، 8، 9) قادة فتح السند وأفغانستان، ص 304.

(11) تهذيب ابن عساكر (13/7).

(12) الاستيعاب (1294/3).

ديته فإنها غريبة، ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه.<sup>(1)</sup> وقال رجل لـ لأحنف: علمني الحلم يا أبا بحر، فقال: هو الذل يا ابن أخي، أفتصبر عليه؟ وقال: لست حلوما ولكنني أتحالم.<sup>(2)</sup> ومن أخبار حلمه، أن رجلا شتمه فسكت عنه، وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه، ما يمنعه من أن يرد علي إلا هواني ع نده.<sup>(3)</sup> وكان يقول: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورب غيظ قد تجرعت مخافة م لا هو أشد منه.<sup>(4)</sup> ولكن حلمه كان حلم القوي القدير لا حلم العاجز الضعيف، فقد قاتل في بعض المواطن قتالا شديدا، فقال له رجل: يا أبا بحر أين الحلم؟ فقال: عند الحي.<sup>(5)</sup>

### ب- عقله:

كان الأحنف عاقلا راجح العقل، قال مرة: من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع: من كان له دين يحجزه، وحسب يصونه، وعقل يرشده، وحياء يمنعه.<sup>(6)</sup> وقال: العقل خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير رفيق.<sup>(7)</sup> وقال: ما ذكر ت أحدا بسوء بعد أن يقوم من عندي. وكان يقول إذا ذكر عنده رجل: دعوه يأكل رزقه ويأتي عليه أجله.<sup>(8)</sup> وشكا ابن أخيه وجع الضرس فقال: ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ما ذكرت لها أحد.<sup>(9)</sup> وقال: ما نازعني أحد فوقي إلا عرفت له قدره، ولا كان دوني إلا رفع ت قدري عنه، ولا كان مثلي إلا تفضلت عليه.<sup>(10)</sup>

### ج- علمه:

كان عالما ثقة مأمونا، قليل الحديث، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري.<sup>(11)</sup> وروى عنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما.<sup>(12)</sup> وقد كان من الفقهاء البارزين أيام معاوية.

### د- حكمته:

كان حكيما ينطق بالحكمة والموعظة الحسنة، سئل عن المروءة، فقال: التقى والاحتـ مال، ثم أطرق ساعة وقال:

وإذا جميل الوجه لم  
يأتِ الجميل فما حماله؟  
ما خير أخلاق الفتى  
إلا تقاه واحتماله

وسئل عن المروءة فقال: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وبر الوالدين، والحد لم عند الغضب، والعفو عند المقدرة.<sup>(13)</sup> وقال: رأس الأدب آلة المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل، ولا منظر إلا بمخبر، و

- (1) وفيات الأعيان (188/2).
- (2) 3، 4) قادة فتح السند وأفغانستان، ص306.
- (5) المصدر نفسه، ص306، يعني بها: تركته في الدار.
- (6) المصدر نفسه، ص306.
- (8) المصدر نفسه (21/7).
- (10) قادة فتح السند وأفغانستان، ص307.
- (11) طبقات ابن سعد (93/7).
- (12) قادة فتح السند وأفغانستان، ص308.
- (13) قادة فتح السند وأفغانستان، ص308.
- (7) تهذيب ابن عساكر (19/7).
- (9) المصدر نفسه (16/7).

لا في مال إلا بجد، ولا في صديق إلا بوفاء، ولا في فقه إلا بورع، ولا في صدقة إلا بنية.<sup>(1)</sup>

وقال: أحي المعروف بإماتة ذكره.<sup>(2)</sup> وقال: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئاً عرف به.<sup>(3)</sup> وقال: جنبوا مجلسنا الطعام والنساء؛ فإنني لأبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه، وإن المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيهِ.<sup>(4)</sup>

وقال: السؤدد مع السواد. يريد: من لم يطر له اسم على السنة العامة بالسؤدد لم ينفعه ما طار له في الخاصة.<sup>(5)</sup>

### هـ - بلاغته:

كان فصيحاً مفوهاً<sup>(6)</sup>، خطب مرة فقال: بعد حمد الله والثناء عليه: يا معشر الأزديين، أنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الصهر، وأشقاؤنا في النسب، وجيراننا في الدار، ويدنا على العدو، والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام، فإن استشرف شنان حسد صدوركم، ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولا لكم.<sup>(7)</sup>

لقد كان حاضر البديهة قوي الحجة منطقياً، جاء الأحنف إلى قوم يتكلمون في دم فقا ل: احكموا، فقالوا: نحكم بديتين، فقال: ذلك لكم، فلما سكتوا قال: أنا أعطيك ما سألتكم، غ ير أنني قاتل لكم شيئاً: إن الله -عز وجل- قضى بدية واحدة، وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة، وأنتم اليوم طالبون، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين، فلا يرضى الناس منكم إلا بمث ل ما سننتم لأنفسكم، فقالوا: نردها دية واحدة.<sup>(8)</sup>

وسمع الأحنف رجلاً يقول: ما أبالي أمدحت أم ذممت، فقال له: لقد استرحت من حيث تعب الكرام.<sup>(9)</sup>

### و- إيثاره:

كان الأحنف يحب لغيره ما يحبه لنفسه، بل كان يؤثر غيره على نفسه بالخير والمعروف، ويرضى نفسه الرضية المطمئنة إلى ما أصاب غيره بجهده من خير، فعندما جاء الأحنف إلى عمر في المدينة، عرض أمير المؤمنين عليه جائزة، فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما قطعنا الفلوات ودأبنا الروحات والعشيات للجوائز، وما حاجتي إلا حاجة من خ لفي، فزاده ذلك عند عمر خيراً.<sup>(10)</sup>

### ز- أمانته:

كان الأحنف أميناً غاية الأمانة، وقد مر بنا عندما استعمل ابن عمه على أهل بلخ، و قد قبض ابن عمه ما صالحوه عليه من أنية الذهب والفضة ودنانير ودرهم ومتاع وثياب، فقال ابن عمه لهم: هذا ما صالحناكم عليه؟ فقالوا: لا، ولكن هذا شيء نضعه في هذا الـ

(1) تهذيب ابن عساکر (19/7، 20).

(2) البداية والنهاية (331/7).

(3) وفيات الأعيان، لابن خلكان (187/2).

(4) وفيات الأعيان (188/2).

(5، 7، 8) قادة فتح السند وأفغانستان، ص 309.

(3) تهذيب ابن عساکر (12/7).

(2، 8) وفيات الأعيان (188/2).

يوم بمن ولينا نستعطف به، قال: وما هذا اليوم؟ فقالوا: المهرجان. (1) فقال: ما أدري ما هذا، وإني لأكره أن أردده ولعله من حقي، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: أتني به الأمير، فحمله لي عبد الله ابن عامر فأخبره عنه، فقال: أقبضه يا أبا بحر فهو لك، فقال الأحنف: لا حاجة لي فيه. (2) لقد كان يتخرج حتى من الهدايا، وكان يكتفي بسهمه من الغنائم. (3)

### ح- أناته:

كان الأحنف شديد الأناة، لا يقدم على عمل إلا بعد أن يحسب له ألف حساب. قيل لـ ه: يا أبا بحر، إن فيك أناة شديدة، فقال: قد عرفت من نفسي عجلة في أمور ثلاثة: في صلاتي إذا حضرت حتى أصليها، وجنازتي إذا حضرت حتى أغيبها في حفرتها، وابنتي إذا خطبها كفيئها حتى أزوجه. (4)

### ط ورعه:

كان الأحنف مؤمناً ورعاً قوياً بالإيمان، فقد سارع إلى اعتناق الإسلام أول ما بلغته الدعوة الإسلامية، وأسلم قومه بإشارته (5)، وبسط حمايته القوية الأمانة على الدعاة الأولي ن (6)، وثبت على عقيدته عندما ارتد أكثر قومه وأكثر العرب بعد وفاة النبي ﷺ، وجاهد للدفاع عنها ونشرها حق الجهاد، وأبلى في ذلك أعظم البلاء. قال الحسن البصري عنه: ما رأيت شريف قوم أفضل منه. (7) قال الأحنف: حبسني عمر بن الخطاب عنده بالمدينة سنة، يأتيني كل يوم وليلة فلا يأتيه عني إلا ما يحب. (8) فكتب عمر بعد نجاح الأحنف في الاختبار العمري -وما أصعبه وأدقه من اختبار- معه كتباً إلى الأمير علي البصرة يقول ل: الأحنف سيد أهل البصرة. (9) وكتب إلى موسى الأشعري أن يشاور الأحنف ويسمع منه، (10) وقال له عمر بعد أن حبسه حولاً عنده: يا أحنف، قد بلوتك وخبرتك، فلم أر إلا خيراً، ورأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك. (11)

لقد كان الأحنف رجلاً صالحاً كثير الصلاة بالليل، وكان يسرج المصباح ويصلي ويدي بكي حتى الصباح، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول لنفسه: إذا لم تصبر على المصباح، فكيف تصبر على النار الكبرى. (12) وقيل له: إنك تكثر الصوم وإن ذلك يرق المعدة، فقال: إني أعدة لسفر طويل. (13) واستعمل الأحنف على (خراسان) فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة، فلم يوقظ أحداً من غلمانه ولا جنده، وانطلق يطلب الماء، فأثب على شوط وشجر حتى سالت قدماه دمماً، فوجد الثلج فكسره واغتسل. (14) وكان قلماً ذا لاء إلا دعا بالمصحف، وكان النظر في المصاحف خلقاً في الأولين. (15) وكان في دعائه:

(1) المهرجان: أحد أعياد الفرس. (5) تاريخ الطبري (319/5).

(3) قادة فتح السند وأفغانستان، محمود خطاب، ص 313.

(4) طبقات ابن سعد (96/7).

(5) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي (78/1).

(6) قادة فتح السند وأفغانستان، ص 314. (4) البداية والنهاية (331/7).

(7) تهذيب ابن عساکر (12/7). (6، 8) قادة فتح السند وأفغانستان، ص 314.

(11) طبقات ابن سعد (94/7). (9) البداية والنهاية (331/7).

(13) طبقات ابن سعد (94/7)، قادة فتح السند وأفغانستان، ص 315.

(14) طبقات ابن سعد (94/7).

(15) طبقات ابن سعد، (95/7).

اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذلك، وإن تعذبني فأنا أهل ذلك<sup>(1)</sup> ومن دعائه: اللهم هب لي يقيناً تهون به عليّ مصيبات الدنيا<sup>(2)</sup> ومرت به جنازة فقال: رحم الله من أجهد نفسه لمثّل هذا اليوم<sup>(3)</sup> وكان يقول: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر<sup>(4)</sup>.

هذه بعض صفات شخصية الأحنف، استحوذ بها على ثقة الناس به وحبهم وتقديرهم له، وهذه الصفات تجعل من يتحلى بها شخصية قوية نافذة يندر وجودها بين الناس في كل زمان ومكان، وقلما يوجد بها الدهر إلا نادراً<sup>(5)</sup>.

لقد كان الأحنف من قادة الفتوحات في عهد عثمان ، وقد تميز في قيادته لحبوش الفتح لبلاد المشرق بقدرته على إعداد الخطط الصحيحة الناجحة، وإعطاء القرارات السريعة الصائبة، كما كان لشجاعته الشخصية وإقدامه أثر كبير في وضع تلك الخطط والقرارات في حيز التنفيذ، لقد كان يبذل قصارى جهده في إعداد خططه العسكرية وإعطاء ذوي الرأي، بل يتجول سرّاً في الليل بين عامة رجاله يسمع أحاديثهم، فإذا وجد رأياً سليماً يبذره فيما بينهم سارع إلى العمل به، لا يهمه أن يأخذ الحكمة من أي وعاء، وقد كان هذا القائد الميداني في عهد عثمان يقاتل عدوه بسيفه وعقله معاً؛ فقد كان على جانب عظيم من الشجاعة والإقدام، حتى إنه كان يستأثر بالخطر دون رجاله، ويؤثرهم بالراحة والأمن، كما كان على جانب عظيم من الدهاء، فيوفر بدهائه على قواته كثيراً من الجهد والمشقات<sup>(6)</sup>.

لقد كان الأحنف رجلاً في أمة، وأمة في رجل، إنه سيد أهل المشرق المسمى بغير اسم، كما كان يقول عنه عمر بن الخطاب<sup>(7)</sup>.

لقد أطنبت في الحديث عن الأحنف لأنه من ضمن قادة الفتوح في عهد عثمان، وممن أسهم في صناعة الحياة في عصر الخليفة الراشد الثالث الذي وجهت إليه سهامهم الكاذبة في ولاته وقادة حربه.

(1) قادة فتح السند وأفغانستان، ص315، ترجمة الأحنف لخصتها من هذا الكتاب القيم مع الرجوع لبعض المصادر.

(2، 4) تهذيب ابن عساكر (16/7).

(5) البداية والنهاية (331/7).

(7) المصدر نفسه، ص320.

(5) قادة فتح السند وأفغانستان، ص316.

(7) المصدر نفسه، ص322.

## المبحث الثاني

### الفتوحات في الشام

أولاً: فتوحات حبيب بن مسلمة الفهري:

مر بنا أن الروم أجلبت على المسلمين بالشام بجموع عظيمة أول خلافة عثمان، فكتب عثمان إلى الوليد بن عقبة بالكوفة أن يمد إخوانه بالشام، فأمدهم بثمانية آلاف عليهم سد لمان ابن ربيعة الباهلي، فظفر المسلمون بعدوهم بعد أن غزوه في أرض الروم فأسروا منهم وغنموا. وكان تحالف الروم والترك قد تجمع لملاقاة المسلمين الذين غزوا أرمينية من الشام، وكان على المسلمين حبيب بن مسلمة وكان صاحب كيد لعدوه، فأجمع أن يبيت قائدهم الموريان، أي يباغته ليلاً، فسمعت امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبيبة يذكر ذلك، فقالت: فأين موعذك؟ قال: سرادق الموريان أو الجنة.. ثم بيتهم فغلبهم، وأتى سرادق الموريان فوجد امرأته قد سبقته إليه<sup>(1)</sup> وواصل حبيب جهاده وانتصاراته المتوالية في أرضي أرمينية وأذربيجان، ففتحها إما صلحا أو عنوة<sup>(2)</sup>.

لقد كان حبيب بن مسلمة الفهري من أبرز القادة الذين حاربوا في أرمينية البيزنطية؛ فقد أباد جيوشاً بأكملها للعدو، وفتح حصونا ومدناً كثيرة<sup>(3)</sup> كما غزا ما يلي ثغور الجزيرة العرابة من أرض الروم فافتتح عدة حصون هناك، مثل شمشاط ومطية وغيرهما، وفي سنة 25 هـ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة، وواصل قائده قيس بن الحر العبسي الغزو في الصيف التالي، ولما فرغ هدم بعض الحصون القريبة من أنطاكية كي لا يفيد منها الروم<sup>(4)</sup>.

ثانياً: أول من أجاز الغزو البحري عثمان بن عفان:

كان معاوية بن أبي سفيان وهو أمير الشام يلح على عمر بن الخطاب في غزو البحر، ويصف له قرب الروم من حمص ويقول: إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، حتى كان ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تتازعني إليه، فكتب إليه عمرو: إنني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق، فلما قرأ عمر بن الخطاب كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً، وتالله لمسلم أحب إليّ مما حوت الروم، فأياك أن تعرض لي، وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في ذلك<sup>(5)</sup>. ولكن الفكرة لم تبرز في فوس معاوية، وقد رأى في الروم ما رأى، فطمع في بلادهم وفي فتحها، فلما تولى الخلافة عثمان عاود معاوية الحديث وألح به على عثمان، فرد عليه عثمان قائلاً: (إنني قد شهدت ما رد عليك عمر -رحمه الله- حين استأذنته في غزو البحر)، ثم كتب إليه معاوية

(1) تاريخ الطبري (248/5)

(2) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين، ص 252.

(3) حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل، ص 577.

(4) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 253.

(5) تاريخ الطبري (258/5).



مرة أخرى يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص فكتب إليه: (فإن ركبت معك امرأتك فاركبه مأدونا وإلا فلا). (1) كما اشترط عليه الخليفة عثمان أيضا بقوله: (لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه). (2) فلما قرأ معاوية كتاب عثمان نشط لركوب البحر إلى قبرص، فكتب لأهل السواحل يأمرهم بإصلاح المراكب وتقريبها إلى ساحل حصن عكا، فقد رمه ليكون ركوب المسلمين منه إلى قبرص (3).

### ثالثاً: غزوة قبرص:

أعد معاوية المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتخذ ميناء عكا مكانا للإقلاع، وكانت المراكب كثيرة وحمل معه زوجه فاختة بنت قرظة، كذلك حمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان معه في تلك الغزوة (4).

وأم حرام هذه هي صاحبة القصة المشهورة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته، ثم جلست تقلي من رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله، يركبون هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة» قالت: فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ في سبيل الله» كما قال في الأولى، قالت: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «أنت من الأولين» فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت (5).

ورغم أن معاوية لم يجبر الناس على الخروج، فقد خرج معه جيش عظيم من المسلمين (6)، مما يدل على أن المسلمين قد هانت في أعينهم الدنيا بما فيها، فأصبحوا لا يعبأون بها بالرغم من أنها قد فتحت عليهم أبوابها، فصاروا يرفلون في نعيمها.

إن المسلمين قد تربوا على أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الله اصطفاهم لنصرة دينه وإقامة العدل ونشر الفضيلة، والعمل على إظهار دين الله على كل ما عداه، وهم يعتقدون أن هذه المهمة هي رسالتهم الحقيقية، وأن الجهاد في سبيل الله هو سبيل الحصول على مرضاة الله، فإن هم قصروا في مهمتهم وقعدوا عن أداء واجبهم فيمسك الله عنهم نصرة في الدنيا، ويحرمهم مرضاته في الآخرة، وذلك هو الخسران المبين. من أجل هذا هرعوا مع معاوية وتسابقوا إلى السفن يركبونها، ولعل حديث أم حرام قد ألم بخواطرهم فدفعهم إلى الخروج للغزو في سبيل الله تصديقا لحديث رسول الله ﷺ، وكان ذلك بعد انتهاء فصل الشتاء في سنة ثمان وعشرين من الهجرة (649م) (7).

(1) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، د. سليمان بن صالح (538/2).

(2) تاريخ الطبري (260/5).

(3) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (538/2).

(4) البداية والنهاية (159/7).

(5) البخاري، رقم: 2877.

(6) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، ص 356.

(7) المصدر نفسه، ص 356.

وسار المسلمون من الشام وركبوا من ميناء عكا متوجهين إلى قبرص، ونزل المسلمون إلى الساحل، تقدمت أم حرام لتركب دابتها، فنفرت الدابة وألقت أم حرام على الأرض فاندقت عنقها فماتت<sup>(1)</sup>. وترك المسلمون أم حرام بعد دفنها في أرض الجزيرة عنوانا على مدى التضحيات التي قدمها المسلمون في سبيل نشر دينهم، وعرف قبرها هناك بقبر المرأة الصالحة<sup>(2)</sup>.

واجتمع معاوية بأصحابه وكان فيهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن الصامت، ووائل بن الأسقع، وعبد الله بن بشر المازني، وشداد ابن أوس بن ثابت، والمقداد بن الأسود، وكعب الحبر بن ماته، وجبير بن نفير، والحضرمي<sup>(3)</sup>، وتشاوروا فيما بينهم وأرسلوا إلى أهل قبرص يخبرونهم أنهم لم يغزوهم لاستيلاء على جزيرتهم<sup>(4)</sup>، ولكن أرادوا دعوتهم لدين الله ثم تأمين حدود الدولة الإسلامية بالشام؛ وذلك لأن البيزنطيين كانوا يتخذون من قبرص محطة يستريحون فيها إذا غزوا ويتمنون منها إذا قل زادهم، وهي بهذه المثابة تهدد بلاد الشام الواقعة تحت رحمتها، فإذا لم يطمئن المسلمون على مسالمة هذه الجزيرة لهم وخضوعها لإرادتهم فإن وجودها كذلك سيظل شوكة في ظهورهم وسهما مسددا في حدودهم، ولكن سكان الجزيرة لم يستسلموا للغزاة ولم يفتحوا لهم بلادهم، بل تحصنوا في العاصمة ولم يخرجوا لمواجهة المسلمين، وكان أهل الجزيرة ينتظرون تقدم الروم للدفاع عنهم، وصدهم هجوم المسلمين عليها<sup>(5)</sup>.

#### رابعاً: الاستسلام وطلب الصلح:

تقدم المسلمون إلى عاصمة قبرص (قسنطينا) وحاصروها، وما هي إلا ساعات حتى طلب الناس الصلح، وأجابهم المسلمون إلى الصلح، وقدموا للمسلمين شروطاً واشترط عليهم المسلمون شروطاً، وأما شرط أهل قبرص فكان في طلبهم ألا يشترط عليهم المسلمون شروطاً تورطهم مع الروم؛ لأنهم لا قبل لهم بهم، ولا قدرة لهم على قتالهم، وأما شروط المسلمين:

- 1- ألا يدافع المسلمون عن الجزيرة إذا هاجم سكانها محاربون.
- 2- أن يدل سكان الجزيرة المسلمين على تحركات عدوهم من الروم.
- 3- أن يدفع سكان الجزيرة للمسلمين سبعة آلاف ومائتي دينار في كل عام.
- 4- ألا يساعدوا الروم إذا حاولوا غزو بلاد المسلمين، ولا يطلعوهم على أسرارهم<sup>(6)</sup>.

وعاد المسلمون إلى بلاد الشام، وأثبتت هذه الحملة قدرة المسلمين على خوض غمار المعارك البحرية بجدارة، وأعطت المسلمون فرصة المران على الدخول في معارك من هذا النوع مع العدو المتربص بهم سواء بالهجوم على بلاد الشام أم على

(1) البداية والنهاية (159/7).  
(2) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 357.  
(3) المصدر نفسه، ص 357.  
(4) المصدر نفسه، ص 357.  
(5) المصدر نفسه، ص 357.  
(6) تاريخ الطبري (261/5).

الإسكندرية (1).

## خامساً: عبد الله بن قيس قائد الأسطول الإسلامي في الشام:

استعمل معاوية بن أبي سفيان على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة ، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ، وكما ن يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده ، وألا يبتليه بمصائب أحد منهم ، ففعل ، حتى إذا أرا د أن يصيبه وحده خرج في قاربه طليعة ، فانتهى إلى المرفأ من أرض الروم ، وعليه سد ؤال يعترؤن (2) بذلك المكان ، فتصدق عليهم ، فرجعت امرأة من السؤل إلى قريتها ، فقا لت للرجال : هل لكم في عبد الله بن قيس ؟ قالوا : وأين هو ؟ قالت : في المرفأ ، قالوا : أي ع دوة الله ، ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس ؟ فوبختهم وقالت : أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد ، فثاروا إليه ، فهجموا عليه ، فقاتلوه وقاتلهم ، فأصيب وحده ، وأفلت الملاح د تى أتى أصحابه فجاجوا حتى أرقوا ، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي ، فخرج فقاتل هم ، فضجر وجعل يعيب بأصحابه ويشتمهم ، فقالت جارية عبد الله : واعبد الله ، ما هكذا ان يقول حين يقاتل ، فقال سفيان : وكيف كان يقول ؟ قالت : الغمرات ثم ينجلينا ، فترك ما كان يقول ولزم : الغمرات ثم ينجلينا ، وأصيب في المسلمين يومئذ وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسي (3) ، وقيل لتلك المرأة التي استشارت الروم على عبد الله بن قيس : كي ف عرفته ؟ قالت : كان كالتاجر ، فلما سألته أعطاني كالملك ، فعرفت أنه عبد الله بن قيس (4).

وهكذا حينما أراد الله تعالى أن يمن بالشهادة على هذا القائد العظيم أتحت له وهو ف ي وضع لا يضر بسمعة المسلمين البحرية ؛ حيث كان وحده يتطلع ويراقب الأعداء ، فكا نت تلك الكائنة الغريبة التي أبصرت غورها تلك المرأة الذكية من نساء تلك البلاد ؛ حيث رأَت ذلك الرجل يظهر في مظاهره الخارجية بمظهر التجار العاديين ، ولكنه يعطي عطا ء الملوك ، فلقد رأَت فيه أمارات السيادة مع بساطة مظهره ، فعرفت أنه قائد المسلمين الذ ي دوخ المحاربين في تلك البلاد ، وهكذا كانت سماعة ذلك القائد وسخاؤه البارز حتى م ع غير المسلمين سببا في كشف أمره ، ومعرفة مركزه ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، فيت م بذلك الهجوم عليه وظفره بالشهادة.

وهكذا يضرب قادة المسلمين المثل العليا بأنفسهم لتتم الإنجازات الكبرى على أيديهم ، وليكونوا قدوة صالحة لمن يخلفهم ؛ فقد قام هذا القائد الملهم بمهمة الاستطلاع بنفسه ول م بكل الأمر إلى جنوده ، وفي انفراده بهذه المهمة مظنة للتورط مع الأعداء والهلاك على أيديهم ، ولكنه مع ذلك يغامر بنفسه فيتولى هذه المهمة ، ثم نجده يتخلق بأخلاق الإسلام ال علينا حتى مع نساء الأعداء وضعفتهم ، فيمد إليهم يد الحنان والعطف ، ويسخو لهم بالمال ا لذي هو من أعز ما يملك الناس ، ونجده قبل ذلك مع جنده رفيقا صبوراً ، لا معنفا ولا مس تكبرا ، وإذا ادلهمت الخطوب تقاعل بانكشاف الغمة ولم يلجأ إلى لوم أصحابه وتعنيفهم ، ولم يهيمن عليه الارتباك الذي يفسد العمل ، ويعجل بالخلل والفوضى ، وأما خليفته سفيان

(1) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص 358 ، 359.

(2) يعترضون : يعترضون للناس دون أن يسألوهم.

(3) تاريخ الطبري (260/5).

(4) المصدر نفسه (260/5).

الأزدي فلعله وقع فيما وقع فيه من الارتباك والاشتغال بطرح اللائمة على جنده لكونه حديث العهد بأمور القيادة، ولكن مما يحفظ له أنه لما نبهته جارية عبد الله بن قيس إلى ذلك الأسلوب الحكيم الذي كان أميره ينتهجه في القيادة سارع في التأسّي به في ذلك، ولم يحمّله التكبر على عدم سماع كلمة الحق وإن صدرت من جارية مغمورة. وهذا مثل من أمثلة التجرد من هوى النفس، هذا الخلق العظيم الذي كان غالباً في الجيل الأول، وبه تم إنجاز الفتوحات العظيمة ونجاح الولاة والقادة في إدارة الأمة، فلهذا در أبناء ذلك الجيل: ما أبلغ ذكرهم، وما أبعد غورهم، وما أعظم وطأتهم في الأرض على الجبارين، وما أعذب لمساتهم في الأرض على المستضعفين والمساكين.<sup>(1)</sup>

#### سادساً: القبارصة ينقضون الصلح:

في سنة اثنتين وثلاثين هجرية، وقع سكان قبرص تحت ضغط رومي عنيف أجبرهم على إمداد جيش الروم بالسفن ليغزوا بها بلاد المسلمين، وبذلك يكون القبرصيون قد أدخلوا بشروط الصلح، وعلم معاوية بخيانة أهل قبرص فعزم على الاستيلاء على الجزيرة ووضعها تحت سلطان المسلمين، فقد هاجم المسلمون الجزيرة هجوماً عنيفاً فقتلوا وأسروا وسلبوا؛ هجم عليها جيش معاوية من جهة وعبد الله بن سعد من الجانب الآخر، فقتلوا خلقاً كثيراً، وسبوا سبياً كثيراً وغنموا ما لا جزيلا.<sup>(2)</sup> وتحت ضغط القوات الإسلامية اضطر حاكم قبرص أن يستسلم للفاثين ويلتمس منهم الصلح، فأقرهم معاوية على صلحهم الأول.<sup>(3)</sup> وخشى معاوية أن يتركهم هذه المرة بغير جيش يربط في الجزيرة فيحميها من غارات الأعداء ويضبط الأمن فيها حتى لا تنمرد على المسلمين، فبعث إليهم اثني عشر ألفاً من الجنود، ونقل إليهم جماعة من بعلبك، وبنى هناك مدينة، وأقام فيها مسجداً، وأجرى معاوية على الجنود أرزاقهم. وظل الحال على ذلك، الجزيرة هادئة والمسلمون آمنون من هجمات الروم المفاجئة، ولاحظ المسلمون أن أهل قبرص ليس فيهم قدرات عسكرية، وهم مستضعفون أمام من يغزوهم، وأحس المسلمون أن الروم يغلبونهم على أمرهم ويسخرونهم لمصالحهم فأروا أن من حقهم عليهم أن يحموهم من ظلم الروم، وأن يمنعوهم من تسلط البيزنطيين، وقال إسماعيل بن عياش: أهل قبرص أذلاء مقهورون يغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم، فقد يحق علينا أن نمنعهم ونحميهم.<sup>(4)</sup>

#### سابعاً: ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه:

وقد جاء في سياق هذه الغزوة المذكورة خبر أبي الدرداء حينما نظر إلى سبي الأعداء فبكى، ثم قال: ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه. فانظر إلى هؤلاء القوم بين ما هم ظاهرون قاهرون لمن ناوهم، فلما تركوا أمر الله -عز وجل- وعصوه صاروا إلى ما ترى.<sup>(5)</sup> وجاء في رواية: فقال له جببر بن نفيير: أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة، وقال:

(1) التاريخ الإسلامي (402/12).

(2) جولة تاريخية، ص 359، 360.

(3) البلاذري، ص 158.

(4) جولة تاريخية، ص 361.

(5) التاريخ الإسلامي (396/12).

ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره!!<sup>(1)</sup>

إن ما تقوه به أبو الدرداء يعتبر مثلاً للبصيرة النافذة والفقه في أمر الله تعالى، فهذا لصحابي الجليل يبكي حسرة على هؤلاء الذين أعمى الله بصائرهم، فلم ينقادوا لدعوة الحق فباعوا بهذا المصير المؤلم؛ حيث تحولوا من الملك والعزة إلى الاستسلام والذلة لا صرارهم على لزوم الباطل والتكبر على الخضوع لدعوة الحق، ولو أنهم عقلوا وتدبروا لكان في دخولهم في الإسلام بقاء ملكهم وعمران ديارهم والظفر بحماية دولة الإسلام، وإن هذا التفكير العميق من أبي الدرداء مظهر من مظاهر الرحمة والعطف تفتحت عنه نفسه الزكية، فتشكل ذلك في الظاهر على هيئة دموع تتحدر من عيني هذا الرجل العظيم، ليعبر عما يجول في نفسه من نظرات الحنان والرحمة والأسى على مصير تلك الأمة التي اجتمع لها البقاء على الضلال والمآل السيئ بزوال الملك والوقوع في الذل والهوان، وإنه بقدر ما يفرح المسلم بدخول الناس في الإسلام فإنه يحزن من رؤية الكافرين وهم يعيشون في ضلال مع إدراكه ما ينتظرهم من العذاب الأليم المؤبد في الآخرة، فكيف إذا أضيف إلى ذلك وقوعهم في الأسر والتشرد وتعرضهم للقتل في الحياة الدنيا؟<sup>(2)</sup>

**ثامناً: عبادة بن الصامت يقسم غنائم قيرص:**

قال عبادة بن الصامت لمعاوية رضي الله عنهما: شهدت رسول الله ﷺ في غزوة حنين والناس يكلمونه في الغنائم، فأخذ وبرة من بعير وقال: «**ما لي مما أفاء الله عليكم من هذه الغنائم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم**»، فاتق الله يا معاوية واقسم الغنائم على وجهها، ولا تعط منها أحداً أكثر من حقه، فقال له معاوية: قد وليتك قسمة الغنائم، وليس أحد بالشام أفضل منك ولا أعلم، فاقسمها بين أهلها واتق الله فيها. فقسمها عبادة بين أهلها وأعانه أبو الدرداء وأبو أمامة<sup>(3)</sup>.

\*\*\*

(1) البداية والنهاية (159/7)  
(2) التاريخ الإسلامي (397/12).  
(3) الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد، الشهير بالمحب الطبري، ص 561.

## المبحث الثالث

### فتوحات الجبهة المصرية

#### أولاً: ردع المتمردين في الإسكندرية:

كبر على الروم خروج الإسكندرية من أيديهم، وظلوا يتحينون الفرص لإعادتها إلى حوزتهم، فراحوا يحرضون من بالإسكندرية من الروم على التمرد والخروج على سلطان المسلمين؛ ذلك لأن الروم كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون الاستقرار في بلادهم بعد خروج الإسكندرية من ملكهم.<sup>(1)</sup> وصادف تحريض الروم لأهل الإسكندرية هوى في نفوس سكانها فاستجابوا للدعوة، وكتبوا إلى قسطنطين بن هرقل يخبرونه بقلّة عدد المسلمين وينبشون له ما يعيش فيه الروم بالإسكندرية من الذل والهوان.<sup>(2)</sup> وكان عثمان قد عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وفي أثناء ذلك وصل منويل الخصي قائد قوات الروم إلى الإسكندرية لإعادتها وتخليصها من يد المسلمين، ومعه قوات هائلة يحملهم في ثلاثمائة مركب مشحونة بكل ما يلزم هذه القوات من السلاح والعتاد.<sup>(3)</sup>

علم أهل مصر بأن قوات الروم قد وصلت إلى الإسكندرية، فكتبوا إلى عثمان يلتمس من إعادة عمرو بن العاص ليوأجله القوات الغازية فإنه أعرف بحربهم، وله هيبة في نفوسهم، فاستجاب الخليفة لطلب المصريين، وأبقى ابن العاص أميراً على مصر<sup>(4)</sup>، ونهب منويل وجيشه الإسكندرية وغادروها بعد أن تركوها قاعاً صفصفاً، ليعيثوا فيما حولها من القرى ظمناً وفساداً، وأمهّلهم عمرو بن العاص ليمعنوا في الإفساد وليشعر المصريون بالفرق الهائل بين حكامهم من المسلمين وحكامهم من الروم، ولتمتلئ قلوب المصريين على الروم حقداً وغضباً فلا يكون لهم من حبهم والعطف عليهم أدنى حظ، وخرج منويل بجيشه من الإسكندرية يقصد مصر السفلى دون أن يخرج إليهم عمرو أو يقاومهم أحد، وتخوف بعض أصحابه، وعمرو كان له رأي آخر، فقد كان يرى أن يتركهم يقصدونه، ولا شك أنهم سينهبون أموال المصريين، وسيرتكبون من الحماقات في حقهم ما يملأ قلوبهم حقداً عليهم وغضباً منهم، فإذا نهض المسلمون لمواجهة عاونهم المصريون على التخلص منهم، وحدد عمرو سياسته هذه بقوله: «دعهم يسيروا إليّ، فإنهم يصيبون من مروا به، فيخزي بعضهم ببعض».<sup>(5)</sup> وقد صدق حدس عمرو، وأمعن الروم في إفسادهم ونهبهم وسلبهم، وضج المصريون من فعالهم، وأخذوا يتطلعون إلى من يخلصهم من شر هؤلاء الغزاة المفسدين.<sup>(6)</sup>

وصل منويل إلى نقيوس، واستعد عمرو للقائه وعباً جنده، وسار بهم نحو عدوه الشرس، وتقابل الجيشان عند حصن نقيوس على شاطئ نهر النيل، واستبسل الفريقان أيما استبسال، وصبر كل فريق صبراً أمام خصمه مما زاد الحرب ضراوة واشتعالاً، ودفع بالقائد عمرو إلى أن يمعن في صفوف العدو، ويقدم فرسه بين فرسانهم، ويشهر سيفه بين سيوفهم، ويقطع بـ

(1) الكامل لابن الأثير.

(2، 3، 4) جولة تاريخية، ص 335.

(5) جولة تاريخية ص 336، عثمان بن عفان، لهيكل، ص 67.

(6) المصدر نفسه، ص 336. (3) المصدر نفسه، ص 338.

ه هجمات الرجال وأعناق الأبطال، وأصاب فرسه سهم فقتله، فترجل عمرو وانضم إلى صفوف المشاة، وراه المسلمون فأقبلوا على الحرب بقلوب كقلوب الأسود لا يهابون ولا يخافون قعقة السيوف.<sup>(1)</sup> وأمام ضربات المسلمين وهنت عزائم الروم وخارت قواهم، فانهزموا أمام الأبطال الذين يريدون إحدى الحسينيين، وقصد الروم في فرارهم الإسكندرية لعلهم يجدون في حصونهم المنيعة وأسوارها الشاهقة ما يوارى عنهم شبح الموت الذي يلاحقهم<sup>(2)</sup>.

وخرج المصريون بعد أن رأوا هزيمة الروم يصلحون للمسلمين ما أفسده العدو الهارب من الطرق، ويقيمون لهم ما دمره من الجسور، وأظهر المصريون فرحتهم بانتصار المسلمين على العدو الذي انتهك حرمتهم واعتدى على أموالهم وممتلكاتهم، وقدموا للمسلمين ما ينقصهم من السلاح والمؤونة<sup>(3)</sup>.

ولما وصل عمرو الإسكندرية ضرب عليهم الحصار ونصب عليها المجانيق وظل ي ضرب أسوار الإسكندرية حتى أوهنها، وألح عليها بالضرب حتى ضعف أهلها وتصدعت أسوارها وفتحت المدينة الحصينة أبوابها، ودخل المسلمون الإسكندرية وأعملوا سيوفهم في الروم يقتلون المقاتلين، ويأسرون النساء والذرية، وهرب من نجا من الموت لاجئاً إلى السفن ليفروا بها عائدين من حيث أتوا، وكان منويل في عداد القتلى، ولم يكف المسلمون عن القتل والسبي حتى أمر عمرو بذلك لما توسط المسلمون المدينة، ولما لم يكف من هناك من يقاوم أو يتصدى لهم.<sup>(4)</sup> ولما فرغ المسلمون أمر عمرو ببناء مسجد في المكان الذي أوقف فيه القتال وسماه مسجد الرحمة.<sup>(5)</sup>

وعادت إلى العاصمة العتيقة طمأنينتها، وعادت السكينة إلى قلوب المصريين فيها، فرجع إليها من كان قد فر منها أمام الزحف الرومي الرهيب، وعاد بنيامين بطريرك القبط إلى الإسكندرية بعد أن فر مع الفارين، وأخذ يرجو عمرو ألا يسيء معاملته القبط لأنه لم ينقضوا عهدهم ولم يتخلوا عن واجبهم، ورجاه كذلك ألا يعقد صلحاً مع الروم، وأن يدفنه إذا مات في كنيسة يحسن<sup>(6)</sup>.

وجاء المصريون من كل حذب وصوب إلى عمرو يشكرونه على تخليصهم من ظلم الروم، ويطلبون منه إعادة ما نهبوا من أموالهم ودوابهم معلنين ولأعدهم وطاعتهم، فقالوا: إن الروم قد أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة، فطلب منهم عمرو أن يقيموا البيئة على ما ادعوا، ومن أقام بيئة وعرف من له بعينه رده<sup>(7)</sup> عليه، وهدم عمرو سور الإسكندرية، وكان ذلك في سنة 25 هـ. وأصبحت الإسكندرية آمنة من جهاتها كلها رغم هدم سورها، فقد كان شرقيها في قبضة المسلمين وكذلك جنوبها، وأما غربيها فقد أمنة عمرو بن العاص بفتح برقة وزويلة وطرابلس الغرب، وصالح أهل هذه البلاد على الجزية فكانوا يدفعونها طائعين، وأما شمالها فكان في قبضة الروم، وقد تلقوا درساً على يد المسلمين لم يترك لهم فرصة للتفكير في العودة، وحتى لو فكروا في العودة فهيئات أن يدخلوها وليس لهم فيها نصير ولا معين، وقوات المسلمين تراقب البحر بكل يقظة واهتمام<sup>(8)</sup>.

ثانياً: فتح بلاد النوبة:

(5) جولة تاريخية، ص 338.

(2) البلاذري، ص 69.

(4، 2) جولة تاريخية، ص 338.

(6، 4) المصدر نفسه، ص 340.

(8) المصدر نفسه، ص 341.



كان عمرو بن العاص قد شرع في فتح بلاد النوبة بإذن من الخليفة عمر، فوجد حربا لم يتدرب عليها المسلمون وهي الرمي بالنبال في أعين المحاربين حتى فقدوا مائة وخمسين عينا في أول معركة، ولهذا قبل الجيش الصلح، ولكن عمرو بن العاص رفض للوصول إلى شرط أفضل<sup>(1)</sup>، وعندما تولى ابن سعد ولاية مصر غزا النوبة في عام إحدى وثلاثين هجرية فقاتله الأساود من أهل النوبة قتالا شديدا، فأصيب يومئذ عيون كثيرة من المسلمين، فقال شاء رهم:

لم تر عين مثل يوم دُمقلة  
والخيل تعدو بالدروع مثقلة<sup>(2)</sup>

فسأل أهل النوبة عبد الله بن سعد المهادنة، فهادنهم هدنة بقيت إلى ستة قرون<sup>(3)</sup>، و عقد لهم عقدا يضمن لهم استقلال بلادهم ويحقق للمسلمين الاطمئنان إلى حدودهم الجنوبية، ويفتح النوبة للتجارة والحصول على عدد من الرقيق في خدمة الدولة الإسلامية، وقد اختلط المسلمون بالنوبة والبجة، واعتنق كثير منهم الإسلام<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: فتح إفريقية:

كان من مقاصد حملة عمرو بن العاص لبرقة وطرابلس وبقية مناطق ليبيا، فتح البلاد وإزالة الطاغوت الروماني عن قلوب العباد حتى تتضح لهم السبل وتفرق لهم الطرقات، وتصبح حرية الاختيار في تناول تلك الشعوب، بعد تلك الحملة المباركة التي كانت سببا في دخول ذلك النور إلى تلك المناطق المظلمة بعبادة الأصنام والتقرب إليها بالقرابين، واتخاذ الأنداد والأرباب من البشر من دونه سبحانه وتعالى، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وعن حملة عبد الله بن سعد على إفريقية<sup>(5)</sup> يقول الدكتور صالح مصطفى: وفي سنة 26 هـ/646م عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، واستعمل عليها عبد الله بن سعد، وكان عبد الله بن سعد يبعث جرائد الخيل كما كانوا يفعلون أيام عمرو بن العاص فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون<sup>(6)</sup>، وكانت جرائد الخيل تقصد إفريقية (تونس) تمهيدا لفتحها ومعرفة وضعها، فكان حال هذه الجرائد أشبه ما يكون بكتائب الاستطلاع التي تعتبر مقدمة الجيش وعيونه، فلما اجتمعت عند عبد الله بن سعد معلومات كافية عن إفريقية من ناحية مداخلها ومخارجها، وقوتها وعدادها، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي كتب حينئذ إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان يخبره بهذه المعلومات الهامة عن إفريقية، يستأذن بناء على تلك المعلومات بفتحها، فكان له ما طلب. يقول الدكتور صالح مصطفى: ولما استأذن عبد الله بن سعد الخليفة عثمان بن عفان في غزو إفريقية، جمع الصحابة واستشارهم في ذلك، فأشاروا عليه بفتحها، إلا أبو الأعور سعيد بن زيد، الذي خالفه متمسكا برأي عمر بن الخطاب في ألا يغزو إفريقية أحد من المسلمين، ولما أجمع الصحابة على ذلك دعا عثمان للجهاد، واستعدت المدينة -عاصمة الـ

(1) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص229.

(2) قادة الفتح لبلاد المغرب، (1/61-63).

(3) الخلافة والخلفاء الراشدون، ص229.

(4) قادة الفتح لبلاد المغرب، (1/61-63).

(5) الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، للصلابي، ص189.

(6) ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، صالح مصطفى مفتاح المزييني، ص49.



خلافة الإسلامية- لجميع المتطوعين وتجهيزهم، وترحيلهم إلى مصر لغزو إفريقية تحت قيادة عبد الله بن سعد. وقد ظهر الاهتمام بأمر تلك الغزوة جلياً، وهذا يتضح من الذين رجوا إليها من كبار الصحابة، ومن خيار شباب آل البيت، وأبناء المهاجرين الأوائل وكذا لك الأنصار؛ فقد خرج في تلك الغزوة الحسن والحسين، وابن عباس وابن جعفر وغيره م.

هذا وقد خرج من قبيلة مهرة وحدها في غزوة عبد الله بن سعد ستمائة رجل، ومن غنث سبعمائة رجل، ومن ميدعان سبعمائة رجل، وعندما بات الاستعداد تاماً خطب عثمان فيهم، ورجبهم في الجهاد، وقال لهم: لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر إليه، وأستودعكم الله. ويقال: إن عثمان قد أمان في هذه الغزوة بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس، وعندما وصل هذا الجيش إلى مصر انضم إلى جيش عبد الله بن سعد، وتقدم من الفسطاط تحت قيادة عبد الله ذلك الجيش الذي يقدر بعشرين ألفاً يخترق الحدود المصرية الليبية، وعندما وصلوا إلى برقة انضم إليهم عقبة بن نافع الفهري ومن معه من المسلمين، ولم يواجه الجيش الإسلامي أية صعوبات أثناء سيرهم في برقة؛ وذلك لأنها ظلت وفيه لما عاهدت المسلمين عليه من الشروط زمن عمرو بن العاص، حتى إنه لم يكن يدخلها جابي الخراج، وإنما كانت تبعث بخراجها إلى مصر في الوقت المناسب. ومما يؤكد بقاء برقة على عهد عمرو بن العاص، ما ذكر أنه سمع يقول: قعدت مقعدي هذا، وما لأحد من قبط مصر علي عهد إلا أهـ ل أنطابلس<sup>(1)</sup>، فإن لهم عهداً يوفي لهم به، كما أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: ولولا مالي بالحجاز لنزلت برقة، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها<sup>(2)</sup>.

وهكذا انطلقت هذه الحملة المباركة نحو إفريقية، وكان ذلك بعد انضمام قوات عقبة بن نافع إليها، إلا أن عبد الله بن سعد قائد الحملة ما فتئ يرسل الطلائع والعيون في جميع الاتجاهات لاستكشاف الطرق وتأمينها ورصد تحركات العدو وضبطها؛ تحسباً لأي كمين أو مباغطة تطرأ على حين غفلة، فكان من نتائج تلك الطلائع الاستطلاعية أن تم رصد مجموعات من السفن الحربية تابعة للإمبراطورية الرومانية، حيث كانت هذه السفن الحربية قد رست في ساحل ليبيا البحري بالقرب من مدينة طرابلس، فما هي إلا برهة من الزمن حتى كان ما تحمله هذه السفن غنيمة للمسلمين، وقد أسروا أكثر من مائة من أصحابها، وتعتبر هذه أول غنيمة ذات قيمة أصابها المسلمون في طريقهم لفتح إفريقية<sup>(3)</sup>.

وواصل عبد الله بن سعد السير إلى إفريقية، وبث طلائعه وعيونه في كل ناحية، حتى وصل جيشه إلى مدينة سببيلة بأمان، وهناك التقى الجمعان؛ جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد وجيش جرجير حاكم إفريقية، وكان تعداد جيشه يبلغ حوالي مائة وعشرين ألفاً، وكان بين القائدين اتصالات مستمرة ورسائل متبادلة، فحاربا عرض الدعوة الإسلامية على جرجير ودعوته للدخول في الإسلام، ويستسلم لأمر الله سبحانه، أو أن يدفع الجزية، ويبقى على دينه خاضعاً لسيادة الإسلام، ولكن كل تلك العروض رفضها وأصر واستكبر هو وجنوده، وضاق الأمر بالمسلمين، ونشبت المعركة بين الجمعين وحمى الوطيس بينهما لعدة أيام، حتى وصل مدد بقيادة عبد الله بن الزبير، وكانت نهاية هذا

(1) أنطابلس: معناها برقة.

(2) ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ص 39.

(3) الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، ص 191.

لمستكبر الطاعي جرجير على يديه<sup>(1)</sup>.

ولما رأى الروم الذين بالساحل ما حل بجرجير وأهل سبيطة، غارت أنفسهم وتجمعوا وكانت بعضهم بعضاً في حرب عبد الله بن سعد إياهم، فخافوه وراسلوه وجعلوا له جعلاً على أن يرتحل بجيشه، وألا يعترضوه بشيء ووجهوا إليه ثلاثمائة قنطار من الذهب في بعض الروايات، وفي البعض الآخر مائة قنطار، جزية في كل سنة على أن يكف عندهم ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك منهم وقبض المال، وكان في شرط صلحهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد الصلح رده عمر إن عبد الله بن الزبير ر قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غدا جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في باطن العسكر إلى أن يضجروا ويمضوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم، فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك، فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة، ومضى الباقي ونفقت الروم إلى الظهر قتالاً شديداً، فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم والمسلمون؛ فكل الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون، وقتل جرجير، قتله ابن الزبير، وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذت ابنة الملك جرجير سبية، ونازل عبد الله بن سعد المدينة وحاصروهم حتى فتحتها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألف دينار.

ولما فتح عبد الله مدينة سبيطة بث جيوشه في البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا، وسير عسكراً إلى حصن الأجم، وقد احتذى به أهل تلك البلاد فحصرهم وفتح بالأمان فصالحه أهل إفريقية كما مر معنا، ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وأرسله ابن سعد إلى عثمة ابن بالبنارة بفتح إفريقية<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: بطولة عبد الله بن الزبير في فتح إفريقية:

هذا ولقد كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما - موقف عظيم في البطولة والشجاعة، وقد ذكره الحافظ ابن كثير حيث قال: لما قصد المسلمون - وهم عشرون ألفاً - إفريقية، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وفي جيشه عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف، وقيل في مائتي ألف، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه.

قال عبد الله بن الزبير: نظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون، وجاريتان تظلاته بريش الطواويس، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح

(1) المصدر نفسه ص 193، البداية والنهاية (158/7).

(2) الكامل لابن الأثير (46، 45/3).

ح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري، وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان، فأمر بهم فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه، وهم يظنون أنني في رسالة إلى الملك، فلما اقتربت منه أحس مني الشر، ففر على بردونه فلحقته فصفعته برمحي وذفقت -يعني أجهزت- عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفرّوا وكفروا القطا، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فغذوا غنائم جمّة وأموالا عظيمة وسبيًا عظيمًا، وذلك ببلاد يقال له: (سبيطلة) على يومين من القيروان.

قال ابن كثير: فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير وعن أبيه، وعن سائر الصحابة الكرام أجمعين<sup>(1)</sup>.

إن ما قام به ابن الزبير نوع من الطموح نحو المعالي المحفوفة بالأهوال بدون تدرج سابق، لقد كان عمره آنذاك سبعا وعشرين سنة، ولم يذكر له قبل ذلك مواقف بطولية من نوع المغامرات، فكيف أقدم على هذه المغامرة الهائلة التي يغلب على الظن أو يكاد يقرب من اليقين في عرف الناس العاديين أن فيها الهلاك؟! وإن الاحتمالات التي يمكن أن ترد في مثل هذه المغامرة أن يدور في خلد المغامر أمران:

1- أن ينجح في هجومه فيقضي على ملك البربر، ويتفرق جنده كما هي عادة الكفار، وفي ذلك نصر مؤزر للمسلمين، وكفاية لهم عن خوض معركة شرسة قد تخوف منها المسلمون.

2- أن يتقبله الله شهيدا، وفي ذلك الوصول إلى أسمى الأماني، وأبلغ الدرجات التي يطمح إليها الصالحون ويتنافسون على بلوغها، كما أن في ذلك من إرهاب الكفار وإثارة الرعب فيهم الشيء الكثير؛ حيث سيتوقع الكفار أن المسلمين الذين سيفاتلونهم كلهم من هذ النوع الجريء الفتاك؛ إذ أنه يكفي المغامر شجاعة أن يقذف بنفسه في وسط المعركة الملتهبة، إنه لا يقدم على هذه الوثبة العالية إلا العظماء الذين يتصورون الجنة من وراء تلك الوثبة ويستاقون للعيش فيها. ولقد كان ابن الزبير وثب تلك الوثبة متجردا من علائق الدنيا وأثقالها المثبطة، طامحا إلى ما أعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله على قدر طاقتهم، سواء انتصروا على أعدائهم أو نالوا الشهادة<sup>(2)</sup>.

وقد جاء في هذا الخبر أن البربر بعدما قتل ملكهم فروا من جيش المسلمين كفرار القطار، وأن المسلمين تبعوهم يقتلون ويأسرون منهم من غير مقاومة، وإن هذا الخبر دليل على أن الله تعالى مع أوليائه المؤمنين، وأنه يفيض لهم إذا صدقوا ما يخلصهم من الشدائد وينقذهم من المآزق، فإن المسلمين قد وقعوا في معضلة كبرى؛ حيث أحاط بهم أعداؤهم الذين يفوقونهم سمات مرات في العدد أو أكثر، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم من كل جانب، وهو أمر عسير على جيش صغير بالنسبة لكثرة عدوه، كما جاء في قول الراوي: فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه، ففيض الله لهم هذا البطل المغوار الذي أقدم على مغامرة نادرة المثال، فأنقذ الله به ذلك الجيش الإسلامي من عسرة كان يعاني منها<sup>(3)</sup>.

ولا ننسى موقف الأبطال الذين كانوا مع عبد الله بن الزبير يحمون ظهره، فإنهم قد

(1) البداية والنهاية (158/7).

(2) التاريخ الإسلامي (390/12).

(3، 2) التاريخ الإسلامي، (392/12).

شاركوه في تلك المخاطرة، ولئن لم يذكر التاريخ أسماءهم فإن عملهم الفدائي قد بقي مخلصاً في الدنيا برفع ذكر هذه الأمة حينما تفاخر بأبطالها، وفي الآخرة بما ينتظرون من وعده الله للمجاهدين الصادقين<sup>(1)</sup>.

هذا وقد قدّم المسلمون الغالي والرخيص في فتوحات إفريقية، واستشهد منهم الكثير، وممن توفي من غازيا بإفريقية في خلافة عثمان أبو ذؤيب الهذلي وكان شاعراً مشهوراً، وهو الذي قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها      ألفت كل تميمية لا تنفع

وتجلدي للشامتين أريهم      أني لريب الدهر لا أتضعض<sup>(2)</sup>

### خامساً: معركة ذات الصواري:

أصيب الروم بضربة حاسمة في إفريقية، وتعرضت سواحلهم للخطر بعد سيطرة الأسطول الإسلامي على سواحل المتوسط من ردوس حتى برقة، فجمع قسطنطين بن هرقل أسطولاً بناه الروم من قبل، فخرج بألف سفينة لضرب المسلمين ضربة يثأر لها لخسارته المتوالية في البر، فأذن عثمان لصد العدوان، فأرسل معاوية مراكب الشام بقيادة بسير بن أرطاة، واجتمع مع عبد الله بن سعد بن أبي السرح في مراكب مصر، وكانت كلها تحت أمرته، ومجموعها مائتا سفينة فقط، وسار هذا الجيش الإسلامي وفيه أشجع المجاهدين المسلمين ممن أبلوا في المعارك السابقة؛ فقد انتصر هؤلاء على الروم من قبل في معارك عديدة، فشوكة عدوهم في أنفسهم محطمة، لا يخشونه ولا يهابونه، على الرغم من قلة عدد سفنهم إذا قيست بعدد سفن عدوهم. خرج المسلمون إلى البحر وفي أذهانهم مقلوبهم إعزاز دين الله وكسر شوكة الروم، ولقد كان لهذه المعركة التاريخية أسباب، منها:

- 1- الضربات القوية التي وجهها المسلمون إلى الروم في إفريقية.
- 2- أصيب الروم في سواحلهم الشرقية والجنوبية بعد أن سيطر المسلمون بأسطولهم عليها.
- 3- خشية الروم من أن يقوى أسطول المسلمين فيفكروا في غزو القسطنطينية.
- 4- أراد قسطنطين بن هرقل استرداد هيبة ملكه بعد الخسائر المتتالية برّاً، وعلى شواطئه في بلاد الشام ومصر وساحل برقة.
- 5- كما أراد الروم خوض معركة ظنوا أنها مضمونة النتائج، كي تبقى لهم السيطرة في المتوسط، فيحافظوا على جزره، فينطلقوا منها للإغارة على شواطئ بلاد العرب.
- 6- محاولة استرجاع الإسكندرية بسبب مكانتها عند الروم، وقد ثبت تاريخياً مكانتها سكانها لقسطنطين بن هرقل ملك الروم. هذه بعض أسباب معركة ذات الصواري<sup>(3)</sup>.

### أين وقعت هذه المعركة؟

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص 359.

(3) ذات الصواري، شوقي أبو خليل، ص 60، 61.

وهذا السؤال لم يجد المؤرخون له جوابا موحدًا؛ فالمراجع العربية لم تحدد مكانها، باستثناء مرجع واحد على ما نعلم صرح بالمكان بدقة، وآخر قال اتجه الروم إليه.

\* في (فتح مصر وأخبارها) (1) ذكر الكتاب خطبة عبد الله بن سعد بن أبي السرح و قال: قد بلغني أن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب. ولم يحدد مكان المعركة.

\* (الطبري) (2) في أخبار سنة 31 هـ، ربط حدوث ذات الصواري بما أصاب المسلمون من الروم في إفريقية، وقال: فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط.

\* ولم يذكر (الكامل في التاريخ) (3) مكان الموقعة أيضًا، ولكنه ربط سبب وقوعها بما أحرزه المسلمون من نصر في إفريقية بالذات.

\* وفي (البداية والنهاية) (4): فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي السرح من أصاب من الفرنج والبربر بلاد إفريقية، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل، وساء روا إلى المسلمين في جمع لهم لم ير مثله منذ كان الإسلام؛ خرجوا في خمسمائة مركب وقصدوا عبد الله بن سعد بن أبي السرح في أصحابه من المسلمين ببلاد المغرب.

\* (تاريخ الأمم الإسلامية): (5) لم يذكر مكان الموقعة أيضًا (6)، ورجح الدكتور شوقي أبو خليل أن المعركة كانت على شواطئ الإسكندرية، وذلك للأسباب التالية:

\* كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) يذكر صراحة: غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية (7).

\* تاريخ ابن خلدون يذكر (8): ثم بعث ابن أبي السرح السرايا ودوخ البلاد فأطاعوا وعاد إلى مصر، ولما أصاب ابن أبي السرح إفريقية ما أصاب، ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازيا إلى الإسكندرية في ستمائة مركب.

\* ربطت المراجع العربية التي لم تحدد موقع المعركة بين حدوث المعركة وبين ما خسره الروم في شمال إفريقية بالذات.

\* الأسطول الرومي صاحب ماض عريق، فهو سيد المتوسط قبل ذات الصواري، فهو أجراء على مهاجمة السواحل الإسلامية، ولذلك رجح الدكتور شوقي أبو خليل مجيء الأسطول الرومي إلى شواطئ الإسكندرية لاستعادتها بسبب مكانتها عند الروم، ومكانة أهلها لملكهم السابق، وهو بذلك يقضي أيضا على الأسطول الفتى في مهده، الذي شرع لعرب في بنائه بمصر، فبقى للروم السيطرة والسطوة في مياه المتوسط وجزره.

\* المراجع الأجنبية تعرف ذات الصواري بموقعة (فونيكة)، وفونيكة هو ثغر يقع غرب مدينة الإسكندرية، بالقرب من مدينة مرسى مطروح، فهي تحدد الموقع تماما (9).

### \* أحداث المعركة:

قال مالك بن أوس بن الحدثان: كنت معهم في ذات الصواري، فالتقينا في البحر، فذ

(1) المصدر نفسه، ص 61. (3) تاريخ الطبري (290/5).

(3) الكامل في التاريخ (58/3) طبعة البابي الحلبي - القاهرة.

(4) البداية والنهاية (163/7). (2) الشيخ الخضري (29/2).

(6) ذات الصواري، ص 62. (4) النجوم الزاهرة (80/1).

(8) تاريخ ابن خلدون (468/2). (6) ذات الصواري، شوقي أبو خليل، ص 64.

ظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط، وكانت الريح علينا -أي لصالح مراكب الروم- فأر سبنا ساعة، وأرسوا قريبا منا، وسكتت الريح عنا، قلنا للروم: الأمن بيننا وبينكم، قالوا: ذلك لكم، ولنا منكم. (1) كما طلب المسلمون من الروم: إن أحببتم ننزل إلى الساحل فنقتل حتى يكتب لأحدنا النصر، وإن شئتم فالبحر. قال مالك بن أوس: فنخروا نخرة واحدة، وقا لوا: بل الماء الماء، وهذا يظهر لنا ثقة الروم بخيرتهم البحرية، وأملهم في النصر لعمار ستهم أحواله وفنونه، مرنوا عليه فأحكموا الدراية بثقافته وأنوائه فطمعوا بالنصر فيه، خ صوصا أنهم يعلمون حداثة عهد المسلمين به (2).

بات الفريقان تلك الليلة في عرض البحر، وموقف المسلمين حرج، فقال القائد المسلم لصاحبه: أشيروا عليّ؟ فقالوا: انتظر الليلة بنا لنرتب أمرنا ونختبر عدونا، فبات المسلمون يصلون ويدعون الله -عز وجل- ويذكرونه ويتهجدون، فكان لهم دوي كدوي النحل على نغمات تلاطم الأمواج بالمراكب، أما الروم فباتوا يضربون النواقيس في سفنهم، وأصبح القوم، وأراد قسطنطين أن يسرع في القتال، ولكن عبد الله بن سعد بن أبي السرح لما فرغ من صلاته إماما بالمسلمين للصبح، استشار رجال الرأي والمشورة عنده، فاتفق معهم على خطة رائعة: فقد اتفقوا على أن يجعلوا المعركة برية على الرغم من أنهم في عرض البحر، فكيف تم للمسلمين ذلك؟ أمر عبد الله جنده أن يقتربوا من سفن أعدائهم فاق تربوا حتى لامست سفنهم سفن العدو، فنزل الفدائيون أو رجال الضفادع البشرية في عر فنا الحالي إلى الماء، وربطوا السفن الإسلامية بسفن الروم، ربطوها بحبال متينة، فصار 1200 سفينة في عرض البحر، كل عشرة أو عشرين منها متصلة مع بعضها، فكانها ق طعة أرض ستجري عليها المعركة، وصف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السف ن يعظهم ويأمرهم بتلاوة القرآن الكريم، خصوصا سورة الأنفال؛ لما فيها من معاني الو حدة والثبات والصبر (3).

وبدأ الروم القتال، فهم في رأيهم قد ضمنوا النصر عندما قالوا: بل الماء الماء، وانقا ضوا على سفن المسلمين بدافع الأمل بالنصر، مستهدفين توجيه ضربة أولى حاسمة يدا طمون بها شوكة الأسطول الإسلامي، فنقض الروم صفوف المسلمين المحاذية لسفنهم، وصار القتال كيفما اتفق، وكان قاسيا على الطرفين، وسالت الدماء غزيرة اصطبغت بها صفحة الماء، فصار أحمر، وترامت الجثث في الماء، وتساقطت فيه، وضربت الأمواج السفن حتى ألجأتها إلى الساحل، وقتل من المسلمين الكثير، وقتل من الروم ما لا يحصى ، حتى وصف المؤرخ البيزنطي (ثيوفانس) هذه المعركة بأنها كانت يرموكا ثانيا على ال روم. (4) ووصفها الطبري بقوله: إن الدم كان غالبا في الماء في هذه المعركة (5)، حاول ال روم أن يغرقوا سفينة القائد المسلم عبد الله بن أبي السرح، كي يبقى جند المسلمين دون ق اند، فتقدمت من سفينته سفينة رومية، ألقت إلى عبد الله السلاسل لتسحبها وتتفرد بها، ول كن علقمة بن يزيد العطيفي أنقذ السفينة والقائد بأن ألقي بنفسه على السلاسل وقطعها بس يفه (6).

وصمد المسلمون رغم كل شيء، وصبروا كعادتهم في معاركهم، فكتب الله -عز و

(2) ذات الصواري، ص 66.

(1) تاريخ الطبري (292/5).

(3) المصدر نفسه، ص 67.

(2) تاريخ الطبري (293/5).

(4) ذات الصواري، ص 67.

(4) تاريخ ابن خلدون (468/2).

(6) ذات الصواري، ص 68.

جل- لهم النصر بما صبروا، واندحر ما تبقى من الأسطول الرومي، وكاد الأمير قسطنطين أن يقع أسيراً في أيدي المسلمين -كما ذكر ابن عبد الحكم- لكنه تمكن من الفرار لما رأى قواه تنهار وجثث جنده على سطح الماء تلقى بها الأمواج إلى الساحل. لقد رأى أسد طوله الذي تأمل فيه خيراً ونصراً وإعادة كرامة يغرق قطعة بعد قطعة، ففر مدبراً والجراحات في جسمه، والحسرة تأكل فؤاده، يجر خبيرة وفشلاً، فوصل جزيرة صقلية<sup>(1)</sup>، وألقى به الريح هناك، فسأله أهله عن أمره فأخبرهم، فقالوا: شمت النصرانية، وأفنيت رجاء لها، لو دخل المسلمون لم نجد من يردهم<sup>(2)</sup> وقتلوه، وخلوا من كان معه من المراكب<sup>(3)</sup>.

### \* نتائج ذات الصواري:

1- كانت ذات الصواري أول معركة حاسمة في البحر خاضها المسلمون، أظهر فيها الأسطول الفتى الصبر والإيمان، والجلاد والفكر السليم بما تقتضيه عنه الذهن الإسلامى من خطة جعلت المعركة صعبة على أعدائهم، فاستحال عليهم اختراق صفوف المسلم بين بسهولة، كما استخدم المسلمون خطاطيف طويلة يجرون بها صواري وشرع سفن الأعداء، الأمر الذي انتهى بكارثة بالنسبة للروم.

2- كانت ذات الصواري حداً فاصلاً في سياسة الروم إزاء المسلمين، فأدركوا فشل خططهم في استرداد هيبته، أو استرجاع مصر أو الشام، وانطلق المسلمون في عرض هذا البحر الذي كان بحيرة رومية، وانتهى اسم (بحر الروم) إلى الأبد، واستطاع المسلمون فتح قبرص وكريت وكورسيكا وسردينيا وصقلية وجزر البليار، ووصلوا إلى جنوة ومرسيليا.

3- قتل قسطنطين فتولى ابن قسطنطين الرابع من بعده، وكان حدثاً صغير السن، مما جعل الظروف مواتية لقيام حملة بحرية وبرية إسلامية تستهدف عاصمة روما (القسطنطينية) فيما بعد.

4- الإعداد الروحي قبل المعركة -أو ما يسمى بالتوجيه المعنوي في أيامنا هذه- له قيمته في تحقيق النصر؛ حيث تتجه القلوب إلى الله بصدق، فهذا المؤمن الذي بات ليله في تهجد وذكر، يستمد العون من الله، من عظمته وعزته، بعد أن هب الأسباب، يلقي الأعداء بروح عالية لا يهاب الموت، فإله أكبر من كل شيء، وهذه المعارك التي نصف أحد أئمة التاريخ هي وصفة طبية نعرضها للتطبيق والنهج، لنستفيد منها في حياتنا؛ فحياة الصحابة ما هي إلا للقدوة وسيرة للاتباع<sup>(4)</sup>.

5- أصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية، وصار الأسطول الإسلامي سيد مياه البحر المتوسط، وهذا الأسطول ليس للتسلط والقرصنة بل للدعوة إلى الله وكسر شوكة المشركين، ونشر الحضارة المنبثقة عن كتاب الله وسنة رسوله x.

6- عكف المسلمون على دراسة علوم البحرية، وصناعة السفن، وكيفية تسليحها، وأساليب القتال من فوقها، وعلوم الفلك المتصلة بتسييرها في البحار، ومعرفة مواقعهم على المصورات البحرية المختلفة، فيما بعد، فعرفوا الاضطراب (البوصلة الفلكية)، وطوروا إلى المدى الذي استفاد منه بعد ذلك البحارة الغربيون أمثال: كرسطوف كولومبس،

(2) المصدر نفسه (468/2).

(4) ذات الصواري، ص 71، 72.

(6) ذات الصواري، ص 68.

(2) المصدر نفسه، ص 76.



وأمر كوفيسبوشي في اكتشافاتهم<sup>(1)</sup>.

7- لقد كانت هذه المعركة مظهراً من مظاهر تفوق العقيدة الصحيحة الصلبة على الخبرة العسكرية والتفوق في العدد والعدد، فلقد كان الروم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مروا بتجارب طويلة في الحروب البحرية، بينما كان المسلمون حديثي عهد بركوب البحار والقتال البحري، ولكن الله تعالى أدلى المسلمين عليهم برغم التفوق المذكور؛ لأنه سبب حانه قد سخر أولئك المؤمنين لنشر دينه وإعلاء كلمته في الأرض. وإن مما يشاد به في هذه المعركة قوة قائدها عبد الله بن سعد بن أبي السرح ورباطة جأشه، ومقدرته الجيدة على إدارة الحروب، وهي بعد ذلك لون من ألوان بسالة المسلمين واستقالتهم في الحروب بأنفسهم في سبيل إعزاز دينهم ورفع شأن دولتهم<sup>(2)</sup>.

سادساً: أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات عثمان :

### 1- تحقيق وعد الله للمؤمنين:

قال ابن كثير في حديثه عن عثمان بن عفان :... ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأموال، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة لمصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قوله تعالى: **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** [النور: 55]، وقوله تعالى: **وَالَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** [التوبة: 33]، وقوله x: **«إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ كَسْرِي فَلَا كَسْرِي بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كَنْزُ هُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»**.<sup>(3)</sup> وهذا كـ له تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان<sup>(4)</sup>.

### 2- التطور في فنون الحرب والسياسة:

كانت الحروب تنشأ بين الشعوب من أجل قطعة من الأرض يراد تملكها، أو بسبب اعتداء يقع على بلد أو قبيلة، ولكنها في عهد النبوة والعهد الراشدي أصبحت بسبب المبادئ؛ فالمسلمون يريدون أن تكون عقيدتهم هي السائدة والمهيمنة في الأرض، فاصطدمت بعقائد فاسدة ومنحرفة كعقائد المشركين والمجوس، على أن هذا لم يكن كل شيء في التطور الحربي، بل نجد لونا جديداً آخر وهو ما كان يعرضه المجاهدون المسلمون على أعدائهم من: الإسلام أو الجزية أو المناجزة، ونتج عن تلك الفتوح سياسة فذة أرضت جميع الشعوب إلا من كان في قلبه حقد على العدل والمساواة ممن كانت تحدثهم نفوسهم بالفتن والعصيان، وهؤلاء اضطروا المسلمين أحياناً إلى الشدة معهم والتكليف بهم<sup>(5)</sup>.

### 3- بدء التجنيد الإلزامي في عهد عمر واستمراره في عهد عثمان:

(2) التاريخ الإسلامي (407/12). (2) مسلم، كتاب الفتن، رقم (2918).

(2919)

(4) البداية والنهاية (216/7).

(5) عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد الحميد بخيت، ص 216.



كانت معركة القادسية من أسباب اتخاذ الفاروق لقرار التجنيد الإلزامي، فقد أمر عماله على الأقاليم بإحضار كل فارس ذي نجدة أو رأى أو فرس أو سلاح، فإن جاء طائعا وإلا حشروه حشرا وقادوه مقادا، واستعجلهم في ذلك بحزمه المشهور قائلا: لا تدعوا أحدا إلا وجهتموه إليّ، والعَجَل العجل<sup>(1)</sup>. وكان عمر يفكر في التجنيد الإلزامي الموقوف للجهاد، فلما دُون الديوان ورتب للمسلمين أرزاقهم السنوية، خرجت فكرته إلى حيز الوجود، واقتترنت نشأة الديوان بنشأة التجنيد النظامي الرسمي، وحددت للجند النظاميين طاياهم ورواتبهم من بيت مال المسلمين، وعندما أذن عثمان لمعاوية بالغزو بحرا أمره أن يخير الناس ولا يكرههم؛ حتى لا يذهب أحد إلى هذا الضرب من الغزو إلا طائعا مخذرا، أما التجنيد برا لإتمام حركة الفتوح، فقد ظل في عهده إلزاميا على أصحاب الرواة بوالأرزاق من الجنود النظاميين<sup>(2)</sup>.

#### 4- اهتمام عثمان بحدود الدولة الإسلامية:

ترتب على توسع الدولة الإسلامية في عهد عثمان الاستمرار في سياسة تحصين الثغور للحفاظ على حدود الدولة الإسلامية من مهاجمة الأعداء، سواء كان ذلك بشحنها بالجنود المرابطين أو بناء الحاميات الدفاعية المختلفة بها، فكان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان في خلافته لأمر الأجناد في الثغور لحماية حدود الدولة الإسلامية قوله: أما بعد، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يرغب عنا بل كان على ملائنا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل، فغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم، فاذظروا كيف تكونون فإنني أنظر فيما أكرمني الله النظر فيه والقيام عليه<sup>(3)</sup>.

وتسهيلا وتيسيرا للعملية الإدارية جمع الخليفة عثمان لمعاوية بن أبي سفيان الشام والجزيرة وولاية ثغورهما في إدارة موحدة، وكلفه بغزو ثغر شمشاط بنفسه، أو أن يولي ذلك من يرتضيه من كبار قواده من أصحاب الخبرة والشجاعة الراغبين في الجهاد والحرب مع الروم<sup>(4)</sup>. كما كتب أيضا لمعاوية بن أبي سفيان أن يلزم ثغر أنطاكية قوما، وأن يقطعهم القطا مع به ففعل ذلك<sup>(5)</sup>. وكان يهتم بأمر الثغور ويبعث من يستعلم له عن بعضها<sup>(6)</sup>، وعندما غزا معاوية بن أبي سفيان عمورية وجد الحصون التي فيها بين ثغر أنطاكية وثر طرسوس خالية من مقاتلة الروم، فجعل به جماعة من جند الشام والجزيرة وقنسرين وأمرهم بالوقوف عندها لتحمي ظهره أثناء انسحابه وانصرافه من غزواته، ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحر العبسي<sup>(7)</sup> الصائفة وأمره بفعل الشيء نفسه، وكانت ولاية الصوائف والشواتي إذ دخلوا بلاد الروم فعلوا ذلك؛ حيث يخلفون بها جندا كثيفا إلى خروجهم من أرض العدو<sup>(8)</sup>، وقد أبلى معاوية بن أبي سفيان في أثناء إدارته للسواحل الشامية وفي تحصينها بلاء حسنا<sup>(9)</sup>.

(1) إتمام الوفاء، ص 70.

(2) النظم الإسلامية، صبحي الصالح، ص 489.

(3) تاريخ الطبري (244/5).

(4) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (466/2).

(5) فتوح البلدان، البلاذري (175/1).

(6) الخراج وصناعة الكتابة، لابن قدامة، ص 413.

(7) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (467/2).

(8) المصدر نفسه (467/2).

(5) المصدر نفسه (467/2).

وكتب عثمان لعبد الله بن سعد بن أبي السرح يأمره بالحفاظ على ثغر الإسكندرية بالزام الجند المرابطة به وأن يجري عليهم أرزاقهم، وأن يعقب بين المرابطين من أجل أنه لا يضر بهم التجمير، فقال له: قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالإسكندرية، وقد نقصت الروم مرتين، فالزم الإسكندرية مرابطيها، ثم أجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر<sup>(1)</sup>. وكان من عادة قادة الخليفة عثمان بن عفان إذا تقدموا في الفتوح واستولوا على حصون العدو قاموا بترميمها كمن سبقهم من القادة، ثم إسكانها جند المسلمين من المرابطين، بالإضافة إلى استحداثهم لتحصينات دفاعية جديدة، فمن تلك الحصون التي قام بترميمها معاوية بن أبي سفيان: حصون الفرات وهي سميساط<sup>(2)</sup>، وملطية<sup>(3)</sup>، وسمشاط وكمخ<sup>(4)</sup>، وقلقل<sup>(5)</sup>، وهي حصون استولى عليها المسلمون عند فتحهم لأرمينية في عهد عثمان، وقاموا بترميمها وإسكانها الجند<sup>(6)</sup>.

ففي قلقل قام القائد حبيب بن مسلمة الفهري بإسكان ألفي رجل وأقطعهم بها القطائف، وجعلهم مرابطين بها<sup>(7)</sup>. وقد كلف الخليفة عثمان القائد حبيب بن مسلمة بأن يقيم بثغور الشام والجزيرة لإدارتها وحمايتها<sup>(8)</sup>. وعندما فتح البراء بن عازب ثغر قزوين رتب فيهم خمسمائة رجل من جند المسلمين وعين عليهم قائدا وأقطعهم أرضا وضياعا لا حق فيها لأحد، فعمرها وأجرها وأنهارها وحفروا آبارها<sup>(9)</sup>. وحين فتح سعيد بن العاص طميسة<sup>(10)</sup> جعل بها مرابطة من ألفي رجل وعين عليهم قائدا<sup>(11)</sup>. إلى غير ذلك من التحصينات التي أنشئت بالثغور في إدارة الخليفة عثمان بن عفان، والتي كانت تشد ن بالجند لحماية حدود الدولة الإسلامية<sup>(12)</sup>.

وعني الخليفة عثمان في إدارته بأمر الصوائف والشواتي؛ حيث عمل على تسييرها وتسهيل أمرها في كل عام، وكان يتولاها كبار قادته وولاته أمثال معاوية بن أبي سفيان الذي بنى جسرا بمنبج<sup>(13)</sup> لمرور الصوائف عليه فلم يكن قبل إذ، وقد فوض إليه الخليفة عثمان إلى واليه معاوية في غزو الروم وتولى قيادة الصائفة من يختاره، فولى معاوية سفيان بن عوف الذي لم يزل على الصوائف في عهد عثمان، ولم تقتصر حملات الصوائف والشواتي على الحدود البرية بل شملت كذلك البحر في عهد عثمان<sup>(14)</sup>.

## 5- قسمة الغنائم بين أهل الشام والعراق:

استطاع حبيب بن مسلمة أن يهزم الروم في أرمينية قبل وصول مدد الوليد بن عقبة

- (1) فتوح مصر، ص 192.
- (2) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات.
- (3) ملطية: من بلاد الروم مشهورة مذكورة، تتأخم الشام، وهي للمسلمين.
- (4) كمخ: مدينة بالروم بينها وبين أرزنجان يوم واحد، معجم البلدان (479/4).
- (5) قلقل: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط، ثم من نواحي منازجرد.
- (6) من تاريخ التحصينات، محمد عبد الهادي، ص 434.
- (7) فتوح البلدان (234/1).
- (8) المصدر نفسه (241/1).
- (9) الإدارة العسكرية (469/2).
- (10) طميسة: بلدة من سهول طبرستان.
- (11) الإدارة العسكرية (469/2).
- (12) المصدر نفسه، (470/2).
- (13) منبج: بلد قديم.
- (14) الإدارة العسكرية (470/2).

من الكوفة، وغنم أهل الشام غنائم كثيرة، وبعد وصول مدد أهل الكوفة اختلفوا في أمر الـ غنائم، مما جعل حبيباً يكتب بذلك إلى معاوية فكتب معاوية، إلى الخليفة عثمان يخبره بذلك، فحكم عثمان بن عفان على أهل الشام أن يقاسموا أهل العراق ما غنموا من تلك الغنائم، فلما ورد كتاب الخليفة عثمان بن عفان حبيب بن مسلمة قرأه على جند أهل الشام، فقالوا: السمع والطاعة لأمر المؤمنين، ثم قاسموا أهل العراق وغنموا.<sup>(1)</sup>

#### 6- الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو:

في عهد عثمان استخلف عبد الله بن عامر على خراسان قيس بن الهيثم السلمي، حيث خرج منها فجمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطبيين وأهل بادغيس وهرات وقستها ن، فأقبل في أربعين ألفاً، فاستشار قيس بن الهيثم عبد الله بن خازم قائلاً له: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلي البلاد فإني أميرها ومعني عهد من ابن عامر، إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها، وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً، فكره قيس مشاغبه وخلاه والبلاد.<sup>(2)</sup> أحب قيس بن الهيثم بفعله هذا أن يجمع الكلمة بدلاً من تفريقها حتى لا يحدث الفشل والوهن للجنود، فتكون الهزيمة، وقد تم النصر للمسلمين على الأعداء بحمد الله.<sup>(3)</sup>

#### 7- شرط ما يحتاج إليه الجنود في بنود الصلح:

في عهد عثمان زادت الفتوحات الإسلامية اتساعاً مما جعل قادته يشترطون في بعض عهودهم للصلح بأن تكون من المواشي والطعام والشراب لإعداد ما يحتاج إليه الجيش؛ من زاد وتموين وميرة حتى تساعد في فتوحاتهم، فلا يتكلفون عناء حمل الميرة من القيادة المركزية ويستغنون عن طلبها؛ ليكونوا على الحرب أوفر وعلى منازل العدو أقدر.<sup>(4)</sup>

#### 8- جمع المعلومات عن الأعداء:

استمرت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وكان يهتم بالأخبار ويتقصاها بنفسه<sup>(5)</sup>، وسار قادته على منوال من سبقهم من القادة بالاعتناء بأمر المعاهدتين حيث طلبوا منهم بأن ينصحوا وينذروا المسلمين بسير عدوهم إليهم، ومعاونتهم بأن يكونوا عليهم جواسيس وإبلاغ المسلمين بتحركاتهم.<sup>(7)</sup>

#### 9- عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي من قادة الفتوح في عهد عثمان:

كان عبد الرحمن قائداً عديداً من الطراز الرفيع، وكان لتمسكه الشديد بعقيدته موضع ثقة رؤسائه ومروءسيه على حد سواء، بالإضافة إلى شجاعته وإقدامه وعلمه بأمر الدين، لذلك بقي قائداً لمنطقة (باب الأبواب) وواليها عليها منذ وفاة سراقبة بن عمرو حتى

(1) الفتوح، ابن أعمش (341/1، 342).

(2) الإدارة العسكرية (189/1)، نقلاً عن تاريخ الطبري.

(3) المصدر نفسه (189/1).

(5) الطبقات (59/3).

(7) المصدر نفسه (403/1).

(3) تاريخ اليعقوبي (166/2، 167).

(5) الإدارة العسكرية (403/1).

ى استشهد، لم يعزل من منصبه على الرغم من تبدل الخلفاء وتغير الولاة والقادة في الكوفة مرجع عبد الرحمن المباشر، وكان عبد الرحمن يؤمن بوسائل حرب الفروسية الشريفة، فلا يخون ولا يغدر ولا يضرب من الخلف.<sup>(1)</sup> وكان لسيرته الحسنة في منطقة (باب الأبواب) وجنوب بحر الخزر وغربه أثر أي أثر في استقرار الأمور واستتباب الأمن والنظام في تلك الربوع، فأصبحت تلك المناطق قاعدة أمامية لنشر الإسلام والفتح شمالاً، فثبت الإسلام في تلك الأصقاع النائية في وجه مختلف المحن والتيارات منذ أربعة عشر قرناً حتى اليوم<sup>(2)</sup>.

ومن مواقفه الخالدة التي سطرها على صفحات التاريخ عندما خرج بالناس حتى قطع (الباب) فقال له الملك شهريار: ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أريد (بَلَا نَجْر) والترك، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون (الباب). قال عبد الرحمن: لكننا لا نرضى منهم ذلك حتى نأتيهم في ديارهم، وتالله إن معنا لأقواماً لو يأذن أميرنا في الإمعان لبلغت فيهم (الردم).<sup>(3)</sup> قال الملك: وما هو؟ فأجابه عبد الرحمن: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنية، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية، فازداد حياءهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم.<sup>(4)</sup> وقد غزا عبد الرحمن (بلنجر) غزاة في زمن عمر بن الخطاب، فقال التارك: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهرب منه الترك وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر بعد أن بلغه خيله (البيضاء) على رأس مائتي فرسخ من (بلنجر)، وعادوا ولم يقتل منهم أحد.<sup>(5)</sup> ومن الواضح أن معنويات المسلمين كانت عالية جداً لتتابع انتصاراتهم، ولتمسكهم بدينهم، كما أن معنويات الأمم التي حاربوها كانت منهارة؛ لأن المسلمين غلبوا الأمم التي قاتلوها، لذلك هرب الأتراك من المسلمين وتحصنوا، فلم يحدث قتال فعلي في هذه الغزوة، فلم يسقط من المسلمين شهيد.<sup>(6)</sup> لقد كان عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي على جانب عظيم من التقوى والخلق الكريم، وكان تصرفه مع المغلوبين له الأثر في استتباب الأمن واستقرار النظام وانتشار الإسلام، فقد كان وفيّاً غاية الوفاء، أميناً غاية الأمانة؛ فقد أرسل ملك الباب رسولاً إلى ملك (الصين) مع هدايا - وكذلك قبل أن يفتح المسلمون بلاده - فعاد رسوله من رحلته بعد فتح المسلمين لتلك البلاد، وكان مع الرسل والعائد هدايا من ملك الصين بينها ياقوتة حمراء ثمينة، وكان ملك (الباب) حين عودة رسوله في مجلس عبد الرحمن، فتناول الملك من رسوله تلك الياقوتة ثم ناولها عبد الرحمن، ولكن عبد الرحمن ردها فوراً إلى الملك بعد أن نظر إليها، فهتف الملك متأثراً وقال: لهذه يعني الياقوتة - خير من هذا البلد (أي باب الأبواب)، وأيم الله لأنتم أحب إليّ كما من آل كسرى، فلو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتر عوها مني، وأيم الله لا يقدوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر.<sup>(7)</sup>

كان من حق ملك المدينة (الباب) وما حولها أن يعجب أشد العجب ويدهش أشد الدهشة بأمانة القائد المسلم ووفائه، فقد عاش هذا الملك عمره كله في دوامة عنيفة من الخيانات

(1) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 155.

(2) المصدر نفسه، ص 156.

(3) الردم: قيل سد الصين.

(4) الكامل لابن الأثير (29/3، 30)، تاريخ الطبري (146/5).

(5) تاريخ الطبري (146/54).

(6) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 150.

(7) تاريخ الطبري (148/5).

ة وفي جو مشحون بالغدر، فلما رأى أمانة المسلمين المثالية ووفائهم المطلق لم يتمالك نفسه أن نسي ملكه المضاع وملوكه الغابرين، فعبر عن شعوره بكلمات خارجة من أعماق قلبه إعجابا بما يرى ويسمع من أمانة ووفاء<sup>(1)</sup>.

كان عبد الرحمن يعلم أن الاستيلاء على الياقوتة التي لا تقدر بثمن ليس من حقه شخصيا، ولا من حق بيت مال المسلمين، فكانت تلك الياقوتة والتراب عنده سيان، فقد كان عبد الرحمن كريما مضيافا شهما غيورا، ورعا تقيا، متققها في الدين تقيا، لا يملك شيئا من حطام الدنيا على الرغم من أنه قضى أكثر عمره غازيا وواليا، وقد استشهد في عام اثنتين وثلاثين للهجرة في منطقة (بلنجر)<sup>(2)</sup>. ويعتبر عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي من قادة الفتح في عهد عثمان، وقد كانت له صحبة وقد أسلم متأخرا.

### 10- سلمان بن ربيعة الباهلي من قادة الفتوح في عهد عثمان:

كان هذا الصحابي أول من قضى بالكوفة، فقد بعثه عمر بن الخطاب قاضيا بالكووفة قبل شريح، فلما ولي سعد بن أبي وقاص الولاية الثانية في أيام عثمان بن عفان استقضى سلمان أيضا، وقد شهد القادسية فقضى بها، ثم قضى بـ(المدائن)، وليس كل إنسان يصلح للقضاء، خاصة في أيام عمر بن الخطاب، أو يصلح لأهل الكوفة التي كانت حينذاك تعج برجال العرب وكبار الصحابة من جهة، وبأخلاق شتى من أمم وأقوام وبائل مختلفة من جهة أخرى، وهذا دليل على غزارة علم سلمان بالدين الحنيف واستقامته وعدله وتدينه، وتمتعه بعقلية راجحة متزنة، وشخصية قوية نافذة، مما جعله موضع ثقة الناس جميعا، كما أنه تولى المقاسم في فتح (المدائن) وفي غزوة (الباب) أيضا، مما يدل على تمتعه بالنزاهة المطلقة. كان رجلا صالحا يحج كل سنة، روى عنه بعض كبار التابعين، وكان مثالا نادرا للخلق القويم، كريما مضيافا شهما غيورا وفيما صادقا محبا للخير، يحب للناس ما يحبه لنفسه، ولم يترك حين استشهاده دينارا ولا دارا، بعد أن عاش كل حياته مجاهدا وقاضيا وأميرا.

وقد كان متوقفا على زملائه في الصفات القيادية، فعندما بعث عثمان بن عفان كتابا إلى الوليد بن عقبة -عامله على الكوفة- يأمره به أن يرسل نجدة من أهل الكوفة إلى أهل الشام بقيادة رجل ممن ترضى نجلته وبأسه وشجاعته وإسلامه، لم يتردد الوليد لحظة في اختيار سلمان لهذا الواجب البالغ الخطورة، فاختاره من بين عدد كبير من القادة أصحاب الفتوح والأيام الذين كانوا معه أو كانوا في الكوفة؛ ذلك لأن سلمان كان حقا مثالا رائعا من أمثلة النجدة والبأس والشجاعة بالإضافة إلى ورعه وتقواه، لقد كان شجاعا مقداما سريعا إلى النجدة، خبيرا بفنون الحرب لممارسته الطويلة لها، وله تجارب طويلة في قيادة الرجال، وكان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور<sup>(3)</sup>، مما يدل على أنه كان من الرماة الماهرين، وكان ماهرا في الفروسية خبيرا بالخييل، وكان يلي الخيل لعمر بن الخطاب، قد أعد في كل مصر من أمصار المسلمين خيلا كثيرة معدة للجهاد، وكان في الكوفة أربعة آلاف فرس، فإذا داهم العدو الثغور الإسلامية ركبها المسلمون

(1) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 154.

(2) المصدر نفسه، ص 154.

(3) تهذيب ابن عساكر (210/6)، تاريخ الطبري (309/5).

المجاهدون وساروا مجدين لقتاله<sup>(1)</sup>، وكان سلمان يتولى الخيل بالكوفة<sup>(2)</sup>.

وكان شجاعا في الفروسية، قال سلمان: (قتلت بسيفي هذا مائة مستلثم<sup>(3)</sup> كلهم يعبد غير الله، ما قتلت منهم رجلا منهم صبرا). إنه لا يقتل حتى عدوه الكافر بالله الذي يعبد غير الله، لا يقتله في ساحة القتال صبرا بل ينذره ثم يصاوله مصاوله الأنداد، ويقتله عند ما يجد فرصة لقتله، فلا يكون هذا القتل غدرا، ولا يكون صبرا.<sup>(4)</sup>

لقد كان مثالا للمجاهد الصادق المحتسب، الذي يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا لا يبالى على أي جنب كان في الله مصرعه، وأخيرا سقط مضرجا بدمائه ولم يسقط السيف من يده، إنه قدوة حسنة لكل جندي ولكل قائد في ماضيه المشرف المجيد، وفي أعماله الف ذة الخالدة.<sup>(5)</sup> هذا وقد استشهد سنة اثنتين وثلاثين هجرية أو سنة ثلاث وثلاثين هجرية<sup>(6)</sup>، رضي الله عنه، الفقيه المحدث، القاضي العادل، الأمين النزيه، الإداري الحازم، الفارس المغوار، البطل الشهيد، القائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي<sup>(7)</sup>.

### 11- حبيب بن مسلمة الفهري من قادة الفتوح في عهد عثمان:

كان حبيب على صغر سنه يتتقل من ساحة عمليات إلى ساحة عمليات أخرى، فاتحا مرة، وممددا مرة أخرى، وكان النصر حليفه في كل معركة خاضها، قدم على النبي ﷺ وهو بالمدينة غازيا، وكان يومئذ صغيرا، وشهد غزوة تبوك تحت لواء الرسول عليه أفضل ل الصلاة والسلام، وبهذه الغزوة بدأ جهاده وهو يناهز العشرين من عمره القصير<sup>(8)</sup>، وحين رآه عمر بن الخطاب صلب العود وقوي البدن، جربه تجربة عملية ليرى أي نوع من الرجال هو، فعرض عليه خزائن المال وخزائن السلاح، فاخترار السلاح وعف عن المال، وتفضيل السلاح على المال من مزايا القائد الذي يتغلغل حب الجندية في أعماق نفسه. وقد تولى قيادة كردوس في معركة (اليرموك) الحاسمة وهو ابن أربع وعشرين سنة، مما يدل على ظهور سماته القيادية مبكرا وهو في ريعان الشباب، وولاه عمر بن الخطاب عجم (الجزيرة) إداريا وقائدا، وليس من السهل أن يولي عمر كل إنسان مثل هذا المنصب الرفيع؛ لأن عمر كان يلتزم بصفات معينة في القائد قل أن تتوافر في الرجال، أخيرا ولاه عمر بن الخطاب (أرمينية) و(أذربيجان) وهي مناطق شاسعة وقيادة مهمة للغاية، نظرا لشدة شكيمة أهلها ولبعدها عن قواعد المسلمين الرئيسية والمتقدمة<sup>(9)</sup> ومارس القيادة والإدارة في عهد عثمان ، ولقد كان شجاعا غاية الشجاعة، مقداما غاية الإقدام؛ لما توجه لقتال (الموريان) كان في ستة آلاف، وكان (الموريان) في سبعمائة ألفا، فقال حبيب لمن معه: إن يصبروا وتصبروا فأنتم أولى بالله منهم، وإن يصبروا وتجزعوا فإن الله مع الصابرين، ولقيهم ليلا، فقال: اللهم أجل لنا قمرها، واحبس عنا مطر

(1) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 169.

(2) أسد الغابة في معرفة الصحابة، (327/2).

(3) المستلثم: الجندي الذي ليس عدته وأصبح جاهزا للقتال.

(4) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (633/2).

(5) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 170.

(6) المصدر نفسه، ص 171.

(7) المصدر نفسه، ص 172.

(8) كان عمره يوم تولى منصب قيادة منطقة الجزيرة وإدارتها 28 سنة.

(9) تولى (أرمينية) و(أذربيجان) وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

ها، واحقن دماء أصحابي، واكتبهم شهداء، ففتح الله له (1) فكان من أسباب انتصاره على عدوه -بالإضافة إلى عامل الإيمان- هو الهجوم الليلي الذي باغت به العدو، وجعل معنوياته تنهار ثم يولي الأدبار. (2) وكان مثالا شخصيا حيا لرجاله من الشجاعة والإقدام، فقد كان يفود رجاله من الأمام، يقول لهم: اتبعوني، ولا يبق في الخطوط الخليفة مؤثرا السد لامة والعافية، وحين عزم أن يبيت (الموريان) سمعته امرأته يذكر ذلك، فقالت له: وأين الموعد؟ فقال: سرادق موريان أو الجنة. وبيت حبيب عدوه وقتل من صادفه في طريقه، فلما أتى السرادق وجد امرأته قد سبقته إليه. (3) فلم يكن وحده بطلا يضرب لرجاله بأعمال البطولية أروع الأمثال، بل كانت امرأته بطلة يقتفي الأبطال آثارها في التضحية والفداء. (4) وكان يستشير رجاله ويتقبل مشورتهم، وكان لا يستأثر بالرأي دونهم، بل كان يتصدت لآراء رجاله، ويطبق ما رآه حسنا، وينفذ ما يجده صوابا، بالإضافة إلى عقد مؤتمرات الشورى قبل المعارك وفي أثنائها وبعدها؛ فقد سمع يوما أحد رجاله يقول: لو كنت ممن يسمع حبيب مشورته، لأشرت عليه بأمر يجعل الله فيه لنا نصرا وفرجا إن شاء الله، واستمع حبيب لقوله، فقال أصحابه: وما مشورتك؟ فقال: أشير عليه أن ينادي بالخيول فيقدمها، ثم يرتحل بعسكره فيتبع خيله، وتوافيه الخيل في جوف الليل، وينشب القتال، ويأتيهم حبيب بسواد عسكره مع الفجر، فيظنون أن المدد قد جاءهم فيرعبهم الله، فيهزم مهم بالرب. (5) ونادى حبيب بالخيول، فوجهها بليلة مقمرة مطيرة، ثم ارتحل وراء خيوله، ولكنه عاد إلى عدوه في السحر، فحمل وحمل أصحابه فانهزم العدو وأصابوا غنائم كثيرة. (6)

كان حبيب صاحب كيد، يفكر ويقدر، ثم يستشير رجاله ويستطلع ساحة القتال، ويد صل على المعلومات المستفيضة عن العدو، ثم يبنى بعد ذلك خطته العسكرية على هدى وبصيرة.

إن أعمال حبيب الجهادية خطط مدبرة ولم تكن خططا ارتجالية، لذلك رافق النصر أعلامه في أخطر ساحات القتال في الفتح، وبالإضافة إلى تلك المزايا أو قبلها كان حبيب مؤمنا حقا صادق الإيمان، وكان إذا لقي عدوا أو ناهض حصنا يحب أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (7)

لقد كان حبيب قائدا فذاً، جمع مزايا القائد الفذ: الطبع الموهوب، والعلم المكتسب، والتجربة العلمية (8)، والثقة بالله القوي العزيز.

إن حبيب بن مسلمة أسدى للفتح الإسلامي خدمات لا تنسى، فهو بدون شك من ألمع قادة الفتوح في عهد عثمان، وقد توفي هذا القائد الفذ سنة اثنتين وأربعين هجرية، فكان عمره يوم توفي أربعاً وخمسين سنة قمرية، وكانت حياته قليلة في تعداد السنوات، كثرة في تعداد جلائل الأعمال، قصيرة في عمر الزمن، باقية آثارها على مر الدهور وتوا

(1) تهذيب ابن عساكر (37/4).

(2) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 189.

(3) المصدر نفسه، ص 189.

(4) المصدر نفسه، ص 189.

(5) تهذيب ابن عساكر (37/4).

(6) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 190.

(7) تهذيب ابن عساكر (3/4).

(8) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 192.

+

+

شخصيته وعصره

عثمان بن عفان

لي السنين والقرون. رضي الله عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، السياسي المحنك،  
القائد الفاتح، حبيب بن مسلمة الفهري<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

(1) المصدر نفسه، ص 187.

+

+



## المبحث الرابع

## أعظم مفاخر عثمان جمع الأمة على مصحف واحد

أولاً: المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم:

## 1- المرحلة الأولى في العهد النبوي:

حيث ثبت بالدليل القاطع، أن رسول الله ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن الذي ينزل عليه، وثبت أنه كان له كاتب أو كتاب يكتبون الوحي، حتى شهّر زيد بن ثابت بلقب (كاتب النبي ﷺ) لاختصاصه بكتابة الوحي، وبوب البخاري في كتاب (فضائل القرآن) (باب ك تآب النبي ﷺ)، وذكر فيه حديثين:

الأول: أنا أبا بكر قال لزيد: (إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله...) (1)

والثاني: عن البراء قال: لما نزلت **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** قال النبي ﷺ: «ادع لي زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة». (2) وكان النبي ﷺ يكتب القرآن في مكة أيضاً قبل الهجرة، وممن كتب له عبد الله بن سعد بن أبي السرح ثم ارتد، ثم أسلم عام الفتح، وله في ذلك قصة مشهورة قد ذكرتها. والمعروف أن الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا كتبة، فلعلهم كانوا يكتبون القرآن في مكة، ومما يدل على أن القرآن كان مكتوباً في مكة قصة إسلام عمر بن الخطّاب ودخوله على أخته، وبيدها صحيفة فيها سورة طه، وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه -أي القرآن- مجموع في الصحف في قوله تعالى: **+رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً** [البينة: 2]. وقد توفي رسول الله ﷺ والقرآن كله مكتوب لكنه غير مجموع في موضع واحد، وكان مكتوباً على العصب واللخاف، ومحفوظاً في صدور الرجال، ومع حفظه في الصحف وفي الصدور كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ كل عام مرة، وعرض عليه مرتين في العام الذي قبض. (3) ويحتمل أن النبي ﷺ لم يجمع القرآن في مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء لوعده الصادق بضمّان حفظه على هذه الأمة المحمدية (4).

## 2- المرحلة الثانية في عهد أبي بكر :

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر بمشورة عمر بن الخطاب بجمع القرآن؛ حيث جمع من الرقاع والعظام والعصب ومن صدور الرجال (5)، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى أصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري، يروي زيد بن ثابت فيقول: بعث إليّ أ

(1) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم (4986).

(2) البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم (4593).

(3) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم (4998).

(4) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، ص 240، نقلاً عن فتح الباري (12/9).

(5) حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد، ص 145.

بو بكر لمقتل أهل اليمامة<sup>(1)</sup>، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر<sup>(2)</sup> يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن<sup>(3)</sup> كلها فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قل ت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ<sup>(4)</sup>؟ فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل ع مر يرجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك<sup>(5)</sup>، وقد كنت تكتب القرآن لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه<sup>(6)</sup>. قال زيد: فوالله لو كفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما كلفني به من جمع القرآن، فتتبع القرآن من العسب<sup>(7)</sup> واللخاف<sup>(8)</sup>

وصدور الرجال والرقاع والأكتاف<sup>(9)</sup>. قال: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره + **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** [التوبة: 128] حتى خاتمة براءة، وكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثم عمر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم<sup>(10)</sup>.

### ونستخلص من المرحلة الثانية في جمع القرآن بعض النتائج:

أ- أن جمع القرآن الكريم جاء نتيجة الخوف على ضياعه نظراً لموت العديد من القراء في حروب الردة، وهذا يدل على أن القراء والعلماء كانوا وقتئذٍ أسرع الناس إلى العمل والجهاد لرفع شأن الإسلام والمسلمين بأفكارهم وسلوكهم وسيوفهم، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ينبغي الاقتداء بهم لكل من جاء بعدهم.

ب- أن جمع القرآن تم بناء على المصلحة المرسلّة، ولا أدل على ذلك من قول عمر لأبي بكر حين سأله كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ: إنه خير. وفي بعض الروايات أنه قال له: إنه والله خير ومصلحة للمسلمين. وهو نفس ما أجاب به أبو بكر زيد بن ثابت حين سأل نفس السؤال، وسواء صحت الرواية التي جاء فيها لفظ المصلحة أو لم تصح فإن التعبير بكلمة خير يفيد نفس المعنى، وهو مصلحة المسلمين في جمع القرآن مبني على المصلحة المرسلّة أول الأمر، ثم انعقد الإجماع على ذلك بعد أن وافق الجميع بالإقرار الصريح أو الضمني، وهذا يدل على أن المصلحة المرسلّة يصح أن تكون سنداً للإجماع بالنسبة لمن يقول بحجيتها كما هو مقرر في كتب أصول الفقه.

(1) يعني وقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وأعوانه.

(2) استحر: كثر واشتد.

(3) أي في الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار.

(4) يحتمل أن يكون إنما لم يجمع القرآن في المصحف.

(5) هذه الصفات التي جعلت زيدا يتقدم على غيره في هذا العمل.

(6) أي: من الأشياء التي عندي وعند غيرك.

(7) العسب: هو جريد النخيل.

(8) اللخاف: جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة.

(9) الرقاع: جمع رقعة وهي قطع الجلود. الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة.

(10) البخاري، رقم (4986).

ج- وقد اتضح لنا من هذه الواقعة كذلك كيف كان الصحابة يجتهدون في جو من الهـ دوء يسوده الود والاحترام، هدفهم الوصول إلى ما يحقق الصالح العام لجماعة المسلمين ، وأنهم كانوا ينقادون إلى الرأي الصحيح وتنشر قلوبهم له بعد الإقناع والاقتراع، فإذا ا قتنعوا بالرأي دافعوا عنه كما لو كان رأيهم منذ البداية، وبهذه الروح أمكن انعقاد إجماع هم حول العديد من الأحكام الاجتهادية<sup>(1)</sup>.

### \* ما المقومات الأساسية لزيد بن ثابت للقيام بهذه المهمة؟

اختار أبو بكر زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها، وهي:

أ- كونه شاباً؛ حيث كان عمره 21 سنة، فيكون أنشط لما يطلب منه.  
ب- كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له؛ إذ من وهبه الله عقلاً راجحاً فقد يسر له سبيل الخي ر.

ج- كونه ثقة، فليس هو موضعاً للتهمة، فيكون عمله مقبولاً، وتركز إليه النفس ويط منن إليه القلب.

د- كونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرة سابقة في هذا الأمر، وممارسته عملية له، فليس غريباً عن هذا العمل ولا دخيلاً عليه<sup>(2)</sup>.

هـ- ويضاف لذلك أنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي x، فعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي x؟ قال: أربعة كلهم من ا لأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد<sup>(3)</sup> وأما الطريقة التي ا تبعتها زيد في جمع القرآن فكان لا يثبت شيئاً من القرآن إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبي x ومحفوظاً من الصحابة، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهـم، وأيضاً لم يقبل من أحد شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذل ك المكتوب كتب بين يدي رسول الله x وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن<sup>(4)</sup> وعلى هذا المنهج استمر زيد في جمع القرآن حذراً متنبهاً مبالغاً في الدقة والتحري<sup>(5)</sup>.

### \* الفرق بين المكتوب في العهد النبوي وعهد الصديق:

الفرق بين المكتوب في العهد النبوي وما كتب في عهد أبي بكر: أن القرآن كان مكتـ وبا في العهد النبوي، مفرقاً في الصحف والألواح والعُـسب والكرانيـف والقصب وأدوات أخرى، ولم تكن مجموعة سورة في خيط واحد، وأما الذي تم في أيام أبي بكر فهو كتابة القرآن في صحف كل سورة أو سور في صحيفة مرتبة آياته على ما حفظوه عن رسول الله x، فكانت مهمة زيد بن ثابت أن يكتب ما كان مكتوباً في العهد النبوي في صحف، ك ل سورة في صحيفة مرتبة فيها الآيات ترتيباً توقيفياً<sup>(6)</sup>.

(1) الاجتهاد في الفقه الإسلامي، عبد السلام السليمانى، ص 127.

(2) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمي، ص 73.

(3) سير اعلام النبلاء، الإمام الذهبي، (431/2)

(4) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، ص 74.

(5) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، للصلابي، ص 206.

(6) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (241/2).

## 3- المرحلة الثالثة في جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان :

## \* الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان:

عن أنس بن مالك: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لـ عثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان ن للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق<sup>(1)</sup>.

## ويؤخذ من هذا الحديث الصحيح أمور، منها:

أ- أن السبب الحامل لعثمان على جمع القرآن مع أنه كان مجموعاً مرتباً في صدح أبي بكر الصديق إنما هو اختلاف قراء المسلمين في القراءة اختلافاً أوشك أن يؤدي بهم إلى أخطر فتنة في كتاب الله تعالى، وهو أصل الشريعة ودعامة الدين، وأساس بناء الأمة الاجتماعية والسياسي والخلقي، حتى إن بعضهم كان يقول لبعض: إن قراءتي خير من قراءتك، فأفزع ذلك حذيفة، ففزع فيه إلى خليفة المسلمين وإمامهم، وطلب إليه أن يدرك الأمة قبل أن تختلف فيستشري بينهم الاختلاف ويتفاقم أمره ويعظم خطبه، فيمس نص القرآن وتحرف عن مواضعها كلماته وآياته، كالذي وقع بين اليهود والنصارى من اختلاف كل أمة على نفسها في كتابها.

ب- أن هذا الحديث الصحيح قاطع بأن القرآن الكريم كان مجموعاً في صحف ومضموماً في خيط، وقد اتفقت كلمة الأمة اتفاقاً تاماً على أن ما في تلك الصحف هو القرآن كما تلقته عن النبي ﷺ في آخر عرصة على أمين الوحي جبريل عليه السلام، وأن تلك الصحف ظلت في رعاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم لما عرف عمر حضور أجله ولم يولِّ عهده أحداً معيناً في خلافة المسلمين، وإنما جعل الأمر شورى في الرهط المصطفين بالرضا من رسول الله ﷺ، أوصى بحفظ الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأن عثمان اعتمد في جمعه على تلك الصحف، وعنها نقل مصحفه (الرسمي)، وأنه أمر أربعة من أشهر قراء الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن ووعياً لحروفه وأداء لقراءته وفهماً لإعرابه ولغته: ثلاثة قرشيين وواحداً أنصاريًا، وهو زيد بن ثابت صاحب الجمع الأول في عهد الصديق بإشارة الفاروق، وفي بعض الروايات أن الذين أمرهم عثمان أن يكتبوا من الصدق عشرة رجلاً، فيهم أبي بن كعب، وآخرون من قريش والأنصار<sup>(2)</sup>.

ج- ونأخذ من هذا أن الفتوحات في عهد عثمان كانت بإذن وأمر من الخليفة، وأن الـ

(1) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم (4987).

(2) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 171.

قرار العسكري يصدر من المدينة، وأن الولايات الإسلامية كلها كانت خاضعة لأمر الخليفة عثمان في عهده؛ بل يدل على أن هناك إجماعاً من الصحابة والتابعين في جميع الأقاليم على خلافة عثمان. وقدوم حذيفة بن اليمان إلى المدينة، لرفع اختلاف الناس في قراءة القرآن، يدل على أن القضايا الشرعية الكبرى كان يستشار فيها الخليفة في المدينة، وأن المدينة ما زالت دار السنة ومجمع فقهاء الصحابة<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان:

جمع عثمان المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمة وأعلام الأئمة وعلماء الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب، وعرض عثمان هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيهم، فأجابوه إلى رأيهم في صراحة لا تجمل للريب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على أحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين<sup>(2)</sup>.

إن عثمان لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق، كما أنه لم يصنع ذلك من قبل نفسه، إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم. وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضاً: قد أحسن (أي في فعله في المصاحف)<sup>(3)</sup>.

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق<sup>(4)</sup> عثمان المصاحف فرأى هم قد أعجبوا بهذا الفعل منه<sup>(5)</sup>، وكان علي ينهى من يعيب على عثمان بذلك ويقول: يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً أو قولوا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل -أي في المصاحف- إلا عن ملائمة منا جميعاً -أي الصحابة-، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل<sup>(6)</sup>.

وبعد اتفاق هذا الجمع الفاضل من خيرة الخلق على هذا الأمر المبارك، يتبين لكل من تجرد عن الهوى أن الواجب على المسلم الرضا بهذا الصنيع الذي صنعه عثمان ودفع به القرآن الكريم<sup>(7)</sup>.

قال القرطبي في التفسير: وكان هذا من عثمان بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجملة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت من القراءة المشهورة عن النبي ﷺ واطراح ما سواها، واستصوبوا رأيهم، وكان رأياً سديداً موفقاً<sup>(8)</sup>.

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (244/2).

(2) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 175.

(3) فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1).

(4) مشق هو: الحرق، (لسان العرب 344/10).

(5) التاريخ الصغير للبخاري (94/1)، إسناده حسن لغيره.

(6) فتح الباري (18/9)، إسناده صحيح.

(7) فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1).

(8) الجامع لأحكام القرآن (88/1).

### ثالثاً: الفرق بين جمع الصديق وجمع عثمان رضي الله عنهما:

**قال ابن التين:** الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لأيات سورة على ما وقفهم عليه النبي **x**. وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم البعض، فخشى من تقادم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر في سائر اللغات على لغة قریش محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءاته بلغة غيرهم، دفعاً للحرص والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة قد انتهت، فاقترصر على لغة واحدة.

**وقال القاضي أبو بكر الباقلاني:** لم يقصد أبو بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، إنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي **x** وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذ هم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي به.

**وقال الحارث المحاسبي:** المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق، وقد قال علي: لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان<sup>(1)</sup>.

**وقال القرطبي:** فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟ قيل له: إن عثمان لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؟ وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءة لتفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبههم، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة<sup>(2)</sup>.

### رابعاً: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة:

ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون -رحمه الله- إلى أن صحف الصديق التي كانت أصلاً للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت صَحاح الحديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت على حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة واستقر عليها الأمر في آخر حياة رسول الله **x**، وإنما كانت الأحرف السبعة أُولاً من باب التيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن وتمازج الناس وتوحدت لغاتهم. قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 178.

(2) الجامع لأحكام القرآن (87/1).

ل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهياً له إلا بمشقة عظيمة، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثرت منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله x، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرعوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد.<sup>(1)</sup>

**وقال الطبري:** إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفتقر وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد أجمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة.<sup>(2)</sup> وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع ونقل عنها المصحف الإمام جامع لقراءات القراء السبعة وغيرها، مما يقرأ به الناس ونقل متواتراً عن رسول الله x؛ لأن الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات.<sup>(3)</sup> قال القرطبي: قال كثير من علمائنا كالداود بن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليس هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه المصحف<sup>(4)</sup>، وأقرب الآراء إلى الفهم عندنا في معنى الأحرف إنما هو الرأي القائل بأنها هي أفصح لغات العرب وأشهرها، وهي مثبتة في القرآن كله، وإليه ذهب القاسم بن سلام وابن عطية في جماعة من الأجلاء، وإليه يرجع نحو سبعة أقوال مما ذكره السيوطي في الإتيان في معنى الأحرف<sup>(5)</sup>.

#### خامساً: عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار:

لما فرغ عثمان من جمع المصاحف أرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلى الآفاق، وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرقها في الأمصار، فقيل: إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء، وقيل: إنها خمسة، وقيل: إنها ستة، وقيل: إنها سبعة، وقيل: إنها ثمانية. أما كونها أربعة فقيل: إنه أبقى مصحفاً بالمدينة، وأرسل مصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة. وأما كونها خمسة؛ فالأربعة المتقدم ذكرها، والخامس أرسله إلى مكة. وأما كونها ستة فالخمس والمقدم ذكرها، والسادس اختلف فيه، فقيل جعله خاصاً لنفسه، وقيل: أرسله إلى البحرين. وأما كونها سبعة، فالسبعة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلى اليم. وأما كونها ثمانية، فالسبعة المتقدم ذكرها، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه، وهو الذي قتله وهو بين يديه.<sup>(6)</sup> وبعث مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءته بما يحتمل رسمه من القراءات مما صح وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرأ الناس بالمديني<sup>(7)</sup>.

#### سادساً: موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان:

(1، 2، 3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 180.

(4) الجامع لأحكام القرآن (79/1).

(5) الإتيان للسيوطي (144/1-148).

(2) المصدر نفسه، ص 78.

(6) أضواء البيان في تاريخ القرآن، ص 77.



لم يثبت أن ابن مسعود خالف عثمان في ذلك، وكل ما روي في ذلك ضعيف إلا سناد، كما أن هذه الروايات الضعيفة التي تتضمن ذلك تثبت أن ابن مسعود رجع إلى ما اتفق عليه الصحابة في جمع القرآن، وأنه قام في الناس وأعلن ذلك، وأمرهم بالرجوع إلى جماعة المسلمين في ذلك<sup>(1)</sup>. وقال: إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً، ولكن ينتزعه بذهاب العلماء، وإن الله لا يجمع أمة محمد **x** على ضلالة، فجامعهم على ما اجتمعوا عليه، فإن الحق فيما اجتمعوا عليه، وكتب بذلك إلى عثمان<sup>(2)</sup>. وقد ورد عن ابن كثير رجوع ابن مسعود إلى الوفاق<sup>(3)</sup>، وأكد الذهبي ذلك فقال: وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان والله الحمد<sup>(4)</sup>. ولا يلتفت إلى ما كتبه طه حسين في قضية المصحف وعلاقة عثمان مع ابن مسعود وما ساقه بأسلوب مسموم، فيه أفكار أخذها من أساتذته المستشرقين<sup>(5)</sup>. الذين اعتمدوا على روايات ضعيفة ورافضية في تشويه علاقة الصحابة ببعضهم رضي الله عنهم جميعاً.

إن ابن مسعود الذي ترك صلاة القصر في منى خشية من الخلاف والفتنة ومتابعة للخليفة، هل يتوقع منه أن يصعد المنبر ويحرض الناس على الخلاف، وهو القائل: إن ن الخلاف شر<sup>(6)</sup>.

إن مؤرخي الروافض زوروا روايات ونسبوا لابن مسعود وموقفه من عثمان رضي الله عنهم، وأظهروا في تلك الأكاذيب الصحابة قوماً منتازعين متباغضين، متعننين متفاحشين في القول، وهي روايات ساقطة لا تثبت أمام النقد الهادئ الموضوعي، ويرفضها الذوق المؤمن والعقل الفطن، وقد زعمت الرافضة كذباً وزوراً بأن ابن مسعود كان يطعن على عثمان ويكفره، ولما حكم عثمان ضربه حتى مات، وهذا كذب بيّن على ابن مسعود، فإن علماء النقل يعلمون أن ابن مسعود ما كان يكفر عثمان بل لما بويع عثمان بالخلافة سار عبد الله بن مسعود من المدينة إلى الكوفة، ولما وصل إليها حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مات فلم نر يوماً أكثر نشيداً من يومئذ، وإنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان فبايعوه<sup>(7)</sup>. وهذه الكلمات الواضحة أكبر دليل على تلك المكانة الرفيعة لعثمان بن عفان في قلب ابن مسعود وعند جميع الصحابة، أولئك الذين مدحهم الله تعالى ورضي عنهم، وهم خير من فقه قوله سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** [الأحزاب: 70]. فقول عبد الله بن مسعود صدق لا يعدو الحقيقة، كما أنه نابع عن قناعاته وصادره عن محض إرادته، ما قاله خوفاً ولا خشية، ولم يقذف به هكذا رخيصاً للاستهلاك والتغريب، أو ليحوز مكانة ومنصباً في الخلافة الجديدة. إذن فمن بدعيات الأمور وأوليائتها أن ليس ثمة حقد أو بغضاء في قلب أحدهما على الآخر، وإن ح

(4) المصدر نفسه (79/1).

(1) فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1).

(3) البداية والنهاية (228/7).

(4) سير أعلام النبلاء (349/1).

(5) الفتنة الكبرى (159/1).

(6) عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ، ص 335.

(7) طبقات ابن سعد (63/3).



دث شيء فإنما هو من أجل الحق وصالح المسلمين<sup>(1)</sup>، ويندرج تحت فقه النصيحة وآدابها وتأديب الخليفة لرعيته، وأما ما زعم الروافض ومن سار على نهجهم من أن عثمان ضرب ابن مسعود حتى مات فهذا كذب باتفاق أهل العلم، قال أبو بكر بن العربي: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور.<sup>(2)</sup> فلا وجهة للرافضة بالطعن على عثمان بقصة ابن مسعود هذه، فإنه لم يضربه ولم يمنعه عطاءه، وإنما كان يعرف له قدره ومكانته، كما كان ابن مسعود شديد الالتزام بطاعة إمامه الذي بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين ن وقت البيعة<sup>(3)</sup>.

### سابعا: فهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف:

قال تعالى: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** [الأنعام: 153]. فإلصراط المستقيم هو القرآن والإسلام والفطرة التي فطر الله الناس عليها، والسبيل هي الأهواء والفرق والبدع والمحدثات، قال مجاهد: **وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ** "يعني البدع والشبهات والضلالات"<sup>(4)</sup>.

ونهى الله سبحانه وتعالى- هذه الأمة عما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والافتراق من بعد ما جاءتهم البينات، وأنزل الله إليهم الكتاب فقال سبحانه: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** [آل عمران: 105].

ونهى الأمة أن يكون أفرادها من المشركين، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فقال عز من قائل: **وَفَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** **مُذَيَّبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُرُوعًا كُلِّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** [الروم: 30-32].

وأخبر سبحانه وتعالى أن رسول الله ﷺ برئ من الذين يفرقون دينهم ويكونون شيعا وأحزابا<sup>(5)</sup>، قال تعالى: **وَالَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُرُوعًا أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ فِي شَيْءٍ إِنْهُمْ أُمِرُوا إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُدْبِرُ لَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** [الأنعام: 159].

ويظهر من قصة جمع القرآن في عهد عثمان مدى فهم الصحابة -رضي الله عنهم- لآيات النهي عن الاختلاف؛ حيث إن الله نهى عن الاختلاف وحذر منه، فلعمق فهمهم لهذه الآيات ارتعد حذيفة عندما سمع بواحد الاختلاف في قراءة القرآن، فرحل فوراً إلى المدينة النبوية، وأخبر عثمان بما رأى وبما سمع، فسرعان ما قام عثمان يخطب الناس، يحذرهم من مغبة هذا الخلاف، ويشاروهم الصحابة -رضوان الله عليهم- في الحد

(1) عبد الله بن مسعود، ص 324.

(2) العواصم من القواصم، ص 63.

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، (3/1066).

(4) تفسير مجاهد، ص 227.

(5) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ص 49.

ل لهذه المحنة التي بدأت بالظهور، وفي مدة قصيرة يحسم الأمر ويغلق باب الخلاف الذي كاد أن يفتح بجمع الصحف ونسخها في مصحف واحد من المصادر الموثوقة جداً، وبإغلاق باب الفتنة هذا فرح المسلمون، بينما اغتاظ المنافقون الذين كانوا قد استبشروا ببدادر الخلاف التي كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر ويسعون إلى تحقيقها، ولما حسم الخلافة، ولم يجد أولئك طريقاً إلى استنهاضه، ازداد حقدهم على عثمان وسعوا إلى التشديد عليه وتصوير حسنته هذه سيئة، وتلمسوا في سبيل إثبات ذلك خيوط العنكبوت الواهية، ليطعنوا فيه ويسوغوا خروجهم عليه بها، مظهرين للناس أن هذه الحسنة سيئة تستوجب الخروج عليه<sup>(1)</sup>.

إن الصحابة رضوان الله عليهم- لم يتركوا كل قارئ على قراءته الصحيحة، بل جمعهم على قراءة واحدة، فاجتمع شملهم وتوحد صفهم، وهذا درس عظيم نستلهمه من دراستنا لتاريخ عهد الخلفاء الراشدين، الحافل بالعبر والدروس ومواطن القدوة<sup>(2)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم»<sup>(3)</sup>.

إن طريق الاعتصام بحبل الله أن نلتزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا الأصل من أكد الأصول في هذا الدين العظيم، يقول ابن تيمية رحمه الله: وهذا الأصل العظيم هو الإسلام- مما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، مما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة<sup>(4)</sup>. ولذلك أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بكل ما يحفظ على المسلمين جماعتهم وألفتهم، ونهى عن كل ما يعرّض صفو هذا الأمر العظيم.

إن ما حصل من فرقة بين المسلمين وتدابير وتقاطع وتناحر، بسبب عدم مراعاة هذا الأصل وضوابطه مما ترتب عليه تفرق في الصفوف، وضعف في الاتحاد، وأصبحوا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون<sup>(5)</sup>.

إن وحدة المسلمين واجتماعهم مطلب شرعي، ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة؛ بل من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالى، ونحن مأمورون بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فلا بد من تضافر الجهود بين الدعاة وقادة الحركات الإسلامية، وبين علماء المسلمين وطلبة العلم لإصلاح ذات البين إصلاحاً حقيقياً لا تُلَفِيقاً؛ لأن أنصاف الحلول تقسد أكثر مما تصلح، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: -الجهاد نوعان؛ جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شئونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية وهذا النوع هو الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملاحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم، وهذان نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، و جهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان<sup>(6)</sup>. ثم أفرد فصلاً بعنوان: الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة<sup>(7)</sup>. وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على وجوب

(1) فتنة مقتل عثمان بن عفان (82/1).  
 (2) المصدر نفسه (83/1).  
 (3) مسند أحمد (2/1، 26).  
 (4) مجموع الفتاوى (359/22).  
 (5) تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين، للصلاحي، ص 307.  
 (6) وجوب التعاون بين المسلمين للسعدي، ص 5.  
 (7) المصدر نفسه، ص 5.

تعاون المسلمين ووحدتهم قال: فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية<sup>(1)</sup>.

ولذلك نرى أن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد؛ لأن هذه الخطوة مهمة جدا في إعزاز المسلمين وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلى في أبهى صورة في جمع عثمان للامة على مصحف واحد.

\* \* \*

(1) المصدر نفسه، ص5.

## الفصل الخامس مؤسسة الولاية في عهد عثمان

### المبحث الأول أقاليم الدولة في عهد عثمان وسياسته مع الولاية

#### أولاً: مكة المكرمة:

توفي عمر بن الخطاب وواليه على مكة خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الـ مخزومي<sup>(1)</sup>، وقد أبقاه عثمان فترة من الوقت يصعب تحديدها ثم قام بعزله، ولم ترد أخبار عن سبب ذلك، إضافة إلى صعوبة تحديد أهم أعماله. وقد قام عثمان بعد عزله بتولية علي بن ربيعة بن عبد العزى، ثم قام عثمان بعد ذلك بتولية مجموعة من الأمراء على مكة يصعب تحديد فترات ولايتهم منهم عبد الله بن عمرو الحضرمي، الذي كان أحد عمال عثمان على مكة، كما أن النصوص تثبت أن عثمان قد أعاد خالد بن العاص بن هشام على مكة مرة أخرى، وتؤكد بعض المصادر أن عثمان توفي وخالد على مكة فقام علي بعزله وتولية غيره<sup>(2)</sup> وهذه الرواية على ما يبدو أثبتت من الروايات التي تذكر أن عبد الله بن الحضرمي هو الوالي على مكة حين قتل عثمان<sup>(3)</sup> وقد تميزت مكة في عهد عثمان بالهدوء المستمر رغم ما وقع في بعض الأمصار من فتنة في أواخر عهد عثمان<sup>(4)</sup>.

#### ثانياً: المدينة النبوية:

تعد المدينة المنورة من أهم المدن الإسلامية في عهد عثمان، بها مركز الخلافة وإليه تنفذ الوفود من مختلف الأمصار، والأجناد الإسلامية، ويقام بها كثير من شيوخ الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبذلك تكتسب أهمية خاصة. وقد كان عثمان يحكم خلافته مقيماً بها ويتفقد أحوالها، حتى إنه كان يسأل عن أسعار المواد الغذائية وعن أخبار الناس<sup>(5)</sup> وكان عثمان إذا سافر إلى الحج يستخلف أحد الصحابة على المدينة حتى يرجع، وكثيراً ما كان يستخلف زيد بن ثابت<sup>(6)</sup>. وكان في المدينة بيت مال وديوان للأعمال طيات كغيرها من الأمصار، وتعتبر المدينة من أكثر الأمصار الإسلامية هدوءاً خلال عصر عثمان سوى ما حدث في أيامه الأخيرة من اضطراب الأحوال فيها بعد وصول جيوش الفتنة وحصار عثمان وخروج بعض كبار الصحابة منها<sup>(7)</sup>.

(1) تجريد أسماء الصحابة، الإمام الذهبي، ص 151.  
(2) الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزى العمري (166/1).  
(3) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (27/2).  
(4) الولاية على البلدان (167/1).  
(5) تاريخ المدينة (961/3، 962).  
(6) الولاية على البلدان (168/1، 169).  
(7) المصدر نفسه (169/1).

## ثالثاً: البحرين واليمامة (1) :

توفي عمر بن الخطاب وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي فأقره عثمان عليها فترة من الوقت، وتدل الروايات على أن عثمان بن أبي العاص كان على ولاية البحرين بعد مبايعة عثمان بثلاث سنين؛ أي سنة 27هـ، بدليل مشاركة بحيشه مع جيش البصرة في بعض الفتوح. (2) ويبدو أن التعاون الذي بدأ بين ولاية البحرين وولاية البصرة في عهد عمر أخذ يشتد ويقوى في عهد عثمان خصوصاً بعد تولية (عبد الله بن عامر بن كريز) (3) على البصرة؛ حيث أصبح عامل البحرين أحد القواد التابعين لعبد الله بن عامر والي البصرة، كما أن الذصوص التاريخية تفيد تبعية ولاية البحرين للبصرة -إلى حد ما- واندماجها معها، بحيث أصبح ابن عامر يعين العمال عليها من قبله. (4) ويؤكد أحد الباحثين هذا التعاون في قوله: وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ألحقت البحرين بالبصرة عندما أصبحت الأخيرة قاعدة لفتوح فارس وجنوب إيران، فصار ولايتها تابعة لأمير البصرة، وقد عزز هذا صلة البصرة بالبحرين ووثقها. (5) وقد ذكر من ولاية عثمان على البحرين مروان بن الحكم، وعبد الله بن سوار العبدي، وقد توفي عثمان مان وعبد الله على البحرين. (6) وقد كان للبحرين في أيام عثمان دور كبير في تلك الفتوح. (7)

وقد كانت الأوضاع داخل البحرين مستقرة حتى وفاة عثمان، وأما اليمامة فقد كانت في عهد عمر تابعة لولاية البحرين وعمان إلى حد كبير، بل إن والي البحرين هو الذي كان يبعث عليها الأمراء أحياناً، أما في عهد عثمان فالذي يبدو أن اليمامة كان عليها وال من قبل عثمان مباشرة، وقد ورد ذكره في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان مباشرة؛ إذ وصلته بعض الكتب في تلك الفترة ممن غضبوا لمقتل عثمان. (8)

## رابعاً: اليمن وحضرموت:

توفي عمر وعامله على اليمن (يعلى بن مَنيّة)، وكان في طريقه إلى المدينة بناء على طلب عمر إذ جاءه كتاب من عثمان يخبره بوفاة عمر وبيعة الناس لعثمان، واستعماله من قبل عثمان له على صنعاء، فاستمر على صنعاء إلى وفاة عثمان. (9) وكان على مدينة الجند عبد الله بن ربيعة الذي استمر والياً عليها طيلة عهد عثمان. (10) ويبدو أن هناك ولاية آخرين كانوا على بقية من اليمن، ولكن المصادر الرئيسية ركزت على

(1) البحرين: كانت تطلق على المناطق التي تشمل إمارات الخليج العربي والجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية عدا الكويت، وأما اليمامة: فكانت في بلاد نجد.

(2) تاريخ خليفة بن خياط ص 159، الولاية على البلدان (169/1).

(3) الطبقات لأبن سعد (44/5).

(4) الولاية على البلدان (169/1).

(5) البحرين في صدر الإسلام، عبد الرحمن بن النجم، ص 141.

(6) الولاية على البلدان (170/1).

(7) الولاية على البلدان (170/1).

(8) المصدر نفسه (170/1).

(9) تاريخ الطبري (442/5).

(10) تاريخ خليفة بن خياط، ص 179.

هذين الواليين في الغالب، كما أن المصادر لم تفصل القول في أحداث اليمن خلال عصر عثمان، كما يقل إيرادها للمراسلات بين عثمان وولاته في اليمن سوى ما ذكره من أوامر عامة مرسلة لجميع الولاة<sup>(1)</sup> وقد اشتهر عن أهل اليمن خلال عصر عثمان طاعتهم و انقيادهم لولاتهم، يدل على ذلك ما روي من أن عثمان بعث رجلاً ثقيفاً إلى اليمن، فما عاد سألهم عن أهلها فقال: رأيت قوماً ما سئلوا أعطوا حقاً كان أو باطلاً<sup>(2)</sup>

ومن المعروف أن العديد من القبائل اليمنية هاجرت خلال الفتوح في أيام عمر بن الخطاب إلى الأمصار الإسلامية الجديدة سواء في العراق أو مصر أو الشام، وبالتالي فإن صلات اليمن وأهلها بهذه الأمصار لم تتوقف طيلة عهد عثمان؛ حيث نجد لأناس من يهود اليمن دوراً خطيراً في أحداث الفتنة التي قامت أواخر عهد عثمان، واستشهد فيها عثمان، وعلى رأس هؤلاء الوالغين في الفتنة (عبد الله بن سبأ)، وبعد مقتل عثمان ترك اليمن عدد من وولاتها وقدموا إلى الحجاز للمشاركة فيما يجري من أحداث، ومنهم يعلى بن منية وعبد الله بن ربيعة<sup>(3)</sup>.

#### خامساً: ولاية الشام:

حينما جاء عثمان إلى الخلافة كان معاوية والياً على معظم الشام فأقره عثمان عليها<sup>(4)</sup>، كما أقر بعض الولاة الآخرين على ولاياتهم كاليمين والبحرين ومصر وغيرها من الولايات. وقد تطورت الأحداث وضمت إلى معاوية بعض المناطق الأخرى حتى أصبح معاوية هو الوالي المطلق لبلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاية عثمان وأشدهم نفوذاً، وقد كان في بداية خلافة عثمان ولاية آخرون منهم: عمير بن سعد الأنصاري وكان على حمص، وبنافس معاوية بن أبي سفيان في المكانة لدى عثمان إلا أن عميراً مرض مرضاً أعياه عن القيام بأعباء الولاية، فطلب من الخليفة عثمان أن يعفيه، فأعفاه وضم ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان، وبذلك زاد نفوذ معاوية فامتد إلى حمص التي ولى عليها من قبله عبد الرحمن بن خالد بن الوليد<sup>(5)</sup> كما توفي علقمة بن محرز وكان على فلسطين- فضم عثمان ولايته إلى ولاية معاوية بن أبي سفيان فاجتمعت الشام لمعاوية بعد سنتين من خلافة عثمان، وأصبح الوالي المطلق فيها طيلة السنوات الباقية من خلافة عثمان حتى توفي عثمان وهو عليها كما هو معروف<sup>(6)</sup>. وقد كانت فترة ولاية معاوية على الشام مليئة بالأحداث، كانت الشام من أهم مناطق الجهاد، ومع أن الشام قد استقرت أو ضاعها وسادها الإسلام وقُلت محاولات الروم إثارة القلاقل فيها، إلا أن الشام كانت متاخمة لأرض الروم، وبالتالي كان المجال مفتوحاً أمام معاوية للجهاد في تلك النواحي، وقد تحدثنا عنها فيما مضى، وقد كان لمعاوية ثقله السياسي في الدولة الإسلامية أواخر خلافة عثمان؛ إذ كان ضمن الولاة الذين جمعهم عثمان ليستشيرهم حين بدأت ملامح الفتنة تلوح في الأفق، كما ظهرت له آراء خاصة في هذا الاجتماع وجهها إلى عثمان<sup>(7)</sup>، وسيأتى

(1) الولاة على البلدان (171/1).

(2) تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، حسن سليمان، ص 79.

(3) تاريخ الطبري (442/5).

(4) تاريخ خليفة بن خياط، ص 155.

(5) تاريخ الطبري (442/5).

(6) المصدر نفسه (443/5).

(7) الولاية على البلدان (176/1).

ي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

### سادساً: أرمينية:

بدأت الجيوش الإسلامية بالتوجه إلى أرمينية لأول مرة في عهد عثمان ؛ حيث توجه أول جيش إسلامي إلى تلك المنطقة من بلاد الشام، وهي من أقرب الولايات إليها، يقوده حبيب بن مسلمة الفهري وقوامه حوالي ثمانية آلاف مقاتل، واستطاع هذا الجيش أن يفتح العديد من المواقع في أرمينية، إلا أنه أحس بالخطر نتيجة تجمع حشود من الروم لمساعدة الأرمن في حروبهم ضد المسلمين، فطلب المساعدة من الخليفة الذي أمر بتسيير جيش من الكوفة قوامه ستة آلاف رجل تقريبا ويقوده سلمان بن ربيعة الباهلي<sup>(1)</sup>. وقد حدث نزاع بعد ذلك بين حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة، وقف الخليفة عثمان عليه، فقام بالكتابة إلى القوم وحل المشكلة التي بينهما<sup>(2)</sup>. ويبدو أن سلمان بن ربيعة تولى قيادة الجيوش الإسلامية؛ حيث كتب إليه عثمان بإمرته على أرمينية<sup>(3)</sup>، ثم توغل سلمان بن ربيعة في أرمينية ثم بلاد (الخرز)<sup>(4)</sup> فاتحا ومنتصرا، حتى وقعت معركة حامية بين جيشه وقوامه عشرة آلاف رجل وجيش ملك الخرز وقوامه ثلاثمائة ألف -كما تقول الرواية- فقتل سلمان وجميع جنوده، وقد كتب عثمان إلى حبيب بن مسلمة أن يسير مرة أخرى إلى بلاد أرمينية، فاتجه بجيشه وقام بفتح المواقع مرة بعد أخرى، وثبت أقدام المسلمين فيها، وعقد بعض المعاهدات مع أهل البلاد<sup>(5)</sup>، ثم رأى عثمان أن يوجهه إلى ثغر ور الجزيرة لخبرته بها وقدرته عليها، وعين مكانه على أرمينية حذيفة بن اليمان بالإضافة لولايته على أذربيجان؛ حيث قام بعدة غزوات نحو بلاد الخرز من أرمينية<sup>(6)</sup>، وبعد ما يقرب من سنة عزله عثمان وولى على أرمينية المغيرة بن شعبه حتى توفي عثمان وهو عليها وعلى أذربيجان في الوقت نفسه<sup>(7)</sup>. وتعد هذه الولاية إضافة جديدة أضافها عثمان إلى الدولة الإسلامية ولم تكن فتحت قبله، وقد لقي المسلمون عناء شديدا في فتحها وتنظيمها وضبط أمورها<sup>(8)</sup>.

### سابعاً: ولاية مصر:

كان والي مصر في خلافة عمر بن الخطاب هو عمرو بن العاص الذي حكمها ما يقرب من أربع سنوات<sup>(9)</sup>. وتوفي عمر وهو وال عليها، وقد أقره عثمان بن عفان في بدايته خلافته فترة من الوقت، وكان يساعده في عمله في بعض نواحي مصر عبد الله بن أبي السرح<sup>(10)</sup> الذي كان مصاحبا لعمرو بن العاص منذ أيام فتوحه في فلسطين؛ حيث كان من ضمن قواده واشترك معه في فتوح مصر<sup>(11)</sup>. وقد عينه عمر على بعض صعيد مصر

- (1) الطبقات (131/6).
- (2) الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، ص 326.
- (3) القنوح لابن أعمش (112/2).
- (4) الخرز: بلاد الترك في آسيا الوسطى، وهي الآن في جنوب روسيا.
- (5) الولاية على البلدان (177/1).
- (6) المصدر نفسه (177/1).
- (7) تاريخ البعقوبي (168/2)، الولاية على البلدان (177/1).
- (8) الولاية على البلدان (177/1).
- (9) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د. جمال الدين بردي (77/1).
- (10) سير أعلام النبلاء (33/1).
- (11) المصدر نفسه (33/1).

بعد فتحها<sup>(1)</sup>، ويبدو أن عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي السرح حدث بينهما خلاف في وجهات النظر، فوفد عمرو بن العاص على عثمان بعد مبايعته بالخلافة، وطلب منه عزل عبد الله بن سعد عن ولاية الصعيد، فرفض عثمان ذلك، وذكر له أن عمر هو الذي ولى ابن أبي السرح، وأنه لم يأت بما يوجب العزل، فأصر عمرو على عزله، وأصر عثمان على عدم موافقته، ونتيجة لإصرار كل من الطرفين على رأيه، رأى عثمان أن من الأصلح عزل عمرو عن مصر وتولية عبد الله بن أبي السرح مكانه، وهذا ما حدث بالفعل<sup>(2)</sup>. وفي هذه الظروف قام الروم بالإغارة على الإسكندرية والاستيلاء عليها وقتلوا جميع من فيها من المسلمين، فرأى أمير المؤمنين تعيين عمرو على جيوش مصر لفتح الإسكندرية من جديد والقضاء على جيش الروم، وتم ذلك فعلاً<sup>(3)</sup>، وقد فصلت أحداثا ثمة في حديثي عن الفتوحات، ثم إن عثمان أراد أن يعيد عمرو على ولاية أجناد مصر و حربها، وأن يجعل عبد الله بن سعد على الخراج، إلا أن عمرو رفض ذلك، وتكاد الأخبا ر تنذر عن ولاية عمرو في مصر خلال عهد عثمان سوى ما ورد من دوره في الجهاد؛ سواء في رد الروم وطردهم عن الإسكندرية وتثبيت الأمن في أنحاء مصر، أم في قضايا الخراج التي دارت فيها بين عثمان وبين عمرو خلافات في الرأي<sup>(4)</sup>. وبعد عزل عمرو بن العاص عن مصر مرة أخرى أو عن ولاية الإسكندرية على أرجح الآراء، وبعد رفضه ما اقترحه عثمان من ولايته على الأجناد وولاية ابن أبي السرح على الخراج، أقر عثمان عبد الله بن أبي السرح مرة أخرى على مصر، وأصبح هو والي الرسمي لمصر، والمدير الفعلي لولاية مصر بأجنادها وخراجها ومختلف شئونها<sup>(5)</sup>. وقد كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئة مستقرة إلى أن تمكن مثيرو الفتنة من أمثال عبد الله بن سبأ من الوصول إليها وإثارة الناس فيها، فكان لهم وللمتأثرين بهم دور كبير في مقتل عثمان<sup>(6)</sup>، وسيأتي بإذن الله تعالى تفصيل ذلك.

### ثامناً: ولاية البصرة:

استشهد عمر بن الخطاب وواليه على البصرة أبو موسى الأشعري، وكان المجد تمع البصري في تلك الفترة قد بدأ يشهد تغيرات أساسية في بنيته السكانية والاجتماعية حيث أصبحت البصرة من أكبر المعسكرات الإسلامية؛ إذ هاجر إليها العديد من القبائل وقام جندها بفتح الكثير من المواقع، وبالتالي اكتسبت أهمية خاصة في بداية عهد عثمان<sup>(7)</sup>. وقد انشغل الناس بأمورهم الخاصة إضافة إلى الأمور العامة من جهاد وغيره، وبالتالي فإن الولاية على مثل هذه المنطقة وكذلك ما يتبعها من أقاليم أخرى تعتبر مهمة ليست باليسيرة وتتطلب دراية خاصة بإدارة أحوال تلك الولاية، ولعل عمر بن الخطاب كما ن يحس بمقدرة أبي موسى الخاصة على إدارة تلك الولاية؛ حيث أوصى الخليفة من بعد

(1) ولاية مصر للكندي، ص 33، فتوح مصر وأخبارها، ص 173.

(2) الولاية على البلدان (178/1).

(3) المصدر نفسه (178/1، 179).

(4) الولاية على البلدان (179/1)، فتوح البلدان، ص 217.

(5) الولاية على البلدان (79/1).

(6) المصدر نفسه (186/1).

(7) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، صالح العلي، ص 141.



ه أن يترك أبا موسى في الولاية من بعده أربع سنوات بعد وفاته<sup>(1)</sup> وقد كانت فترة ولاية أبي موسى للبصرة فترة جهاد وكفاح برز فيها دور أهل البصرة، كما برز فيها أبو موسى بفتح العديد من المواقع في بلاد فارس، إضافة إلى تنبئته لأقدام المسلمين في المواقع المفتوحة سابقا، والتي حاول أهلها الانتفاض بعد وفاة عمر بن الخطاب ، فقام أبو موسى بغزوهم وتنشيت الإسلام في تلك الربوع<sup>(2)</sup> وبالإضافة إلى دور أبي موسى في الفتح فإنه قام بدور مهم في تنظيم الري وحفر القنوات والأنهار في البصرة أثناء ولايته زمن الخليفة عثمان، وقد قام بحفر قناة لجلب مياه الشرب إلى البصرة اعتمد عليها الناس بعد ذلك في شربهم، كما بدأ في مشاريع لحفر قنوات أخرى، إلا أن عزله عن الولاية حال دون إتمامها<sup>(3)</sup>، فقام خليفته عبد الله بن عامر بإتمامها<sup>(4)</sup> ولم تستمر ولاية أبي موسى على البصرة طويلا؛ إذ قام عثمان بعزله سنة 29 هـ - كما ترجح معظم الروايات - وعين مكانه عبد الله بن عامر بن كريز<sup>(5)</sup> ويورد المؤرخون عدة روايات حول عزل أبي موسى، نستخلص منها أن هناك مشكلة قامت بين أبي موسى وبين جند البصرة اختلف في سببها، وقد قدمت مجموعة من أهل البصرة إلى عثمان تحرضه على عزل أبي موسى قائلا: ين له: ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه فأبدلنا سواه، قال عثمان: من تحبون؟ فقالوا: ف ي كل أحد عوض عنه، وطلب قوم من عثمان أن يولي عليهم قرشيا<sup>(6)</sup>، فعزل عثمان أبا موسى وولى مكانه عبد الله بن عامر. وهنا تتجلى لنا حكمة أبي موسى وسعة صدره وطاعته لأمر الخليفة، وأنه لم يكن يحرص على الولاية كما يظن البعض، فحينما بلغه عزله وتولية عبد الله بن عامر مكانه، صعد المنبر وأثنى على عبد الله بن عامر - وكان شابا صغيرا عمره 25 سنة - وكان ما مدحه به أبو موسى قوله: قد جاءكم غلام كريم العمّا ت والخالات والجدا ت في قريش، يفيض عليكم المال فيضا<sup>(7)</sup>.

لقد استطاع عثمان في تلك الظروف الصعبة التي تمر بها ولاية البصرة أن يعيد ن قائدا جديدا يستجيب له الأجناد، وبالتالي توحدت صفوفهم أمام الأعداء، فضلا عن أن هذا العزل تكريم لأبي موسى من أن يهان من قبل بعض العوام، ممن تأثروا بالغوغاء وأفكار المتمردين المنحرفة ممن حملوا في نفوسهم كراهيته والتشهير به والتفوا عليه<sup>(8)</sup> وقد كانت ولاية البصرة تمر بظروف صعبة حينما تولى ابن عامر، مما دفع عثمان إلى إجراء تغيير أساسي في إدارة الولاية؛ إذ أنه ضم أجناد البحرين وعمان إلى ابن عامر في البصرة؛ حتى يعطيه سلطة أقوى للوقوف أمام التحديات التي تواجهه في تلك الفترة، وقد كان لهذا الدمج أثره الكبير على قوة ابن عامر ونفوذه، كما أنه أثر من ناحية أخرى على البصرة نفسها؛ حيث أصبحت إحدى العواصم الإسلامية المستقرة، وزادت هجرة القبائل إليها أكثر من ذي قبل<sup>(9)</sup>، وبالتالي زادت أعباء الولاية سواء في الديوان أم في تنظ

(1) سير أعلام النبلاء (391/2)، الولاية على البلدان (186/1).

(2) الولاية على البلدان (187/1).

(3) الولاية على البلدان (187/1).

(4) المصدر نفسه (187/1).

(5) تاريخ الطبري (264/5).

(6) المصدر نفسه (264/5).

(7) المصدر نفسه (266/5)، سير أعلام النبلاء (19/3).

(8) الولاية على البلدان، (189/1).

(9) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، صالح العلي، ص 141.

يم مختلف شئون الولاية الإدارية والمالية والأمنية وغيرها.

وقد كانت لولاية البصرة وأجنادها ولابن عامر نفسه فتوح عظيمة بدأت بعد ولايته مباشرة، وانتهت قبل مقتل أمير المؤمنين عثمان <sup>(1)</sup>، وقد تم بيانها عند حديثنا عن فتوحات عثمان . وقد اكتسبت البصرة أيام ابن عامر مكانة خاصة بين الولايات الإسلامية لفتت نظر الخليفة عثمان نتيجة فتوحها وتوسعها في مختلف المجالات، فأصبحت مركزاً إدارياً مرموقاً <sup>(2)</sup>، وتدار منها العديد من المناطق الإسلامية. وكان ابن عامر مسئلاً ولا عن توزيع الأمراء في مختلف المناطق التابعة لولايته باتفاق مسبق مع الخليفة عثمان ، وبالتالي كانت مسؤولياته عظيمة. وقد قام ابن عامر بتوزيع الأمراء على المناطق التابعة له بمجرد أن تولى الإمارة؛ حيث اختار بعض القواد والأمراء وعينهم على تلك المناطق، ومن أهمها عمان والبحرين وسجستان وخراسان وفارس والأهواز، بما في هذه المناطق من مدن مختلفة ومناطق شاسعة <sup>(3)</sup>، وكان يجري تنقلات بين هؤلاء الأمراء والعمال من وقت لآخر تبعاً للمصلحة في ذلك. كما اشتهرت البصرة في أيامه بببيت ماله الذي زاد دخله في أيامه وكثرت مصروفاته، وكان المسئول عن بيت المال في أيام عمر زياد بن أبي سفيان، وقد كان يلي بعض المشاريع من حفر للأنهار وغيرها نيابة عن ابن عامر <sup>(4)</sup>، وفي ولاية ابن عامر ضربت الدراهم في أنحاء فارس التابعة لولايته، وعليها ألفاظ عربية في الفترة من سنة 30هـ حتى 35هـ <sup>(5)</sup>. وقد كان ابن عامر محبوباً لأهل البصرة عموماً منذ قدومه إليها، ورغم ما أثير حوله من أن عثمان ولّاه لأنه قريب له، إلا أن أهل البصرة تمسكوا به <sup>(6)</sup>، ومن خلال هذا العرض تبين أن ولاية البصرة في عهد عثمان انحصرت في رجلين هما أبو موسى الأشعري وعبد الله بن عامر، ولقد كان لكل الواليين دوره الرئيسي في ضبط أمور البصرة وما يتبعها <sup>(7)</sup>.

### تاسعاً: ولاية الكوفة:

كان على ولاية الكوفة حين بويع عثمان بالخلافة المغيرة بن شعبة ، وكان قد تولى في أواخر عهد عمر <sup>(8)</sup>، وقد قام عثمان بعزل المغيرة عن الكوفة وتعيين سعد بن أبي وقاص مكانه، وقد ذكر في سبب العزل أنه كان بوصية من عمر ؛ حيث أوصى الخليفة من بعده أن يستعمل سعداً نظراً لأن عمر عزله عن الكوفة في أواخر خلافة هـ، وقال: إنني لم أعزله عن سوء ولا خيانة، وأوصى الخليفة بعدي أن يستعمله <sup>(9)</sup> تولى سعد بن أبي وقاص على الكوفة وكان قرار التعيين مشتركاً بين سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود؛ سعد على الصلاة والجند، وابن مسعود على بيت المال <sup>(10)</sup> وقد كان سعد بن أبي وقاص صاحب خبرة في ولاية الكوفة وله معرفة تامة بأمورها وسكانها وثغورها

(1) الولاية على البلدان (189/1).

(2) المصدر نفسه (193/1).

(3) نهاية الأرب (433/19).

(4) الولاية على البلدان (194/1).

(5) الدراهم الإسلامية، وداد على القزاز، ص 14.

(6) الولاية على البلدان (194/1).

(7) المصدر نفسه (195/1).

(8) الولاية على البلدان (239/5).

(9) المصدر نفسه (225/5).

(10) تاريخ الطبري (250/5)، الولاية على البلدان (196/1).

رها وأجنادها؛ نظرا لأنه

كان مؤسسها في عهد عمر، كما أنه وليها عدة سنوات، فكان أخبر الناس بها وأعلمهم بأحوالها.(1)

ومن الأعمال التي قام بها سعد أثناء ولايته في عهد عثمان على الكوفة قيامه بزيارة بعض الثغور التابعة للكوفة ومنها (الري) وترتيب أمورها وضبطها سنة 25هـ(2)، وكذلك قيامه بتعيين بعض الأمراء والعمال الجدد في (همدان) وما حولها، ولم تطل فترة ولايته سعد ابن أبي وقاص على الكوفة إذ حدث بينه وبين عبد الله بن مسعود خلاف، وكان ابن مسعود على بيت المال، فاقترض منه سعدا شيئا من الأموال إلى أجل، فجاء الأجل ولم يكن عند سعد ما يسد به ذلك القرض، فجاءه ابن مسعود يطالبه بتسديد ذلك القرض فاشتد في الكلام واجتمع حولهما الناس، فقرر عثمان عزل سعد وإبقاء ابن مسعود، فكانت عقوبة سعد العزل وعقوبة ابن مسعود الإقرار في العمل كما يقول الطبري.(3) وهذه القصة تدلنا على تورع كلا الصحابييين، وتدل على حاجة سعد إلى المال، وعدم وجود ما يكفيه وأنه لذلك اضطر إلى الاقتراض من بيت المال، كما تدل على اجتهاد عبد الله بن مسعود في حفظ أموال المسلمين وإصراره على استرداد القرض من سعد والي الكوفة وحاكمها، وكانت ولاية سعد على الكوفة سنة وأشهر.(4)

وبعد عزل سعد ولي عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي كان قبل تعيينه على الكوفة قد عمل قائدا لجيش من جيوش أبي بكر في الأردن، ثم عمل لعمر على عرب الجزيرة(5)، وفي أواخر خلافة عمر وأوائل خلافة عثمان كان الوليد أحد قواد جناد الكوفة، وقام بالجهاد في العديد من المواقع قائدا لتلك الأجناد(6)، فكان قبل تعيينه على ولاية الكوفة صاحب خبرة بالكوفة وأجنادها وثغورها ومختلف شئونها. وكعادة الخلفاء الراشدين في تفضيل أصحاب الخبرة في المنطقة على غيره عند الحاجة إلى تعيين ولاة جدد، فقد وقع اختيار عثمان على الوليد بن عقبة لولاية الكوفة، وكثير ممن كتبوا عن تعيين عثمان للوليد سواء من المتقدمين أو من المتأخرين حاولوا اتهام عثمان في هذا التعيين، فهم يقولون: إن عثمان استعمل على الكوفة أخاه لأمه الوليد بن عقبة(7)، وهذا فيه غمز مباشر لعثمان(8). وفي بداية ولاية الوليد كان يشترك معه عبد الله بن مسعود حيث كان واليا على بيت المال، إلا أن خلافا حدث بين الوليد وعبد الله بن مسعود على أمر يتعلق بأموال الدولة ورفع النزاع إلى عثمان ليفصل فيما يراه، فرأى عثمان أن من المصلحة توحيد الولاية وبيت المال في يد الوليد وعزل عبد الله بن مسعود، وقد اعتقد أن المصلحة العامة تقتضي ذلك الضم.(9) وقد بقي الوليد بن عقبة في الكوفة م

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص105، الولاية على البلدان (196/1).

(2) الولاية على البلدان (197/1).

(3) تاريخ الطبري (251/5).

(4) تاريخ الطبري (250/5).

(5) المصدر نفسه (251/1).

(6) الولاية على البلدان (198/1).

(7) المصدر نفسه (198/1).

(8) انظر الاتهامات التي ألغها طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى (94/1).

(9) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص108.

حبوباً من أهلها، ليس على داره باب<sup>(1)</sup>، يستقبل الناس في مختلف الأوقات ليحل مشكلاتهم، ويقوم بالواجبات الملقاة عليه، إلى أن وقعت بعض الحوادث في الكوفة أوجدت بعض الحاقدين عليه بسبب موقفه الحازم في قضية ابن الحيسمان الخزاعي الذي قتله مجموعة من شباب الكوفة، فأقام الوليد بن عقبة بأمر من عثمان حد القصاص على هؤلاء الشباب المعتدين، ومنذ تلك الحادثة أخذ أولياء المجرمين وأقاربهم يروجون الشائعات على الوليد بن عقبة، ويحاولون جاهدين أن يتصيدوا أخطاء الوليد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، واستطاع أولئك الموتورون تليفق قضية ضد الوليد، وهي دعوى شربه الخمر، التي سببت إقامة الحد عليه وعزله عن ولاية الكوفة، وهذا ما أراده المتآمرون<sup>(2)</sup>، وسيأتي تفصيل قضية شرب الوليد بن عقبة للخمر عند حديثنا عن ولاية عثمان بإذن الله تعالى.

وبعد عزل الوليد أرسل عثمان إلى أهل الكوفة كتاباً جاء فيه: من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، سلام أما بعد، فإني استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولت منعه واستقامت طريقته، وكان من صالح أهل وأصبيته بكم ولم أوصكم به، فلما بدلكم خبره وكف عنكم شره، وغلبتكم علانيته طعنتم به في سريرته والله أعلم بكم وبه، وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميراً<sup>(3)</sup> وكانت شكاية أهل الكوفة للوليد وعزله حلقة في سلسلة طويلة من الشكايات والعزل من قبل بعض أهل الكوفة لأمرائهم<sup>(4)</sup>، وقد غضب الكثير من أهل الكوفة لعزل الوليد، وبعد عزل عثمان للوليد عن ولاية الكوفة عين بعده سعيد بن العاص سنة 30 هـ الذي كان مقيماً في المدينة، فاتجه إلى الكوفة ورافقه وفد من أهل الكوفة الذين قدموا على عثمان في شكاية الوليد، وكان فيهم الأشتر النخعي وغيره<sup>(5)</sup>، فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد بعثت إليكم، وإني لكاره ولكني لم أجِدُ بداً إذ أمرت أن أُنْتَمِرَ، إلا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تُعَيِّنِي، وإني الرائد نفسي اليوم، ثم نزل عن المنبر<sup>(6)</sup>.

ومن خلال هذه الخطبة يتبين لنا معرفة سعيد ببدايات الفتنة وإرهاصات التي بدأت تظهر في الكوفة قبل ولايته، وتهديده لأصحاب الفتنة وعزمه على القضاء على الفتنة التي استشرع بدايتها في الكوفة<sup>(7)</sup> واستطاع سعيد بن العاص أن ينظم أمور ولايته ويعين الأمراء والولاة في مختلف الثغور التابعة للكوفة ويضبط أمورهم<sup>(8)</sup>، وقام بغزوات ناجحة تم ذكرها عند حديثنا عن الفتوحات في عهد عثمان، ثم بدأت الفتنة تطل برأسها في الكوفة سنة 33 هـ، وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى - بالتفصيل، ودبر الأشتر النخعي مؤامرة ضد سعيد بن العاص وانخدع بها بعض عوام الكوفة فقاموا مع الأشتر في رفض ولاية سعيد والطلب من عثمان إبداله بغيره، ولم يكن سعيد سوى وال من الولاة الذين سب

- (1) تاريخ الطبري (251/5).
- (2) الولاية على البلدان (201/1).
- (3) تاريخ الطبري (280/5).
- (4) الولاية على البلدان (206/1).
- (5) تاريخ الطبري (280/5).
- (6) المصدر نفسه (280/5).
- (7) الولاية على البلدان (207/1).
- (8) المصدر نفسه (208/1).

ق لأهل الكوفة أن اعترضوا عليهم وطلبوا عزلهم قبل ذلك، كسعد بن أبي وقاص والوليد بن عتبة وغيرهما، وكان طلب خلعهم مقرونا بثورة حمل الغوغاء فيها السلاح وهي ساقية خطيرة في تاريخ الكوفة، بل وفي تاريخ الدولة الإسلامية كلها، وليس فيها سبب حقيقي، وإنما السبب الحقيقي هو تطور الأوضاع والتغير الذي طرأ على نفوس الناس بتأثير دعاة الفتنة والخروج على عثمان، وقد أصدر الخليفة عثمان أمرا بتولية أبي موسى الأشعري على الكوفة وعزل سعيد بن العاص بناء على طلب بعض أهل الكوفة. وقد استهل أبو موسى ولايته بخطبة أمام أهل الكوفة قال فيها: أيها الناس، لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعجلة، اصبروا فكأنكم<sup>(1)</sup> بأمر، قالوا: فصل بنا، قال: لا إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان.<sup>(2)</sup> وقد كتب عثمان إلى أهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، ووالله لأفرشنكم عرضي ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدى، فلا تدعوا شيئا أجبتوه لا يعصى الله فيه إلا سألتهم، ولا شيء نأكرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه أنزل فيه عندما أجبتم حتى لا يكون لكم عيب<sup>(3)</sup>.

وقد استمر أبو موسى واليا على الكوفة حتى قتل عثمان<sup>(4)</sup>، وهكذا نجد أن ولاية الكوفة في خلافة عثمان قد تولى عليها خمسة ولاة، ابتداء بالمغيرة بن شعبة و انتهاء بأبي موسى الأشعري، وقد حفلت فترة الولاية لكل من هؤلاء الخمسة بالعديد من الأحداث التي برزت على ساحة الأحداث، وكان لها تأثير مباشر على مسيرة الدولة الإسلامية، وقد نمت الفتنة في الكوفة واشتهر عن أهلها تسلطهم على ولايتهم، ورفضهم لهم في كثير من الأحيان مهما استرضوهم؛ فقد شكوا سعد بن أبي وقاص، وشكوا الوليد بن عتبة، وطردها سعيد بن العاص، ولعلنا نتذكر هنا أنهم أتعبوا عمر قبل عثمان حتى قال فيهم: من عذيري من أهل الكوفة، وقد كان لبعض أهل الكوفة دور مباشر ورئيسي في مقتل الخليفة عثمان.

وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض الولايات المتفرعة من ولاية الكوفة كطبرستان، وأذربيجان، وبعض المناطق الأخرى شمالي بلاد فارس.<sup>(5)</sup> ومما يؤيد ارتباطها بالكوفة أن ولاية الكوفة -منهم سعيد بن العاص- هم الذين كانوا يتولون الفتوح في نواحيها، كما كانوا يؤدبون أهلها في حال عصيانهم، وقد لعبت هذه الولايات الفرعية دورا مرتبطا بدور الكوفة أيضا إلى حد كبير.<sup>(6)</sup>

ومن خلال العرض السابق للولايات الإسلامية في عهد عثمان يتبين لنا أن هناك ولايات تمتعت بالاستقرار طيلة عهد عثمان، ومنها الولايات الواقعة في بلاد العرب كـ

(1) المراد: اصبروا فإن معكم أميرا الآن إن سمعتم وأطعتم.

(2) تاريخ الطبري (339/5).

(3) المصدر نفسه (343/5).

(4) المصدر نفسه (343/5).

(5) الولاية على البلدان (213/1).

(6) المصدر نفسه (213/1).

+

+

البحرين واليمن ومكة والطائف وغيرها، كما تمتعت الشام بالاستقرار أيضا طيلة خلافة عثمان ، وأما البصرة فقد شغل أهلها بالفتوح مع واليهم عبد الله بن عامر، وأما مصر والكوفة فقد حدث فيهما الاضطراب في أواخر خلافة عثمان، وبالتالي ولدت فيهما الفتنة وأقدم أناس من أهلها على غزو المدينة وعلى قتل الخليفة عثمان بدلا من غزو أعداء الإسلام!!<sup>(1)</sup>

\* \* \*

---

(1) المصدر نفسه (214/1).

+

+

## المبحث الثاني

### سياسة عثمان مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم

#### أولاً: سياسة عثمان مع الولاة:

تولى عثمان الخلافة في بداية سنة 24هـ، وكان ولاية عمر ينتشرون في الأمصار الإسلامية، وقد أقرهم عثمان في ولاياتهم عاملاً كاملاً، ثم باشر بعد ذلك العزل والتعيين في هذه الأمصار بمقتضى سلطته وحسب ما يراه في مصلحة المسلمين، ولعل عثمان أن في ذلك قد اتبع وصية عمر التي أوصى فيها: أن لا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقرروا الأشعري أربع سنين.<sup>(1)</sup> وكان عثمان في سياسته مع الولاة يعتمد على مشورة الصحابة في كثير من تصرفاته، كما أنه قام بضم بعض الولايات إلى بعضها لما يراه في مصلحة المسلمين، ولذلك قد حدد الولاة إلى حد ما في بعض المناطق؛ فقد ضم البحرين إلى البصرة، كما ضم بعض ولايات الشام إلى بعضها الآخر نتيجة لوفاء بعض الولاة أو طلبهم الإعفاء من العمل.

وقد كان عثمان دائم النصيحة لولائته بالعدل والرحمة بين الناس، فكان أول كتبه إلى ولاته بعد مبايعته خليفة للمسلمين: أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جبابرة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جبابرة، وليوشكن أنهم تكلموا أن يصيروا جبابرة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تنشأوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوا الذي عليهم، ثم العدو الذي تتنابون فاستفتحوا بالوفاء.<sup>(2)</sup>

ونحن نرى من هذا أن عثمان حدد لولائته معالم السياسة التي يجب أن يسيروا عليها، من إعطاء الحقوق للمسلمين ومطالبتهم بما عليهم من واجبات وإعطاء أهل الذمة حقوقهم ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وبالوفاء حتى مع الأعداء وبالعدل في ذلك كله، وأن لا يكون مهمهم جباية المال.<sup>(3)</sup> كما كان عثمان يكتب إلى عماله ببعض التعليمات الخاصة في الأمور المستجدة التي تتعلق بإدارتهم للولايات، إضافة إلى كتبه العامة والتي كان يصدر فيها تعليمات محددة يلتزم بها الجميع، ومن ذلك: إلزامه الناس في الولايات بالمصاحف التي كتبت في المدينة على ملأ من الصحابة؛ حيث أرسل مصاحف إلى كل من الكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والبحرين واليمن والجزيرة بالإضافة إلى مصحف المدينة.<sup>(4)</sup> وقد أمر عثمان بجمع المصاحف الأخرى وإحراقها وذلك بموافقة الصحابة في المدينة، كما ورد ذلك عن علي<sup>(5)</sup>، كما كان عثمان حريصاً على أن يتتافس الأمراء فيما بينهم في الجهاد وفتح بلدان جديدة، فقد كتب إلى عبد الله بن عامر في البصرة وإلى سعيد بن العاص في الكوفة يقول: أيكما سبق إلى خراسان فهو أمير عليها، م

(1) سير أعلام النبلاء (391/2).

(2) تاريخ الطبري (244/5).

(3) الولاية على البلدان (215/1).

(4) تاريخ المدينة، أبو زيد البصري (997/3). (2) المصدر نفسه (995/3، 996).

ما دفع ابن عامر إلى فتح خراسان وسعيد بن العاص إلى فتح طبرستان (1) وقد كان عثمان يشترط بعض الشروط علي الولاة أحيانا ليضمن أن يكون تصرفهم في صالح المسلمي ن، ومثال ذلك أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عثمان يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص، فكتب إليه عثمان: فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونا لك وإلا فلا، فركب البحر وحمل امرأته (2).

### ثانياً: أساليب عثمان لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم:

اتبع عثمان عدة أساليب لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم، من ذلك:

#### 1- حضوره لموسم الحج:

كان عثمان يحرص على الحج بنفسه ويلتقي بالحجاج، ويسمع شكاياتهم وتظلمهم من ولايتهم، كما أنه طلب من العمال أن يوافوه في كل موسم، وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم (3)، وكان ذلك استمراراً لما كان عليه الحال أيام عمر من لقاء سنوي بين الخليفة والولاة والرعية (4).

#### 2- سؤال القادمين من الأمصار والولايات:

وتعتبر هذه الطريقة من أيسر الطرق؛ حيث إنها لا تكلف الخلفاء كثيراً، كما أنها تأتي في كثير من الأحيان دون ترتيب مسبق، وقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين الأربعة عم لهم بهذه الطريقة، وكان وجود الخليفة في المدينة المنورة خلال عصور الخلفاء الثلاثة الأولى مما يساعد الخليفة، نظراً لكثرة الوافدين إلى المدينة للزيارة، وخصوصاً أثناء موسم الحج (5).

#### 3- وجود أناس من أهل البلاد يكتبون إلى الخليفة:

فقد استقبل عثمان الكتب التي أرسلها بعض الرعية من الأمصار إلى المدينة بما فيها شكاوي؛ فقد استقبل كتاباً أرسله أهل الكوفة إليه، وكذلك كتاباً أرسله أهل مصر إليه، كما استقبل كتاباً أخرى أرسلها أناس من الشام، وقد اطلع عثمان على ما في هذه الكتب وعالج ما فيها (6).

#### 4- إرسال المفتشين إلى الولايات:

بعث عثمان العديد من المفتشين إلى بعض الولايات للاطلاع على أحوالها ومعرفة ما يشاع عن ولايته من ظلم للرعية، وقد جاء أولئك المفتشون بتقارير وافية عن أحوال أولئك الولاة (7)؛ فقد أرسل عمار بن ياسر إلى مصر، ومحمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، بالإضافة إلى إرساله رجالاً آخرين إلى أماكن أخرى (8).

(1) تاريخ البعقوبي (166/2).

(2) الولاية على البلدان (216/1)، الخراج وصناعة الكتابة، ص 306.

(3) الولاية على البلدان (216/1) نقلاً عن تاريخ الطبري.

(4) المصدر نفسه (216/1).

(5) الولاية على البلدان (122/2).

(6، 3، 4) المصدر نفسه (217/1).



## 5- السفر إلى الولايات والاطلاع على أحوالها مباشرة:

كان عثمان يزور مكة في موسم الحج، ويطلع على أحوالها، ويقابل الولاة بها و حجاج الأمصار، ويسأل عن أخبارهم وأحوالهم.

## 6- طلب الموفدين من الولايات لسؤالهم عن أمرائهم وولاتهم:

كان الخلفاء الراشدون في كثير من الأحيان يطلبون من الولاة أن يبعثوا إليهم بأناس من أهل البلاد ليسألوهم، وقد تكرر ذلك من عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أما أب بكر فكان مشغولاً بأمور جهادية منعه من ذلك، كما كان لقصر مدة خلافته دور في قلة هذه الحوادث<sup>(1)</sup>.

## 7- استقدام الولاة وسؤالهم عن أحوال بلادهم:

وقد اشتهرت هذه الطريقة خلال عصر الخلفاء الراشدين الأربعة، وقد كانت الاتصالات المستمرة قائمة بين الخليفة عثمان وبين ولاته لبحث مختلف شئون الدولة، ومن أهم هذه الاتصالات: الاجتماع الذي عقده عثمان مع ولاته في المدينة؛ حيث دعا ولاية البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرهم، ودعا كبار الصحابة وعقد معهم اجتماعاً بحث فيه بؤادير الفتنة التي بدأت تظهر، وتعرف على آراء أولئك الولاة في الفتنة وكيفية علاجها، فقد أدلى كل وال من هؤلاء برأيه في علاج تلك الظاهرة<sup>(2)</sup>.

## 8- المراسلة مع الولاة:

وطلب التقارير منهم عن أحوال رعيّتهم وأحوال بلادهم، وقد اشتهرت هذه الطريقة خلال عصور الخلفاء الراشدين الأربعة، وكانت بالأحرى أهم الطرق خلال عصر أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما<sup>(3)</sup>.

هذه أهم الأساليب التي اتبعتها عثمان في متابعة ومراقبة ولاته، وقد كان حريصاً على قيام الولاة بواجباتهم، وفي حالة وقوع أي مخالفة منهم، فإنهم يؤدّبهم على ذلك الخ طاً إذا وصل إلى علمه، وإذا ثبت عليه ارتكابه شرع في عقوبته دون النظر إلى حسن ظنه في العامل، ومن ذلك جلده للوليد بن عقبة حد الخمر بعد اكتمال شروطه وبغض النظر عن صدق الشهود من عدمه<sup>(4)</sup>، وقام بعد جلده بعزله عن ولاية الكوفة<sup>(5)</sup>. وقد درج عثمان أن يكتب إلى أهل الأمصار عن تعيين وال جديد عليهم ليوصيهم به كما أوصاه بهم، وكذلك كان يكتب في كثير من الأحيان إلى العامة في الأمصار ناصحاً، حتى يساءد الولاة في تسيير أمور الرعية، ومن ذلك الكتاب الذي أرسله عثمان إلى الأمصار، يقوّل فيه: أما بعد، فإنني أخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلّطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع على شيء ولا على أحد من عمالي إلا أ

(1) المصدر نفسه (122/2).

(2) الولاية على البلدان (123/2).

(2) المصدر نفسه (122/2).

(4) المصدر نفسه (217/2).

(4) المصدر نفسه (126/2).

عطيته، وليس لي ولا لعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، فيا من ضرب سرا وشتم سرا.. من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فيأخذ بحقه؛ حيث كان مني أو من عمالي... أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار، أبكى الناس ودعوا لعثمان (1).

### ثالثاً: حقوق الولاية:

استقر في عهد الخلفاء الراشدين بأن للولاية حقوقاً مختلفة يتصل بعضها بالرعية وبعضها بالخليفة، بالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية والمادية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاية على القيام بواجباتهم وخدمة المصلحة العامة، ومن أهم هذه الحقوق:

#### 1- الطاعة في غير معصية الله:

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** [النساء: 59].

قال القرطبي: لما تقدم إلى الولاية في الآية المتقدمة وبدأ بهم فأمرهم بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، تقدم في هذه الآية فأمر الرعية بطاعته جل وعلا أولاً وهي امتثال أوامره واجتتاب نواهيه، ثم بطاعة رسوله **x** ثانياً فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً، على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم (2). وفي العهد الراشدي خصوصاً والمجتمع الإسلامي عموماً، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم، ولهذا فإن طاعة الحكام مقيدة دائماً بطاعة الله ورسوله، كما قال رسول الله **x**: «لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف» (3).

#### 2- بذل النصيحة للولاية:

من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الأساس الذي تقره الأمة بأكملها، والذي وردت الأوامر به من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه العموم، ومنها ما خص الولاية به؛ حيث أمرت الأحاديث النبوية ببذل النصيحة لهم، وقد دأب الخلفاء الراشدون الأربعة على الكتابة لولاتهم باستمرار ليريدون لهم النصيحة، والنصوص الواردة في هذه كثيرة يصعب حصرها (4).

#### 3- يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه:

والصدق في ذلك سواء ما يخص أحوال العامة، أو ما يخص أخبار الأعداء، أو ما كان متعلقاً بعمال الوالي وموظفيه، والعجلة في ذلك قدر المستطاع، خصوصاً ما كان متعلقاً بالأمور الحربية وأخبار الأعداء وما يتعلق بخيانات العمال وغير ذلك، من منطلق الاشتراك في المسؤولية مع الوالي في مراعاة المصلحة العامة للأمة (5).

(2) تفسير القرطبي (259/5).

(1) تاريخ الطبري (349/5).

(3) البخاري، كتاب الأحكام، رقم (7145).

(4) الولاية على البلدان (56/2).

(5) الولاية على البلدان (57/2).

## 4- مؤازرة الوالي في موقفه:

وعندما اندلعت الفتنة وطلب أصحابها من عثمان عزل بعض ولاته رفض عثمان ذلك، وكان هذا التعصيد يخدم الهدف العام للدولة الإسلامية ويمنع الاضطراب، ولا يعني ذلك عدم الالتفات إلى الشكاوي ومؤازرة الولاة بدون تحقق؛ بل إن هذا التعصيد من الخلفاء إنما يأتي بعد تحقق وتثبت من تلك الشكايات، وبعد محاسبة دقيقة قد تتطلب إرسال لجان خاصة من بعض الصحابة للتحقيق في تلك القضايا، كما أن المؤازرة للوالي واجبة من قبل الخليفة، فهي كذلك واجبة من قبل الرعية، وأن على الناس احترامهم وتقديرهم<sup>(1)</sup>، وإن كان عثمان قد عزل بعض الولاة وذلك لما رآه من مصلحة الرعية.

## 5- احترامهم بعد عزلهم:

ومن ذلك ما فعله عثمان مع أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، بل نلاحظ أن عثمان استشار عمرو بن العاص في مسائل الدولة الكبرى بعد عزله، وهذا احترام فائق من عثمان لمن عزلهم من الولاة.

## 6- مرتبات الولاة:

ومن حقوق الولاة مرتباتهم التي يعيشون عليها، ومبدأ الأرزاق والرواتب للعمال متفق عليه بين الخلفاء الراشدين اقتداء بما فعله الرسول ﷺ، ولئن كانت الروايات قد اقتضت رت على ذكر مرتبات بعض العمال فقط، فإن المفهوم أن جميع العمال كانت لهم مرتبات خلال عصور الراشدين، ومعظم الروايات التي وردت في هذا الموضوع كانت تركز بالدرجة الأولى على عصر عمر بن الخطاب؛ حيث ورد ذكر مقدار أرزاق بعض الولاة في عصره، وقد مضى عثمان وعلي رضي الله عنهما - على سيرة من سبقهما من الخلفاء - في فرض الأرزاق للعمال والولاة، إلا أن عصر عثمان كان على ما يبدو أكثر تساهلاً وسعاً في بذل الأعطيات للناس عموماً ومن ضمنهم الولاة؛ نظراً لزيادة الدخل في بيت المال نتيجة الفتوح الواسعة التي قام بها ولاية عثمان في المشرق وفي أرمينية وأفريقية وغيرها، بل إن عثمان كان يعطي مكافآت مقطوعة للعمال خاصة وبارزة؛ فقد أعطى لعبد الله بن سعد بن أبي السرح خمس الخمس من الغنيمة جزاء فتوحه في شمال أفريقية؛ حيث قال له: إن فتح الله عليك غداً أفريقية فلك ما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلًا<sup>(2)</sup> وعلى كل حال فإن إعطاء الأرزاق للعمال وإغناءهم عن الناس كان مبدأ إسلامياً فرضه رسول الله ﷺ وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرغوا للعمل ولمصلحة الدولة<sup>(3)</sup>.

## رابعاً: واجبات الولاة:

## 1- إقامة الدين، ومن أبرز تلك الواجبات:

## أ- نشر الدين الإسلامي بين الناس:

(1) المصدر نفسه (58/2).

(2) تاريخ الطبري (252/5).

(3) الولاية على البلدان (64/2).

حيث اختص ذلك العصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاة العمل على نشر الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة، وقد كان الولاة يقومون بهذه المهمة مع وجود من يساعدهم في بداية الفتوح في عهد أبي بكر ، ثم بدأت الأمصار تعتمد على معلمين وفقهاء قدموا لهذه المهمة بعد التوسع وبناء الأمصار في عهد عمر، وقد تأكد وجود المعلمين بعد ذلك خلال الفترة الأخيرة من خلافة عمر، وخلال فترة خلافة عثمان وعلي، وذلك لكثرة السكان في الأمصار وكثرة طلاب العلم، وانشغال الولاة بأمور مختلفة، وتوسع الولايات؛ حيث كانت تتبع الولاية الواحدة العديد من الأمصار التي كان الناس فيها بحاجة إلى فقهاء ومعلمين<sup>(1)</sup>.

### ب- إقامة الصلاة:

كان الخليفة نفسه طيلة عصر الخلفاء الراشدين الأربعة هو الذي يقيم صلاة الجمعة والجماعة والأعياد في البلد الذي يقيم فيه، ويخطب في الناس الجمعة والأعياد والمناسبات الأخرى، وكذلك نوابه يقومون بهذه المهمة في أمصارهم، وطيلة عهد الخلفاء الراشدين كان الولاة يخطبون في الناس بأنفسهم ويؤمنهم في الصلاة<sup>(2)</sup>.

### ج- حفظ الدين وأصوله:

كان الخلفاء الراشدون بعد وفاة الرسول ﷺ يشعرون بعظم الواجب الملقى عليهم في حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول الله ﷺ، وكانوا يعملون جاهدين في إحياء سنة الرسول ﷺ والقضاء على البدع، والعمل على احترام دين الله واحترام رسوله ﷺ، ورد كيد من يحاولون الدس على هذا الدين. وقد عمل عثمان على كتابة المصحف الشريف وإرسال نسخ منه إلى الأمصار، وأمر ولاته بإحراق ما لدى الناس من مصاحف أخرى من قبيل المحافظة على أهم أصول الدين، وهو القرآن الكريم<sup>(3)</sup>. وقد بذل ولاية عثمان جهودا كبيرة في محاربة السبئية الذين جاءوا بأراء غريبة على الإسلام وضيّقوا عليهم وطاردهم<sup>(4)</sup>. وعلى العموم فإن المحافظة على الدين واحترامه كان من أهم الواجبات الموكلة إلى الولاة<sup>(5)</sup>.

### د- تخطيط وبناء المساجد:

حينما وصل الرسول ﷺ إلى قباء قام ببناء أول المساجد في الإسلام، وبعد وصوله إلى المدينة بدأ ببناء مسجده فيها، وحينما كان الرسول ﷺ يبعث بالولاة إلى البلدان كان هؤلاء الولاة يقومون ببناء المساجد فيها، واستمر الخلفاء الراشدون بعد ذلك في بناء المساجد في البلدان والأمصار التي فتحها المسلمون، وإن كان الولاة لم يقوموا بتأسيس جميع هذه المساجد فإن لهم دورا في إنشاء المساجد الرئيسية في معظم البلدان التابعة لولايتهم وخصوصا الجوامع منها<sup>(6)</sup>.

### هـ- تيسير أمور الحج:

كان الولاة على البلدان في صدر الإسلام مسئولين عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم وتأمين سلامة الحجاج منها، فقد كان الولاة يعينون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون

(1) المصدر نفسه (66/2).  
 (2) الولاية على البلدان (67/2).  
 (3) تاريخ المدينة (996/3-999).  
 (4) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، سليمان العودة، ص 214.  
 (5، 5) الولاية على البلدان (69/2).

ن لهم أوقات السفر؛ حيث لا يغادر الحجاج بلدانهم إلا بإذن الوالي، ولم يكتفِ بعض الأمراء بأمور الترتيب؛ بل نجد منهم من عمل على تأمين المياه في الأماكن التي يسلكها الحجاج من ولايته، فهذا عبد الله بن عامر بن كريز أجرى المياه في طريق حجاج البصرة حينما كان عاملاً عليها لعثمان بن عفان؛ حيث أوجد المياه في الطريق من البصرة إلى مكة<sup>(1)</sup> وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجاج عمل من مهام الوالي على بلده، يقول الماوردي: أما تسيير الحجيج فداخلة في أحكام إمارته؛ لأنه من جملة المعونات التي تنسب إليه<sup>(2)</sup>.

### و- إقامة الحدود الشرعية:

إن إقامة الحدود على المخالفين لأوامر الله وسنة رسوله x واجب ديني ملقى على الولاة، وهو من أهم الأمور الموكلة إليهم سواء منها الحدود المتعلقة بمن يتعرض لمنافع المسلمين العامة أو من يتعرض بالضرر لأقوام معينين<sup>(3)</sup>، وقد قام عثمان وولاته بإقامة الحدود الشرعية في عهده.

### 2- تأمين الناس في بلادهم:

المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور أهمها إقامة الحدود على العصاة والفساق<sup>(4)</sup>، مما يحد من الجرائم التي تهدد حياة الناس وممتلكاتهم، وبالتالي تقل الحوادث الأمنية من القتل أو السرقة أو قطع الطريق وما إلى ذلك؛ بل الأمر أيضاً يشمل ما يلقيه الناس من أقوال ضد بعضهم البعض من قذف وغيره، فإن إقامة الحد فيها يمنع من الاعتداء الأدبي على الناس في أعراضهم ومحارمهم، ولم يقتصر الأمر على تأمين الناس بعضهم من بعض؛ بل إن العمال -وياًمر من الخلفاء- يعملون على تأمين رعاياهم من الحشرات والهوام كالعقارب وغيرها، يقول البلاذري: كتب عامل نصيبين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو إليه أن جماعة من المسلمين ممن معه أصيبوا بالعقارب فكتب إليه يأمره أن يوظف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة في كل ليلة ففعل، وكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها<sup>(5)</sup>.

### 3- الجهاد في سبيل الله:

إن السمة العامة لعهد الخلفاء الراشدين أن الولاة هم قادة الجهاد في تلك البلدان، كما أن الولاة في عهد عثمان كان لهم دور كبير في الفتوح ومنهم عبد الله بن عامر بن كريز والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري الذين واصلوا الفتوح في المشرق، ومثل عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي واصل الفتوح في شمال أفريقيا، ومعاوية بن أبي سفيان الذي واصل الفتوح في نواحي أرمينية وبلاد الروم، وهكذا فإننا نرى أن الأمراء في عهد الخلفاء الراشدين كانوا مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدو، ولم يمنعه ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، ولا شك أن الجهاد كان مصحوباً بعمليات معينة اتخذ

(1) الولاية على البلدان (192/1).

(2) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ص 33.

(3) السياسة الشرعية لابن تيمية، ص 66.

(4) الولاية على البلدان (71/2).

(5) فتوح البلدان، البلاذري، ص 183.

دم الشؤون العامة له، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم هذه الأعمال التي جرت من قبل الأمراء، منها:

**أ- إرسال المتطوعين من قبل الأمراء إلى الجهاد:** فقد كان ولاية اليمن والبحرين ومكة و عمان يبعثون بالمجاهدين خلال عهد أبي بكر وعمر وعثمان<sup>(1)</sup>.

**ب- الدفاع عن الولاية ضد الأعداء:** كان ولاية الشام يدافعون الروم طيلة عهد الخلفاء الراشدين، وكذلك الحال عند ولاية العراق الذين دافعوا الفرس حتى تمكنوا من قتل آخر ملوكهم في عصر الخليفة عثمان بن عفان .

**ج- تحصين البلاد:** كان عثمان يأمر بتحصين السواحل وشحنها، وإقطاع القطائف لمن ينزلها من المسلمين للمساعدة في شحنها بالرجال<sup>(2)</sup>.

**د- تتبع أخبار الأعداء:** فقد قام الولاية بتتبع أخبار الأعداء وتوجيه الضربات الموجهة إليهم، واستطاعوا أن يخترقوا صفوفهم ويزرعوا عيوناً تابعة لهم.

**هـ إمداد الأمصار بالخيول:** كانت الخيل ذات أهمية خاصة في الجهاد، وقد اهتم المسلمون بتربيتها منذ أيام الرسول ﷺ واعتنوا بها عناية خاصة، وقد وضع عمر سياسة عامة في الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلامية حسب حاجتها<sup>(3)</sup>. وسا ر عثمان على نفس السياسة العمرية في اهتمامه بالخيول، فقد كانت هذه الخيول موجهة للدفاع الفوري عن الدولة الإسلامية.

**و- تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد:** اهتم الخلفاء الراشدون بتربية الأولاد وتعليمهم ما يفيدهم في حياتهم الجهادية مستقبلاً.

**ز- متابعة دواوين الجند:** سار عثمان على نهج السياسة العمرية في اهتمامه بدواوين الجند، وقد اهتم اهتماماً بدواوين الأمصار لاعتقاده بأن أهل الأمصار أحوج الناس للضبط خصوصاً القريبة من الأعداء وهي الأمصار التي تحتاج إلى الجنود باستمرار، وقد كان الولاية على البلدان مسئولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاية هم أمراء الحرب؛ فقد كانت مسئوليتهم عن الدواوين في بلدانهم كمسئولية الخليفة باعتبارهم نواباً<sup>(4)</sup>.

**ح- تنفيذ المعاهدات:** إن الفتوح الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين صاحبها مراسلات مع الأعداء، ومعاهدات ومصالحات كثيرة بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة، وقد كان الأمراء على البلدان بصفاتهم قادة الجند مسئولين مباشرة عن عقد مثل هذه المصالحات وعن تنفيذها<sup>(5)</sup>.

#### 4- بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:

اتبع الخلفاء الراشدون منذ عصر أبي بكر الصديق طريقة جديدة لتوزيع الأعطى

(1) الولاية على البلدان (72/2).

(2) المصدر نفسه (73/2).

(3) المصدر نفسه (74/2).

(4) الولاية على البلدان (75/2).

(5) المصدر نفسه (77/2).

ات على المسلمين من موارد بيت المال المختلفة، وقد كانت في البداية غير محددة بأوقاف معينة، ولكن في عهد عمر تغيرت بعد وضعه للدواوين في الأمصار المختلفة؛ حيث بدأ توزيع الأعطيات يأخذ شكلا دوريا منتظما سار عليه عثمان ، ولم يكتف الخلفاء وولاتهم في العهد الراشدي بتأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط؛ بل إن السكن وتوزيعه كان من المهام الموكلة لأمرأ البلدان، كما كان الأمرأ يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة<sup>(1)</sup>.

### 5- تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين في الوظائف التابعة للولاية في كثير من الأحيان من مهام الوالي، حيث إن الولاية في الغالب تتكون من بلد رئيسي إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعينون من قبلهم عمالا وموظفين في تلك المناطق، وفي عصر عثمان أصبح هؤلاء العمال التابعون للولاية يحكمون مناطق كبيرة نظرا لتوسع الولايات نتيجة الفتوح وانضمام أقاليم كبيرة بأكملها إلى ولايات كانت محددة في السابق كالبصرة والكوفة والشام وغيرها، وبالتالي فإن توزيع العمال وإدارتهم وتنظيمهم كانت مهمة كبيرة من المهام التي يقوم بها ولاة البلدان.

### 6- رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيام بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجبات، وتتبع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم انطلاقا من الأولوية الشرعية في هذا الجانب من واجبات الوالي<sup>(2)</sup>.

### 7- مشاوراة أهل الرأي في ولايته:

سار الخلفاء على نهج الرسول ﷺ في مشاوراة أهل الرأي من الصحابة؛ حيث كانوا يعقدون مجالس لكبار الصحابة، يستشيرونهم في مختلف الأمور<sup>(3)</sup>، كما كانوا يأمررون ولايتهم باستشارة أهل الرأي في بلادهم، وكان الولاة يطبقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم<sup>(4)</sup>.

### 8- النظر في حاجة الولاية العمرانية:

اشتهر عن الخلفاء الراشدين وولاتهم عنايتهم بحاجة السكان في النواحي العمرانية والزراعية، وفي عهد عثمان قام عبد الله بن عامر واليه على البصرة بحفر الآبار والعيون ليس في ولاية البصرة فحسب بل في أماكن أخرى عديدة<sup>(5)</sup>.

### 9- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

كان الولاة من منطلق تعاليم الإسلام الشاملة يراعون هذا الجانب بكل ما فيه من تعاليم، إلا أن ولاة ذلك العصر -وبتوجيه من الخلفاء الراشدين- قاموا ببعض الأعمال الاجتماعية التي يصعب أن يقوم بها من هم في مثل منصبهم، كما حرص الخلفاء على أن ي

(1) المصدر نفسه (79/2).

(2، 2، 3) الولاية على البلدان (80/2).

(5) المصدر نفسه (81/2).

نزلوا الناس على منازلهم، وأن يحترم الولاة أهل الشرف والسابقة في الإسلام، ومن ذلك أن عامل عثمان على الكوفة كتب إليه يشكو من غلبة الأعراب والروادف على أهل الشرف والبلاء والسابقة في الإسلام،<sup>(1)</sup> فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضّل أهل السابقة والقُدرة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تتأقّلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل<sup>(2)</sup>.

#### 10- أوقات عمل الوالي:

اشتهر عن الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة أنه لم يكن لداره باب، وأنه كان يستقبل الناس في جميع الأوقات، وهذا يدل على تمتع الناس بحرية مراجعة الأمير من غير حرج متى أرادوا ذلك لحاجة<sup>(3)</sup>؛ فقد كان للوالي قسم تابع لبيته مفتوح للناس متى أرادوا المجيء إليه مفصول عن أهله وأولاده.

\* \* \*

(1) الولاية على البلدان (82/2)، تاريخ الطبري (280/5).

(2) الولاية على البلدان (82/2).

(3) المصدر نفسه (82/2).



## المبحث الثالث حقيقة ولاية عثمان

يكثُر المؤرخون من الحديث عن محابة عثمان أقاربه وسيطرتهم على أزمّة الحكم في عهده، حتى أثاروا عليه نقمة كثير من الناس، فثاروا ناقلين عليه إطلاقه يد ذوي قرياه في شؤون الدولة.<sup>(1)</sup> وأقارب عثمان الذين ولاهم : أولهم معاوية، والثاني عبد الله بن أبي السرح، الثالث الوليد بن عقبة، الرابع سعيد بن العاص، الخامس عبد الله بن عامر، هؤلاء خمسة ولاهم عثمان وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مطعون عليه فلننظر أولاً من هم ولاية عثمان ، هم: أبو موسى الأشعري، القعقاع بن عمرو، جابر المزني، حبيب بن مسلمة، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، أبو الأعور الأسلمي، حكيم بن سلامة، الأشعث بن قيس، جرير بن عبد الله البجلي، عبيدة بن النخاس، مالك بن حبيب، النسير العجلي، السائب بن الأقرع، سعيد بن قيس، سلمان بن ربيعة، خنيس بن حبيش، الأحنف بن قيس، وعبد الرحمن بن ربيعة، ويعلى بن مزيعة<sup>(2)</sup>، وعبد الله بن عمرو الحضرمي، وعلي بن ربيعة بن عبد العزى. هؤلاء هم ولا عثمان ، يعني لو أخذنا إحصائية لوجدنا أن عدد الولاية ثمانية عشر والياء، ألا يصح أن يكون خمسة من بني أمية يستحقون الولاية، وبخاصة إذا علمنا أن النبي ﷺ كان يولي بني أمية أكثر من غيرهم، ثم يقال بعد ذلك: إن هؤلاء الولاية لم يكونوا كلهم في وقت واحد، بل كان عثمان قد ولي الوليد بن عقبة ثم عزله فولى مكانه سعيد بن العاص، فلم يكونوا خمسة في وقت واحد، وأيضاً لم يتوف عثمان إلا وقد عزل أيضاً سعيد بن العاص، فعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاية إلا ثلاث وهم: معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط، عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص، ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترض بوال أباد؛ إذ عزل عذمان لأولئك الولاية لا يعتبر مطعون فيهم بل مطعون في المدينة التي ولوا عليها<sup>(3)</sup>.

إن بني أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم في حياته واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسله ولله ﷻ أكثر من بني عبد شمس؛ لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد، فاستعمل النبي ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العاص على مكة، وأبا سفيان بن حرب على نجران، وخالد بن سعيد على صدقات بني مذحج، وأبان بن سعيد على بعض السرايا ثم على البحرين، فعثمان لم يستعمل إلا من استعمله النبي ﷺ ومن جنسهم وقبيلتهم، وكذلك أبو بكر وعمر بعده؛ فقد ولي أبو بكر يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام، وأقره عمر، ثم ولي عمر بعده أخاه معاوية<sup>(4)</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه أثبت هؤلاء كفاءتهم أم لا؟ وستأتي شهادات أهل العلم ف

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 159.

(2) وهو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي، سير أعلام النبلاء، (100/3).

(3) حقه من التاريخ، ص 75.

(4) منهاج السنة (175/3، 176).

ي أولئك الولاة الذين ولاهم عثمان بإذن الله تعالى.

إن عثمان خليفة راشد يقتدى به، وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التخرج عن تقريب الأقربين فإن عثمان سن لمن بعده تقريب الأقربيين إذا كانوا أهل كفاءة، ومن تتبّع سيرة عثمان لا يشك في كفاءتهم الإدارية، وكل ما أنكر على عثمان لا يخرج عن دائرة المباح<sup>(1)</sup>.

إن الولاة الذين ولاهم عثمان من أقرابه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شئون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهم<sup>(2)</sup>. ولننظر إلى أقوال أهل العلم في أولئك الولاة:

**أولاً: معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي:**

ذكر المترجمون لهذا الصحابي الكريم فضائل جمة، وإليك شيئاً منها:

**1- من القرآن الكريم:**

اشترك معاوية في غزوة حنين، قال تعالى: **ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** [التوبة: 26].

فمعاوية من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ<sup>(3)</sup>.

**2- من السنة:**

دعاء الرسول ﷺ لمعاوية ، ومن ذلك قوله ﷺ: **«اللهم اجعله هادياً (4) مهدياً (5) وهد به»**.<sup>(6)</sup> وقوله عليه الصلاة والسلام: **«اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب»**.<sup>(7)</sup> وقال رسول الله ﷺ: **«أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»**.<sup>(8)</sup> قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: **«أنت فيهم»**، ثم قال النبي ﷺ: **«أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر (9) مغفور لهم»**، فقلت: أي أم حرام-: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا.<sup>(10)</sup> قال المهلب<sup>(11)</sup>: في هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر.<sup>(12)</sup>

**3- ثناء أهل العلم على معاوية :**

- (1) الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى (1675/4).
- (2) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (417/1).
- (3) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص23.
- (4) هادياً: للناس، أو دالاً على الخير.
- (5) مهدياً: أي مهتدياً في نفسه.
- (6) صحيح سنن الترمذي للألباني (236/3).
- (7) موارد الزمان (249/7) إسناده حسن.
- (8) أوجبوا: أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، فتح الباري (121/6).
- (9) مدينة قيصر: يعني القسطنطينية.
- (10) البخاري رقم (2924).
- (11) المهلب بن أحمد الأندلسي، مصنف شرح صحيح البخاري، توفي 435هـ.
- (12) فتح الباري (120/6).
- (11) المصدر نفسه (130/7).

**أ- ثناء عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عليه:**

قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إن فقيه<sup>(1)</sup> ومما يناسب المقام ذكر بعض المسائل الفقهية التي أثرت عن معاوية ومن تلك المسائل ما يلي:

- \* أثر عنه أنه أوتر بركعة.
- \* أثر عنه الاستسقاء بمن ظهر صلاحه<sup>(2)</sup>.
- \* أنه يجزئ إخراج نصف صاع من البُرِّ في زكاة الفطر<sup>(3)</sup>.
- \* استحباب تطيب البدن لمن أراد الإحرام<sup>(4)</sup>.
- \* جواز بيع وشراء دور مكة<sup>(5)</sup>.
- \* التفريق بين الزوجين بسبب<sup>(6)</sup> العُدَّة<sup>(7)</sup>.
- \* وقوع طلاق السكران.
- \* عدم قتل المسلم بالكافر قصاصا.
- \* حبس القاتل حتى يبلغ ابن القتل<sup>(8)</sup>.

**ب- ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية :**

قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شذرا اتهمناه على القوم؛ يعني الصحابة<sup>(9)</sup>.

**ج- ثناء أحمد بن حنبل:**

سئل الإمام أحمد: ما تقول - رحمك الله- فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين فإنه أخذها بالسيف غصبا<sup>(10)</sup>؟ قال أبو عبد الله: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس<sup>(11)</sup>.

**د- ثناء القاضي ابن العربي على معاوية :**

تحدث ابن العربي عن الخصال التي اجتمعت في معاوية فذكر منها: قيامه بحماية البيضة، وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق<sup>(12)</sup>. وقد علق محب الدين الخطيب على هذا النص بقوله: وقد بلغ من همته -يعني معاوية- وعظيـم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم وهو في معمعة القتال مع علي في صفين، وقد بـ

(2) المغني لابن قدامة (346/3).

(3) زاد المعاد (19/2).

(5) المصدر نفسه (366/6).

(6) العنة: هي عجز الرجل عن إتيان زوجته، القاموس المحيط، (1570).

(7) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص28.

(8, 7) المصدر نفسه، ص29.

(11) السنة للخلال، تحقيق عطية الزهراني (434/2).

(12) العواصم من القواصم، ص210.

لغه أن ملك الروم اقترب من الحدود في جنود عظيمة. (1) وفي ذلك يقول ابن كثير: وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين، لاصطلحت أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيّق عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم، وبعث يطلب الهدنة (2).

### هـ ثناء ابن تيمية على معاوية :

قال عنه ابن تيمية: «... فإن معاوية ثبت عنه بالتواتر أنه أمر ربه النبي ﷺ كما أمر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً عنده يكتب له الوحي، وما اتهمه النبي ﷺ في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه في ولايته». (3)

### و- ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائماً، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو. وقال أيضاً: كان حليماً (4)، وقوراً، رئيساً، سيداً في الناس، كريماً، عادلاً، شهماً (5). وقال عنه أيضاً: كان جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير السد، رحمه الله تعالى (6).

### 4- روايته للحديث:

يعد معاوية من الذين نالوا شرف الرواية عن رسول الله ﷺ، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، لكونه صهره وكاتبه ﷺ. هذا وقد روى معاوية مائة وثلاثة وستين حديثاً عن رسول الله ﷺ، اتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة (7) وكانت سيرة معاوية مع الرعية في ولايته من خير سير الولاة، مما جعل الناس يحبونه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**خير يار أنتمكم - حكامكم - الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم - تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أنتمكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**» (8).

وأختم حديثي عن معاوية بما قاله القاضي أبو بكر بن العربي: فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق لأنه ولي أخاه يزيد واستخلف

(1) مرويات خلافة معاوية، ص 31. (2) البداية والنهاية (119/8).

(3) الفتاوى (472/4)، البداية والنهاية (122/8)، سير أعلام النبلاء (129/3).

(4) ألفرد ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية.

(5) البداية والنهاية (118/8).

(6) المصدر نفسه (126/8).

(7) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 33.

(8) مسلم، كتاب الإمارة، رقم 65.

هـ، فأقره عمر، لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره ، فانظر إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها<sup>(1)</sup> وثبت أن رسول الله ﷺ استكتبه، فيكون سند ولايته الأعمال في الدولة الإسلامية، لم يكن لأحد قبله ولم يكن لأحد بعده؛ حيث اجتمع على توليته رسول الله ﷺ، ومن بعده خلفاؤه الثلاثة، ثم صالحه وأقر له بالخلافة الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: عبد الله بن عامر بن كريز:

هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي<sup>(3)</sup>.

ولد في عهد رسول الله ﷺ وذلك في السنة الرابعة للهجرة<sup>(4)</sup> وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ في السنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة حمل إليه عبد الله بن عامر ، قال ابن حجر: «... فتلمظ وتثأب، فقتل رسول الله ﷺ فيه، وقال: «هذا ابن السلمي؟» قالوا: نعم، فقال: «هذا أشبهنا» وجعل يتقل في فيه ويعوده، فجعل يبتلع ريق النبي ﷺ فقال: إنه لمسقى، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء<sup>(5)</sup>.

لم يتول عبد الله بن عامر منصبا إداريا أو عسكريا إلى أن أصبح واليا على البصرة سنة 29هـ/649م، وهو ابن خال الخليفة عثمان بن عفان ؛ لأن أم عثمان هي أروى بنت كريز بن ربيعة، وكانت أم عبد الله بن عامر من بني سليم<sup>(6)</sup>.

ولما عُيِّن لولاية البصرة كان عمره أربعاً أو خمساً وعشرين<sup>(7)</sup>، وظل والياً على البصرة حتى مقتل الخليفة عثمان عندما تجهز بجيش كبير، وحمل ما عنده من الأموال فسار إلى مكة حيث وافى الزبير، ورجع منها إلى البصرة فشهد موقعة الجمل، ولم يد ضر موقعة صفين، على الرغم من أن القلقشندي ذكر أنه كان في التحكيم مع معاوية بن صفين<sup>(8)</sup>. وفي خلافة معاوية تولى إمارة البصرة لمدة ثلاث سنوات ثم عزله عنها، فأقام بالمدينة، ومات بها سنة سبع وخمسين للهجرة<sup>(9)</sup> وفي رواية ابن قتيبة: أنه توفي بمكة ودفن بعرفات عام تسع وخمسين<sup>(10)</sup> وأشاد ابن سعد به قائلاً: كان عبد الله شريفاً، سخياً كريماً كثير المال، والولد، محباً للعمران<sup>(11)</sup>. وقال عنه ابن حجر: كان جواداً كريماً ميموذاً... جريئاً شجاعاً<sup>(12)</sup>، وكان يعتبر من أجود أهل البصرة<sup>(13)</sup>، ومن أجود أهل الإسلام<sup>(14)</sup>. وكان لعبد الله بن عامر أثر حميد في الفتوحات؛ فقد تمكن من القضاء على أمال الفرس بشكل تام، عندما قضى على آخر رُمق من الأمل الفارسي القديم، وذلك بقضائه على آخر

(1) العواصم من القواصم، ص 83.

(2) المدينة المنورة.. فجر الإسلام والعصر الراشدي (216/2).

(3) البداية والنهاية (91/8).

(4) تهذيب التهذيب (272/5).

(5) سير أعلام النبلاء (19/3)، تهذيب التهذيب (273/5)، أسد الغابة (293/3)، رقم (3031).

(6) الطبقات (31/5)، تهذيب التهذيب (272/5). (2) البداية والنهاية (91/8).

(8) مجلة المؤرخ العربي، رقم 21، ص 128. (4) سير أعلام النبلاء (21/3).

(10) المعارف لابن قتيبة، ص 321. (6) مجلة المؤرخ العربي، رقم 21، ص 129.

(12) تهذيب التهذيب (272/5). (8) العقد الفريد (293/1، 294).

(14) صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، أبو العباس القلقشندي (450/1، 451).

ملوكهم يزجر بن شهريار بن كسرى، وخرزاد مهر أخي رستم اللذين تزعا المعارض  
ة الفارسية ضد المسلمين.

وإضافة إلى براعة عبد الله بن عامر في الشؤون الإدارية العسكرية، فإنه كان مهتماً  
بالمعارف الإسلامية، ويروى أنه روى حديثاً عن النبي ﷺ. وقال ابن قتيبة: لم يرو عن  
رسول الله إلا حديثاً واحداً<sup>(1)</sup>، غير أنه لم يكن له رواية في الكتب الستة<sup>(2)</sup>. أما الحديث الـ  
نبوي الذي رواه فقد أورده ابن قانع، وابن منده عن طريق مصعب الزبيري: حدثني أبي  
عن جدي مصعب بن ثابت، عن حنظلة بن قيس، عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عا  
مر أن

رسول الله ﷺ قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد».<sup>(3)</sup>

### إصلاحاته الاقتصادية في البصرة:

يقترن باسم عبد الله بن عامر عدد من الإصلاحات في البصرة، لا تقل أهمية عن إذ  
جازاته العسكرية الفذة المتمثلة في انتصاراته العديدة على المجوس، وتتبعه لفلولهم المنه  
زمة وقضائه على آمال يزجر، فقد كانت إصلاحاته الاقتصادية ممثلة في عنايته بسوق  
البصرة، فقد اشترى هذا السوق من ماله ووهبه لأهلها<sup>(4)</sup>، وكان السوق يتوسط البصرة،  
بدليل ما ذكره خليفة بن خياط من أن السوق قائم على ضفاف النهر الذي يتوسط البصرة  
، وهذا اختيار جيد؛ لأنه يجعل السوق مركزاً مهماً في وسط المدينة. ولعل أبرز أعماله  
لإصلاحية في البصرة في ميدان الري، وقد اهتم ابن عامر بهذه المسألة اهتماماً كبيراً،  
وذكر ابن قتيبة أن ابن عامر احتقر بالبصرة نهرين أحدهما في الشرق والآخر يعرف بأ  
م عبد الله وهو منسوب إلى أم عبد الله بن عامر<sup>(5)</sup>، وأمر عبد الله بن عامر، زياد بن أبي  
سفيان بحفر الأبلّة، وكان زياد والياً على الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر،  
وكان يستخلفه في مكانه عند توجهه للفتوح.<sup>(6)</sup> وذكر خليفة بن خياط أن زياد احتقر نهر  
الأبلّة حتى انتهى إلى موضع الجبل، والذي تولى حفره لزياد عبد الرحمن بن أبي  
بكرة<sup>(7)</sup>، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسبقه.<sup>(8)</sup> وحفر عبد  
الله بن عامر حوضاً نسب إلى أمه، وهو حوض أم عبد الله بن عامر بالبصرة منسوب إليه  
ها.<sup>(9)</sup> وذكر البلاذري أن عبد الله بن عامر حفر نهراً، تولى أمر حفره له نافذ مولاة فغل  
ب عليه، فقيل: نهر نافذ.<sup>(10)</sup> وهناك نهر مروة لابن عامر، تولى حفره له مرة مولى أبي  
بكر الصديق فغلب على ذكره<sup>(11)</sup>، وهناك نهر الأساورة الذي حفره لهم عبد الله بن  
عامر. ويذكر البلاذري قنطرة قرّة بالبصرة فيقول: قنطرة قرّة نسبة إلى قرّة بن حيان الب

(1) المعارف، ص 321. (11) المصدر نفسه، ص 321.

(3) الحاكم في المستدرک (639/3)، إسناده ضعيف وله ما يقويه في الباب.

(4) الطبقات الكبرى (73/5)، مجلة المؤرخ العربي هي العمدة في ترجمتي لعبد الله بن عامر، حيث ا  
ستفدت من الأستاذ محمد حمادي جزاه الله خيراً.

(5) مجلة المؤرخ العربي، رقم 21، محمد حمادي، ص 134.

(6) فتوح البلدان للبلاذري، ص 351.

(7) تاريخ خليفة بن خياط (142/1).

(8) فتوح البلدان، ص 351.

(9) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، عبد الله بن عامر، ص 134.

(10) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص 135، فتوح البلدان، ص 354.

(11) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص 136، فتوح البلدان، ص 354.

أهلي، وكان عندها نهر قديم ثم اشترته أم عبد الله بن عامر (1) فتصدقت به مغيثاً لأهل البصرة (2).

مما تقدم، يتبين لنا أن عبد الله بن عامر كان مهتماً بحفر الأنهار من أجل ازدهار الزراعة التي هي عماد الحياة الاقتصادية، إضافة إلى موقع البصرة الإستراتيجي بالنسبة إلى طرق التجارة، وأهميتها العسكرية كقاعدة للفتوحات الإسلامية في المشرق. ويمكن أن نلاحظ مدى رغبة عبد الله بن عامر في الإصلاح، من خلال قوله: لو تدركت لخرجت المرأة في حاجتها على دابتها، ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توفي مكة (3).

وفي الحقيقة أن إصلاحاته هذه لا تقل أهمية عن الفتوحات في المشرق التي قام بها، فقد كانت البصرة هي القاعدة العسكرية للخلافة في فتوحاتها ببلاد المشرق. وأشار الدكتور صالح العلي إلى أن الفتوح الواسعة أدت إلى ازدياد دخل البصرة وانتشار الرخاء الاقتصادي فيها، مما شجع التجار ورجال الأعمال على التقاطر إليها، وبذلك بدأت الحياة المدنية تنمو سريعاً في البصرة (4).

لقد كانت الحالة المالية لإمارة البصرة جيدة جداً، نتيجة للفتوح الواسعة في المشرق، والنشاط الاقتصادي التجاري للبصرة واستقرار الأمن فيها، وكان عبد الله بن عامر رجلاً متواضعاً فاتحاً باباً لجميع الناس، حتى إنه عاقب الحاجب وأمره ألا يغلق باباً ليلاً ولا نهاراً (5). وفي الحقيقة أصبح ابن عامر ذا شهرة واسعة بالبصرة، قال ابن سعد: كان الناس يقولون: قال ابن عامر وفعل ابن عامر (6) ونتيجة لأعماله الإصلاحية وسيرته الحميدة فقد ازداد حب الأمة له (7). وظل ابن عامر عليها إلى أن قتل الخليفة عثمان (8).

فهذا عبد الله بن عامر أحد ولاة عثمان، فهو الذي شق نهر البصرة، وأول من اتخذ الحياض بعرفات وأجرى إليها العين (9)، وهو الرجل الذي له من الحسنات والمحبة في قلب الناس ما لا ينكر كما يقول ابن تيمية (10) وقال فيه الذهبي: وكان من كبار أمراء العرب وشجعانهم وأجودهم، وكان فيه رفق وحلم (11).

### ثالثاً: الوليد بن عقبة:

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير أبو وهب الأموي، له صحبة قليلة (12)، وهو أخو عثمان لأمه.

كان الوليد بن عقبة من رجال الدولة الإسلامية على عهد أبي بكر وعمر اللذين كانا يتخيران للأعمال ذوي الكفاءة والأمانة من الرجال، وكان ذلك من أعظم أسباب ذلك الانتشار السريع على أوسع نطاق للإسلام في عهدهما، وأنه كان محل ثقة واعتماد الخلفتين، ومن وسد إليه الأمور المهمة لما كان يريان فيه من الكفاءة وصدق الإيمان (13). وأو

(1) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص 136. (2) فتوح البلدان، ص 353، 354.

(3) المعارف لابن قتيبة، ص 321.

(4) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص 30، 31.

(5) مجلة المؤرخ العربي، العدد 21، عبد الله بن عامر، محمد حمادي، ص 138.

(6) الطبقات (33/5).

(7) مجلة المؤرخ العربي، عبد الله بن عامر، محمد حمادي، ص 138.

(8) البداية والنهاية، (91/8).

(9) البداية والنهاية (91/8).

(2) منهاج السنة (189/3، 190).

(4) سير أعلام النبلاء (412/3، 413).

(11) سير أعلام النبلاء (21/3).

(13) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، محمد صالح الغرسي، ص 78.



ل عمل له في خلافة الصديق أنه كان موضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس (1) 12هـ، ثم وجهه مددا إلى قائد ه عياض بن غنم الفهري. (2) وفي سنة 13هـ كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاة، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة والثقة والكرامة، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهم لقيادة فيالق الجهاد، فسار ابن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين، وسار الوليد بن عقبة قائدا إلى شر ق الأردن. (3) ثم رأينا الوليد في سنة 15هـ على عهد عمر أميرا على بلاد بني تغلب وع رب الجزيرة (4)، وكان في ولايته هذه يحمي ظهور المجاهدين في بلاد الشام لئلا يؤتوا ن خلفهم، وانتهاز الوليد فرصة ولايته على هذه الجهة التي كانت لا تزال مليئة بالنصارى، فكانت من جهاده الحربي وعمله الإداري داعيا إلى الله يستعمل أساليب الحكمة والم عظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب على الدخول في الإسلام. (5) وبهذا الماضي الم جيد جاء الوليد في خلافة عثمان، فتولى الكوفة له وكان من خير ولائها عدلا ورفقا وإد سانا، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في أفق الشرق فاتحة ظاهرة موفقة، كما شهد له بذلك بظهر الغيب قاضي من أعظم قضاة الإسلام في التاريخ علما وفضلا و إنصافا، وهو التابعي الجليل الإمام الشعبي (6)؛ فقد أثنى على غزوه وإمارته بقوله حين ذ كر له غزو مسلمة بن عبد الملك (7): كيف لو أدركتم الوليد وغزوه وإمارته، إنه كان ليغ زو فينتهي إلى كذا وكذا، ما نقص ولا انتقص عليه أحد حتى عزل عن عمله. (8) وقد كا ن الوليد أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، وقد أمضى خمس سنين وليس في داره باب. (9) وقد قال عثمان: ما وليت الوليد لأنه أخي وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله x وتوامة أبيه، والولاية اجتهد، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقد م أقل منه درجة (10).

والمستعرض لسيرة هذا الصحابي الجليل والبطل الإسلامي العظيم الذي كان محل ث قة الخلفاء الراشدين الثلاثة لا يرتاب؛ فإنه أهل للولاية، وإنما تساوره الشكوك في ثبوت ما قيل فيه من نزول الآية فيه وتسميته فاسقا وشربه للخمر، والأمر يحتاج إلى تحقيق، و إليك بحث هذين الأمرين (11):

### هل ثبت بأن الوليد نزلت فيه الآية + إن جاءكم فاسق فأسق؟

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَذِيرٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تَصَدِّقُوا قَوْمًا بِيْجَاهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** [الحجرات: 6].

يتناقل الرواة في ذلك قصة تقول: (إن رسول الله x بعث الوليد بن عقبة إلى بني الم صطلق مصدقا، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، وأبوا في أداء الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه

(1) تاريخ الطبري (168/4). (7) المصدر نفسه (194/4).

(3) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 78.

(4) تاريخ الطبري (28/5، 29).

(5) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 78.

(6) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 78.

(7) مسلمة بن عبد الملك بن مروان أحد القادة الفاتحين، توفي 120هـ.

(8) التمهيد والبيان، ص 40.

(9) تاريخ الطبري (251/5).

(10) العواصم من القواصم، ص 86.

(11) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 79.



فهابهم ولم يعرف ما عندهم، فانصرف عنهم، وأخبر بارتدادهم، فبعث إليهم رسول الله **×** خالد بن الوليد وأمره أن ينتبذ فيهم، فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام، ونزلت الآية (1) وقد جاءت روايات عديدة وليس للقصة سند موصول صحيح (2)، وأقل ما يوصف به سند القصة أنه ضعيف، وإذا قبلوا الأسانيد الضعيفة في فضائل الأعمال التي لا تحل حراما ولا تحرّم حلالا، فإننا لا نقبل السند الضعيف في قصة الوليد؛ لأنه يحل حراما، وهو وصف رجل صحب الرسول عليه السلام -ولو يوما- بأنه فاسق.. وكيف نقبل السند الضعيف والآية نفسها تحت على التثبت في قبول الأخبار، فهذه الآية وضعت أصل علم الرواية (3).

إن قصة الوليد بن عقبة فيما نسبوه إليه لا تقبل فيها إلا الأخبار الصحيحة السند والم تـ؛ لأنها تصفه بالفسق، وهذا مطعن لا يتساهل في قبوله إذا وُصف به رجل من عرض الناس في العصر الحديث بعد خمسة عشر قرنا من عصر الدعوة، فكيف نتساهل في نسبته إلى رجل عاش في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وأوكلوا إليه أعمال ذات خطر؟!.

والقصة تمثل جزءا من تاريخ صدر الإسلام، وتتصل أجزاء القصة وحوادثها بالعقيدة الإسلامية، وأخبار هذا الجانب من التاريخ الإسلامي لا يتساهل في قبولها، كما يتساهل في قبول الأخبار التي تتصل بالعمران المدني، ثم إن الوليد بن عقبة من مسلمة الفتح، وكثيرا ما توجه المطاعن إلى إسلام هذه الفئة من الناس، ويزعم بعض المؤرخين أنهم أسلموا مكرهين، ولم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهو زعم باطل بلا ريب (4) وأخبار الوليد بن عقبة تزيد الرواة فيها، ولعبت بها الأهواء المذهبية والسياسية، ودخلها الوضع، وكأنت ميدانا لتسابق أهل القصة في اختبار القدرة على الوضع وإثبات عبقرية الأدبية المجددة (5).

ومما يعكر على رواية إرسال الوليد بن عقبة لجمع صدقات بني المصطلق ويعارضا حديث موصول السند إلى رجال ثقات، أن الوليد بن عقبة كان يوم الفتح صغيرا ومن كان في سنه لا يرسله النبي **×** عاملا، فعن فياض بن محمد الرقي، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج الكلبي، عن عبد الله الهمداني (أبي موسى) عن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله **×** مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم فجيء بي إليه، وإني مطيب بالخلوق، ولم يمسخ على رأسي، ولم يمنع من ذلك إلا أن أمي خلقتني بالخلوق، فلم يمسنني من أجل الخلوق (6).

إن القصة لعبت بها الأهواء المذهبية؛ فالوليد أموي عثماني، والذي أقحم اسم الوليد في قصة سبب نزول الآية شيعي رافضي (محمد بن السائب الكلبي)، قال عنه ابن حجر: كان يعد من شيعة أهل الكوفة، وقال ابن حجر: كان بالكوفة كذابا، أحدهما الكلبي، والآخر السدي (7) واختاره لهذه القصة؛ لأنها تتصل بجمع الصدقات، والوليد عمل على صدقات قضاة في عهد أبي بكر، وعمل على صدقات تغلب في الجزيرة في زمن عمر، و

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام (176/2).

(2) المصدر نفسه (182/2).

(3) المدينة النبوية فجر الإسلام، (176/2).

(4) المصدر نفسه (173/2).

(5) مسند أحمد (32/4).

(6) المدينة المنورة فجر الإسلام (179/2).

كتب الشيعة تعيب عثمان بن عفان بسبب قصة الوليد<sup>(1)</sup> ونحن لا ننكر أن تكون الآية نزلت في سياق قصة بني المصطلق، ولكن الذي ننكره أن يكون الوليد هو الموصوف بالفا سق في الآية، ذلك أن منطوق **«إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ»** بصيغة التذكير يدل على الشمول ؛ لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط عمت كما تعم إذا وقعت في سياق النفي<sup>(2)</sup>

### حد الوليد بن عقبة في الخمر:

وأما حد الوليد في الخمر فقد ثبت في الصحيحين أن عثمان حده بعدما شهدت عليه ا لشهود، فهو ليس مأخذاً على عثمان، بل كان من مناقب عثمان أن أقام عليه الحد وعزله عن الكوفة؛ حيث ذكر البخاري هذه الحادثة في باب (مناقب عثمان)<sup>(3)</sup>، وكان علي يقول: إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل رِدْءَه<sup>(4)</sup> ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا<sup>(5)</sup> ثم إن تلك الحادثة لم تطرأ في عهد عثمان فحسب، بل لها سابقة في عهد عمر بن الخطاب ؛ حيث ذكر أن قدامة بن مضعون له صحبة شرب الخمر، وهو أمير على البحرين من قبل عمر فحده وعزله<sup>(6)</sup>.

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم يثبت على الوليد شربه الخمر، قال الحافظ في الإصابة: ويقال إن بعض أهل الكوفة تعصبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق<sup>(7)</sup> وقد أ شار إلى هذا ابن خلدون فقال: وما زالت الشائعات -أي على عمال عثمان- من قبل ا لمشاغبيين تنمو، ورمى الوليد بن عقبة - وهو على الكوفة - بشرب الخمر وشهد علي ه جماعة منهم وحده عثمان وعزله<sup>(8)</sup> وما حكاه الطبري ببعض تفاصيل: إن أبناءً لأبي زينب وأبي مورع وجندب بن زهير نقبوا على ابن الحيسمان داره وقتلوه، فش ه عليهم بذلك أبو شريح الخزاعي الصحابي وابنه، وكان جاراً لابن الحيسمان - فاقت ص منهم الوليد، فأخذ الآباء على أنفسهم أن يكيّدوا للوليد، وأخذوا يترقبون حركاته ف نزل به أبو زبيد الشاعر، وكان نصرانياً من أخواله بني تغلب، وأسلم على يد الوليد، وكان الضيف متهماً بشرب الخمر، فأخذ بعض السفهاء يتحدثون بذلك في الوليد لملأ زمته أبا زبيد، ووجد أبو زينب وأبو مورع خير فرصة يغتزمانها، فسافرا إلى المدين ة وتقدما إلى عثمان شاهدين على الوليد بشرب الخمر، وأنهما وجداه يقى الخمر، فقا ل عثمان: ما يقى الخمر إلا شاربها، فجاء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم، فقال عثمان: نقيم حدود الله ويبوء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي<sup>(9)</sup>.

قال محب الدين الخطيب: وأما الزيادة التي وردت في رواية مسلم من أنه أتى بالولي د وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم، وفي بعض طرق أحمد أن صلى أربعاً، فلم تثبت في شيء من شهادة الشهود، فهي من كلام حزين الراوي للقصة، ولم يكن حزين

(1، 3) المصدر نفسه (180/2)  
(4) الردء: هو العون، تاريخ الطبري (278/5).  
(6) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (421/1).

(8) الإصابة (638/3)  
(8) تاريخ ابن خلدون (473/2)، فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 81.  
(9) تاريخ الطبري (277/5).  
(3) العواصم من القواصم، ص 96، 97.

من الشهود ولم يروها عن شاهد ولا عن إنسان معروف، ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم، فلا اعتداد بهذا الجزء من كلامه<sup>(1)</sup>.

هذا هو والي عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة، المجاهد الفاتح، العادل المظلوم الذي كان منه لأمنه كل ما استطاعه من عمل طيب، ثم رأى بعينه كيف يبغى المبتذلون على الصالحين، وينفذ باطلهم فيهم، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان في ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع، وهي تبعد خمسة عشر ميلاً عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التي كان يجاهد فيها ويدعو الناس للإسلام في خلافة عمر<sup>(2)</sup>، واعتزل جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية - رضي الله عنهما - إلى أن توفي بضيعته ودفن بها في عام 61هـ، وقيل إنه توفي في أيام معاوية<sup>(3)</sup>.

#### رابعاً: سعيد بن العاص.

هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي<sup>(4)</sup>. وقال أبو حاتم: له صحبة، ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة، كان من فصحاء قریش، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن؛ فعن أنس بن مالك قال: «... فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها (أي الصحف) في المصاحف. وقال عثمان ن للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قریش»<sup>(5)</sup>. وقد أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ. أدرك من الحياة النبوية تسع سنين، وقتل أبو ه يوم بدر مشركاً، قتله علي بن أبي طالب<sup>(6)</sup>.

واقراً معي هذا الخبر الذي يدل على قوة إيمانه: حيث روي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص: لم أقتل أبأك، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام، فقال سعيد: لو قتلت به لكننت على الحق، وكان على الباطل، فأعجب عمر بجوابه. وفي أيام ولايته الكوفة غزا طبرستان ففتحها وغزا جرجان، وكان في عسكره حذيفة وغيره من الصحابة<sup>(7)</sup>. وكان مشهوراً بالكرم والبر، حتى سألته السائل - وليس عنده ما يعطيه - فكتب له بما يريد أن يعطيه، مسطوراً<sup>(8)</sup>. وكان رحمه الله يحب جمع شمل المسلمين ويكره الفتنة ويفر منها، ولاه عثمان الكوفة بعد الوليد بن عقبة ووفد إلى المدينة مرة، وعندما عاد إلى الكوفة جند أهل الشغب جنودهم ومنعوه من دخولها، فعاد ولزم المدينة. وهؤلاء الذين منعوه من العود إلى الإمارة كان منهم قتلة عثمان، ومع ذلك اعتزل الجمل وصفين وحث أهل الجمل على القعود عن الخروج<sup>(9)</sup>. هذه هي سيرته؛ كرم وشجاعة، وبر، وجهاد، وفصاحة أشبه ما تكون بفصاحة النبي ﷺ، وكان قد أملى على زيد بن ثابت هذا المصحف الذي نقرأه اليوم، فتأمل هذه المناقب الثابتة له بالرواية الصحيحة، وقللها بما يذكر من مثالبه التي لا سند لها، وتأمل فيمن أشاعها، فتظن أنها ملفقة لأنها تجمع في الرجل النقيضين؛ الك

(2) المصدر نفسه، ص 94.

(5) البداية والنهاية (216/8).

(4) البداية والنهاية (87/8).

(4987).

(4) المصدر نفسه (211/2).

(6) الطبقات (34/5).

(6) المدينة المنورة فجر الإسلام (211/2).

(8) الإصابة، ترجمة (3268).

رم والبخل، والبر والتوحش، والفهم والجهل، والجهاد والنكوص، وهذا لا يعقل اجتماعه في رجل سوى (1) يزعم الرواة بلا إسناد أنه عندما ولي سعيد الكوفة بعد الوليد كان بع ض الموالي يقول رجزا:

يا ويلنا قد عَزَل الوليد

وجاءنا مجوعاً سعيدي

ينقص في الصاع ولا يزيد (2).

وهذا رجز مصنوع، وقصة موضوعة بلا شك (3)؛ لأن الموالي في سنة 30 هـ - أي العبيد من أسرى الحروب - لم يكونوا يحسنون العربية بله قول الشعر، ولأن سعيد بن العاص المشهور بالكرم والبر لا يمكن أن يوصف بأنه (مجوع)، وإذا مدح الناس والشعراء الوليد لكرمه فإن سعيداً ضرب المثل بكرمه (4)، فكان يقال له: عكة العسل، وقال فيه الـ فرزدق

يذكر كرمه:

ترى الغُرَّ الجاحج من قريش

إذا ما الأمر في الحدثن عالا

قياما ينظرون إلى سعيد

كأنهم يرون به هلالاً (5)

وإذا قال الموالي هذا الرجز في أول مجيء سعيد إلى الكوفة، فكيف عرف الموالي سياسة سعيد، وهل جاء مجوعاً أم جاء مشبعاً، والغريب أن الرواة يسوقون هذا الخبر في سياق ينقض بعضه بعضاً؛ حيث يقولون: فولى عثمان سعيد بن العاص الكوفة فسار فيهم سيرة عادلة، فكان بعض الموالي يقول... الرجز (6)! فكيف تكون السيرة عادلة، ويوصف بأنه جوع الموالي؟! فقد كان الخير كثيراً يسع الجميع، ويفيض، والسيرة العادلة تجعل الخير يعم (7) ورحم الله المؤرخين القدماء، فقد كانوا حسني الظن بالقراء، فجمعوا في كتبهم الروايات المتناقضة، وحسبوا أن القراء في جميع العصور يستطيعون تمييز الغث من السمين، وعذرهم بأنهم كانوا يؤلفون لأهل عصرهم، وما عرفوا أن القرون التالية ستحفل بمن يحتطب بليل (8) فقد روى ابن سعد في ترجمة سعيد بلا إسناد يقول: قالوا: فلما قدم سعيد الكوفة واليا قدمها شاباً مترفاً ليست له سابقة، فقال: لا أصعد المنبر حتى يطهر، فأمر به فغسل، وقال على المنبر: إنما هذا السواد بستان لأغيلة من قريش، فشكوه إلى عثمان (9) وهذا كلام لا يصح لأنه غير مسند؛ ولأن سعيد بن العاص الذي قاد جيش الجهاد وفتح الفتوح لا يكون كما وصف القائلون. ثم إن ابن سعد يروي قوله سعيد هذه على لسان الأشر مالك بن الحارث عندما منع سعيد بن العاص من دخول الكوفة بعد سنوات من ولايته؛ حيث قال الأشر: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن هذا السواد بستان لأغيلة من قريش، والسواد مساقط رؤوسكم، ومراكز رماحكم، وفيكم وفي آبائكم

(2) تاريخ الطبري (279/5).

(5) البداية والنهاية (88/8).

(1) المدينة المنورة فجر الإسلام (212/2).

(3, 4) المدينة المنورة فجر الإسلام (212/2).

(6) تاريخ الطبري (279/5).

(7, 8) المدينة المنورة فجر الإسلام (213/2).

(9) المدينة المنورة فجر الإسلام (213/2)، الطبقات (32/5).

(1) كم.

ومالك بن الحارث الملقب بـ(الأشتر) صاحبة فتنة؛ كان من رؤساء الخوارج الذين حاصروا عثمان وقتلوه، ولا يستغرب من هؤلاء أن يختلقوا الأقوال لإثارة كره الناس، وإذا كانت هذه الجملة قد قيلت، فإن الذين قالوها هم الخارجون على الخلافة؛ لأنهم فهموا هذا الفهم السقيم بسبب تتابع الأمراء على العراق -وبخاصة الكوفة- من قريش، ولأن العصبية القبلية واضحة في هذه المقولة (2) وقد قال الإمام الذهبي فيه: وكان أميراً شريفاً جواداً، ممدحاً، حليماً، وقوراً، ذا حزم وعقل، يصلح للخلافة (الولاية) (3) وأما قول المخالفين والذين طعنوا في عثمان بأنه استعمل سعيد بن العاص على الكوفة وظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة (4) فمجرد إخراج أهل الكوفة له لا يدل على ذنب يوجب ذلك، فمن عرف الكوفة وسبر أحوالها عرف كثرة تشكي أهلها من ولائهم بلا مبرر شرعي ولأتفه الأسباب، حتى قال فيهم عمر بن الخطاب: أعياني وأعزل بي أهل الكوفة، ما يرضون أحداً ولا يرضى بهم، ولا يصلحون ولا يصلح عليهم (5) وفي رواية: أعياني أهل الكوفة؛ فإن استعملت عليهم لئنا استضعفوه، وإن استعملت عليهم شديداً شكوه (6) بل إنه دعا عليهم فقال: اللهم إنهم قد لبسوا عليّ قلبس عليهم (7).

وقد كان سعيد بن العاص رجلاً حكيماً، فقد قال: لجليسي على ثلاث؛ إذا دنا رحبت به، وإذا جلس أوسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه. وقال لابنه: يا بني، أجر الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه، أو جاءك مخاطراً لا يدري أعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته. وقال أيضاً: يا بني، لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيا فتهون عليه. ودخلت عليه ذات يوم امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة فأكرمها وأحسن إليها، فقالت: لا جعل الله لك إلا لي لئيم حاجة، ولا زالت المنة في أعناق الكرام، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردّها عليه.

ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنييه وقال لهم: لا يفقد أصحابي غير وجهي، وصلوهم بما كنت أصلهم به، وأجروا عليهم ما كنت أجري عليهم، واكفوهم مؤنة الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فرائضه مخافة أن يرد، فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه. ثم أوصاهم بوصايا كثيرة، وكانت وفاته 58هـ، وقيل 57هـ، وقيل 59هـ (8).

#### خامساً: عبد الله بن سعد بن أبي السرح:

درج المؤرخون في الغالب إذا ذكروا اسم عبد الله بن أبي السرح وتولية عثمان له على ولاية مصر على أن يقولوا: لقد ولي عثمان على مصر عبد الله بن أبي السرح أخاه

(1، 3) المصدر نفسه (214/2).

(3) سير أعلام النبلاء (447/3).

(5) المعرفة والتاريخ للفسوي (754/2).

(423/1).

(7) المنهاج لابن تيمية (188/3).

(8) البداية والنهاية (90/8).

(5) تاريخ الطبري (279/5).

(7) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة

من الرضاعة<sup>(1)</sup> وإيراد عبارة (أخاه من الرضاعة) مقرونة بالتولية تعتبر إحياء من بعض المؤرخين باتهام عثمان ، وأنه لهذه الأخوة من الرضاعة ولاء على مصر ، وهذا الذي يراه المؤرخ غير صحيح، ولكي نرد على هؤلاء وعلى ما يغمزون به أمير المؤمنين عثمان بن عفان نستعرض جهود فارس بني عامر بن لوى<sup>(2)</sup> -عبد الله بن سعد-؛ فقد كان على خبرة ودراية تامة بأحوال مصر ونواحيها نتيجة اشتراكه مع جيش عمرو في فتحها، ونتيجة ولايته على بعض النواحي أثناء خلافة عمر، فقد كان على صعيد مصر<sup>(3)</sup> وكذلك أول خلافة عثمان، مما أهله لأن يصبح واليا عاما على مصر، فكان أقوى المرشحين لتلك الولاية بعد عمرو بن العاص نتيجة لتلك الخبرات، ويبدو أن عبد الله بن سعد تمكن من ضبط خراج مصر حتى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص قبله، ولعل مرد ذلك إلى اتباع عبد الله بن سعد لسياسة جديدة في المصروفات اختلفت عن سياسة عمرو، وبالتالي زادت أموال الخراج المتوافرة في مصر<sup>(4)</sup>.

وقد قام عبد الله بن سعد أثناء ولايته بالجهاد في عدة مواقع، فكانت له فتوح مختلفة لها شأن عظيم، فكان من غزواته غزوة أفريقية سنة 27هـ وفتوحه فيها، وقتله ملكها جرير، وكان يصاحبه في تلك الغزوات مجموعة من الصحابة، منهم: عبد الله بن الزبير، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم، وانتهت الغزوة بصلح مع بطريك أفريقيا على تأدية الجزية للمسلمين<sup>(5)</sup>. وقد عاد ابن أبي السرح إلى أفريقية مرة أخرى ووطد فيها الإسلام وذلك في سنة 33هـ<sup>(6)</sup>، كما كان من أهم أعمال عبد الله بن سعد بن أبي السرح غزوه لبلاد النوبة وتسمى غزوة الأساودة أو غزوة الحبشة عند بعض المؤرخين، وقد وقعت هذه الغزوة سنة إحدى وثلاثين للهجرة، وقد دار قتال شديد بين أجناد المسلمين وجنود النوبة، وأصيب مجموعة من المسلمين نظرا لإجادة أهالي النوبة للرمي، وقد انتهت تلك الغزوة بصلح وقعه عبد الله بن سعد مع أهالي النوبة بوضع جزية محددة عليهم<sup>(7)</sup>. ويعتبر عبد الله بن سعد بحق أول قائد مسلم تمكن من اقتحام النوبة، وقا تل أهلها وفرض عليهم الجزية، واستقرت الحال على ذلك في أيامه بين أهل النوبة والمسلمين.

كذلك من أهم أعمال عبد الله بن سعد العسكرية غزوة ذات الصواري، وقد انتصر فيها المسلمون على الروم، وقد كانت ولاية عبد الله بن سعد على مصر محمودة على العموم لدى المصريين ولم يروا منه ما يكرهون، يقول عنه المقرئ: ومكث أميراً مدة ولاية عثمان كلها محموداً في ولايته<sup>(8)</sup>. وقال فيه الذهبي: ولم يتعد ولا فعل ما ينقم عليه، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم<sup>(9)</sup>. وقد كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئة م

(1) الكامل لابن الأثير (88/3).

(2) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 77.

(3) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 418.

(4) الولاية على البلدان، (180/1).

(5) فتوح مصر وأخبارها، ص 183، الولاية على البلدان (180/1).

(6) النجوم الزاهرة (80/1).

(7) الولاية على البلدان (181/1)، فتوح مصر وأخبارها، ص 188.

(8) الخطط (299/1).

(9) سير أعلام النبلاء (34/3).

ستقرة إلى أن تمكن مثيرو الفتنة من أمثال عبد الله بن سبأ من الوصول إليها وإثارة الناس فيها، فكان لهم وللمتأثرين بهم دور كبير في مقتل عثمان ، كما أن الأحوال في مصر نفسها اضطربت نتيجة طرد الوالي الشرعي لها واستيلاء أقوام آخرين على الأمور بطريقة غير شرعية، وقد تمكنوا خلال تلك الفترة من بث الكراهية في قلوب الناس لخليفهم عثمان نتيجة مكائد قاموا بها وأكاذيب لفقوها ونشروها<sup>(1)</sup> -سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى-. ولما وقعت الفتنة بمقتل عثمان اعتزلها عبد الله بن سعد وسكن عسقلان، أو الرملة في فلسطين. وروى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال: خرج ابن أبي السرح إلى الرملة بفلسطين، فلما كان عند الصبح قال: اللهم اجعل آخر عملي لا صبح، فتوضأ ثم صلى، فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه<sup>(2)</sup>.

### سادساً: مروان بن الحكم ووالده:

كان مروان بن الحكم من أخص أقرباء عثمان به، وأوثقهم صلة بمركز الخلافة وألصقهم بالأحداث التي عصفت بالوحدة الإسلامية في عهد عثمان ، فكان منه بمنزلة كاتم سر الدولة، أو حامل ختم الملك.<sup>(3)</sup> ولم يكن مروان بالتأكيد المستشار الأوحى للخليفة الذي كان يستشير كبار الصحابة وصغارهم، ولم يكن بمعزل عن قادة الرأي في مجتمع الإسلام، وكذلك لم يكن مروان الوزير الذي تجمعت تحت يده سلطات الدولة، إنما كان كاتبا للخليفة، وهي وظيفة تستمد أهميتها من قرب صاحبها من إذن الخليفة وخاتمه، أما ادعاء توريطه عثمان وإثارة الناس عليه لتنتقل الخلافة بعد ذلك إلى بني أمية، فافتراض لا دليل عليه، ولم تنتقل الخلافة إلى بني أمية إلا بعد أهوال جسام لم يكن لمروان فيها دور خطير، ثم إن عثمان لم يكن ضعيف الشخصية حتى يتمكن منه كاتبه إلى الحد الذي يتصوره الرواة.<sup>(4)</sup> ولا ذنب لمروان بن الحكم إن كان في حياة الرسول ﷺ لم يبلغ الحلم باتفاق أهل العلم، بل غايته أن يكون له عشر سنين أو قريب منها، وكان مسلماً يقرأ القرآن ويتقنه في الدين، ولم يكن قبل الفتنة معروفا بشيء يعاب فيه، فلا ذنب لعثمان في استكتابه، وأما الفتنة فأصابت من هو أفضل من مروان.<sup>(5)</sup> بل إن خبر طرد النبي ﷺ لأبيه ضعيّف سنداً وممتناً، وتعبه شيخ الإسلام ابن تيمية فأوضح تهافتة وضعفه.<sup>(6)</sup> وعُرف عن مروان بن الحكم العلم والفقه والعدل، فقد كان سيّداً من سادات شباب قريش لما علا نجمه أيام عثمان بن عفان، وقد شهد له الإمام مالك بالفقه، واحتج بقضائه وفتاواه في مواطن عديدة من كتاب الموطأ، كما وردت في غيره من كتب السنة المتداولة في أيدي الأئمة المسلمين يعملون بها.<sup>(7)</sup> وكان الإمام أحمد يقول: يقال: كان عند مروان قضاء، وكان ينتدب مع قضايا عمر بن الخطاب.<sup>(8)</sup> وكان مروان من أقرأ الناس للقرآن كما كان له رواية للحدِيث الشريف؛ حيث روى عن بعض مشاهير الصحابة، وروى عنه بعضهم، وكما روى

- (1) الولاية على البلدان (186/1).
- (2) الإصابة ترجمة (4711)، سير أعلام النبلاء (35/3).
- (3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص 117.
- (4) الدولة الأموية المفترى عليها، حمدي شاهين، ص 160.
- (5) منهاج السنة (197/3).
- (6) منهاج السنة (195/3، 196).
- (7) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 169.
- (8) البداية والنهاية (260/8).



عنه بعض التابعين. (1) وكان حريصا على تحري السنة والعمل بها؛ روى الليث بن سعد فقيه مصر - بسنده قال: شهد مروان جنازة، فلما صلى عليها انصرف، فقال أبو هريرة: أصاب قيراطا وحرّم قيراطا (أي الأجر والثواب، كما ورد في حديث شريف). (2) فأخبر بذلك مروان فأقبل يجري حتى بدت ركبته، فقعّد حتى أذن له. (3)

**وجاء في مقدمة فتح الباري:** مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان بن عفان، يقال له رؤية، يعني رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن ثبتت، فلا يرج على من تكلم فيه. (4) وكان يقول ابن كثير: وهو صحابي عند طائفة كثيرة؛ لأنه ولد في حياة النبي ﷺ. (5) وقد ولى مروان المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فكان شديدا على أهل الفسوق بها، حربا على مظاهر الترف والتخنث. (6)، عادلا مع رعيته، حذرا من مجاملة ذوي قرباه، أو من يحاول منهم استغلال نفوذه؛ فقد لطم أخوه عبد الرحمن مولى لأهل المدينة يعمل حناطا أثناء فترة ولاية مروان على المدينة، فشكا الحناط إلى مروان، فأتى بأخيه عبد الرحمن، وأجلسه بين يدي الحناط وقال له: الطمه، فقال الحناط: والله ما أردت هذا، وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطانا ينصرني عليه، وقد وهبتها لك، فقال: لست أقبلها منك، فخذ حقك، فقال: والله لا الطمه، ولكن أهبتها لك، ولست والله لاطمه، فقال مروان: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز و علا، قال: قد وهبتها لله تعالى، فقال عبد الرحمن شعرا يهجو أخاه مروان لذلك. (7).

إن هذه الصورة المشرقة عن علم مروان وعدله وفقهه وتدينه تكاد تختلف تماما عن تلك الصورة الكريهة التي يقدمها عنه معظم المؤرخين والرواة الذين اجتهدوا لتشويه حياة الرجل، فلما حانت وفاته اجتهدوا أيضا لتشويهها، فزعموا أن امرأته أم خالد بن يزيد بن معاوية، خنقته بوسادتها، أو دست له السم لما سب ابنها جزمهم - أمام جماعة من الناس، وهذه القصة - ومع ما تحتويه من عناصر متناقضة - تبدو لأول وهلة وكأنها أسطورة اخترعتها مخيلات عجائز القوم، ثم رددتها الألسن، إما حذبا في الثرثرة، أو لتتال من سمعة هذه الأسرة الرفيعة المكانة حسدا لما وصلت إليه من مجد. (8) فهل كان موته طبيعيا، أم مات بإصابة الطاعون، أم خنقته زوجته؟ إن تناقض الروايات دليل على أن الحقيقة غير معروفة، والروايات التي تزعم أن زوجته هي التي اغتالته مباشرة أو بالواسطة (عن طريق بعض جواريها) غير مقبولة أو معقولة، فهذه الزوجة سيدة شريفة من بيت عبد شمس وزوجها قريبها، وهو خليفة، وهي كانت زوجة خليفة وأم خليفة (وهو معاوية بن يزيد بن معاوية)، وهو عمل لا تقدم النساء الشريفات عليه، ثم إننا لم نر أي أثر لهذا الاغتيال، فلم يحدث في الأسرة أي خلاف، ولا مطالبة بالتأثر، وظل خالد على مكانته عند عبد الملك، كما أن الدافع لا يكفي بحال لارتكاب جريمة القتل. (9) وذكر عن بعض أهل العل

- (1) المصدر نفسه (260/8).
- (2) المصدر نفسه (260/8)، المسند رقم: (4453 - 4650).
- (3) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 200، البداية والنهاية (260/8).
- (4) فتح الباري (164/2)، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص 254.
- (5) البداية والنهاية (259/8).
- (6) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 200.
- (7) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 200.
- (8) عبد الملك بن مروان، د. الرئيس، ص 12.
- (9) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 201.



م أنه قال: كان آخر كلام تكلم به مروان: وجبت الجنة لمن خاف النار، وكان نقش خاتمه العزة لله، وقيل: أمنت بالعزير الرحيم.<sup>(1)</sup> وقال ابن القيم: أحاديث ذم الوليد، وذم مروان بـ ن الحكم كذب<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: هل جامل عثمان أحداً من أقاربه على حساب المسلمين؟

لو كان عثمان أراد أن يجامل أحداً من أقاربه على حساب المسلمين لكان ربيبه محمد د ابن أبي حذيفة أولى الناس بهذه المجاملة، ولكن الخليفة أبي أن يوليه شيئاً ليس كفضلاً له بقول: يا بني، لو كنت رضا ثم سألتني العمل لأستعملتك، ولكن لست هناك<sup>(3)</sup>. ولم يكن ذلك كراهية له ولا نفورا منه، وإلا لما جهزه من عنده وحمله وأعطاه حين استأذن في الخروج إلى مصر<sup>(4)</sup>.

وأما استعمال الأحداث فكان لعثمان في رسول الله أسوة حسنة، فقد جهز جيشاً لغزو الروم في آخر حياته واستعمل عليه أسامة بن زيد رضي الله عنهما<sup>(5)</sup>، وعندما توفي رسول الله ﷺ تمسك الصديق بإنفاذ هذا الجيش، لكن بعض الصحابة رغبوا في تغيير رأسامة بقائد أسن منه، فكلموا عمر في ذلك ليكلّم أبا بكر، فغضب أبو بكر لما سمع هذه المقالة وقال لعمر: يا عمر، استعمله رسول الله ﷺ وتأمّرني أن أعزله<sup>(6)</sup>. ويحجب عثمان نفسه على هذه المآخذ أمام الملأ من الصحابة بقوله: ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتتماً من ضياء، وهؤلاء أهل علمهم فسلوهم عنهم، وهؤلاء أهل بلدهم، وقد ولي من قبلي أحدث منهم، وقيل لرسول الله ﷺ مما قيل لي في استعماله لأسامة، أذلك؟ قالوا: نعم يعيبون لنا س ما لا يفسرون<sup>(7)</sup>. ويقول علي: (ولم يول -أي عثمان- إلا رجلاً سوياً عدلاً، وقد ولي رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة)<sup>(8)</sup>.

لم يكن ولاية الأمصار في عهد عثمان جاهلين بأمور الشرع، ولم يكونوا من المفرطين في الدين، وإذا كانت لهم ذنوب فلهم حسنات كثيرة، ومع ذلك فإن سيئات وذنوب هؤلاء كانت تعود عليهم، ولم يكن لها تأثير في المجتمع المسلم، وقد تتبنا آثار هؤلاء الولاة أيام ولايتهم، ووجدناها عظيمة الفائدة للإسلام والمسلمين، وقد اهتدى على يدي ولاية عثمان مئات الألوف إلى الإسلام، وبسبب فتوحاتهم انضم إلى ديار الإسلام أقاليم واسعة، ولو لم يكن عند هؤلاء من الشجاعة والدين ما يحثهم على الجهاد، ما قادوا الجيوش إلى الجهاد، وفيه مظنة الهلاك، وفيه ترك الراحة ومتاع الدنيا، وقد تتبنا سيرة هؤلاء الولاة، فوجدنا لكل واحد منهم فتحة أو فـ توحا في الجهات التي تجاور ولايته، مع مناقب وصفات حسنة تؤهله للقيادة<sup>(9)</sup>.

إن الذي يرجع إلى الصحيح من وقائع التاريخ، ويتتبع سيرة الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين ذو النورين رضوان الله عليهم، وما كان لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية، بل ما كان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها فإنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب والفخر كلما أمعن في دراسة ذلك

(1) البداية والنهاية، (262/8).

(2) المنار المنيف، ص 117، فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص 77.

(3) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (247/1).

(4) المصدر نفسه (247/1)، تاريخ الطبري (416/5).

(5) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (427/1)، تاريخ الطبري (416/5).

(6) تاريخ الطبري (46/5).

(7) المصدر نفسه (355/5).

(8) البداية والنهاية (178/8).

(9) المدينة المنورة فجر الإسلام (211/2).

الدور من أدوار التاريخ الإسلامي<sup>(1)</sup>.

إن عثمان وولاته انشغلوا بمدافعة الأعداء وجهادهم وردهم، ولم يمنعه ذلك من توسيع رقعة الدولة الإسلامية ومد نفوذها في مناطق جديدة، وقد كان للولاة تأثير مباشر في أحداث الفتنة؛ حيث كانت التهمة موجهة إليهم، وأنهم اعتدوا على الناس، ولكننا لم نلمس حوادث معينة يتضح فيها هذا الاعتداء المزعوم والمشاع، كما اتهم عثمان بتولية أقرابه، وقد دحضنا تلك الفرية، وهكذا نرى أن عثمان لم يأل جهداً في نصح الأمة وفي تولية من يراه أهلاً للولاية، ومع هذا فلم يسلم عثمان وولاته من اتهامات وجهت إليهم من قبل أصحاب الفتنة في حينها، كما أن عثمان لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، وخصوصاً الباحثين المحدثين الذين يطلقون أحكاماً لا تعتمد على التحقيق أو على وقائع محددة، يعتمدون فيها على مصادر موثوقة؛ فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضعيفة والرافضية، وبنوا أحكاماً باطلة وجائرة في حق الخليفة الراشد عثمان بن عفان؛ مثل: طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى)، وراضى عبد الرحيم في كتابه (النظام الإداري والحربي)، وصبحي الصالح في كتابه (النظم الإسلامية)، ومولوي حسين في كتابه (الإدارة العربية)، وصبحي محمصاني في كتابه (تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء)، وتوفيق البيزبكي في كتابه (دراسات في النظم العربية والإسلامية)، ومحمد الملحم في كتابه (تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري)، وبدوي عبد اللطيف في كتابه (الأحزاب السياسية في فجر الإسلام)، وأنور الرفاعي في كتابه (النظم الإسلامية)، ومحمد الرئيس في كتابه (النظريات السياسية)، وعلي حسني الخربوطي في كتابه (الإسلام والخلافة)، وأبي الأعلى المودودي في كتابه (الملك والخلافة)، وسيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية)، وغيرهم.

لقد كان عثمان بحق الخليفة المظلوم الذي افتري عليه خصومه الأولون، ولم يذصفه المتأخرون<sup>(2)</sup>.

(1) حاشية المتقي من منهاج الاعتدال، ص 390.

(2) الولاية على البلدان (222-223).

## المبحث الرابع

### حقيقة العلاقة بين أبي ذر الغفاري وعثمان بن عفان رضي الله عنهما

#### أولاً: مجمل القصة:

إن مبغضي عثمان بن عفان كانوا يشنعون عليه أنه نفى أبا ذر إلى الربذة، وزعم بعض المؤرخين أن ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) لقي أبا ذر في الشام وأوحى إليه بمذهب الفئاعة والزهد، ومواساة الفقراء، ووجوب إنفاق المال الزائد عن الحاجة، وجعله يعيب معاوية، فأخذ عباد بن الصامت إلى معاوية، وقال له: هذا والله الذي بعث إليك أبا ذر ف أخرج معاوية أبا ذر من الشام.<sup>(1)</sup> وقد حاول أحمد أمين أن يوجد شبهاً بين رأي أبي ذر ورأي مزدك الفارسي، وقال بأن وجه الشبه جاء من أن ابن سبأ كان في اليمن، وطوّف في العراق، وكان الفرس في اليمن والعراق قبل الإسلام، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق، واعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها.<sup>(2)</sup>

وكل ما قيل في قصة أبي ذر مما يشنع به على عثمان بن عفان باطل، لا يبنى على رواية صحيحة، وكل ما قيل حول اتصال أبي ذر بابن السوداء باطل لا محالة<sup>(3)</sup>، ولا لصحيح: أن أبا ذر نزل في الربذة باختياره، وأن ذلك كان بسبب اجتهاد أبي ذر في فهم آية خالف فيها الصحابة، وأصر على رأيه، فلم يوافق أحد عليه فطلب أن ينزل بالريرة ذة<sup>(4)</sup> التي كان يغدو إليها زمن النبي ﷺ، ولم يكن نزوله بها نفيًا قسريًا، أو إقامة جبرية، ولم يأمره الخليفة بالرجوع عن رأيه؛ لأن له وجهًا مقبولاً، لكنه لا يجب على المسلمين أن يأخذ به.<sup>(5)</sup>

وأصح ما روي في قصة أبي ذر ما رواه البخاري في صحيحه عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بال شام، فاختلفت أنا ومعاوية في **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُدُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»** [التوبة: 34] قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكا ن ببني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت فكن قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت ت.<sup>(6)</sup> وقد أشار هذا الأثر إلى أمور مهمة، منها:

- (1) المدينة المنورة فجر الإسلام (216/2، 217).
- (2) فجر الإسلام، ص 110.
- (3) المدينة المنورة فجر الإسلام (217/2).
- (4) كانت منزلاً في الطريق بين العراق ومكة.
- (5) المدينة المنورة فجر الإسلام (217/2).
- (6) البخاري، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته، رقم 1406.

1- سألته زيد بن وهب ليتحقق مما أشاعه مبغضو عثمان: هل نفاه عثمان أو اختار أبو ذر المكان؟ فجاء سياق الكلام أنه خرج بعد أن أكثر الناس عليه يسألونه عن سبب خروجه من الشام، وليس في نص الحديث أن عثمان أمره بالذهاب إلى الربيعة بل اختارها بنفسه، ويؤيد هذا ما ذكره ابن حجر عن عبد الله بن الصامت قال: دخلت مع أبي ذر على عثمان فحسر رأسه، فقال: والله ما أنا منهم -يعني الخوارج-، فقال: إنما أرسلنا إليك لتجاورنا بالمدينة، فقال: لا حاجة لي في ذلك، انذن لي بالربيعة، قال: نعم<sup>(1)</sup>.

2- قوله: كنت بالشام: بيّن السبب في سكناه الشام ما أخرجه أبو يعلى عن طريق زيد ابن وهب: حدثني أبو ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءُ -أي المدينة- سَلْعًا، فَارْتَحِلْ إِلَى الشَّامِ»، فلما بلغ البناء سلعا قدمت الشام فسكنت بها<sup>(2)</sup>، وفي رواية قالت أم ذر: والله ما سير عثمان أباً ذر -تعني الربيعة- ولكن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعًا، فَاخْرُجْ مِنْهَا»<sup>(3)</sup>.

3- إن قصة أبي ذر في المال جاءت من اجتهاده في فهم الآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَاكْذِبُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِلَاطِلٍ يُبَاطِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» [التوبة: 34، 35] وروى البخاري عن أبي ذر ما يدل على أنه فسر الوعيد «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا» الآية.. وكان يخوف الناس به، فعن الأحنف ابن قيس حدثهم قال: جلست إلى ملاً من قریش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم، فسلم ثم قال: بشر الكانزين برضف<sup>(4)</sup> يحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغص<sup>(5)</sup> كتفه، ويوضع على نغص كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه، يتزلزل<sup>(6)</sup>. ثم ولي فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو، فقلت له: ما أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعلقون شيئاً.

واستدل أبو ذر بقول رسول الله ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً، أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير»<sup>(7)</sup>.

4- وقد خالف جمهور الصحابة أباً ذر، وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة، واستدلوا على ذلك بالحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»<sup>(8)</sup>. وقال الحافظ ابن حجر: ومفهوم الحديث أن ما زاد على الخمس ففيه صدقة، ومقتضى

(1) فتح الباري (274/3).

(2) المدينة المنورة فجر الإسلام، (219/2).

(3) سير أعلام النبلاء (72/2) صحيح الإسناد.

(4) الرضف: الحجارة المحمأة، واحدها رضة.

(5) نغص: العظم الدقيق الذي على طرف الكتف أو على أعلى الكتف.

(6) يتزلزل: يضطرب ويتحرك.

(7) البخاري، كتاب الزكاة، رقم (1407).

(8) البخاري، كتاب الزكاة، رقم (1405).

ضاه أن كل مال أخرجت منه الصدقة فلا وعيد على صاحبه، فلا يسمى ما يفضل بعد إخراج الصدقة كنزاً<sup>(1)</sup> وقال ابن زيد: فإن ما دون الخمس لا تجب فيه الزكاة، وقد عفى عن الحق فيه فليس بكنز قطعاً، والله قد أثنى على فاعل الزكاة، ومن أثنى عليه في واجب حق المال لم يلحقه ذم من جهة ما أثنى عليه فيه، وهو المال<sup>(2)</sup> قال الحافظ: ويتلخص أن يقال: ما لم تجب فيه الصدقة لا يسمى كنزاً؛ لأنه معفو عنه، فليكن ما أخرجت منه الزكاة كذلك؛ لأنه عفى عنه بإخراج ما وجب منه فلا يسمى كنزاً<sup>(3)</sup>.

وقال ابن عبد البر: والجمهور على أن الكنز المذموم ما لم تؤد زكاته، ويشهد له حديث أبي هريرة مرفوعاً: إذا أدبت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك، ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من أهل الزهد كابن ذر<sup>(4)</sup>.

5- ولعل مما يفسر مذهب أبي ذر في الإنفاق ما رواه الإمام أحمد عن شداد بن أوس، قال: كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله ﷺ فيه الشدة، ثم يخرج إلى قومه، يسلم لعله يشدد عليهم، ثم إن رسول الله ﷺ يرخص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذر فيتعلق أبو ذر بالأمر الشديد<sup>(5)</sup>.

6- قوله: «إن شئت تتحيت فكنت قريباً». يدل على أن عثمان طلب من أبي ذر أن يتنحي عن المدينة برفق ولم يأمره، ولم يحدد له المكان الذي يخرج إليه، ولو رفض أبو ذر الخروج ما أجبره عثمان على ذلك، ولكن أبا ذر كان مطيعاً للخليفة؛ لأنه قال في نهاية الحديث: لو أمروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت<sup>(6)</sup>. ومما يدل على أنه يمقت الفتنة والخروج على الإمام المبايع، ما رواه ابن سعد في أن ناساً من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة: إن هذا الرجل فعل بك وفعل، هل أنت ناصب له راية؟ -يعني مقاتله- فقال: لا، لو أن عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت<sup>(7)</sup>.

7- والسبب في تنحي أبي ذر عن المدينة، أو طلب عثمان منه ذلك، أن الفتنة بدأت تطل برأسها في الأقاليم، وأشاع المبعوضون الأقاويل الملفقة، وأرادوا أن يستفيدوا من إنكار أبي ذر متعلقاً برأيه ومذهبه، ولا يريد أن يفارقه، فرأى عثمان تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة؛ لأن في بقاء أبي ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه في طلاب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة.

8- قال أبو بكر بن العربي: كان أبو ذر زاهداً ويرى الناس يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم، ويريد تقريظ جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم، فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: لو اعترلت؛ معناه: إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، ومن كان على طريقة أبي ذر فحالته يقتضي أن ينفرد بنفسه ولا يخالط الناس، ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج زاهداً فاضلاً، وترك جلة فضلاء، وكل على خير وبركة وفضل، وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو ك

(1) فتح الباري (272/3).  
(2، 8) فتنة مقتل عثمان (107/1).

(4) فتح الباري (273/3).

(6) البخاري (1406).

(4) المسند (125/5).

(4) الطبقات (227/4).

انوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل<sup>(1)</sup>.

وقال ابن العربي: ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام، وكان أبو الدرداء زاهدا فاضلا قاضيا لهم (في الشام)، فلما اشتد في الحق وأخرج طريقة عمر بن الخطاب في قوم لم يحتملوها عزلوه، فخرج إلى المدينة، وهذه كلها مصالح لا تقدر في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال، وأبو الدرداء وأبو ذر بريئان من كل عيب، وعثمان برئ أعظم براءة وأكثر نزاهة، فمن روى أنه نفي وروى سبباً فهو كل باطل<sup>(2)</sup>.

**9-** ولم يقل أحد من الصحابة لأبي ذر إنه أخطأ في رأيه، لأنه مذهب محمود لمن يقدر عليه، ولم يأمر عثمان أبا ذر بالرجوع عن مذهبه، وإنما طلب منه أن يكف عن الإنكار على الناس ما هم فيه من المتاع الحلال. ومن روى أنه عثمان نهى أبا ذر عن الفتيا مطلقاً لم تصل روايته إلى درجة الخبر الصحيح<sup>(3)</sup> والذي صح عند البخاري أن أبا ذر قال: لو وضعت المصمصاة على هذه وأشار إلى قفاه- ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها<sup>(4)</sup> وفي البخاري لم يروا أن عثمان نهى أبا ذر عن الفتيا؛ لأن نهى الصحابي عن الفتيا دون تحديد الموضوع أمر ليس بالهين<sup>(5)</sup>.

**10-** ولو كان عثمان نهى عن الفتيا مطلقاً لاختار له مكاناً لا يرى فيه الناس، أو حبسه في المدينة، أو منعه من دخول المدينة، ولكن أذن له بالنزول في منزل يكثر مرور الناس به؛ لأن الربة كانت منزلاً من منازل الحجاج العراقيين، وكان أبو ذر يتعاهد المدينة يصلي في مسجد رسول الله ﷺ. وقال له عثمان: لو تحيت فكنت قريباً. والربة ليست بعيدة عن المدينة، وكان يجاورها حمى الربة الذي ترعى فيه إبل الصدقة، ولذلك يروى أن عثمان أقطع صرمة من إبل الصدقة، وأعطاه مملوكين، وأجرى عليه رزقاً، وكانت الربة أحسن المنازل في طريق مكة<sup>(6)</sup> وبعد أن ذكر الإمام الطبري الأخبار التي تقيد اعتزال أبي ذر من تلقاء نفسه قال: وأما الآخرون فإنهم رَوَوْا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأموراً شنيعة كرهت ذكرها<sup>(7)</sup>.

إن الحقيقة التاريخية نقول إن عثمان لم ينفِ أبا ذر إنما استأذنه فأذن له، ولكن أعداء عثمان كانوا يشيعون عليه بأنه نفاه، ولذلك لما سأل غالب القطان الحسن البصري: عثمان أخرج أبا ذر؟ قال الحسن: لا، معاذ الله<sup>(8)</sup> وكل ما روي في أن عثمان نفاه إلى الربة، فإنه ضعيف الإسناد لا يخلو من علة قاذحة، مع ما في متنه من نكارة لمخالفته للمرويات الصحيحة والحسنة، التي تبين أن أبا ذر استأذن للخروج إلى الربة وأن عثمان أذن له<sup>(9)</sup>؛ بل إن عثمان أرسل يطلبه من الشام ليجاوره بالمدينة، فقد قال له عندما قدم من الشام: إنا أرسلنا إليك لخير لتجاورنا بالمدينة<sup>(10)</sup> وقال له أيضاً: كن عندي تدعو عليك وتروح اللقاح<sup>(11)</sup> أفمن يقول ذلك له ينفيه؟<sup>(12)</sup> ولم تنص على نفيه إلا رواية ر

(1) العواصم من القواصم، ص 77. (2) المصدر نفسه، ص 79.

(3) المدينة المنورة فجر الإسلام (223/2).

(4) البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (29/1).

(5) المدينة المنورة فجر الإسلام (224/2).

(6) تاريخ الطبري (286/5).

(7) المصدر نفسه (288/5).

(8) تاريخ المدينة، ابن شبة، ص (1037)، إسناده صحيح.

(9) فتنة مقتل عثمان (110/1).

(10) تاريخ المدينة، ص 1036، 1037، إسناده حسن.

(11) الطبقات، لابن سعد (226/4، 227).

واها ابن سعد، وفيها بريدة بن سفيان الأسلمي الذي قال عنه الحافظ ابن حجر: ليس بالقوي وفيه رفض، فهل تقبل رواية رافضي تتعارض مع الروايات الصحيحة والحسنة؟<sup>(1)</sup> واستغل الرافضة هذه الحادثة أبشع استغلال فأشاعوا أن عثمان نفى أبا ذر إلى الربد، وأن ذلك مما عيب عليه من قِبل الخارجين عليه أو أنهم سوغوا الخروج عليه.<sup>(2)</sup> وعاب عثمان بذلك ابن المطهر الحلي الرافضي المتوفي سنة 726هـ، بل زاد أن عثمان أن ضرب أبا ذر ضرباً وجيعاً<sup>(3)</sup>، ورد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رداً جامعاً قوياً.<sup>(4)</sup> وكان سلف هذه الأمة يعلمون هذه الحقيقة، فإنه لما قيل للحسن البصري: عثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ الله.<sup>(5)</sup> وكان ابن سيرين إذا ذكر له أن عثمان سير أبا ذر، أخذته أمر عظيم، ويقول: هو خرج من نفسه، ولم يسيره عثمان.<sup>(6)</sup> وكما تقدم في الرواية الصحيحة الإسناد أن أبا ذر لما رأى كثرة الناس عليه خشي الفتنة، فذكر ذلك لعثمان مان كأنه يستأذنه في الخروج، فقال له عثمان: إن شئت تتحيت فكنت قريباً.<sup>(7)</sup>

### ثانياً: بطلان تأثير ابن سبأ على أبي ذر :

كتب سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة)، فعظم دور ابن سبأ في الفتنة، ونسب إليه كل المؤامرات والفن والملاحم الواقعة بين الصحابة، ويرى أن هذه المؤامرة الم حكمة سهر عليها أبالسة خبيرون، وسددوا خطاها وتعاهدوها حتى أتت ثمارها في جميع الأقطار، ولهذا كتب هذا العنوان (ابن سبأ البطل الخفي المخيف).<sup>(8)</sup> ويبدو التهويل من شأن ابن سبأ عند الأفغاني حينما يصفه بأنه رجل على غاية من الذكاء وصدق الفراسة، والنظر البعيد، والحيلة الواسعة، والنفاذ إلى نفسية الجماهير<sup>(9)</sup>، ويقطع أنه أحد أبطال جمعية تلمودية سرية غايتها تقويض الدولة الإسلامية.<sup>(10)</sup> ويكاد يقرر بأنه يعمل لصالح دولة الروم التي انتزع المسلمون منها لفترة قريبة قطرين هاميين هما مصر والشام، عدا ما سواهما من بلاد أخرى على البحر المتوسط، ويستغرب نشاط ابن سبأ إلى شتى المجالات الدينية والسياسية والحربية<sup>(11)</sup>.

وهو يرى أن ابن سبأ كان موفقاً كل التوفيق في لقائه مع أبي ذر، وفي تفصيل هذه المقالة التي ركبها على مزاج أبي ذر، وأن الذي ساعده على ذلك فهمه الجيد لأمزجة الناس واستخباراته الصادقة المنظمة.<sup>(12)</sup> وهذا الزعم -أي تأثير ابن سبأ على أبي ذر - لا أساس له من الصحة من عدة وجوه:

أ- حينما أرسل معاوية إلى عثمان يشكو إليه أمر أبي ذر لم تكن منه إشارة إلى تأثير ابن سبأ عليه، واكتفى أن قال: إن أبا ذر قد أعضل بي، وقد كان من أمره كيت وكيت<sup>(13)</sup>.

(12، 6، 7) فتنة مقتل عثمان (111/1).

(3) منهاج السنة لابن تيمية (183/6).

(4) المصدر نفسه (271/6-355).

(5، 11) تاريخ المدينة (1037) إسناده صحيح.

(7) البخاري كتاب الزكاة رقم (1406).

(8-5) عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، ص 60.

(13) تاريخ الطبري (285/5).



**ب-** ذكر ابن كثير الخلاف الواقع بين أبي ذر ومعاوية بالشام في أكثر من موضع في كتابه، ولم يرد ابن سبأ في واحد منها<sup>(1)</sup>.

**ج-** وفي صحيح البخاري، ورد الحديث الذي يشير إلى أصل الخلاف بين أبي ذر ومعاوية، وليس فيه الإشارة من قريب أو بعيد إلى ابن سبأ<sup>(2)</sup>.

**د-** وفي أشهر الكتب التي ترجمت للصحابة ترد محاوراة معاوية لأبي ذر، ثم نزوله الربذة، ولكن شيئاً من تأثير ابن سبأ على أبي ذر لا يذكر<sup>(3)</sup>.

**هـ-** بل ورد الخبر في الطبري هكذا.. فأما العاذرون معاوية في ذلك يعني إشخاص معاوية أبا ذر إلى المدينة- فذكروا في ذلك قصة ورود ابن السوداء الشام ولقياه أبا ذر.. إلخ.<sup>(4)</sup> وهذا الخبر الذي أورده الطبري ساقط وكاذب، تكذبه وقائع التاريخ الزمنية، وإليك البيان:

\* يذكرون أن ابن سبأ أسلم في عهد عثمان، وكان يهودياً من اليمن، وبدأ نشاطه المخرّب في الحجاز، ولكنهم لم يذكروا أنه التقى أحداً أو التقاه أحد في الحجاز.

\* كان أول ظهوره في البصرة بعد أن تولى عبد الله بن عامر عليها بثلاث سنوات، وعبد الله بن عامر جاء بعد أبي موسى الأشعري سنة 29هـ، وبهذا يكون ظهوره في البصرة 32هـ، وقد طرده ابن عامر من البصرة يوم عرفة.

\* قالوا: إنه توجه إلى الكوفة، فباض وفرخ، وحرّضه على معاوية، ولا بد أنه مكث زمناً في الشام ليتعرف على أحوال الرجال، ويضع خططه لبيث دعوته فيهم، ولنفرض جدلاً أنه عرف أمره في الشام في أواخر سنة 33هـ، فماذا تقول أيها القارئ إذا عرفت أن الروايات الصحيحة تقول: إن أبا ذر كانت مناظرته لمعاوية سنة 30هـ، وأنه رجع إلى المدينة وتوفي بالربذة سنة 31هـ، أو سنة 32هـ، ومعنى هذا أن ابن سبأ ظهر في البصرة في وقت كان فيه أبو ذر ميتاً، فكيف وأين التقاه؟<sup>(5)</sup>

إن أبا ذر لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بآراء عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد أقام بالربذة حتى توفي، ولم يحضر شيئاً مما وقع في الفتن<sup>(6)</sup>، ثم هو قد روى حديثاً من أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة<sup>(7)</sup>.

### ثالثاً: وفاة أبي ذر وضم عثمان عياله إلى عياله:

في غزوة تبوك قيل لرسول الله ﷺ: قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بغيره، فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه». <sup>(8)</sup> وتلوم أبو ذر على بغيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر ر

(1) البداية والنهاية (170/7-180).

(2) البخاري، رقم (1406).

(3) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، سليمان العودة، ص 51.

(4) تاريخ الطبري (285/5).

(5) المدينة المنورة، فجر الإسلام (225/2).

(6) أحداث الفتنة الأولى بين الصحابة في ضوء قواعد الجرح والتعديل، د. عبد العزيز دخان، ص 174.

(7) المصدر نفسه، ص 174.

(8) تلوم على بغيره: تمهل.



سول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلها، فنظر ناظر من المسلمين فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر»<sup>(1)</sup>، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده»<sup>(2)</sup>. ومضى الزمان وجاء عهد عثمان وأقام أبو ذر في الربذة، فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته غلامه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك، فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقبل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»<sup>(3)</sup>. فغسلوه وكفوه وصلوا عليه ودفنوه، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم ابنته: إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا، وحملوهم حتى أقدموهم إلى مكة، ونعوه إلى عثمان فضم ابنته إلى عياله<sup>(4)</sup>. وجاء في رواية: «... فلما دفناه دعنا إلى الطعام وأردنا احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير المؤمنين قريب نستأمره، فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر، فقال: يرحم الله أبا ذر، ويغفر له نزوله الربذة، ولما صدر خرج، فأخذ طريق الربذة، فضم عياله إلى عياله، وتوجه نحو المدينة وتوجهنا نحو العراق»<sup>(5)</sup>.

\* \* \*

(1) كن أبا ذر: لفظه لفظ الأمر ومعناه الدعاء، أرجو الله أن تكون أبا ذر.

(2) السيرة النبوية، لابن هشام (178/4).

(3) المصدر نفسه (478/4).

(4) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 87، 88.

(5) تاريخ الطبري (314/5).

## الفصل السادس

### أسباب فتنة مقتل عثمان

#### المبحث الأول

أهمية دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان وما ترتب عليها من أحداث  
والحكمة من إخباره × بوقوعها

أولاً: أهمية دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان وما ترتب عليها من أحداث في أ  
لجمل وصفين وغيرهما:

ورد عن كثير من السلف والعلماء الأمر بالتوقف عن الخوض في تفاصيل ما وقع به  
بين الصحابة، وإيكال أمرهم إلى الله الحكم العدل، مع الترضي عنهم، واعتقاد أنهم مجتهدون،  
دون، مأجورون إن شاء الله، والحذر من الطعن فيهم والوقوع في أعراضهم؛ لما يجز ذلك  
ك من الطعن في الشريعة؛ إذ هم حملتها وحاملوها إلينا، ومن ذلك ما روى عن عمر بن  
عبد العزيز أنه سئل عن أهل صفين فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أحب أن أخ  
ضرب لساني فيها. (1) وسئل أحدهم عن ذلك فقال متمثلاً قوله تعالى: **لَتَلَهَّأَ مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**  
[البقرة: 134].

وهذا النهي معلل، علته الخوف مما ذكرناه من الطعن فيهم والوقوع في أعراضهم،  
وما يستوجب ذلك من غضب الله ونقمته، فإذا انتفت هذه العلة فالظاهر أنه لا حرج في ذ  
لك، إذا كان الكلام والبحث في تفاصيل ما وقع بينهم لا يؤدي إلى الطعن فيهم مطلقاً، فلا  
بأس من دراسة ذلك والتعمق في أسبابه ودوافعه وتفصيلاته الدقيقة ونتائجه وتداعياته عل  
ى مجتمع الصحابة، ثم على من بعدهم، وقد كتب من العلماء عن الفتنة، أمثال: ابن كثير  
والطبري وغيرهما حول أحداث تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام، وفصلوا في قضا  
يا كثيرة تتعلق بتلك الفتنة، ومنهم من ذهب إلى حد تخطئة أحد الطرفين، أو كليهما اعتما  
دا على روايات ونصوص كثيرة اختلط فيها الصحيح بغيره. (2) وهناك أسباب تدعو علما  
ء أهل السنة وطلاب العلم منهم للغوص في أعماق فتنة الهرج التي وقعت في صدر الإ  
سلام والبحث عن تفاصيلها، ومن هذه الأسباب:

1- أن المؤلفات المعاصرة التي تناولت أحداث الفتنة بين الصحابة والتابعين انقسم  
ت إلى ثلاثة أنواع:

أ- مصنفات تربي أصحابها على موائد الفكر الغربي الحاقدة على التاريخ الإسلامي،  
أو الجاهل بالتاريخ الإسلامي، فلم يروا فيه شيئاً جميلاً، فراحوا يطعنون في الصحابة وال  
تابعين بطريقة تخدم أهداف أعداء الإسلام وخصومه، الذين قاموا لدراسة أحداث تلك الفت  
نة وتفاصيلها، وإعطائها تفسيرات تطعن في جموع الصحابة، وتضرب الإسلام في أصد  
وله، وتجعل من هذه الأحداث صراعاً سياسياً على مناصب وكراسي، تخلي فيه الصحاب

(1) حلية الأولياء (114/9)، عون المعبود (274/12).  
(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، ص 79.

ة عن إيمانهم وتقواهم وصدقهم مع الله، وانقلبوا إلى طلاب دنيا، وعشاق زعامة، لا يهمهم أن تراق الدماء، وتزهق الأرواح وتسلب الأموال وتستباح الحرمات إذا كان في ذلك ما يحقق لهم ما يريدون من الرياسة والزعامة.

وممن تولى كبر هذه الفرية طه حسين (الفتنة الكبرى) (1)، الذي هو بحق فتنة كبرى على عقول الناشئة من أبناء المسلمين؛ فقد راح طه حسين يشنع على الصحابة ويشكك في نياتهم، ويتهمهم باتهامات مغرضة خدمة لأهداف أعداء الإسلام والمسلمين. (2) وقد تأثر الكثير بمنهجه، ويبدو أن أمثال هؤلاء اعتمدوا على الروايات التاريخية التي أوردها المؤرخون كالطبري وابن عساكر وغيرهما، والتي اختلط فيها الغث بالسمين، والكذب بالصدق، أخذها دون مراعاة لمنهج هؤلاء في مصنفاتهم، وهذا خطأ كبير. (3) وقد تأثرت هذه الكتابات بالفكر الرافضي والكتابات الشيعية الرافضية للتاريخ الإسلامي (4)؛ فقد تعتمد لروافض الإساءة في كتاباتهم للتاريخ الإسلامي، كما في روايات وأخبار الكلبي (5)، وأبي مخنف (6)، ونصر بن مزاحم المنقري (7)، والتي توجد حتى عند الطبري في تاريخه، لكن الطبري يذكرها مسندة لهؤلاء، فيعرف أهل العلم حالها. (8) وكما في كتابات المسعودي في مروج الذهب واليعقوبي في تاريخه. وقد أشار الأستاذ محب الدين الخطيب في حاشية (العواصم) إلى أن التدوين التاريخي إنما بدأ بعد الدولة الأموية، وكان للأصابع الباطنية والشعبوية المتلعة برداء التشيع دور في طمس معالم الخير فيه، وتسويد صفحاته الناصعة (9).

ويظهر هذا الكيد لمن تدبر كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي مع الحاشية الممتازة التي وضعها العلامة محب الدين الخطيب، لقد سود شيوخ الروافض آلاف الصفحات بسبب أفضل قرن عرفته البشرية، وصرفوا أوقاتهم وجهودهم لتشويه تاريخ المسلم. (10) وكانت هذه المادة (الرافضية) الكبيرة والتي تجدها في كتب التاريخ التي وضعها الروافض أو شاركوا في بعض أخبارها، وتراها في كتب الحديث عندهم كالكافي، والبدع، وفيما كتبه شيوخهم في القديم؛ كإحقاق الحق، وفي الحديث ككتاب الغدير، هذه المادة السوداء المظلمة الكريهة الشائنة هي المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين وغيرهم، وجاء ذلك الجيل المهزوم روحياً، والذي يرى في الغرب قوته وأمثالته من المستغربين، فتألف ما كتبه الأقلام الاستشراقية وجعلها مصدره ومنهله، وتبنى أفكارهم ونشر شبهاتهم في ديار المسلمين، وكان لذلك أثره الخطير في أفكار المسلمين وثقافتهم، وكان الرفض هو الأصل في هذا الشر كله. وإن دراسة آراء المستشرقين وصلتها بالنشيد

(1) انظر الفتنة الكبرى (عثمان) (علي وبنوه).

(2، 3، 4) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 80.

(5) محمد بن السائب الكلبي، قال ابن حبان: كان سبينا من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يموت وإنه راجع إلى الدنيا. توفي سنة 146 هـ. ميزان الاعتدال (558/3) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (270/7، 271).

(6) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي من أهل الكوفة، قال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم، توفي سنة 157 هـ، له تصانيف كثيرة منها: الردة، الجمل، صفين، وغيرها.

(7) نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي، قال الذهبي: رافضي جلد تركوه، توفي سنة 212 هـ. ومن كتبه: وقعة صفين، وهو مطبوع، والجمل ومقتل الحسين، ميزان الاعتدال (253/4).

(8) أصول مذهب الشيعة الإمامية، ناصر الغفاري (1457/3).

(9) المصدر نفسه (1458/3).

(10) المصدر نفسه (1459/3).

ع لهي موضوع مهم يستحق الدراسة والتتبع، لقد بدأت استفاضة العدو الكافر من شبهات الروافض وأكاذيبهم ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ عهد الإمام ابن حزم (ت 456هـ) (1).

**ب- مصنفات لبعض علماء هذه الأمة من المعاصرين، وهي مفيدة إجمالاً، ولكن طريقة عرضهم للأحداث وتفسيرهم لمواقف بعض الصحابة والتابعين فيها كثير -أو بعوض- من عدم الإنصاف، مثل ما كتبه أبو الأعلى المودودي -رحمه الله- في كتابه (الخلافة والملك)، وما دونه الشيخ محمد أبو زهرة -رحمه الله- في كتابه (تاريخ الأمم الإسلامية) و(الإمام زيد بن علي)، فالكتابان مشحونان بكثير من التحامل على مقام بعض الصحابة والطعن على خلفاء بني أمية، وتنقصهم وتجريدهم من أية خصلة حميدة أو عمل صالح (2) ويبدو أن أمثال هؤلاء العلماء لم يحققوا في الروايات التاريخية، فتورطوا في الروايات الرافضية الشيعية وبنوا عليها تحليلاتهم واستنتاجاتهم، غفر الله لنا ولهم.**

**ج- مصنفات حاول أصحابها أن يسلكوا فيها منهج علماء الجرح والتعديل في نقد الروايات التاريخية وعرضها على أصول منهج المحدثين من حيث السند والمتن من أجل تمييز صحيحها من سقيمها، وسليمها من عليها.**

وفي هذه المؤلفات محاولة جيدة وجهد مشكور للوقوف في وجه هذا الزيف، وتفسير الأحداث التفسير الصحيح الذي لا يتعارض مع فضل الصحابة وإيمانهم وجهادهم (3)، ومن هذه المؤلفات الجيدة ما كتبه الدكتور يوسف العش في (تاريخ الدولة الأموية)، وما كتبه محب الدين الخطيب تعليقا على كتاب (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي، وما كتبه صادق عرجون في كتابه (عثمان بن عفان)، وما سطره الدكتور سليمان بن حمد العودة في كتابه (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام)، وما كتبه محمد أحمدزون في كتابه (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة)، وما كتبه الدكتور أكرم العمري في كتابه (الخلافة الراشدة) (4)، وما كتبه عثمان الخميس في كتابه (حقبة من التاريخ)، وما كتبه الدكتور محمد حسن شراب في كتابه (المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدي)، وما قام به محب الدين من تحقیقات نافعة وتعليقات صائبة على كتاب (العواصم من القواصم) و(المنتقى)، وغيرها من الكتب والبحوث والرسائل التي سارت على نفس المنهج؛ فقد ظهر من هذا البيان شدة الحاجة إلى وجود مؤلفات ومصنفات تزد على هذه المزاعم والأخطاء، ولا يتم الرد على هؤلاء المزيفين للتاريخ الإسلامي ومقام أصحابه إلا بمحاولة دراسة تفاصيل تلك الأحداث، وغزلة الأخبار والروايات الواردة بميزان الجرح والتعديل، والتصحيح والتضعیف (5) وقد جاء عن ابن تيمية قوله: لكن إذا ظهر مبتدع، يقدح فيهم بالباطل،

فلا بد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل (6) وقد ذهب الإمام الذهبي -رحمه الله- في هذا مذهبا آخر، فهو يدعو إلى إحراق هذه الكتب التي فيها هذا الكذب والتشويه لمقام الصحابة، قال رحمه الله: كما نقرر الكف عن كثير مما وقع بين الصحابة وقتاله

(1) المصدر نفسه (1459/3).

(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 81.

(3) المصدر نفسه، ص 81.

(4) المصدر نفسه، ص 82.

(5) المصدر نفسه، ص 83.

(6) منهاج السنة (192/3).

(2) سير أعلام النبلاء (92/10).

م رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه؛ لتصفو القلوب وتتوافر على حب الصحابة والترضي عنهم.<sup>(1)</sup> وقد أفادنا الذهبي في كلامه فائدة كبيرة، وهو تصريحه بكون أكثر ما ينقل من ذلك في الكتب والدواوين كذباً وزوراً وافتراء على مقام الصحابة رضي الله عنهم، إلا أن اقتراح الذهبي بـرق تلك المؤلفات لم يعد ممكناً؛ فقد انتشرت هذه الكتب، وتولت طباعتها كثير من دور النشر، وكثير من ذوي النيات السيئة فلم يبق إلا وضعها موضع الدراسة وبيان ما فيها من عوار وخطأ وكذب؛ حفظاً لأجيال المسلمين من انحراف السلوك والعقيدة<sup>(2)</sup>.

**2- تظهر أهمية دراسة فتنه مقتل عثمان** وما ترتب عليها من أحداث لمعرفة أسد باب الفتنة الحقيقية، سواء كانت هذه الأسباب داخلية أو خارجية، ومعرفة نصيب كل سبب من الأسباب فيما حدث، وهل هناك أسباب يمكن إدراجها في هذا السبيل؟

إن الذي يقرأ طرفاً مما كتب عن هذه الفتنة يحس أن مؤامرة كبرى جرى التخطيط لها، وتعاون المجوس والنصارى واليهود والمنافقون على تنفيذها؛ ففضية تأمر الأعداء تـرافق الأمة الإسلامية في كل مراحل تاريخها الطويل<sup>(3)</sup>.

إلا أن هذه المؤامرة ما كانت لتتجح لولا وجود عوامل ضعف داخلية أسهمت في التمكن لنجاح هذه المؤامرة. ألا يصح دراسة عهد الصحابة -والحالة هذه- واجبا من الواجب بات في سبيل معرفة أسباب ضعف الأمة الإسلامية، وتحديد مكامن الداء التي أوتيت منها، والاستفادة من ذلك في إصلاح حاضر هذه الأمة وتجنبها هذه المزالق في مستقبل حياتها؟ أم كتب عليها أن تظل ترزأ تحت ثقل أدوائها من الداخل وكيد أعدائها من الخارج<sup>(4)</sup>.

إن ما وقع من أحداث جسام في فتنه مقتل عثمان وما ترتب عليها من أحداث تحتاج لدراسة عميقة ومتأنية لكي نستخرج من تلك الحقبة التاريخية دروساً وعبراً نستضيء بها في حاضرنا؛ لكي نسترشد بها في سعيها الجاد لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، حتى تسعد البشرية بدين الله وشرعه، وتخرج من شقاوتها وتعاستها وضنكها بسبب بعدها عن شرع الله تعالى.

### ثانياً: الحكمة من إخباره × بوقوعها:

لقد أخبر النبي × في كثير من أحاديثه بأن هذه الأمة ستختلف وستتقاتل، وتعددت لأحاديث التي تشير إلى ذلك بإجمال أو بتفصيل، وتنوعت أساليب الإخبار عن ذلك من ذكر لأسباب الفتن أو لنتائجها، أو لبعض أحداثها ووقائعها، أو لمن يثيرونها، وغير ذلك، وكان كثير من هذا البيان والتوضيح منه × جواباً لأسئلة الصحابة الكرام الذين كانوا يطرحونها عليه، وهم يشاهدون ويتذوقون النعمة العظيمة التي أفاءها الله عليهم، وهي نعمة الأخوة ووحدة الصف واجتماع الكلمة، فراحوا يسألون عما إذا كانت هذه النعمة ستدوم أم تزول، ولما كان رسول الله × يعلم بالوحي أنها لن تدوم كما هي أحب أن يربيه على الاستعداد لهذه المحن والفتن حتى يحسنوا التصرف يوم يفدر الله لهذه الفتنة أن تقع، فيسد

(4) المصدر نفسه، ص 83.

(2) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 84.

(4) المصدر نفسه، ص 85.

عوا إلى علاجها في وقتها، ومن خلال النظر في جملة الأحاديث الواردة في ذكر الفتن نلحظ المحكم التالية<sup>(1)</sup>:

1- أن النبي ﷺ وهو يذكر هذه الفتن والوقائع يريد أن يربي الأمة على الاستعداد لها حتى تحسن التصرف يوم تقع هذه الفتن، فتسعى إلى علاجها في وقتها.

2- إن في هذه الأحاديث إشارات إلى من يثيرونها، وأنها أحيانا تكون من قوم ظاهر في الإيمان والتشدد، ولكن عقولهم منحرفة، وقلوبهم ملتوية، وهم في جملة حالهم غير مدركين ولا فاقهين<sup>(2)</sup>.

3- إن هذه الفتنة تكشف المنافقين وتصل قلوب المؤمنين فيزدادون إيماناً، ويتحفظون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو نوع من الابتلاء تصقل به النفوس وتتعود المجاهدة وتتعرف الخير فتأمر به والشر فتتهى عنه<sup>(3)</sup>.

4- إن الإخبار عن هذه الفتن يحمل في مضمونه تحذيراً شديداً من الوقوع فيها، أو ملازمة شيء منها؛ ذلك أن المؤمنين من هذه الأمة -من الصحابة وغيرهم- حين يسمعون خبر النبي ﷺ بأن منهم من سيحدث منه القتل، ومنهم من سيتعلق بالدنيا، ومنهم من سيترك الجهاد، ومنهم.. تتحرك في نفوسهم مشاعر المواجهة لهذه الفتن، ويقول كل واحد منهم: لعلي أنجو، ويصبح الموقف منها الخوف على الدوام أن يقع في تلك المهالك على غفلة، والخوف في هذا الباب من أعظم سبل النجاة<sup>(4)</sup>.

قال ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن أورد عدة أحاديث مرفوعة في وقوع هذا الخلاف والاختلاف في هذه الأمة: وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعها في الأمة، وكان يحذر أمته لينجو من شاء الله له السلامة<sup>(5)</sup>.

5- إن الإخبار عن هذه الفتن أدق في تحديد سبل النجاة منها؛ فإن الإنسان مهما بالغ في تحذيره من خطر يهدده دون أن تحدد له هذا الخطر أو تبين له كيفية الوقوع فيه -قد لا يتصور الطريقة التي سيحدث بها، ولا يستبين طبيعة المشكلة التي سيواجهها، وقد يقع في المحذور دون أن يعرف أنه المقصود بالتحذير<sup>(6)</sup>.

6- إن الإخبار عن تلك الفتن اقترن في بعض الأحاديث بذكر أسبابها، أو بيان نتائجها، أو موقف المسلم منها، وهذا ينفع المسلم أو الأمة كلها في نبذ أسباب الفتن، أو الحكم على وقائع معينة من خلال النظر في نتائجها، أو اتخاذ الموقف السليم منها ابتداءً.

7- ثم إن فيها دليلاً واضحاً على صدق رسالة محمد ﷺ ونبوته، يزداد به إيمان الصحابة الذين سمعوا الحديث ثم رأوا تأويله في مواقفهم بعد مدة، ويزداد به إيمان المؤمن -كل مؤمن- في كل عصر ومصر، وهو يعيش وقائع الفتن والاختلافات التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها<sup>(7)</sup>.

وقد جمع الدكتور عبد العزيز صغير دخان أحاديث الفتنة وقام بدراساتها، وبيان صدق

(1) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 68.

(2) الوحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص 137.

(3) المصدر نفسه، ص 136، 137.

(4) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 69.

(5) المصدر نفسه، ص 70. اقتضاء الصراط (127/1).

(3، 7) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 70.

حيحها من ضعيفها في كتابه (أحداث وأحاديث الفتنة الأولى)، ثم استخرج من الأحاديث الصحيحة معاني دلت عليها تلك الأحاديث، منها:

1- أن الفتنة سنة الله -عز وجل- في الأمم، وفي هذه الأمة إلى قيام الساعة، وهي فتنة كقطع الليل المظلم، عمياء صماء بكماء، من سعى فيها هلك في الدنيا والآخرة، ومن كف يده أفلح، لا يكاد يبصر فيها أحد موقفه إلا من أحياء الله بالعلم وزوده بالتقوى، وهذا ه إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه (1).

2- وفي هذه الأحاديث أن فتنة القتال بين المسلمين أمر واقع لا محالة، ولا سبيل لإذكاره واستغرابه بدءا بما وقع بين الصحابة والتابعين، ومرورا بالعصور الإسلامية إلى اليوم، ولكن الواجب هو معرفة أسباب هذا القتال لتلافيها، أو السعي في إطفاء نار الفتنة حينما تشب في ديار المسلمين، وألا ينبغي أن يقف المسلم منها موقف المتفرج.

3- ومن رحمة الله بهذه الأمة أن يكفر عنها ذنوبها في الدنيا، وليس القتل والفتن التي تنزل ساحتها والزلازل التي تصيبها إلا كفارة لهذه الذنوب.

4- وفي بعض هذه الأحاديث إشارة واضحة وصريحة إلى أن منبت معظم هذه الفتنة من قبل المشرق، وكذلك كان الواقع؛ فإن الفتنة الأولى بدأ تحريكها في الكوفة والبصرة، وفتنة الجمل كانت هناك.

5- وفي الفتنة يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا يسير، وتتحكم فيها الشهوات والشبهات، ويصير أهل الإسلام الصحيح غرباء في سلوكهم وتصرفاتهم، ويصبح المتمسك بدينه أشبه ما يكون بالذي يقبض على الجمر أو على الشوك، صابرا محتسبا ما يصيبه من الألم والأذى في سبيل دينه وما يعتقد أنه حق.

6- وفي الفتنة يحفظ الله طائفة من الناس، فلا تلتبس بالفتنة، ولا تتلخخ أيديهم من دم ماء المسلمين، يسعون في إصلاح ذات البين، والدعوة إلى مبادئ الإسلام الصحيحة من رحمة وأخوة وسيكون موقفهم غريبا بدون شك وسط الجموع الهائجة والأهواء المستحكة (2).

7- وفي الفتنة يلعب اللسان دورا أخطر من السيف، بل إن اللسان يكون غالبا منشأ الفتنة والبلايا، فرب كلمة شر مسمومة انطلقت فأشعلت النار في القلوب، وهيبت ما كان مستكنا في النفوس، وشحذت العواطف، وكانت سببا في فتن ضارية (3).

8- وفي الفتنة ينقص العلم؛ إما بموت العلماء أو بسكوتهم واعتزالهم إيثارا للسلامة، أو لانصراف الناس عنهم لسبب من الأسباب، ويسود عندها الجهل، ويتخذ الناس رؤساء جهالا، فيفتوا بغير علم، فيُضِلُّوا ويَضِلُّوا، ويسود الرويضة -وهو التافه من الناس- ويستعلي السفهاء منهم (4).

9- وفي هذه الأحاديث أن الله -عز وجل- ضمن لرسوله ﷺ ألا يهلك هذه الأمة بالسنة بين والمجاعات، وألا يسلط عليهم عدوا فيتمكن منها دائما، مهما كانت قوة هذه العدو وإمكاناته وجبروته، ولكن الأمر الذي لم يضمه الله لرسوله ﷺ هو ألا تختلف هذه الأمة، و

(1) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 345.

(2) المصدر نفسه، ص 346-348.

(3، 2، 3) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 348.

سيكون هذا هو الباب الذي يدخل منه العدو الخارجي؛ إذ أن الأمة إذا اختلفت فيما بينها وقتل بعضها بعضاً، ضعفت عوامل القوة فيها، وتمكن منها عدوها فعبث بخيراتها ومقدراتها، ولن يرفع عنها حتى تعود إلى تحقيق القوة في نفسها بالوحدة، وجمع الكلمة، والا حنكام إلى شرع الله<sup>(1)</sup>.

**10-** وفي الأحاديث أن وقوع الفتنة واستمرارها مظنة ظهور فرق المنحرفين عن هدى الإسلام، وتمكن أهل الباطل وظهورهم.

**11-** وفي الفتنة تتغير أخلاق الناس وتتبدل، ويزهد الناس في العمل الصالح، ومشاعر الخير، ويلقى بين الناس العداوة والبغضاء والحقد، ويختلط الأمر على الناس.

**12-** وفي الأحاديث أن هذه الفتن يسبقها أمن واستقرار وصلاح أحوال الناس المادية والأمنية، حتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق، ويظهر هذا في عهد عثمان؛ فقد كان عهد أمن واستقرار وتدفق الأموال والخيرات، ثم حدثت فتنة الهرج ففُوض ذلك كله، حتى تبدل الحال من الأمن إلى الخوف.

**13-** وفي الفتنة يقتل خيار الناس وذوو العقول والرأي فيهم، ويبقى رجرجة من الناس لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكراً<sup>(2)</sup>. هذه بعض المعاني من أحاديث الفتن.

\* \* \*

(2) المصدر نفسه، ص 349، 350.



## المبحث الثاني

### أسباب فتنة مقتل عثمان

قال الإمام الزهري: ولي عثمان اثنتي عشرة سنة أميرا للمؤمنين، أول ست سنين منها لم ينقم الناس عليه شيئا، وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب؛ لأن عمر كان شديدا عليهم، أما عثمان فقد لان لهم ووصلهم. ثم حدثت الفتنة بعد ذلك، وقد سمي المؤرخون المسلمون الأحداث في النصف الثاني من ولاية عثمان 30-35 هـ (الفتنة) التي أدت إلى استشهاد عثمان<sup>(1)</sup>. كان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعا من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان<sup>(2)</sup>. وقد كان المجتمع الإسلامي في خلافة الصديق والفاروق والنصف الأول من خلافة عثمان يتصف بالسمات الآتية:

1- أنه - في عمومه - مجتمع مسلم بكامل معنى الإسلام، عميق الإيمان بالله واليوم الآخر، مطبق لتعاليم الإسلام بجدية واضحة، والتزام ظاهر، وبأقل قدر من المعاصي وقمع في أي مجتمع في التاريخ؛ فالدين بالنسبة له هو الحياة، وليس شيئا هامشيا يفئ الناس إليه بين الحين والحين، إنما هو حياة الناس وروحهم، ليس فقط فيما يؤدونه من شعائر عبودية يحرصون على أدائها على وجهها الصحيح، وإنما من أخلاقياتهم وتصوراتهم واهتماماتهم وقيمهم وروابطهم الاجتماعية، وعلاقات الأسرة وعلاقات الجوار، والبيع والشراء، والضرب في مناكب الأرض، والسعي وراء الأرزاق، وأمانة التعامل، وكفالة القادرين لغير القادرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرقابة على أعمال الحكام والولاة، ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن كل أفراد المجتمع هم على هذا الوصف، فهذا لا يتحقق في الحياة الدنيا، ولا في أي مجتمع من البشر. وقد كان في مجتمع الرسول ﷺ - كما ورد في كتاب الله - منافقون يتظاهرون بالإسلام وهم في دخيلة أنفسهم من الأعداء، وكان فيه ضعاف الإيمان، والمعوقون، والمتناقضون، والمبطلون، والخائنون، ولكن هؤلاء جميعا لم يكن لهم وزن في ذلك المجتمع، ولا قدرة على تحويل مجراه؛ لأن التيار الدافق هو تيار أولئك المؤمنين صادقي الإيمان، المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، الملتزمين بتعاليم هذا الدين<sup>(3)</sup>.

2- أنه المجتمع الذي تحقق فيه أعلى مستوى من المعنى الحقيقي (للأمة)، فليست لأمة مجرد مجموعة من البشر جمعتهم وحدة اللغة ووحدة الأرض، ووحدة المصالح، فتلك هي الروابط التي تربط البشر في الجاهلية، فإن تكونت منهم أمة فهي أمة جاهلية، أما الأمة بمعناها الرباني، فهي الأمة التي تربط بينها رابطة العقيدة، بصرف النظر عن اللغة والجنس واللون، ومصالح الأرض القريبة، وهذه لم تتحقق في التاريخ وحده كما تحققت في الأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية هي أمة لا تقوم على عصبية الأرض ولا الجذ

(1) طبقات ابن سعد (47-39/1)، البداية والنهاية (144/7-149) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 112.

(2) مجموع الفتاوى (20/13).

(3) كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ محمد قطب، ص 100.

س ولا اللون ولا المصالح الأرضية، إنما هو رباط العقيدة، يربط بين العربي والحبشي والرومي والفارسي، يربط بين أهل البلاد المفتوحة والأمة الفاتحة على أساس الأخوة الكاملة في الدين، ولئن كان معنى الأمة قد حققته هذه الأمة أطول فترة عرفتها الأرض، فقد كانت فترة صدر الإسلام أزهى فترة تحققت فيها معاني الإسلام كلها، بما فيها معنى الأمة على نحو غير مسبوق<sup>(1)</sup>.

**3-** أنه مجتمع أخلاقي يقوم على قاعدة أخلاقية واضحة مستمدة من أوامر الدين وتوجيهاته، وهي قاعدة لا تشمل علاقات الجنسين وحدها، وإن كانت هذه من أبرز سمات هذا المجتمع؛ فهو خال من التبرج ومن فوضى الاختلاط، وخال من كل ما يخدش الحياء من فعل أو قول أو إشارة، وخال من الفاحشة إلا القليل الذي لا يخلو منه مجتمع على الإطلاق، ولكن القاعدة الأخلاقية أوسع بكثير من علاقات الجنسين؛ فهي تشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والفكر والتعبير، فالحكم قائم على أخلاقيات الإسلام، وعلاقات الناس في المجتمع قائمة على الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والحب، لا غمز ولا مز ولا نميمة ولا قذف للأعراض<sup>(2)</sup>.

**4-** أنه مجتمع جاد، مشغول بمعالي الأمور لا بسفاسفها، وليس الجد بالضرورة عبوساً وصرامة، ولكنه روح تبعث الهمة في الناس وتحت على النشاط والعمل والحركة، كما ما أن اهتماماته أعلى وأبعد من واقع الحس القريب، وليست فيه سمات المجتمع الفارغة المترهلة التي تتسكع في البيوت وفي الطرقات، تبحث عن وسيلة لقتل الوقت من شدة الفراغ<sup>(3)</sup>.

**5-** أنه مجتمع مجند للعمل في كل اتجاه تلمس فيه روح الجندية واضحة، لا في القتال في سبيل الله فحسب وإن كان القتال في سبيل الله قد شغل حيزاً كبيراً في حياة هذا المجتمع. ولكن في جميع الاتجاهات؛ فالكل متأهب للعمل في اللحظة التي يطلب منه فيها العمل، ومن ثم لم يكن في حاجة إلى تعبئة عسكرية ولا مدنية، فهو معبأ من تلقاء نفسه بدأ فع العقيدة وبتأثير شحنها الدافعة لبذل النشاط في كل اتجاه<sup>(4)</sup>.

**6-** أنه مجتمع متعبّد تلمس فيه روح العبادة واضحة في تصرفاته، ليس فقط في أداء الفرائض والتطوع بالأنوافل ابتغاء مرضات الله، ولكن في أداء الأعمال جميعاً؛ فالعمل في حسه عبادة، يؤديه بروح العبادة، الحاكم يسوس رعيته بروح العبادة، والمعلم الذي يعلم القرآن ويفقه الناس في الدين يُعلّم بروح العبادة، والتاجر الذي يراعى الله في بيعه وشرائه يفعل ذلك بروح العبادة، والزوج يرعى بيته بروح العبادة، والزوجة ترعى بيتها بروح العبادة، تحقيقاً لتوجيه رسول الله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»<sup>(5)</sup>.

هذه من أهم سمات عصر الصديق وعهد الخلفاء الراشدين، إلا أن تلك السمات كانت أقوى كلما اقتربنا من عهد النبوة، وتضعف كلما ابتعدنا عن عصر النبوة. وهذه السمات جعلته مجتمعاً مسلماً في أعلى أفاقه، وهي التي جعلت هذه الفترة المثالية في تاريخ الإسلام، كما أنها هي التي ساعدت في نشر هذا الدين بالسرعة العجيبة التي انتشرت بها؛ فحركة الفتح ذاتها من أسرع حركات الفتح في التاريخ كله، بحيث شملت في أقل من خم

(1) المصدر نفسه، ص 101.

(2) المصدر نفسه، ص 102.

(3، 2، 3) كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟، ص 102.

سين عاما أرضا تمتد من المحيط غربا إلى الهند شرقا، وهي ظاهرة في ذاتها تستحق التـ  
سجـيل والإبراز، وكذلك دخول الناس في الإسلام في البلاد المفتوحة بلا قهر ولا ضغط،  
وقد كانت تلك السمات التي اشتمل عليها المجتمع المسلم هي الرصيد الحقيقي لهذه الظاهـ  
رة؛ فقد

أحب الناس الإسلام لما رأوه مطبقا على هذه الصورة العجيبة الوضاعة، فأحبوا أن يكونـ  
وا من بين معتقيه(1).

إن دراسة هذه الفترة من التاريخ ينبغي أن تترك انطبعا لا يحى في نفس الدارس؛  
انطبعا بأن الإسلام دين واقعي قابل للتطبيق في عالم الواقع بكل مثالياته، فهي ليست مثاـ  
ليات معلقة في الفضاء لمجرد التأمل أو التمني، ولكنها مثاليات واقعية في متناول التطبيق  
ق إذا حاولها الناس بالجدية الواجبة وأعطوها حقها من الجهد، ثم انطبعا بأن ما حدث  
مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى؛ لأن البشر هم البشر، وقد استطاع البشر دائما أن يحاولـ  
وا الصعود مرة أخرى وسيصعدون حين يعزمون، وسينالون على ذلك النصر والتمكين،  
قال تعالى: **وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** [النور: 55].

ومن الأمور التي تساعد المسلمين على العودة إلى الخلافة الراشدة معرفة العوامل  
والأسباب التي أدت إلى زوالها، لكي نعمل على اجتبابها والأخذ بالأسباب التي جعلها الله  
سببا في إكرام الأمة بها، ولذلك نريد أن نفصل في أسباب فتنة مقتل عثمان لأهميتها، وإلـ  
يك أهم هذه الأسباب:

### أولاً: الرخاء وأثره في المجتمع:

كان رسول الله ﷺ يرى ما يعانيه أصحابه من شظف العيش وفقـ الحال، فكان يصبـ  
رهم، ثم يخبرهم أن هذا الحال الذي هم عليه لن يدوم طويلا، حتى تفتح عليهم خزائن الدـ  
نيا وخيراتها، وحذرهم من الاشتغال بذلك عن العمل الصالح والجهاد في سبيل الله، وما  
يمكن أن يجره ذلك عليهم من التقاتل على الدنيا ومتاعها الزائل(2) وقد فقه عمر بن الخـ  
طاب هذا التحذير فكان من سياسته حماية المسلمين من غوائل فتنة المال وزخارف الدنيا  
، فاجتهد في منع المسلمين من التوسع في بلاد العجم، ولولا ظهور مصلحة أخرى راجـ  
حة في توسعهم لبقى المنع قائما، إلا أن هذا التراجع من عمر لم يشمل كبار الصحابة والـ  
مهاجرين والأنصار، الذين كانوا بالمدينة إذ بقي المنع في حقهم(3) ولا شك أن الذي فعلـ  
ه عمر كان يدل على إحساسه وخوفه من انتشار المسلمين في أرض تزخر بألوان الخير  
ات والأرزاق فتستولي الدنيا على قلوبهم وتقسد عليهم آخرتهم(4) فلما جاء عهد عثمان و  
توسعت الفتوحات شرقا وغربا، وبدأت الأموال تتقاطر على بيت المال من الغنائم والأسـ  
لاب، وامتلات أيدي الناس بالخيرات والأرزاق(5)، وغني عن الإشارة أن النعم والخيرا

(1) المصدر نفسه، ص 103.

(2) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 559.

(3) المصدر نفسه، ص 565.

(4) المصدر نفسه، ص 565.

(5) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 566.

(2) تاريخ الطبري (245/5).

ت وتلك الواردات من الفتوح سيكون لها أثرها على المجتمع؛ إذ تجلب الرخاء وما يترتب عليه من انشغال الناس بالدنيا والافتتان بها، كما أنها مادة للتنافس والبغضاء، خاصة بين أولئك الذين لم يصفل الإيمان نفوسهم، ولم تهذبهم التقوى من أعراب البادية وجفاتها، ومن مسلمة الفتوحات وأبناء الأمم المترفة الدخلاء في الإسلام الذين جروا شوطا بعيدا في زخارف الدنيا وبهجتها، واتخذوها غاية يتنافسون فيها. وقد أدرك عثمان هذه الظاهرة وأندر بما سيؤول إليه أمر الأمة من التبدل والتغير في كتابه الموجه إلى الرعية: «فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثة فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من النسبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم للقرآن»<sup>(1)</sup>.

أما تكامل النعم فيتحدث الحسن البصري -وهو شاهد عيان- عن حالة المجتمع، ووفور الخيرات وإدرار الأموال، وما آل إليه أمر الناس من البطر وعدم الشكر، فيقول: أدركت عثمان على ما نعموا عليه، قلما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرا، يقال لهم: يا معشر المسلمين، اغدوا على أعطيائكم فيأخذونها وافرّة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل. الأعطيائ جارية، والأرزاق دارّة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير... والأخرى كان السيف مغمدا على أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولا إلى يوم الناس هذا، وأيم الله، إني لأراه سيفا مسلولا إلى يوم القيامة<sup>(2)</sup>.

وأما بلوغ أولاد المسلمين من النسبايا فيتمثل فيما آل إليه أمر هؤلاء من الدعة والترفع، وكان أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى وسع الناس لطيران الحمام والرمي على الجلاهقات<sup>(3)</sup>، فاستعمل عليها عثمان رجلا من بني ليث سنة ثمان<sup>(4)</sup> فقضضها وكسر الجلاهقات<sup>(5)</sup> وحدث بين الناس النشو بتناولهم النبيذ، فأرسل عثمان رجلا يطوف عليهم بالعصا ليمنعهم من ذلك، وعندما اشتد ذلك شكاهم عثمان إلى الناس، فأجمعوا على أن يجلدوا في النبيذ، فأخذ نفر منهم فجلدوا، ثم جعل عثمان لا يأخذ أحدا على شدة ر أو شهر سلاحا إلا نفاه من المدينة، فضج أبأؤهم من ذلك<sup>(6)</sup>. وقام عثمان في المدينة فقَالَ: «إن الناس تبلغني عنهم هنات وهنات، وإني لا أكون أول من فتح بابها ولا أدار راحتها (أي الفتنة)، ألا وإني زام نفسي بزمام، وملجمها بلجام، فأقودها بزمامها وأكبعها<sup>(7)</sup> بلجامها، ومنا ولكم طرف الحبلى، فمن اتبعني حملته على الأمر الذي يعرف، ومن لم يتبعني فمن خلف منه وعزاء منه، ألا وإن لكل نفس يوم القيامة سائقا وشهيدا؛ سائق يسوقه إلى أمر الله وشاهد يشهد عليها بعملها، فمن كان يريد الله بشيء فليبشر ومن كان يريد الدنيا فقد خسر»<sup>(8)</sup>. وهكذا لما قام عثمان الرجل النقي والخليفة الراشد بواجبه، وكانت إجراءاته تعزيرية تجاه أبناء الأغنياء الذين بدأوا نوعا من حياة الترف وفساد الأخلاق، إذ ضم أولئك المنحرفون إلى صف الناقمين من الرعاع.

وبالنسبة لقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فيظهر في شكل واضح في تكوين طبقته في المجتمع المسلم تتعلم القرآن لا رغبة في الثواب، وإنما رغبة في الجعل الذي جعله الخليفة تشجيعا وتأليفا<sup>(9)</sup>. ويجب أن نلاحظ أن هذا التغير بدأ أثره يظهر أولا على أطرا

(2) البداية والنهاية (224/7).

(4) قوس البندق الذي يرمى به.

(6) تاريخ الطبري (415/5).

(2) أي من الكعب، وهو المنع.

(8) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (361/1).

(9) الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 392.

ف الدولة الإسلامية، ثم أخذ يزحف إلى عاصمة الخلافة، مما دفع عثمان إلى تذكير المسد لمين في خطبه بضرورة الحذر من التهالك على الدنيا وحطامها، فكان مما قاله في إحدى خطبه:

إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركوا إليها، إن الدنيا تقنى وإن الآخرة تبقى، ولا تبطنركم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية.. واحذروا من الله لا غير، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزاباً<sup>(1)</sup>، ثم قرأ: **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى سَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلَتَأْتُنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [آل عمران: 103، 104].

وفي مثل هذه الظروف، والخيرات وافرة، فاضت الدنيا على المسلمين وتفرغ الناس بعد أن فتحوا الأقاليم واطمانوا فأخذوا ينقمون على خليفته<sup>(2)</sup>. ومن هنا يعلم أثر الرخاء في تحريك الفتنة، ومن هنا أيضاً يمكن فهم مقالة عثمان لعبد الرحمن بن ربيعة له صحبة- وهو على الباب<sup>(3)</sup>: إن الرعية قد أبطر كثيراً منه م البطنة فقصر بهم، ولا تقتحم بالمسلمين فإني خاش أن يبتلوا<sup>(4)</sup>. وفي آخر خطبة لعثمان وهو يعظ المسلمين بعد أن فتحت الدنيا عليهم قال:

ألا لا تبطنركم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية.. واحذروا أحداث الدهر المغير، والزموا جماعتكم، ولا تتفرقوا شيعاً وأحزاباً<sup>(5)</sup>.

### ثانياً: طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان :

حدثت تغيرات اجتماعية عميقة، ظلت تعمل في صمت وقوة لا يلاحظها كثير من الناس، حتى ظهرت على ذلك الشكل العنيف المتفجر بدءاً من النصف الثاني من خلافة عثمان، وبلغت قمة فورانها في التمرد الذي أدى إلى استشهاده عثمان<sup>(6)</sup>.

لما توسعت الدولة الإسلامية عبر حركة الفتوح حصل تغير في تركيبة المجتمع واخذت تلاحق في نسيجه؛ لأن هذه الدولة بتوسعها المكاني والبشري ورثت ما على هذه الرقعة الواسعة من أناس، وألوان، ولغات، وثقافات، وعادات، ونظم، وأفكار، ومعتقدات، وفنون أدبية وعمرانية، ومظاهر، وظهرت على سطح هذا النسيج ألوان مضطربة وخروقات غير منتظمة، ورقع غير منسجمة، مما صيرت المجتمع غير متجانس في نسيجه التركيبي وبالذات في الأمصار الكبرى، بمواقعها وأهميتها، تدفع بجيوش الفتوح وتستقبلها وهي عائدة، وقد نقص عددها بالموت والقتل، وتستقبل بدلاً عنهم أو أكثر منهم أعداداً وفيرة من أبناء المناطق المفتوحة، فرس، وترك، وروم، وقبط، وكرد، وبربر، وكان أكثرهم

(1) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، ص 567.

(2) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (362/1).

(3) المقصود بالباب منطقة في جهات أنريجان تسمى الدر البند، معجم البلدان (303/1).

(4) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (361/1).

(5) المصدر نفسه (362/1).

(6) الدولة الأموية المفترى عليها، ص 166.

م من الفرس أو من النصارى العرب أو غيرهم أو من اليهود<sup>(1)</sup> وأكثر سكان هذه الأمصار الكبيرة هم ممن شاركوا في حركة الفتح الإسلامي ثم استقروا في هذه الأمصار، وكان أغلب هؤلاء من القبائل العربية من جنوبها وشمالها وشرقها، والذين لم يكونوا - عادة - من الصحابة، وبمعنى أدق ليسوا ممن تلقوا التربية الكافية على يد رسول الله ﷺ، أو على أيدي الجيل الأول من الصحابة؛ إما لانشغالهم بالفتوح أو لقلّة الصحابة. وقد حصلت تغيرات في نسيج المجتمع البشري المكون من جيل السابقين وسكان البلاد المفتوحة، والأعراب ومن سبقت لهم ردة، واليهود والنصارى، وفي تكوين نسيج المجتمع الثقافي، وفي بسطة عيش المجتمع، وفي ظهور لون جديد من الانحرافات، وفي قبول الشائعات<sup>(2)</sup>.

### 1- المتغيرات في نسيج المجتمع البشري:

#### أ- لقد تكون هذا النسيج من قطاعات عدة:

قطاع الأسبقين ممن بقى من الصحابة ومن الذين نالوا قسطاً من رعاية الصحابة، ولكن هذا القطاع وذلك ظل يتناقص إما عن طريق الموت والقتل في ميادين الفتوح، وإما عن طريق تفرقهم في الأمصار، مما جعلهم أقلّ حضوراً، وكانوا موزعين في البلدان المفتوحة والأمصار الكبيرة المستحدثة كالبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، وبعضهم في الجزيرة العربية يخرجون منها ثم يعودون إليها مرة أخرى<sup>(3)</sup>.

**ب- سكان المناطق المفتوحة:** وكانوا يشكلون الأكثرية بالنسبة للقادمين إليهم مع حركّة الفتوح؛ فقد ظل القادمون قلة وإن كان لهم حضور فعلي في إدارة البلد أو التأثير على سلوكي والأخلاقي والفكري واللغوي، إلا أنهم رغم ذلك يعتبرون قلة، وظل هذا القطاع - سكان المناطق المفتوحة - مقتصرًا في استقراره غالباً على مناطقهم، ومع هذا فقد تنقل بعضهم في المناطق الأخرى من بلدان الدولة الإسلامية؛ بل استقر بعضهم في الأمصار الكبيرة وفي عاصمة الدولة أيضاً، إما على شكل ما عرف بالسبي، أي يستقرون تابعين لمواليهم، وإما على شكل تنقل تجاري ومعاري وإداري؛ حيث لا يوجد قانون يمنعهم من ذلك، إن لم يكونوا يلقون التشجيع والدعم<sup>(4)</sup> وقد كان الأعاجم الذين جاءوا من البلاد المفتوحة من أسرع الناس إلى الفتنة، ذلك لأن أغلب الأعاجم من الأمم الموثورة، والشعوب المقهورة، فتكثر مسارعتهن للفتن لأسباب كثيرة، منها:

\* جهلهم وحدائث عهد أكثرهم بالكفر، والملك والعز الذي كانوا عليه، ثم سلبه.

\* قلة فقههم في الدين، بسبب العجمة وغيرها.

\* العصبية وكرهية العرب.

\* أن طوائف منهم دخلت الإسلام ظاهراً وخوفاً من السيف أو الجزية، وأضرموا لإسلام والمسلمين الشر والكيد، فيسارعون إلى كل فتنة.

\* طمع أهل الأهواء فيهم للأسباب المذكورة وتحريضهم لهم<sup>(5)</sup>.

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 379.

(1، 3، 3) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 380.

(5) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ص 161.

## ج- أولئك الأعراب عُرِفوا بأنهم من سكان البادية:

وهم مثل بقية الناس منهم المسلم التقي ومنهم الكافر والمنافق، إلا أنهم كما قال الله عنهم: **«الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»** [التوبة: 97]؛ وذلك لأنهم أفسى قلوبا وأغلظ بعا وأجفى قولاً، ولصفاتهم هذه فهم جديرون وأخلق بهم أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من الشرائع والأحكام والجهاد<sup>(1)</sup>؛ فهم من أسرع الناس في الفتن ولمسارعتهم فيها أسباب منها:

- \* قلة فقههم في الدين.
- \* سرعة اغترار الواحد منهم بما يتعلمه من القرآن، فيظن أنه صار عالماً بقليل من العلم.
- \* جفاؤهم للعلماء، وترك التلقي عنهم والافتداء بهم.
- \* تمكن العصبية القبلية من نفوسهم.
- \* تغرير أهل المطاعم بهم، واستغلال سذاجتهم وجهلهم.
- \* حدة طباعهم ونفورهم من المدنية والخلطة، وإساءة الظن بالآخرين ممن لا يعرفونهم، وهذا من طباع الأعراب في كل زمان ومكان.
- \* تشددهم في الدين، وتطعمهم بلا علم، لذلك صار غالب الخوارج من هذا الصنف<sup>(2)</sup>.
- وخرج من هؤلاء الأعراب رجال عرفوا (بالقراء) وقد اختلف مفهوم (القراء) هذا عن منطوقه، فالمنطوق يقصد به جماعة ممن تخصصوا بقراءة القرآن، إلا أن المفهوم و من خلال الواقع أنتج دلالات أخرى، فمنهم من كان على طريقة الخوارج، يفهمون القرآن بطريقتهم الخاصة، ومنهم من كان زاهدا لا يفقه حقيقة ما يقرأ ولم يستطع التأقلم مع واقع المجتمع<sup>(3)</sup>، وهؤلاء القراء الجهلة يسارعون للفتن وذلك لأسباب، منها:
- \* الشدة في نزعة التدين عندهم مع قلة الفقه في الدين، مما يورث غيرة على الدين بغير علم ولا بصيرة، فتجرفهم الأهواء والعواطف باسم الغيرة على الدين، دون نظر في العواقب ولا فقه لقواعد الشرع كدرء المفساد، وجلب المصالح.
- \* الاغترار بما يحصله الواحد منهم من الآيات والأحاديث دون فقه ولا بصيرة، فيدّعون أنهم صاروا من أهل العلم الذين يُحَلُّون ويعقدون في مصالح المسلمين.
- \* تعاليهم على العلماء والأئمة، وظنهم أنهم وصلوا درجة الاستغناء عنهم وعن فقههم وعلمهم، تحت شعار (هم رجال ونحن رجال).
- \* اتخاذهم رؤساء جهالا من بينهم دون العلماء والأئمة. لأن أهل الأهواء ورؤوسا لبدع والفتن -و غالبهم من الدهاة- يفرعون إلى القراء فيغوونهم، ويستدرجونهم، ويستغلون

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 380، نقلا عن الشوكاني، فتح القدير (395/2-397).

(2) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص 161.

(3) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 381.



ن نزعة التدين فيهم، ويستثيرون غيرتهم بلا بصيرة.

\* جهلهم بقواعد الاستدلال وأحكام الفتن<sup>(1)</sup>.

**د- وفصيل أو قطاع آخر في نسيج المجتمع الإسلامي وهو ممن سبقت لهم ردة:** وكانت حياتهم في الإسلام قصيرة وانتمائهم إليه ضرورة، ولا ننفي أن منهم من زكى و صلح وكان من الفضلاء إلا أن منهم من لم يتذوق حلاوة الإسلام، فظل رغم انتسابه للإسلام- يعيش بعقليته السابقة ونفسيته التي عاشها قبل الإسلام، العقلية القبلية، تناوشه الع صبيات، وكان الإسلام لم يدخل فيهم، أو أنهم ظنوا عدم التناقض بين ما يعرفونه من إسلام وما يتعاملون به في الواقع من دوافع قبلية<sup>(2)</sup>.

لقد شكلت طوائف من المرتدين عنصرا أسهم في تهيئة أجواء الفتنة، والمرتدون كان وا على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن الشيء الجديد هو اختلاف سياسة عثمان عن الخليفين قبله تجاههم؛ فأبو بكر يكتب إلى عماله: ألا يستعينوا بمرتد في جهاد العدو، ويؤكد على خالد بن الوليد، وعياض بن غنم ألا يغزو معهما أحد قد ارتد د حتى يرى رأيه فيهم، فلم تشهد أيامه<sup>(3)</sup> مرتدا. ويقول الشعبي: كان أبو بكر لا يستعين في حروبه بأحد من أهل الردة حتى مات<sup>(4)</sup>. ولذلك كان بعض من ارتد وحسن إسلامه ب عد ذلك يستحيون من مواجهة أبي بكر، فطليحة بن خويلد مثلا يذهب إلى مكة معتمرا و ما استطاع مقابلة أبي بكر حتى مات<sup>(5)</sup>. وفي خلافة عمر تخف هذه السياسة تجاه المرتدين، فيندب أهل الردة ليرمي بهم الشام والعراق<sup>(6)</sup>، وقد كان في مسيرة جيش سعد بن أبي وقاص في القادسية قيس بن مكشوح المرادي، وعمر بن معد يكرب كان يحمس الذ اس ويحرك مشاعرهم، وهذا كله كان بعد أن أذن عمر لأهل الردة في الغزو<sup>(7)</sup>. ولكن ه ذا التجاوز عن سياسة أبي بكر عند عمر يصحبه نوع من الحذر والحيطه، ولا ينفك عن الضوابط والشروط المقيدة؛ فأهل الردة لا يولون على مائة، ولهذا اضطر سعد أن يبعث قيس بن المكشوح في سبعين رجلا فقط في أثر الأعاجم، ثاروا بهم في ليلة الهرير<sup>(8)</sup>. و أتى عثمان فيتجاوز سياسة التقييد التي فرضها الخليفان قبله تجاه المرتدين، ويرى أن عامل الزمن الذي مضى على عهد الردة كاف لأن يتخلص من كان قد ارتد من رواس بها، ويجتهد عثمان فيستعمل أهل الردة استصلاحا لهم، فلم يصلحهم ذلك، بل زادهم فسا دا وجعل قائلهم يتمثل قول القائل:

وكننت وعمرًا كالمُسَمَّنِ كلبه فخدشه أنيابه وأظافره<sup>(9)</sup>

وكانت من نتائج استعمال عثمان لأهل الردة في الكوفة أن تبدل أهلها وأصيب قائده

- (1) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص 163.
- (2) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 381.
- (3) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، سليمان العودة، ص 155.
- (4) البداية والنهاية (347/6).
- (5) التاريخ الإسلامي، (59/9).
- (6) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 156.
- (7) تاريخ الطبري (382/4).
- (8) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 157.



م عبد الرحمن بن ربيعة في غزوة للترك، وهو الذي كان يقاتلهم في عهد عمر في قُرَوقٍ منه، ويقولون: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعه ملائكة تمنعه من الموت<sup>(1)</sup>. وتظهر الآثار بشكل واضح في الفتنة التي انتهت بقتل عثمان، وذلك حينما نجد في أسماء المتهمين ن في دم عثمان رجالاً ينتسبون إلى قبائل كانت في عداد المرتدين، أمثال: سودان بن حم ران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وحكيم بن جبلة العبدي<sup>(2)</sup>.

### هـ اليهود والنصارى:

وكان بعضهم -وهو كثير- قد خرج أو أخرج من جزيرة العرب فاستقروا في الأمصار الكبيرة، ومنها الكوفة والبصرة، وكان اليهود خاصة -حسب طبعهم- ظلوا في تلك الأمصار المطلة على ميادين الفتوح يمارسون مهنتهم المشهورة المزوجة، السيطرة الملية بوسائلهم المختلفة، والتأمر على قطع اليد التي تمد لهم المساعدة<sup>(3)</sup>. وسيأتي الحديث عن دور اليهود بإذن الله تعالى.

### 2- تكوينات نسيج المجتمع الثقافي:

فإلى جوار هذا الخليط البشري كان هناك خليط آخر لا يقل خطره - إن لم يفق الخليط البشري- ألا وهو الخليط الثقافي؛ حيث تدفقت الثقافات والأفكار والنظم والعقائد مع تلك الأعداد البشرية التي انضمت إلى محتويات المجتمع الإسلامي، فصارت تشكل حملاً ضخماً على عاتقه، ومما زاد الطين بلة أنه بالرغم من اندماج المسلمين في نسيج البلدان المفتوحة؛ حيث عاشوا في أوساطهم وتزوجوا منهم، وتعلموا لغاتهم، ولبسوا ملابسهم، ومارسوا عاداتهم، إلا أنه بالرغم من ذلك فقد كان تأثيرهم في أهل البلاد المفتوح محدوداً في هذه الفترة المبكرة<sup>(4)</sup>. فلم ينل أهالي هذه البلاد المفتوحة حظاً وافراً من التربية، ولم تتشبع بروح الإسلام كما هو حال الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكذلك القبائل العربية التي اختلطت بأهالي البلاد المفتوحة. وإذا كان الإسلام قد تمكن من صهر هذه القبائل المختلفة في بوتقة لفترة معينة، إلا أنه مما يجب أن يوضع في الحسبان أن عملية التعليم والتربية التي كانت تقودها القاعدة الصلبة من المهاجرين والأنصار لم تكن قادرة على استيعاب هذه الأفواج الكبيرة واحتوائها؛ فالموالي لم يتخلصوا من كل الأفكار والعادات التي كانوا عليها في جاهليتهم، ويرجع ذلك إلى عدم التوازن بين حركة التوسع الأفقي في فتح البلدان وبين التوسع الرأسي في تعليم الناس وتقنيهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على أن حركة الجهاد لا بد أن يصحبها ويتبعها الدعاة والمعلمون ليفقهوا الناس في دينهم؛ حتى لا يختل ميزان التربية، وتحدث الخلطة في الصف الإسلامي، وتتوسع الفجوة بين الفاتحين وسكان الأراضي المفتوحة، مما يتسبب في حدوث ظواهر سلبية تؤثر في تماسك الصف الإسلامي ووحدته السياسية والفكرية<sup>(5)</sup>. ولم يكن يمكن تقادي هذا الجانب السلبي رغم وجود البذل والحماس في ميدان التعليم والتربية الإسلامية؛ حيث كان التوسع في الأرض سريعاً وواسعاً، فقد فتحت العراق وما وراءها وبلاد الشام في سنوات قليلة معدودة، فلم يكن في مقدرة الطاقة البشرية في ميدان التربية والتعليم استيعاب الأعداد الهائلة

(1) تاريخ الطبري (146/5).

(2) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 157.

(3) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 381.

(4) المصدر نفسه، ص 381.

(5) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (358/1).

أثلة من سكان تلك المناطق وتعليمها.<sup>(1)</sup> ومن أسباب ذلك: أن الصحابة الذين كان من الم فروض أن يقوموا بهذه الأمانة قد قتل معظمهم في ميادين الجهاد، ولم يبق إلا أفراد قليلو ن متفرقون تجمع حولهم المسلمون الذين يحبون أن يتعلموا، فظهرت طبقة التابعين، ولأ ن معظمهم مخلصون فقد كانوا في مقدمة ميادين الجهاد، فقُتل أيضا منهم من قُتل<sup>(2)</sup>، ك ما لم يكن الزمن كافيا لترسيخ التعاليم الإسلامية في نفوس كثير منهم، مما ساعد مع غي ره من العوامل على وجود خلخلة فكرية وظواهر سلبية دخيلة على النهج الإسلامي، مما كان له الأثر في عدم استقرار الدولة، وظهر ذلك جليا في السنوات الأخيرة من عهد عثم ان<sup>(3)</sup>.

### 3- ظهور جيل جديد:

فقد حدث في المجتمع تغير أكبر؛ ذلك أن جيلا جديدا من الناس ظهر، وأخذ يحتل م كانه في المجتمع، وهو غير جيل الصحابة، جيل يعيش في عصر غير العصر الذي كان و يعيشون فيه، ويتصف بما لا يتصفون به؛ فهو جيل<sup>(4)</sup> يعتبر في مجموعته أقل من الجي ل الأول الذي حمل على كتفيه عبء بناء الدولة وإقامتها، فقد تميز الجيل الأول من المسد لمين بقوة الإيمان والفهم السليم لجوهر العقيدة الإسلامية والاستعداد التام لإخضاع النفس لنظام الإسلام المتمثل في القرآن والسنة، وكانت هذه الميزات أقل ظهورا في الجيل الجد يد الذي وُجد نتيجة للفتوحات الواسعة، وظهرت فيه المطامع الفردية، وبعثت فيه العص بية للأجناس والأقوام، وبعضهم يحملون رواسب كثيرة من رواسب الجاهلية التي كانوا عليها، ولم ينالوا من التربية الإسلامية على العقيدة الصحيحة السليمة مثل ما نال الرعي ل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم- على يد رسول الله ﷺ؛ وذلك لكثرتهم وانشغال ال فاتحين بالحروب والفتوحات الجديدة.<sup>(5)</sup> فالصحابة كانوا أقل فتنا من سائر من بعدهم، فإن ه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف<sup>(6)</sup>.

كان الجيل الجديد لا يرضى بالواقع الذي كان يتسم به جيل الذين سبقوه، فقد اعتاد على غير ما اعتادوا عليه، فتكونت عقلية جديدة ومفهوم جديد للحياة، وهو مفهوم قد ابتع د عن العقلية التي كانت سائدة في عصر الراشدين الأولين، فأصبح لا يفهم تلك العقلية و لا يستطيع تشربها، ولا يسعه أن يذعن لحكمها<sup>(7)</sup>، ولذلك انضم المنحرفون من الجيل الج ديد لدعاة الفتنة.

### 4- استعداد المجتمع لقبول الشائعات:

وهكذا ندرك من خلال هذا الخليط غير المتجانس في نسيج المجتمع أنه صار مهيا ل لهزات، مستعدا للاضطراب، قابلا لتلقي الإذاعات والأقويل والشائعات<sup>(8)</sup>، وهذا ما يعب ر عنه بوضوح ابن تيمية قائلا: ولهذا لما كان الناس في زمن أبي بكر وعمر اللذين أُمـ

(1) المصدر نفسه (358/1).

(2) البين في صدر الإسلام للشجاع، ص 334.

(3) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (359/1).

(4) الدولة الأموية، يوسف العث، ص 132.

(5) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (356/1).

(6) ذو النورين.. عثمان بن عفان، محمد مال الله، ص 99.

(7) الدولة الأموية، يوسف العث، ص 133.

(8) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 382.

ر المسلمون بالافتداء بهما كما قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر...»، أقرب عهدا بالرسالة وأعظم إيماننا وصلاحا، وأئمتهم أقوم بالواجب، وأثبت في الطمأنينة لم تقع فتنة؛ إذ كانوا في حكم القسط (أي النفوس المطمئنة)، ولما كان في آخر خلافة عثمان وخلافة عليّ كثر القسم الثالث (أهل النفس اللوامة التي تخلط عملا صالحا وآخر سيئا)، فصار فيهم شهوة وشبهة مع الإيمان والدين، وصار ذلك في بعض الولاة وبعض الرعايا، ثم كثر هذا القسم (الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا) بعد، فنشأت الفتنة التي سببها ما تقدم من عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع من الهوى والمعصية في الطرفين، وكل منهما متأول وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأنه مع الحق والعدل، ومع هذا التأويل نوع من الهوى، ففيه نوع من الظن، وما تهوى النفس، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى.<sup>(1)</sup> ويوضح هذا الواقع بدقة أكثر ذلك الحوار الذي دار بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأحد أتباعه، قال له رجل: ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ قال علي: لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي، وأنا اليوم وال على مثلك.<sup>(2)</sup> وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان مدركا لما يدور في وسط المجتمع؛ حيث قال في رسالته إلى الأمراء: أما بعد، فإن الرعية قد طعنت في الانتشار، ونزعت إلى الشره، وأعداها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرة، وأهواء مسدرة، وضغائن محمولة، يوشك أن تتفرق فتغير.<sup>(3)</sup>

### ثالثاً: مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما:

كان مجيء عثمان مباشرة بعد عمر بن الخطاب واختلاف الطبع بينهما مؤدّياً إلى تغيير أسلوبهما في معاملة الرعية، فبينما كان عمر قوي الشكيمة، شديد المحاسبة لنفسه، ولمن تحت يديه، كان عثمان ألين طبعاً وأرق في المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسه أو يأخذ الناس بما يأخذهم به عمر حتى يقول عثمان نفسه: يرحم الله عمر، ومن يطبق ما كان عمر يطبق.<sup>(4)</sup> لكن الناس وإن رغبوا في الشوط الأول من خلافته لأنه لان معهم وكان عمر شديداً عليهم، حتى أصبحت محبته مضرب المثل، فقد أنكروا عليه بعد ذلك، ورجع هذا إلى نشأة عثمان في لطفه ولين عريكته ورقة طبعه ودمائه خلقه، مما كان له بعض الأثر في مظاهر الفرق عند الأحداث بين عهده وعهد سلفه عمر بن الخطاب، وقد أدرك عثمان ذلك حين قال لأقوام سجنهم: أتدرون ما جرأكم عليّ؟ ما جرأكم عليّ إلا حلمي.<sup>(5)</sup> وحين بدت نوايا الخارجين وقد ألزمهم عثمان الحجة في رده على المآخذ التي أخذوها عليه أمام الملأ من الصحابة والناس، أبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى عثمان إلا تركهم لحلمه ووداعته قائلاً: بل نغفو ونقبل، ولننصرهم بجهدنا، ولا نحاد أحداً حتى يركب حداً أو يبدي كفراً.<sup>(6)</sup>

### رابعاً: خروج كبار الصحابة من المدينة:

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية (148/28، 149).

(2) مقدمة ابن خلدون، ص 189.

(3) التمهيد والبيان، ص 64.

(4) تاريخ الطبري (418/5).

(5) المصدر نفسه (250/5).

(6) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (364/1).

كان عمر قد حبر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل، فشكوه فبلغه، فقام فقال: ألا إني قد سننت الإسلام سنَّ البعير، يبدأ فيكون جذعاً، ثم ذنباً، ثم رباعياً، ثم سداسياً، ثم بازلاً<sup>(1)</sup>، إلا فهل ينتظر البازل إلا النقصان، ألا فإن الإسلام قد بزل، ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادته، ألا فأمرنا وابن الخطاب حي فلا، إني قائم دون شعب الحرة، أخذ بحلاقيم<sup>(2)</sup> قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار.<sup>(3)</sup> لقد كان عمر يخاف على هؤلاء الصحابة من انتشارهم في البلاد المفتوحة وتوسعهم في القطاع والضياح، فكان يأتيه الرجل من المهاجرين وهو ممن حبس في المدينة فيستأذنه في الخروج فيجيبه عمر: لقد كان لك في غزوك مع رسول الله ما يبلى غك، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك.<sup>(4)</sup> وأما عثمان فقد سمح لهم بالخروج ولأن معهم. يقول الشعبي: فلما ولي عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع إليهم الناس، فكان أحب إليهم من عمر<sup>(5)</sup>، فكان من نتائج هذا التوسع أن اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس.<sup>(6)</sup> وفي رواية: فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم عمر فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ورأهم الناس انقطع إليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموماً (مغموراً) في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم وأملوهم، وتقدموا في ذلك فقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقدموا منا في التقريب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أول وهن دخل في الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة ليس إلا ذلك<sup>(7)</sup>.

#### خامساً: العصبية الجاهلية:

يقول ابن خلدون: لما استكمل الفتح واستكمل للملك، ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر، وكان المختصون بحدبة الرسول  $\times$  والافتداء بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار وقريش وأهل الحجاز، ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم، وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وقضاعة وغيرهم، فلم يكونوا في تلك الصحبة بمكان إلا قليل منهم، وكانت لهم في الفتوحات قدم، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفصيل أهل السابقة ومعرفة حقهم، وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة وتردد الوحي وتنزل الملائكة، فلما انحصر ذلك العباب، وتنوَّى الحال بعض الشيء، وذل العدو واستقل الملك، كانت عروق الجاهلية تنبض، ووجدوا الرياسة عليهم من المهاجرين والأنصار وقريش وسواهم، فأنفت نفوسهم منه، ووافق ذلك أيام عثمان فكانوا يظهرُونَ أظعن في ولاته بالأمصار، والمؤاخذه لهم باللحظات والخطوات، والاستبطاء عليهم الطاعات، والتجني بسؤال الاستبداد منهم والعزل، ويفيضون في النكير على عثمان، وفشت المقالة في ذلك في أتباعهم، وتناولوا بالظلم في جهاتهم، وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة

(1) البازل: الذي انشق نابه بدخوله في التاسعة، ص 413.

(2) الحلاقيم: جمع حلقوم.

(3) تاريخ الطبري (413/5).

(4) المصدر نفسه، (414/5).

(5) المصدر نفسه، (414/5).

(6) المصدر نفسه (413/5).

(7) المصدر نفسه (414/5).

بة بالمدينة، فارتابوا وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه، وبعث إلى الأمصار من يأتيه بالخبر.. فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامهم<sup>(1)</sup>.

### سادساً: توقف الفتوحات:

حين توقفت الفتوح في أواخر عهد عثمان أمام حواجز طبيعية أو بشرية لم تتجاوزها سواء في جهات فارس وشمال بلاد الشام أم في جهة أفريقية، توقفت الغنائم على أثرها، فتساءل الأعراب: أين ذهبت الغنائم القديمة؟ أين ذهبت الأراضي المفتوحة التي يعدودها حقاً من حقوقهم؟<sup>(2)</sup> وانتشرت الشائعات الباطلة التي اتهمت عثمان بأنه تصرف في الأراضي الموقوفة على المسلمين وفق هواه، وأنه أقطع منها لمن شاء من الناس، وقد كان لها أثر ووقع على الأعراب؛ خاصة أن معظمهم بقي بدون عمل يقضون شطراً من وقتهم في الطعام والنوم، والشطرن بالخوض في سياسة الدولة والحديث عن تصرفات عثمان التي كانت تهوّلها السبئية. وقد أدرك أحد عمال عثمان هذا الأمر -وهو عبد الله بن عامر- فأشار على الخليفة حيث طلب من عماله -وهم وزراءه ونصحاؤه- أن يجتهدوا في آرائهم ويشيروا عليه، فأشار عليه أن يأمر الناس بالجهاد ويجمهرهم في المغازي حتى لا يتعدى هم أحدهم قمل فروة رأسه ودبرة دابته<sup>(3)</sup>.

وفي ذلك الجو من الحديث والفكر عند أفراد تعودوا الغزو ولم يفقهوا من الدين شيئاً كثيراً يمكن أن يتوقع كل سوء، ويكفي أن يحرك هؤلاء الأعراب وأن يوجهوا توجيهها، فإذا هم يثورون ويحدثون القلاقل والفتن، وهذا ما حدث بالفعل؛ فإن الأعراب بسبب توقّف الفتوحات ساهموا في بؤار الفتنة الأولى، وكانوا سبباً من أسباب اندلاعها<sup>(4)</sup>.

### سابعاً: المفهوم الخاطئ للورع:

الورع في الشريعة طيب؛ وهو أن يترك ما لا بأس به مخافة مما فيه بأس. وهو في الأصل: ترفع عن المباحات في الله والله. والورع شيء شخصي يصح للإنسان أن يطالب به نفسه، ولكن لا يصح أن يطالب به الآخرين. ومن أخطر أنواع الورع: الورع الجاهل الذي يجعل المباح حراماً أو مفروضاً، وهذا الذي وقع فيه أصحاب الفتنة<sup>(5)</sup>؛ فقد استغل أعداء الإسلام يومها مشاعرهم هذه ونفخوا فيها، فرأوا فيما فعله عثمان من المباحات أو المصالح خروجاً على الإسلام وتغييراً لسنة من سبقه، وعظمت هذه المسائل في أعين الجاهلة فاستباحوا أو أعانوا من استباح دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وفتحوا على المسلمين باب الفتنة إلى اليوم. وهذا الورع الجاهل نلاحظه اليوم في تصرفات بعض المسلمين الذين يصرون على تكليف أحكام الإسلام وفق ما يشتهون أو يكرهون، أو وفق عاداتهم وتقاليدهم<sup>(6)</sup>.

### ثامناً: طموح الطامحين:

- (1) تاريخ ابن خلدون (477/2).
- (2) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (344/1).
- (3) تاريخ الطبري (340/2).
- (4) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 353.
- (5) الأساس في السنة (1676/4).
- (6) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 517.

وجد في الجيل الثاني من أبناء الصحابة -رضي الله عنهم- من يعتبر نفسه جديرا بالحكم والإدارة، ووجد أمثال هؤلاء أن الطريق أمامهم مغلق، وفي العادة أنه متى وجد الطامحون الذين لا يجدون لطموحهم متنفسا فإنهم يدخلون في كل عملية تغيير، ومعالجة أمر هؤلاء في غاية الأهمية<sup>(1)</sup>.

### تاسعاً: تأمر الحاقدين:

لقد دخل في الإسلام منافقون متورون اجتمع لهم من الحقد والذكاء والدهاء ما استطاعوا أن يدركوا نقاط الضعف التي يستطيعون من خلالها أن يوجدوا الفتنة، ووجدوا من يستمع إليهم بأذان مصغية، فكان من آثار ذلك ما كان<sup>(2)</sup>؛ فقد عرفنا سابقاً وجود يهود ونصارى وفرس، وهؤلاء جميعاً معروف باعثة غيظهم وحقدهم على الإسلام والدولة الإسلامية، ولكننا هنا نضيف من وقع عليه حد أو تعزيز لأمر ارتكبه في وسط الدولة، عاقبه الخليفة أو ولاته في بعض الأمصار وبالذات البصرة والكوفة ومصر والمدينة، فاستغل أولئك الحاقدون من يهود وصارى وفرس وأصحاب الجرائم مجموعات من الناس كان معظمهم من الأعراب، ممن لا يفقهون هذا الدين على حقيقته، فتكونت لهؤلاء جميعاً طائفة وصفت من جميع من قابلهم بأنهم أصحاب شر، فقد وصفوا: بالغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، وأهل المياه وعبيد المدينة<sup>(3)</sup>، وبأنهم ذؤبان العرب<sup>(4)</sup>، وأنهم حثالة الناس ومتفقون على الشر<sup>(5)</sup>، وسفهاء عديمو الفقه<sup>(6)</sup>، وأراذل من أوباش القبائل<sup>(7)</sup>، فهم أهل جفاء وهمج، ورعاع من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف الأراذل<sup>(8)</sup>، وأنهم آلة الشيطان<sup>(9)</sup> وقد تردد في المصادر اسم عبد الله بن سبأ الصنعاني اليهودي ضمن هؤلاء المتورين الحاقدين، وأنه كان من اليهود ثم أسلم، ولم ينقب أحد عن نواياه فنتقل بين البلدان الإسلامية باعتباره أحد أفراد المسلمين<sup>(10)</sup>، وسيأتي الحديث عنه في مبحث مستقل بإذن الله.

### عاشرًا: التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان :

كان المجتمع مهياً لقبول الأقاويل والشائعات نتيجة عوامل وأسباب متداخلة، وكانت الأرض مهية، ونسيج المجتمع قابلاً لتلقي الخروقات، وأصحاب الفتنة أجمعوا على الطعن في الأمراء بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى استمالوا الناس إلى صفوفهم، ووصل الطعن إلى عثمان بن عفان نفسه باعتباره قائد الدولة. وإذا ما حصرنا الدعاوي التي روجت ضد الخليفة وطعنوه بها فيمكننا تصنيفها إلى مجموعات خمس:

#### 1- مواقف شخصية له قبل توليه الخلافة (تغيبه عن بعض الغزوات والمواقع).

- (1، 2) الأساس في السنة (1676/4).
- (3، 4) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 392.
- (5) الطبقات (71/3) هذا وصف ابن سعد.
- (6) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 392.
- (7) شذرات الذهب (40/1)، هذا وصف ابن العماد.
- (8) شرح صحيح مسلم (148/15)، (149).
- (9) تاريخ الطبري (327/5).
- (10) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 393.

- 2- سياسته المالية: الأعطيات، الحمى.
- 3- سياسته الإدارية النافذة: تولية أقربائه، طريقته في التولية.
- 4- اجتهادات خاصة به أو بمصلحة الأمة (إتمام الصلاة بمنى، جمع القرآن، الزيادة في الم (سجد).
- 5- معاملته لبعض الصحابة: عمار، أبي ذر، ابن مسعود<sup>(1)</sup>.

وقد بينت موقف عثمان في كل ما وجه إليه في موضعه، ولم يبق إلا عمار ، وس يأتي الحديث عنه بإذن الله. وقد حدثت زيادات في إبراز المطاعن على عثمان سواء في عهده وما واجهه بها ورده عليها في حينها، أو ما تُقَوِّل عليه فيما بعد عند الرواة والكتاب فإنها لم تصح ولم تصل إلى حد أن تكون سببا في قتله<sup>(2)</sup>.

إن المآخذ السابق ذكرها والمدونة في تاريخ الطبري وغيره من كتب التاريخ، والم روية عن طريق المجاهيل والإخباريين الضعفاء خاصة الرافضة، كانت ولا تزال بلية عظمى على الحقائق في سيرر الخلفاء والأئمة، خاصة في مراحل الاضطرابات والفتن، وقد كان مع الأسف لسيرة عثمان أمير المؤمنين من ذلك الحظ الوافر؛ فرواية الحواد ث ووضع الأباطيل على النهج الملتوي بعض ما نال تلك السيرة النيرة من تحريف المذ حرفين وتشويه الغالين بغية التآليب عليه أو التشهير به، وقد أدرك عثمان بنفسه ذلك عندما كتب إلى أمرائه: أما بعد، فإن الرعية طعنت في الانتشار، ونزعت إلى الشر أعدا ها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرة، وأهواء متسرعة، وضغائن محمولة<sup>(3)</sup>. وقال ابن العربي عن تلك المآخذ جملة: قالوا متعدين متعلقين برواية كذابين جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير.. هذا كله باطل سند ومتن<sup>(4)</sup>.

وقد بيّن ابن تيمية بأن عثمان ليس معصوما، فقال: والقاعدة الكلية في هذا أن لا يعتقد أن أحدا معصوم بعد النبي x؛ بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذ نوب التي تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضا ب مصائب يكفر الله بها، وقد يكفر عنهم بغير ذلك، فكل ما ينقل عن عثمان غايته أن يكون ذنبا أو خطأ، وعثمان قد حصلت له أسباب المغفرة من وجوه كثيرة منها سابقته وإيم انه وجهاده وغير ذلك من طاعته. وقد ثبت أن النبي x شهد له؛ بل بشره بالجنة على بلى وى تصيبه<sup>(5)</sup>، ومنها أنه تاب من عامة ما أنكره عليه، وأنه ابتلى ببلاء عظيم فكفر الله به خطاياه، وصبر حتى قتل شهيدا مظلوما، وهذا من أعظم ما يكفر به الخطايا<sup>(6)</sup>.

### حادي عشر: استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس:

وأهم هذه الأساليب: إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرا، و

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص394.

(2) المصدر نفسه، ص400.

(3) التمهيد والبيان، ص64.

(4) العواصم من القواصم، ص61-63.

(5) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، (1867/4، 1869).

(6) ذو النورين.. عثمان بن عفان، محمد مال الله، ص63.



التحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزويد الكتب واختلافها على لسان الصحابة رضي الله عنهم؛ عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر، مما يدل على التدبير المسبق. وأوهمو أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحد اث حتى وصلت إلى القتل<sup>(1)</sup>. وإلى جوار هذه الوسائل استخدموا مجموعة من الشعارات منها: التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة<sup>(2)</sup>.

### ثاني عشر: أثر السبئية في أحداث الفتنة:

#### 1- السبئية حقيقة أم خيال:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء، وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي؛ وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث، إلا أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علما بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ ليس من بين الرواة سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال، أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا لا من قريب ولا من بعيد. وقد فصل ذلك الدكتور سليمان العودة في كتابه (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام).

وشكك بعض الباحثين في عبد الله بن سبأ<sup>(3)</sup> وقالوا بأنه شخصية وهمية، وأنكروا وجوده بدون حجة أو برهان، والذين أنكروا شخصية ابن سبأ هم طائفة من المستشرقين وفئة من الباحثين العرب، وغالبية الشيعة المعاصرين، ومن العجيب أن هؤلاء المستشرقين وذيولهم من الرافضة والمستغربين في عصرنا أنكروا شخصية عبد الله بن سبأ، وأنه شخصية وهمية لم يكن لها وجود، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل، وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق. لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في كتب أهل السنة، كما ظهر في كتب الشيعة شخصية تاريخية حقيقية، ولهذا فإن أخبار الفتنة ودور ابن سبأ فيها لم تكن قصرا على تاريخ الإمام الطبري، واستنادا إلى روايات سيف بن عمر التميمي فيه، وإنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي، وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة الإمام الطبري على

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 401.

(2) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 402.

(3) عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، يهودي من صنعاء، أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان، ظهر له نشاط ملحوظ في الشام والعراق ومصر خاصة، يرسم خططا ويدلي بآراء هدامة ليلفت إلى مسلمين عن دينهم وطاعة خليفته، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (284/1).



غيره أنه أغزرها مادة وأكثرها تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء، وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضاربة؟! وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟<sup>(1)</sup> وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً، منها:

\* جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان<sup>(2)</sup> المتوفي عام 83هـ، وقد هجا المختار ابن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فر مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية  
وأني بكم يا شرطة الكفر عارف<sup>(3)</sup>

وهناك رواية عن الشعبي المتوفي عام 103هـ (721م) تفيد أن (أول من كذب عبد الله ابن سبأ)<sup>(4)</sup>، وتحدث ابن حبيب<sup>(5)</sup> المتوفي عام 245هـ (860م) عن ابن سبأ حينما اعتد به أحد أبناء الحبشيات<sup>(6)</sup> كما روى أبو عاصم خُشَيْش بن أصرم المتوفي سنة 253هـ خبر إحراق علي لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة<sup>(7)</sup> ويعتبر الجاد ظ<sup>(8)</sup> المتوفي سنة 255هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ<sup>(9)</sup>، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ، كما يرى الدكتور جواد علي<sup>(10)</sup>.

وخبر إحراق علي بن أبي طالب لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصريحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد<sup>(11)</sup> ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته، يقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ<sup>(12)</sup>، ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل<sup>(13)</sup> ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية، معتقدون الإلهية في علي بن أب

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (70/1)، كتاب (دعاوي الإنفاذ للتاريخ الإسلامي.. رد على حسد ن فرحات المالكي)، للدكتور سليمان بن حمد العودة، وقد ذكر في رده الطرق التي عرضت على الألباني رحمه الله- وحكم عليها.

(2) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، المعروف بأعشى همدان. شاعر فارسي، أحد الفقهاء القراء، لكنه قال الشعر وعرف به. قال الذهبي: شاعر مفوه شهير، كان متعبداً فاضلاً، قتل عام 83هـ.

(3) ديوان أعشى همدان، ص 148.

(4) تاريخ دمشق، ابن عساكر (331/9).

(5) محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي، عالم بالأنساب والأخبار واللغة والشعر، توفي عام 245 هـ، تار يخ بغداد (277/2).

(6) المحبر، ابن حبيب، ص 308، عبد الله بن سبأ، للعودة، ص 53.

(7) هو خُشَيْش بن أصرم بن الأسود النسائي، ترجم له الذهبي، تذكرة الحفاظ (551/2)، شذارت الذه ب (129/2).

(8) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنابي، من أئمة الأدب والعلم، توفي عام 255هـ، وفيات الأعيان (470/3).

(9) البيان والتبيين (81/3).

(10) تحقيق مواقف الصحابة (290/1)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص 53.

(12) مجموع الفتاوى، (483/28).

(13) ميزان الاعتدال للذهبي (426/2).

ي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته<sup>(1)</sup> ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل؛ يقول ابن حبان المتوفى 354هـ: وكان الكلبي - محمد بن السائب الإخباري - سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يموت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة.. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها<sup>(2)</sup> كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة (السبئية) إلى عبد الله بن سبأ، ومنها على سبيل المثال كتاب (الأنساب) للسمعاني<sup>(3)</sup> المتوفى عام 562هـ<sup>(4)</sup> وعرف ابن عساكر المتوفى عام 571هـ ابن سبأ بقوله: عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام<sup>(5)</sup> ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ؛ إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره<sup>(6)</sup> ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة 728هـ، أن أصل الرافض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتدع ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي يدعو الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له<sup>(7)</sup> ويشير الشاطبي<sup>(8)</sup> المتوفى عام 790هـ، إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله -تعالى الله- وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات<sup>(9)</sup> وفي خطط المقرئ<sup>(10)</sup> المتوفى عام 845هـ، أن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي محدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ<sup>(11)</sup>.

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ فهي: فقد روى الكشي عن محمد بن قولبة قال: حدثني سعد بن عبد الله قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا، نبأ رأ إلى الله منهم<sup>(12)</sup>. والرواية من حيث السند صحيحة<sup>(13)</sup>.

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسند آخر، وأما صاحب (روضات الجنات) فقد ذكر ابن سبأ عنده على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل<sup>(14)</sup>. وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة أو ضعف المصادر التي حكى أخباره<sup>(15)</sup>.

- (1) لسان الميزان، أحمد بن حجر، حيدر آباد الدكن (3/360).
- (2) المجروحين من المحدثين، أبو حاتم التميمي (2/253).
- (3) عبد الكريم بن محمد السمعاني، توفي عام 562هـ، تذكرة الحفاظ (4/1316).
- (4) الأنساب، أبو سعيد التميمي (24/7).
- (5) تاريخ دمشق لابن عساكر (328/9، 329).
- (6) تحقيق مواقف الصحابة (1/298) عبد الله بن سبأ للعودة، ص 54.
- (7) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (4/435).
- (8) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطي، توفي عام 790هـ.
- (9) الاعتصام، أبو إسحاق اللخمي (2/197).
- (10) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقرئ (2/256، 257).
- (11) رجال الكشي (324/1).
- (12) عبد الله بن سبأ.. الحقيقة المجهولة، لمحمد علي المعلم، ص 30.
- (13، 6) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة، ص 62.

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضا عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن<sup>(1)</sup> وفان فولتن<sup>(2)</sup>، وليفي ديلافيدا<sup>(3)</sup>، وجولد تسيهر<sup>(4)</sup>، ورينولد نكلسن<sup>(5)</sup>، ودوايت رنلدسن<sup>(6)</sup>. على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال كيتاني، وبرنارد لويس<sup>(7)</sup>، وفريد لندر المتأرجح<sup>(8)</sup>.. علما بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن استقرأ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة عند السنة والشيعية، يتأكد له أن وجود ابن سبأ كان وجودا تؤكد الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال، والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين المحدثين، ويبدو أن أول من شك في وجود ابن سبأ بعض المستشرقين، ثم دهم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المحدثين؛ بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بأراء المستشرقين ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته والاستناد إلى مجرد الظنون والفرصيات<sup>(9)</sup>، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والاستشراقية والشيعة التي ذكرت ابن سبأ فليراجع (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة) للدكتور محمد أمحزون، و(عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) للدكتور سليمان بن حمد العودة.

## 2- دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال النقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء. وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التحويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة<sup>(10)</sup>، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها؛ إذ أن هناك أجواء للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته. وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلمها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها، وغرض يستهدفه؛ وهو الدس في المجتمع الإسلامي، بغية النيل من وحدته وإذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشقاق بين أفرادها، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان وتفرق الأمة شيعة وأحزابا.<sup>(11)</sup>

(1) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن، ص 170.

(2) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ص 80، فان فولتن.

(3) تحقيق مواقف الصحابة (312/1).

(4) العقيدة والشرعية الإسلامية، جولد تسيهر، ص 229.

(5) تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ص 235.

(6) عقائد الشيعة، ص 58.

(7) أصول الإسماعيلية، ص 86.

(8) تحقيق مواقف الصحابة (312/1).

(9) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).

(10) تحقيق مواقف الصحابة (327/1).

وخلاصة ما جاء به أنه أتى بمقدمات صادقة، وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج والغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه؛ فطرق باب القرآن بتأوله على زعمه الفاسد، حيث قال: **لَعَجَبٌ مِّمَّنْ يَزْعَمُ أَنَّ عِيسَى يَرْجِعُ، وَيَكْذِبُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: +إِنَّ الْأَذَىٰ قَرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ** [الفصل: 85] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. (1) كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. (2) وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعواهم إلى هذا الأمر. (3) وبث دعائه، وكاتب من كان استنقذ من الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبون إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ هؤلاء في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض ذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إننا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إننا لفي عافية مما فيه الناس. (4)

ويظهر من هذا النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ؛ فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من الصحابة؛ حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصبا وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة في الكوفة - على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثرون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علما بأنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته؛ فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصداب المطاعم منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان؛ مثل تحيزه لأقاربته وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه، إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفاجئة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا خيل للناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية؛ لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي. (5) وهذا وقد شعر عثمان بأن شيئا ما يحاك في الأمصار، وأن الأمة تمخض بشراً فقال: والله إن رحي الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. (6)

(1، 3) تاريخ الطبري (347/5).

(3، 5) المصدر نفسه (348/5).

(5) الدولة الأموية، يوسف العش، ص168، تحقيق مواقف الصحابة، (331/1).

(6) تاريخ الطبري (350/5).

على أن المكان الذي رجع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان بن عفان، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله ﷺ (يقصد علياً) (1) وقد غشهم بكتب ادعى أنها وردت من كبار الصحابة، حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصد حابة لم يجدوا منهم تشجيعاً؛ حيث تبرأوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان مان (2) ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد هؤلاء الأعراب وهو مالك بن الأشتر النخعي: لع له مكر به وبكم (3) ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر، وبأذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة، ثم على الإمام عثمان فيها (4) ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عماله ضمن شبكة من المتآمرين، وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر، وتجنيب الأعراب والقراء وغيرهم. ويروي ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان مان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر، وإذاعته بين الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر (5).

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخطأ فيها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت به الطائفة السبئية المعروفة، التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيمًا؛ إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم الكوفة أم مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون (6).

\* \* \*

(1) تحقيق مواقف الصحابة (330/1)، تاريخ الطبري (348/5).

(2) تحقيق مواقف الصحابة (330/1)، تاريخ الطبري (365/5).

(3) تحقيق مواقف الصحابة (331/1).

(4) تحقيق مواقف الصحابة (338/1).

(5) البداية والنهاية (167/7، 168).

(6) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 339.

## الفصل السابع

### مقتل عثمان بن عفان

#### المبحث الأول

#### اشتهال الفتنة

نجح الموتورون الحاقدون الكاذبون في إزاحة الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة، وعين عثمان سعيد بن العاص والياً جديداً على الكوفة، وعندما وصل سعيد إلى ولايته صعد المنبر، وبعد حمد الله وأثنى عليه قال: والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره، ولكنني عندما أمرني عثمان، لم أجد بداً من التنفيذ، ألا وإن الفتنة قد أطلت رأسها فيكم، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تغلبنني، وإني رائد نفسي اليوم<sup>(1)</sup>، وأطلع سعيد على أحوال الكوفة، وعرف توجهات الناس فيها، وأدرك تعمق الفتن فيها، وضلوع مجموعة من الخوارج والموتورين والحاقدين وأعداء الإسلام في التآمر والكيد والفتنة وسيطرة الرعاع والغوغاء والأعراب على الرأي فيها.<sup>(2)</sup>

وكتب سعيد رسالة إلى أمير المؤمنين عثمان يخبره فيها بالأوضاع المتردية في الكوفة، ومما قال فيها: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وقد غلب فيها أهل الشرف والسابقة والقدم، والغالب على تلك البلاد روادف ردفتم، وأعراب لحدت حتى ما ينظر فيها إلى ذي شرف وبلاء.. فرد عليه عثمان برسالة طلب منه فيها إعادة ترتيب أوضاع أهلها وتصنيفهم على أساس السبق والجهاد، وتقديم أهل العلم والصدق والجهاد على غيرهم، ومما قال له فيها: فضل أهل السابقة والقدم ممن فتح الله على أيديهم تلك البلاد، واجعل الذين نزلوا البلاد بعد فتحها من الأعراب تبعاً لأولئك السابقين المجاهدين إلا أن يكون السابقون يتناقلوا عن الجهاد والحق، وتركوا القيام به، وقام به من بعدهم. واحفظ لكل إنسان منهم منزلته وأعطهم جميعاً قدر سطرهم بالحق، فإن المعرفة بالناس يتحقق بها العدل بينهم.<sup>(3)</sup> وقام سعيد بتنفيذ توجيهات عثمان. وأخبر الخليفة بما فعل، وجمع عثمان أهل الحل والعقد في المدينة، وأبلغهم بأوضاع الكوفة ورسوخ الفتنة فيها، وإجراءات سعيد بن العاص لمواجهتها، فقالوا: أصبت بما فعلت، ولا تسعف أهل الفتنة بشيء ولا تقدمهم على الناس، ولا تطعمهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا تولى الأمور من ليس أهلاً لها، لم يقدّم بها بل يفسدها، فقال عثمان لهم: يا أهل المدينة، إن الناس قد تحركوا للفتنة، فاستعدوا لمواجهتها، واستمسكوا بالحق، وسوف أخبركم بأخبارها وأنقلها لكم أولاً بأول.<sup>(4)</sup>

#### أولاً: تأذي أصحاب الأهواء من الإصلاح:

تأذى الرعاع وأجلاف الأعراب من تقديم أصحاب السابقة والجهاد والبلاء والعلم والتقوى في المجالس والرئاسة والاستشارة، وصاروا يعيبون على الولاة تقديم هؤلاء عليهم

(1) تاريخ الطبري (280/5).  
 (2) الخلفاء الراشدون، للخالدي، ص 122.  
 (3) تاريخ الطبري (280/5).  
 (4) تاريخ الطبري (281/5).

م واستشارتهم دونهم ويعتبرونهم تمييزاً، وجفوة وإقصاء لهم، واستغل الحاقدون الموتورون هذا الأمر في نفوسهم، وغرسوا فيهم كره الخليفة والدولة ورفض أعمال الوالي سعيه د بن العاص، ونشر الإشاعات ضده بين الناس، ورفض عامة الناس في الكوفة كلام الم وتورين الخارجين، فسكت هؤلاء الحاقدون وصاروا يخفون شبهاتهم ولا يظهرونها؛ لرفض

معظم المسلمين لها، ولكنهم كانوا يسرون بها إلى من يؤيدهم من الأعراب أو الغوغاء أو المعاقبين المغررين.<sup>(1)</sup>

وكان أعداء الإسلام الموتورون من اليهود والنصارى والمجوس يتآمرون على الإسلام والمسلمين، وينشرون الإشاعات الكاذبة ضد الخليفة والولاية، ويستثمرون الأخطاء التي تصدر عن بعضهم في تهيج العامة ضدهم، ويزيدون عليها الكثير من الافتراءات والتزويرات، وهم يهدفون من ذلك إلى نشر الفوضى وتعميق الفرقة بين المسلمين، وذلك لتغذية غيظهم وحقدهم على الإسلام، الذي قضى على أديانهم الباطلة وهدم نظام الحكم الإسلامي، الذي حطم دولهم وقضى على جيوشهم، وجند هؤلاء الأعداء لتحقيق أهدافهم الموتورين من الرعاع والسذج والبلهاء والنف حولهم الحاقدون ممن أدبهم أو حدّهم أو عزّزهم الخليفة أو أحد ولاته، ونظم هؤلاء الأعداء (جمعية سرية) خبيثة جعلوا أعضاءها هؤلاء الذين استجابوا لهم، وجعلوا لهم أتباعاً في المدن الكبيرة والأقاليم العديدة، وكانوا شبكة اتصالات سرية بينهم. وكانت أهم فروع جمعيتهم الخبيثة في: الكوفة، والبصرة، ومصر، ولهم بعض العناصر في المدينة المنورة والشام.<sup>(2)</sup>

### ثانياً: عبد الله بن سبأ اليهودي على رأس العصاة:

أوصى ابن سبأ أتباعه المجرمين في جمعيته السرية الخبيثة، المنتشرين في بلاد المسلمين، فقال لهم: انهضوا في هذا الأمر، فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم ولا تكم الذين يعينهم الخليفة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتستميلوا الناس إليكم، وادعوهم إلى هذا الأمر.<sup>(3)</sup> وبث عبد الله بن سبأ دعاته في الأمصار، وكتب أتباعه الذين أفسدهم في الأمصار وضمهم إليه وكتبوه، وتحرك أتباعه في البلاد دان بدعوتهم ودعوا مؤيديهم في السر إلى ما هم عليه من الخروج على الولاية والخلقة، والعمل على عزل عثمان عن الخلافة، وكانوا في الظاهر يظهرون الأمر بالمرور والنهي عن المنكر؛ ليؤثروا في الناس، ويستميلوهم ويخدعوهم، وصار أتباع ابن سبأ يولفون الأكاذيب والافتراءات عن عيوب أمرائهم وولاتهم، وينشرونها في كتب يرسلها بعضهم إلى بعض في الأمصار، وصار أهل كل مصر منهم يكتبون كتباً بهذه الأكاذيب إلى أهل مصر آخر، فيقرأ أهل كل مصر تلك الكتب المزورة على الناس عندهم فيسمع الناس عندهم عن عيوب وأخطاء الوالي في ذلك البلد فيقولون: إنا لفي عافية مما ابتلى به المسلمون في ذلك البلد، ويصدقون ما يسمعون. وبذلك أفسد السبئيون الأرض وأفسدوا المسلمين، ومزقوا كلمتهم، وزعزعوا أخوتهم ووحدتهم، وهيجوا الناس على الولاية والأمراء، ونشروا الافتراءات ضد الخليفة عثمان نفسه، وكانوا يقومون بهذه الجرائم المنظمة والمدروسة بمهارة يريدون غير ما يظهرون، ويد

(1) الخلفاء الراشدون، للخالدي، ص 14.

(2) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص 124.

(3) تاريخ الطبري (348/5).



سرون غير ما يعلنون، ويهدفون إلى عزل عثمان والقضاء على دولة الإسلام<sup>(1)</sup>. توجه ابن سبأ إلى الشام ليفسد بعض أهلها ويؤثر فيهم، ولكنه لم ينجح في هدفه الشيطاني، فقد كان له معاوية بالمرصاد<sup>(2)</sup> ودخل البصرة ليجند الأتباع له من المارقين أو الحاقدين أو الرعاع البلهاء، وكان والي البصرة عبد الله بن عامر بن كرز، وكان حازماً عادلاً صالحاً، ولما وصل ابن سبأ البصرة، نزل عند رجل خبيث من أهلها كان لصاً فاتكاً، هو حكيم بن جبلة<sup>(3)</sup>.

وبلغ عبد الله بن عامر أن رجلاً غريباً نازل على حكيم بن جبلة، وكان حكيم بن جبلة لصاً، وعندما كانت تعود جيوش الجهاد إلى البصرة، كان حكيم يتخلف عنها ليسعى في أرض فارس فساداً، ويغير على أرض أهل الذمة، ويعتدي على أرض المسلمين، ويأخذ منها ما يشاء، فشكاه أهل الذمة والمسلمون إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر، وقال له: احبس حكيم بن جبلة في البصرة، ولا تتركه يخرج منها حتى تأمن منه رشداً، فحبسه ابن عامر في بيته، وكان لا يستطيع أن يخرج من البصرة، وبينما كان لا ص ابن جبلة تحت الإقامة الجبرية في بيته، نزل عليه اليهودي عبد الله بن سبأ، واستغل ابن سبأ زعارة ابن جبلة وانحرافه وحقه ولومه فجنده لصالحه، وصار ابن جبلة رجلاً بن سبأ في البصرة، وصار ابن جبلة يقدم لابن سبأ أمثاله من المنحرفين والموتورين، فبد غرس ابن سبأ في نفوسهم أفكاره، ويجندهم بجمعيته السرية. ولما علم ابن عامر بآب ابن سبأ، استدعاه، وقال له: ما أنت؟ قال ابن سبأ: أنا رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام فأسلم، ورغب في جوارك فأقام عندك. قال ابن عامر: ما هذا الكلام الذي يبلغني عنك؟ اذ رج عني. أخرجه ابن عامر من البصرة، فغادرها ابن سبأ بعد أن ترك فيها رجلاً وأتباعاً له، وجعل فيها فرعاً لحزبه السبئي اليهودي.

ذهب ابن سبأ إلى الكوفة فوجد فيها رجلاً من المنحرفين جاهزين لاستقباله، فجندهم لجماعته وحزبه، ولما علم به سعيد بن العاص أخرجه من الكوفة، فتوجه إلى مصر، فأقام فيها وعشش فيها وباض، وفرخ فيها وأفسد، واستمال أناساً هناك من الرعاع والبلهاء، ومن الحاقدين والموتورين، ومن العصاة والمذنبين. وكان ابن سبأ يرتب الاتصالات السرية بين مقره في مصر، وبين أتباعه في المدينة والبصرة والكوفة، ويتحرك رجاله بين هذه البلدان<sup>(4)</sup>. واستمرت جهود ابن سبأ وأعوانه حوالي ست سنوات، حيث بدأوا أعمالهم الشيطانية سنة ثلاثين، ونجحوا في آخر سنة خمس وثلاثين في قتل الخليفة عثمان، واستمر إفسادهم طيلة خلافة علي، وقرر (السبئيون) أن تكون بداية الفتنة في الكوفة<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً: أهل الفتنة يفسدون في مجلس سعيد بن العاص:

في يوم من أيام سنة ثلاث وثلاثين جلس سعيد بن العاص في مجلسه العام وحوله أمة الناس، وكانوا يتحدثون ويتناقشون فيما بينهم، فنسل هؤلاء الخوارج من السبئيين إل

(1، 4) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 126.

(3) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 128.

(4) المصدر نفسه، ص 129.

(5) المصدر نفسه، ص 130.



ى المجلس، وعملوا على إفساده، وعلى إشعال نار الفتنة.

جرى كلام وحوار في المجلس بين سعيد بن العاص وبين أحد الحضور، وهو (خنيب بن حبيش الأسدي) واختلفا على أمر، وكان سبعة من الخوارج، أصحاب الفتنة جالسين: منهم جندب الأزدي، الذي قتل ابنه السارق بسبب تورطه في قضية قتل، ومنهم الأشتر النخعي، وابن الكواء، وصعصعة ابن صوحان، فاستغل أصحاب الفتنة المناسبة، وقد أموا بضرب خنيس الأسدي في المجلس، ولما قام أبوه يساعده وينقذه ضربه، وحاول سعيد منعهم من الضرب فلم يمتنعوا، وأغمى على الرجل وابنه من شدة الضرب، وجاء بنو أسد للأخذ بثأر أبنائهم، وكادت الحرب تقع بين الفريقين، ولكن سعيدا تمكن من إصلاح الأمر<sup>(1)</sup>، ولما علم عثمان بالحادثة طلب من سعيد بن العاص أن يعالج الموضوع بحكمة، وأن يضيق على الفتنة ما استطاع.

ذهب الخوارج المفتونون إلى بيوتهم وصاروا ينشرون الإشاعات ويذيعون الافتراءات والأكاذيب ضد سعيد وضد عثمان، وضد أهل الكوفة ووجوهها، فاستاء أهل الكوفة منهم وطلبوا من سعيد أن يعاقبهم، فقال لهم سعيد: إن عثمان قد نهاني عن ذلك، فإذا أردتم ذلك فأخبروه، وكتب أشراف أهل الكوفة وصلحائهم إلى عثمان بشأن هؤلاء النفر، وطلبوا منه إخراجهم من الكوفة ونفيهم عنها، فهم مفسدون مخربون فيها، فأمر عثمان واليه سعيد بن العاص بإخراجهم من الكوفة، وكانوا بضعة عشر رجلا، وأرسلهم سعيد إلى معاوية في الشام بأمر عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية بشأن هؤلاء فقال له: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة، فرأيتهم وأدبهم وأقم عليهم، فإن أنست منهم رشدا فاقبل منهم<sup>(2)</sup>. ومن الذين تم نفيهم إلى الشام: الأشتر النخعي، وجندب الأزدي، وصعصعة بن صوحان، وكميل بن زياد، وعمير بن ضابئ، وابن الكواء<sup>(3)</sup>.

#### رابعا: أهل الفتنة منفيون عند معاوية:

لما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغذى ويتعشى معهم، فقال لهم يوما: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبيتكم الأمم، وحويتم مراتبهم وموارثهم، وقد بلغني أنكم نفتم قريشا، وإن قريشا لو لم تكن لعدتم أذلة كما كنتم<sup>(4)</sup>.

كان عثمان يدرك أن معاوية للمعضلة، فله من فصاحته وبلاغته، وله من حلمه وصبره، وله من ذكائه ودهائه ما يواجه به الفتن، ومن أجل ذلك ما إن تقع المعضلة حتى يرسلها لابن أبي سفيان كي يحلها، وفعلنا بذل معاوية ما بوسعه من أجل إقناع هؤلاء النفر؛ أكرمهم أولا، وخالطهم وجالسهم، وعرف سرائرهم من خلال هذه المجالس قبل أن يحكم عليهم بما نقلوا عنهم، وبعد أن أزال الوحشة عنهم وأزال الكلفة بينه وبينهم، لاحظ أن النعرة القبلية هي التي تحركهم، وأن شهوة الحكم والسلطة هي التي تثيرهم، فكان لا بد من أن يلج عليهم من زاويتين اثنتين:

#### الأولى: أثر الإسلام في عزة العرب.

(1) تاريخ الطبري (323/5).

(2) المصدر نفسه (324/5).

(3) الخلفاء الراشدون، ص 131.

(4) تاريخ الطبري (324/5).

### الثانية: دور قريش في نشر الإسلام وتحمل أعبائه.

فإن كان للإسلام أثر في تكوينهم فلا بد أن يرفعوا لهذا الحديث، بعد هذا وضع أما مهم صورة لوضع العرب، وقد انقلبوا بالإسلام أمة واحدة تخضع لإمام واحد، وودعوا حياة الفوضى وسفك الدماء والقبلية المنتنة<sup>(1)</sup>.

ويتابع معاوية حديثه معهم فيقول: إن أئمتكم لكم إلى اليوم جنة<sup>(2)</sup> فلا تشذوا عن جنتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور، ويحتلمون منكم المؤونة، والله لتنتهين أ و لبيتلنكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمداكم على الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم، فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب، ولا أمتعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة، فإن الجنة إذا اخترقت خلص إلينا، فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا، أعظم عليك أمر الإسلام، وأذكرك به، وتذكرني الجاهلية؟ وقد وعظتك وترغم لما يجرئك أنه يخترق، ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة، أخزى الله أقواما أعظموا أمركم ورفعوا إلى خليفتم<sup>(3)</sup>.

وعرف معاوية أن الإشارة العابرة لن تقنعهم، لا بد من شرح مسهب لواقع قريش أ ولا فقال: افقهوا ولا أظنكم تفقهون؛ إن قريش لم تعز في جاهلية ولا في إسلام إلا بالله عز وجل، لم تكن أكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحصهم أنسابا، وأعظمهم أخطارا، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يُسْتَنَل من أعز، ولا يوضع من رفع، هل تعرفون عربا أو عجماء أو سدا أو حمرا إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة، إلا ما كان من قريش؛ فإنه لم يردهم أحد بكيد إلا جعل الله خذه الأسفل، حتى أراد الله أن ينقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحابا فكان خيرا رهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم وهم على دينه، وقد حاطهم الله في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يديونكم؟ أف لك ولأصحابك، ولو أن متكلما غيرك تكلم، ولكنك ابتدأت، فأما أنت يا صعيصة فإن قريتك شر قرى عربية، أنتها نبتا، وأعماها واديا، واعرفها بالشر، والأمةا جيرانا، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سب بها، وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقابا والأمةا أصهارا، نزاع<sup>(4)</sup> الأمم، وأنتم جيران الخط وفعلة فارس، حتى أصابتمكم دعوة النبي ﷺ ونكبتكم دعوته، وأنت نزيح شطير<sup>(5)</sup> في عمان لم تسكن البحرين فتدشركهم في دعوة النبي ﷺ، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس وحد ملك على الأمم التي كانت عليك، أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتتزع إلى اللأمة والذلة ولا يضع ذلك قريشا، ولن يضرهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أئمتكم، فأغرى بكم الناس، وهو صارعكم، لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء الله، ولا أمرا أراده الله، ولا تتركون بالشر أمرا إلا فتح الله عليكم شرا منه وأخزى، ثم قام وتركهم فتذامروا، فتقاصرت إليهم أنفسهم<sup>(6)</sup>.

(1) معاوية بن أبي سفيان، منير الغضبان، ص 101.

(2) جنة: وقاية.

(3) تاريخ الطبري (324/5).

(4) النزاع: جمع نزيح وهو الغريب.

(5) الشطير: الغريب.

(6) تاريخ الطبري (326/5).

وبذلك بذل معاوية كل طاقاته الفكرية والثقافية والسياسية لإقناعهم:

\* عرض لهم أولاً أمر قريش في الجاهلية والإسلام.

\* تناول قبائل هؤلاء النفر ووضعها في الجاهلية؛ حيث كانت تعاني سوء المناخ وندت المنبت من الناحية الطبيعية، ثم الذلة والتبعية لفارس من الناحية السياسية، إلى أن أكرهم الله بالإسلام فعزت بعد ذلك، وارتفعت بعد هوان.

\* تناول معاوية صعصعة بن صوحان خطيب القوم، وكيف تلكأ عن تلبية نداء الرسل، وقد دخل قومه بها، ثم عاد وانضم إلى الإسلام، ورفع الإسلام ثانية بعد انحدار.

\* كشف معاوية عن مخططات صعصعة وأصحابه، وكيف يبيغون الفتنة، ويبغون دين الله عوجاً.

وإن الشيطان هو وكر هذه الفتنة، ومحرك هذا الشر، وبذلك ربط تاريخ الأمة بالله ثم بالإسلام والعقيدة، ثم كشف عن زيف هؤلاء النفر، وفضحهم عن آخرهم، وأبان عن مخططاتهم وصلتها بدعوى الجاهلية<sup>(1)</sup>.

\* جلسة أخرى:

ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلاً ثم قال: أيها القوم، ردوا عليّ خيراً، أو اسكتوا وتفكروا، وانظروا فيما ينفعكم، وينفع أهليكم، وينفع عشائركم، وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم.

قال صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. قال معاوية: أو ليس ما ابتدأنكم به أن أمرتكم بتقوى الله، وطاعته، وطاعة نبيه **x**، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا؟! قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي **x**، قال: إني أمركم الآن إن كنت فعلت فاتوب إلى الله وأمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه **x**، ولزوم الجماعة وكرهه الفرقة، وأن توقروا أئمتكم، وتدلّوهم على كل حسن ما قدرتم، وتعظوهم في لين ولطف في شيء إن كان منهم. قال صعصعة: فإننا نأمرك أن تعتزل عملك، فإن من المسلمين من هو أحق به منك. قال معاوية: من هو؟ قالوا: من كان أبوه أحسن قدماً من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدماً منك في الإسلام. قال معاوية: والله إن لي في الإسلام قدماً، ولغيري كان أحسن قدماً مني، ولكنه ليس في زمانني أحد أقوى عليّ ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر ابن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب بخط يده فأعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا هو خير. فمهلاً فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم وأمانيتكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره، فعاودوا الخير وقولوه. قالوا: لست لذلك أهلاً، قال معاوية: أما والله إن الله سطوات ونقعات، وإنني لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان حتى تحلّكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن داراً هواناً من نعم الله في عاجل الأمر والخزي الدائم في الأجل، فوثبوا عليه فأخذوا بلحيته ورأسه فقال: مه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا

(1) معاوية بن أبي سفيان، ص 111.

إمامهم ما ملكت أن أنهارهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضا، ثم قام من عندهم فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت. (1)

هذه المحاولة الأخيرة التي بذل فيها معاوية أمير الشام كل جهده، واستعمل حلمه وذكافته وأعصابه كي ينتهيهم عن الفتنة، إنه يدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، والاستمسك بالجماعة والابتعاد عن الفرقة، وإذا بهم يرفعون عقيرتهم قائلين: ليس لك أن تطاع في معصية الله. (2) وبحلمه الكبير، وصدره الواسع عاد فذكرهم بأنه لا يأمرهم إلا بطاعة الله، وعلى حد زعمهم فهو يتوب من المعصية إن وقعت، ثم يعود لدعوتهم إلى الطاعة والجماعة والابتعاد عن تفريق كلمة الأمة، ولو كان الوعظ يجدي معهم لأمكن أن تتأثر قلوبهم لهذه المعاملة، وهذا اللطف وهذا الحلم، لكنهم اعتبروا ذلك ضعفا وتهاونا منه؛ خاصة وهو يوجههم إلى أن يستعملوا الأسلوب الهادئ في العظة واللين في النصيح، فوجدوا المجال رحبا أن يكشفوا عن مكنون قلوبهم. فقالوا: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك؛ فإن بالمسلمين من هو أحق به منك، وانتبه معاوية انتباها مفاجئا إلى ما يكذون، فأحب أن يتعرف على جانب غامض عليه، لعل في هذا التعرف ما يوصله إلى من يحركهم، ويبث في ذهنهم الأراجيف المغرضة، ولكنهم أخفوا ما يكنون، واكتفوا بالإشارة إلى أنهم يحبون أن يدعوا لعمل لمن هو أفضل منه، ولمن أبوه أفضل من أبيه، ثم تحلم عليهم أكثر فأكثر، رغم الأسلوب الفج الذي سلوكه معه، وهم يأمرونه بأن يعتزل العمل. وهنا نجد لمعاوية جوابا مستقبضا عن وجهة نظره في الحكم والإمارة والقيادة، وقد لخص معاوية إجابته في ست نقاط أساسية ومهمة:

1- هي أن له قدما وسابقة في الإسلام، فهو حامي ثغر الشام منذ وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

2- إن هناك في المسلمين من هو أفضل منه وأكرم، وأحسن سابقة وأكثر بلاء، وه ويرى أنه أقوى من يحمي هذا الثغر الإسلامي العظيم (الشام)، فمنذ أن تولاه تمكن من ضبطه وسياسته، وفهم نفسيات أهله حتى أحبوه.

3- إن الميزان الحساس والمعيار الدقيق الذي يقيم الولاية هو عمر بن الخطاب الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فلو وجد في معاوية شططا أو انحرافا أو ضعفا لعزله، ولا ما أبقى عليه يوما واحدا، فقد عمل له طيلة خلافته، كما ولاه من قبل رسوله الله ﷺ على بعض عمله، واستخدمه كاتباً بين يديه، وولاه أبو بكر الصديق من بعده ولم يطعن في كفاءته أحد.

4- إن اعتزال العمل يجب أن يستند لأسباب موجبة للاعتزال، فما الحجة التي يقدم بها دعاة الفتنة ليطمئن الاعتزال على أساسها؟

5- إن الذي يقرر العزل عن العمل أو البقاء في الإمارة ليس هؤلاء الأعداء، إن ذلك من حق أمير المؤمنين عثمان، وهو الذي له الحق في تعيين الولاية وعزلهم.

6- إن أمير المؤمنين عثمان يوم يقرر عزل معاوية، فهو واثق أن أمره خير كله، و

(1) تاريخ الطبري (330/5، 331).

(2) المصدر نفسه (330/5).

لا غضاضة في ذلك؛ فهو أمير مأمور وهو أمر خليفة المسلمين<sup>(1)</sup>.

كان ختام الجلسة مؤسفاً أشد الأسف، مؤلماً أشد الألم، لقد حذرهم نقمة الله وغضبه، وحذرهم مهاوي الشيطان ومنزلقاته، وحذرهم فرقة الكلمة ومعصية الإمام، وحذرهم الاندفاع إلى أهوائهم وغرورهم، فماذا كان منهم مقابل ذلك؟ وثبوا عليه وأخذوا برأسه ولحيته، وعندئذ زجرهم وقمعهم، ووجه لهم كلاماً قاسياً مبطناً بالتهديد، وعرف أن هؤلاء يستحيل أن ينصاعوا للحق، فلا بد من إبلاغ أمرهم لأمير المؤمنين عثمان، وكشف هويته وأخطارهم ليرى فيهم أمير المؤمنين رأياً آخر<sup>(2)</sup>.

### كتاب معاوية إلى عثمان - رضي الله عنهما - بشأن أهل الفتنة من الكوفة:

كتب معاوية إلى عثمان - رضي الله عنهما - قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلمون بالسنن الشيطانية، وما يملون عليهم، ويأتون الناس - زعموا - من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقي الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثر يرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم، فاردهم إلى مصرهم، فلنكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم<sup>(3)</sup>.

### خامساً: رجوع أهل الفتنة إلى الكوفة ثم نفيهم إلى الجزيرة:

كتب عثمان إلى سعيد بن العاص، فرددهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يوضح منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان أميراً على حمص - فلما وصلوا إلى عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد استدعاهم، وكلمهم كلاماً شديداً، وكان مما قاله لهم: يا أئمة الشيطان، لا مرحبا بكم ولا أهلاً، لقد رجع الشيطان محسوراً خائباً، وأنتم ما زلتم شيطانيين في الباطل!! خسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم ويخزكم، يا معشر من لا أدري من أنتم: أعرب أم عجم، لن تقولوا لي كما كنتم تقولون لسعيد ومعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ الردة، والله لأذلكنكم. وأقامهم عبد الرحمن بن خالد عنده شهراً كاملاً، وعاملهم بمنتهى الحزم والشدّة، ولم يل معهم كما لأن سعيد ومعاوية، وكان إذا مشى مشوا معه، وإذا ركب ركبوا معه، وإذا غزا غزوا معه، وكان لا يدع مناسبة إلا ويذلهم فيها، وكان إذا قابل زعيمهم (ص عصة بن صوحان) يقول له: يا ابن الخطيئة، هل تعلم أن من لم يصلحه الخير أصلح الشر، وأن من لم يصلحه اللين أصلحته الشدة، وكان يقول لهم: لماذا لا تردون عليّ كما كنتم تردون عليّ سعيد في الكوفة، وعلى معاوية بالشام؟ لماذا لا تخاطبوني كما كنتم تخاطبونهما؟

ونفع معهم أسلوب عبد الرحمن بن خالد، وأخرسهم حزمه وشدته وقسوته، وأظهروا

(1) معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، ص 114-117.

(2) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص 117، 118.

(3) تاريخ الطبري (331/5).

أله التوبة والندم، وقالوا له: نتوب إلى الله ونستغفره، أقلنا أقالك الله، وسامحنا سامحك الله. وبقي القوم في الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد، وأرسل عبد الرحمن أحد زعمائهم -وهو الأشتر النخعي- إلى عثمان ليخبره بتوبتهم وصلاتهم، وترجعهم عما كانوا عليه من الفتنة، فقال عثمان للأشتر: احلل أنت ومن معك حيث شئتم فقد عفوت عنكم. قال الأشتر: نريد أن نقي عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذكر له من فضل عبد الرحمن وحزمه، فأقاما عند عبد الرحمن في الجزيرة مدة أظهرها فيها التوبة والاستقامة والصلاح<sup>(1)</sup>، وسكت أصحاب الفتنة في الكوفة إلى حين، وكان هذا في شهور سنة ثلاث وثلاثين، بعدما تم نفي رؤوس الفتنة إلى معاوية في الشام، ثم عبد الرحمن بن خالد، فرأى أصحاب الفتنة في الكوفة أن المصلحة تقتضي أن يسكنوا إلى حين<sup>(2)</sup>.

### 1- أهل الفتنة بالبصرة يفترون على أشج عبد القيس:

أما أهل الفتنة بالبصرة بزعامة حكيم بن جبلة فقد كانوا ضد أهل الفضل فيها، وتآمر وا وكذبوا عليهم، وكان من أفضل وأتقى أهل البصرة (أشج عبد القيس) واسمه عامر بن عبد القيس، وكان زعيماً لقومه، وقد وفد على رسول الله ﷺ وتعلم منه، ومدحه رسول الله ﷺ بقوله: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»<sup>(3)</sup>. وكان عامر بن عبد القيس من قادة الجهاد في القادسية وغيرها، وكان مقيماً في البصرة، وكان على قسط كبير من الصلاح والتقوى، فكذب الخارجون عليه، واتهموه بالباطل، فسيره عثمان إلى معاوية بالشام، ولما كلمه معاوية وعامله، وعرف براعته وصدقه، وكذب الخوارج واقتراء

هم عليه، وكان الذي تولى الكذب على عامر بن عبد القيس هو (حمران بن أبان) وهو رجل عاص بدون دين؛ حيث تزوج امرأة في أثناء عدتها، ولما علم عثمان بذلك فرق بينهما، وضربه ونكل به لمعصيته، ونفاه إلى البصرة، وهناك التقى مع زعيم السبئيين فيها؛ اللص حكيم بن جبلة<sup>(4)</sup>.

### 2- ابن سبأ يحدد سنة أربع وثلاثين للتحرك:

وفي سنة أربع وثلاثين - السنة الحادية عشرة من خلافة عثمان - أحكم عبد الله بن سبأ اليهودي خطته، ورسم مؤامراته، ورتب مع جماعته السبئيين الخروج على الخليفة وولاته، فقد اتصل ابن سبأ اليهودي من وكر مؤامراته في مصر بالشياطين من حزبه في البصرة والكوفة والمدينة، واتفق معهم على تفاصيل الخروج، وكاتبهم وكاتبوه، وراسلهم وراسلوه، وكان ممن كاتبهم وراسلهم، السبئيون في الكوفة، وقد كان بضعة عشر رجلاً منهم منفين في الشام، ثم في الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبعد نفوهم أولئك الخارجين كان زعيم السبئيين الحاقدين في الكوفة يزيد بن قيس<sup>(5)</sup>، وقد خلت الكوفة في سنة أربع وثلاثين من وجوهها وأشرافها، لأنهم توجهوا للجهاد في سبيل الله، ولم يبق إلا الرعاع والغوغاء، الذي أثر فيهم السبئيون والمنحرفون وشحنوهم بأفكارهم الخبيثة، وهيجوهم ضد والي عثمان على الكوفة سعيد بن العاص<sup>(6)</sup>.

(2) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 134.

(1) تاريخ الطبري (327/5).

(3) صحيح السيرة النبوية، ص 635.

(4) تاريخ الطبري (333/5، 334).

(5، 2) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 135.

### 3- أوضاع أهل الكوفة عند تحرك أهل الفتنة:

قال الطبري عن أوضاع الكوفة سنة أربع وثلاثين: وفد سعيد بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان، وقد بعث سعيد قبل خروج الأشعث بن قيس إلى أذربيجان، وسعيد بن قيس إلى الري، والنسير العجلي إلى همدان، والسائب بن الأقرع إلى أصبهان، ومالك بن حبيب إلى ماه، وحكيم بن سلامة إلى الموصل، وجريز بن عبد الله إلى قرقيسيا، وسلمان بن ربيعة إلى الباب، وعتيبة بن النحاس إلى حلوان، وجعل على الحرب القعقاع بن عمرو التميمي، وكان نائبه بعد خروجه عمرو بن حريث، وبذلك خلا الكوفة من الوجوه والرؤساء، ولم يبق فيها إلا منزوع أو مفتون.<sup>(1)</sup> وفي هذا الجو خرج زعيم السبئيين في الكوفة (يزيد بن قيس) بعد اتفاق مع شيطانه ابن سبأ في مصر، وخرج معه أهل الفتنة الذين انضموا إلى جمعية ابن سبأ السرية، والغوغاء الذين تأثروا بها<sup>(2)</sup>.

### 4- القعقاع بن عمرو التميمي يقضي على التحرك الأول:

خرج يزيد بن قيس في الكوفة، وهو يريد خلع عثمان، فدخل المسجد وجلس فيه، وتجمع عليه في المسجد السبئيون، الذين كان ابن السوداء يكتبهم من مصر، ولما تجمعوا خارجون في المسجد، علم بأمرهم القعقاع بن عمرو أمير الحرب، فألقى القبض عليهم، وأخذ زعيمهم يزيد بن قيس معه، ولما رأى يزيد شدة القعقاع وبصيرته لم يجاهره به بهدفهم وخطتهم في الخروج على الخليفة عثمان وخلعه، وأظهر له أن كل ما يريد هـ وجماعته عزل الوالي سعيد بن العاص، والمطالبة بوال آخر مكانه، فاستجيب لطلبهم، ولذلك أطلق القعقاع سراح الجماعة لما سمع كلام يزيد، ثم قال ليزيد: لا تجلس لهذا الهدف في المسجد ولا يجتمع عليك أحد واجلس في بيتك، واطلب ما تريد من الخليفة وسيحق لك ذلك<sup>(3)</sup>.

### 5- يزيد بن قيس يكتتب أهل الفتنة عند عبد الرحمن بن خالد:

جلس يزيد بن قيس في بيته، واضطر إلى تعديل خطته في الخروج والفتنة، واستأجر هذا السبئي (يزيد بن قيس) رجلاً وأعطاه دراهم وبغلاً، وأمره أن يذهب بسرعة وكنتم إلى السبئيين من أهل الكوفة الذين نفاهم عثمان بن عفان إلى الشام، ثم إلى الجزيرة، وهم مقيمون عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد هناك، وقد أظهروا له التوبة والندم، وقابل يزيد لإخوانه الشياطين في كتابه: إذا وصلكم كتابي فلا تضعوه من أيديكم حتى تأتوا إلينا، فقد راسلنا إخواننا في مصر وهم السبئيون هناك. واتقنا معهم على الخروج. ولما قرأ الأشتر كتاب يزيد خرج فوراً للكوفة، ولحق به إخوانه الخارجون، وفقدهم عبد الرحمن بن خالد فلم يجدهم فأرسل جماعة في طلبهم فلم يدركوهم، واتصل يزيد بن قيس بجماعته مرة ثانية، واتصل جماعته بالرعا ع والغوغاء في الكوفة، وتجمعوا في المسجد، ودخل عليهم الأشتر النخعي في المسجد وعمل على إثارتهم وتهيجهم ودفعهم للثورة والذروج، وكان مما قال لهم: لقد جئناكم من عند الخليفة عثمان، وتركنا واليكم سعيد بن العاص

(1) تاريخ الطبري (337/5).

(2) الخلفاء الراشدون، للخالدي، ص 136.

(3) تاريخ الطبري (337/5).



ص عنده، وقد اتفق عثمان وسعيد على إنقاص عطائكم، وخفض أموالكم من مثتي درهم إلى مئة درهم. وقد كذب الأشتر فيما قال، ولم يتحدث عثمان وسعيد بذلك، ولكنه كيد السدس بنين في نشر الأكاذيب والافتراءات لتهيج العامة، واستخف الأشتر بكلامه الناس في المسجد، وأثر في الرعايا والغوغاء وهيجهم، وكانت ضجة كبيرة في المسجد، وصار يكل مه عقلاء المسلمين من وجوههم وأشرفهم وصالحهم وأتقيائهم؛ كابي موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود، والقعقاع بن عمرو، فلم يسمع لهم، ولم يستجب لهم.<sup>(1)</sup> وصاح يزيد بن قيس في الغوغاء والرعايا داخل المسجد وخارجه، وقال: إني خارج إلى طرق المدينة لأمنع سعيد بن العاص من دخول الكوفة، ومن شاء أن يخرج معي لمنع سعيد من الدخول والمطالبة بوال مكانه فليفعل، فاستجاب لندائه السبئيون والرعايا، وخرج معه حوالي ألف منهم<sup>(2)</sup>.

#### 6- القعقاع بن عمرو يرى قتل قادة أهل الفتنة:

ولما خرج السبئيون والغوغاء طلباً للفتنة والتمرد وإحداث القلاقل، بقي في المسجد وجوه المسلمين وأشرفهم وحلماءهم، فصعد المنبر نائب الوالي عمرو بن حريث وطلبا المسلمين بالأخوة والوحدة ونهاهم عن التفرق والاختلاف والفتنة والخروج، ودعاهم إلى عدم الاستجابة للخارجين والمتمردين<sup>(3)</sup>، فقال القعقاع بن عمرو: أترد السيل عن عبا به، فاردد الفرات عن أدراجه، هيهات، لا والله لا تُسكّن الغوغاء إلا المشرفية<sup>(4)</sup>، ويوشك أن تُدّخض ثم يعجّون عجيج العتدان<sup>(5)</sup>، ويتمنون ما هم فيه فلا يردّه عليهم أبداً، فاصبر، فقال: أصبر، وتحول إلى منزله<sup>(6)</sup>.

#### 7- أهل الفتنة يمنعون سعيد بن العاص من دخول الكوفة:

سار يزيد بن قيس ومعه الأشتر النخعي بالآلاف من الخارجين إلى مكان على طريق المدينة يسمى (الجرعة)، وبينما كانوا معسكرين في الجرعة، طلع عليهم سعيد بن العاص عانداً من عند عثمان، فقالوا له: عد من حيث أتيت ولا حاجة لنا بك، ونحن نمنعك من دخول الكوفة، وأخبر عثمان أننا لا نريد والياً علينا، ونريد من عثمان أن يجعل أبا موسى الأشعري والياً مكانك، قال لهم سعيد: لماذا خرجتم ألفاً لتقولوا لي هذا الكلام؟ كان يكفيكم أن تبعثوا رجلاً إلى أمير المؤمنين بطلبكم، وأن توقفوا لي رجلاً في الطريق ليخبرني بذلك، وهل يخرج ألف رجل لهم عقول لمواجهة رجل واحد<sup>(7)</sup>؟

رأى سعيد بن العاص أن من الحكمة عدم مواجهتهم، وعدم تأجيج نار الفتنة، بل محاولة إخمادها، أو تأجيل اشتعالها على الأقل، وهذا رأي أبي موسى الأشعري، وعمرو بن حريث، والقعقاع بن عمرو في الكوفة<sup>(8)</sup>. وعاد سعيد بن العاص إلى عثمان وأخبره خبر القوم الخوارج، قال له عثمان: ماذا يريدون؟ هل خلعوا أيدا من طاعة؟ وهل خرجوا

(1) تاريخ الطبري (338/5)، الخلفاء الراشدون للخلافة، ص138.

(2) المصدر نفسه (338/5).

(3) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص139.

(4) المشرفية: نوع من السيوف. تنتضي: تمضي وتزول النعم والخيرات.

(5) العتود: الجدي الذي استكرش، وقيل: الحولي من أولاد الماعز.

(6) تاريخ الطبري (338/5).

(7) المصدر نفسه (338/5).

(8) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص104.

(2) تاريخ الطبري (339/5).



على الخليفة وأعلنوا عدم طاعتهم له؟ قال له سعيد: لا لقد أظهروا أنهم لا يريدونني واليا عليهم، ويريدون واليا آخر مكاني، قال له عثمان: من يريدون واليا؟ قال سعيد بن العاص: يريدون أبا موسى الأشعري، قال عثمان: قد عينا وأثبتنا أبا موسى واليا عليهم، والله لن نجعل لأحد عذرا، ولن نترك لأحد حجة، ولنصبرن عليهم كما هو مطلوب منا، حتى نعرف حقيقة ما يريدون. وكتب عثمان إلى أبي موسى بتعيينه واليا على الكوفة<sup>(1)</sup>.

وقبل وصول كتاب عثمان بتعيين أبي موسى واليا كان في مسجد الكوفة بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وقد حاولوا ضبط الأمور وتهذبة العامة، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك؛ لأن السبئيين والهاقدين سيطروا على الرعاع والغوغاء وهيجوهم، فلم يعودوا يسمعون صوت عقل أو منطق. وكان في مسجد الكوفة وقت التمرد والفتنة اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ هما: حذيفة بن اليمان، وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري، وكان أبو مسعود غاضبا لتمرد وثورة الرعاع وخروجهم إلى الجرعة، وعزلهم الوالي سعيد، وعصيانهم له، وهي أول مرة تحصل، بينما كان حذيفة بعيد النظر، يتعامل مع الحدث بموضوعية وتفكير. (2) قال أبو مسعود لحذيفة: لن يعودوا من الجرعة سالمين، وسيرسل الخليفة جيشا لتأديبهم، وستسفك فيها دماء كثيرة، فرد عليه حذيفة قائلا: والله سيعودون إلى الكوفة، ولن يكون هناك اشتباك أو حرب ولن تسفك هناك دماء، وما أعلم من هذه الفتن شيئا، إلا وقد علمت من رسول الله ﷺ وهو حي؛ حيث أخبرنا عن هذه الفتن التي نراها اليوم قبل وفاته، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الرجل يصبح على الإسلام ثم يمسي وليس معه من الإسلام شيء، ثم يقاتل المسلمين، فيرث وينكس قلبه ويقتله الله غدا، وسيكون هذا فيما بعد. (3) لقد كان حذيفة بن اليمان متخصصا في علم الفتن، وتعامل مع فتن السبئيين في الكوفة وغيرها وفق ما سمعه وعلمه من رسول الله ﷺ، واستحضر ما حفظه من تلك الأحاديث، ففهم حقيقة ما يجري حوله، ولم يستعده ولم يستغربه وحاول الإصلاح ما أمكنه<sup>(4)</sup>.

#### 8- أبو موسى الأشعري يهدئ الأمور وينهى عن العصيان:

قام أبو موسى الأشعري بتهذبة الأمور، ونهى الناس عن العصيان، وقال لهم: أيها الناس، لا تخرجوا في مثل هذه المخالفة، ولا تعودوا لمثل هذا العصيان، الزموا جماع تكم والطاعة، وإياكم والعجلة، اصبروا فكمأنكم بأمر. (5) فقالوا: فصل بنا، قال: لا، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان<sup>(6)</sup>.

وما كانوا صادقين في ذلك، لكنهم كانوا يخفون أهدافهم الحقيقية عن الآخرين، وكان أبو موسى يصلي بالناس إلى أن جاءه كتاب عثمان بتعيينه واليا على الكوفة، ولما هدأت الأمور في الكوفة إلى حين - في سنة أربع وثلاثين - عاد حذيفة بن اليمان إلى أذربيجان والباب يقود جيوش الجهاد هناك، وعاد العمال والولاة إلى أعمالهم في مناطق فارس<sup>(7)</sup>.

#### 9- كتاب عثمان إلى الخارجين في الكوفة:

كتب عثمان بن عفان إلى الخارجين من أهل الكوفة كتابا يبين فيه الحكمة من استجا

(2) الخلفاء الراشدون، ص 141.

(4) حذيفة بن اليمان، إبراهيم العلي، ص 86، الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 141.

(5) أي: يأتيكم من قبل أمير المؤمنين عثمان.

(7) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 142.

(4) تاريخ الطبري (342/5).

(3) تاريخ الطبري (339/5).

(5) تاريخ الطبري (343/5).

بته لطلبهم في عزل سعيد وتعيين أبي موسى بدله، وهي رسالة ذات دلالات هامة، وتبيّن طريقة عثمان في مواجهة هذه الفتن، ومحاولته تأجيل اشتعالها ما استطاع، مع علمه ليقيني أنها قادمة، وأنه عاجز عن مواجهتها، فهذا ما علمه من رسول الله ﷺ، قال لهم عثّ مان في رسالته: أما بعد، فقد أمّرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشن لكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، وأسألوني كل ما أحببتُم مما لا يعصى الله فيه، فسأعطيه لكم، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتُم منه، أ نزل فيه عند ما أحببتُم حتى لا يكون لكم عليّ حجة، وكتب بمثل ذلك في الأمصار. (1) ر ضي الله عن أمير المؤمنين عثمان، ما أصلحه، وأوسع صدره، وكم ظلمه السبّيون وال خارجون والحاقدون وكذبوا وافتروا عليه. (2).

\* \* \*

## المبحث الثاني سياسة عثمان في التعامل مع الفتنة

من خلال النصوص التاريخية في العديد من المصادر يتضح أن عثمان قد واجه الفتنة بعدد من الأساليب وهي:

### أولاً: رأي بعض الصحابة بأن يرسل عثمان لجان تفتيش وتحقيق:

اهتز محمد بن مسلمة وطلحة بن عبيد الله وغيرهما لما سمعوا من الإشاعات التي بثها عبد الله بن سبأ في الأمصار، فدخلوا على أمير المؤمنين عثمان على عجل وقالوا: يا أمير المؤمنين، أيايتك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإننا قد أتاننا، وأخبروه بما تنهاى لسمعهم عن الفتنة التي تموج بها الأمصار الإسلامية، و عن الهجوم الشرس على ولاته في كل صقع، وقال: أنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشبه روا عليّ؟ قالوا: نشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إلّ يك خبرهم (3)، فقام عثمان بإجراء سديد عظيم، وتخبر نفراً من الصحابة لا يختلف اثنان في صدقهم وتقواهم وورعهم، ونصحهم، اختار محمد بن مسلمة الذي كان عمر يأتّمه ع لى محاسبة ولاته والتفتيش عليهم في الأقاليم، وأسامة بن زيد حربّ رسول الله ﷺ وابن حربّه، وأمير الجيش الذي أوصى النبي ﷺ بإنفاذه في آخر عهده بالدنيا، فقال: أنفذوا بعث أسامة. وعمار بن ياسر السبّاق إلى الإسلام، والمجاهد العظيم، وعبد الله بن عمر، النقي الفقيه الورع. فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة إلى البصرة، وعمار إلى مصر، وابن عمر إلى الشام، وكانوا على رأس جماعة، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة، فمضوا جميعاً إلى عملهم الشاق المضني الخطير العظيم، ثم عادوا جميعاً عدا عمار بن ياسر الذي استبطاً في مصر ثم عاد، وقدموا بين يدي أمير المؤمنين ما شاهدوه وسمعوه وسألوا الناس عنه. (4) وكان ما جاء به هؤلاء واحد في كل الأمصار، وقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكر المسلمون إلا أن أمراءهم يفسطون بينهم، ويقومون عليهم. (5) وأ ما ما روي من اتهام عمار بن ياسر بالتأليب على عثمان فإن أسانيد الروايات التـ

(2) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 143.

(3) تاريخ الطبري (348/5).

(4) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، ص 210.

(5) تاريخ الطبري (348/5).

ي تتضمن هذه التهمة ضعيفة، لا تخلو من علة، كما أن في متونها نكارة<sup>(1)</sup>.

رجع مفتشو الأمصار، واتضح بأنه ليس هناك ما يوجب على الخليفة أن يعزل واحد من ولاته، والناس في عافية وعدل وخير ورحمة واطمئنان، وأمير المؤمنين يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويرعى حق الله وحق الرعية، وما يثار هو شكوك وأراجيف وأكاذيب يبثها الحاقدون في الظلمات لكي لا يعرف مصدرها، ولكن الخليفة البار الراشد العظيم لم يكتف بهذا، بل كتب إلى أهل الأمصار<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: كتب إلى أهل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين:

أما بعد: فإني أخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ ولت علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع على شيء ولا على أحد من عمالي إلا أع طيته، وليس لي ولعلي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقا واما يشتمون، وآخرون يضربون، فيا من ضُرب سراً، وشُتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان، وقالوا: إن الأمة لتمدّخ بشراً<sup>(3)</sup>.

فهل تريد الدنيا أن تسمع بحزم وعزم أعلى وأشمخ من هذا الحزم والعزم من رجل زادت سنه على اثنتين وثمانين سنة، وهو في هذه الفورة والقوة من المتابعة والتتقيب ع ن المظالم؟ أم هل يريد الناس أن يروا عدلاً أرفع وأسمى من هذا العدل والإنصاف، حدّ ي إن حق أمير المؤمنين الشخصي متروك لرعيته، ما دام حق الله قائماً وحدوده مرعية ؟ نعم عند عثمان، الذي لم يقف عند ذلك، ولم يكتف بأن أرسل أمناه للتفتيش عن أحوال الناس، وكتابته من ثم إلى أهل الأمصار بأن يأتوا موسم الحج ليرفعوا شكاتهم -إن كان ت لهم- أمام جموع الحجيج، ولم يكتف عثمان بذلك كله؛ بل بعث إلى عمال الأمصار أنف سهم ليواجهوا الناس عندما يرفعون مظالمهم -إن وجدت- ثم ليسألهم أمير المؤمنين عما يتناقله الناس، وليشيروا عليه بالرأي الناصح السديد الرشيد<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: مشورة عثمان لولاة الأمصار:

بعث عثمان إلى ولادة الأمصار واستدعاهم على عجل؛ عبد الله بن عامر، ومعاوية ابن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص -وهم من الولاة السابقين-، وكانت جلسة مغلقة وخطيرة جرت فيها الأبحاث التالية التي تقرر خطة العمل الجديدة على ضوء الأخبار المتناهية إلى المدينة عاصمة دولة الإسلام<sup>(5)</sup>. قال عثمان: ويحكم ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لأخاف أن يكون مصدوقاً عليكم وما يعصب<sup>(6)</sup> هذا إلا بي، فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم يرجع إليك ألا خبر عن القوم؟ ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحد فيضمنك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يد ل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها. قال: فأشيروا علي، فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصد

(1) فتنة مقتل عثمان (117/1).

(2) (3) تاريخ الطبري (349/1).

(4) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، ص 212.

(5) معاوية بن أبي سفيان، ص 126.

(6) يعصب بي: يناط بي.

نوع يصنع في السر، فيلقى به غير ذي معرفة، فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم، قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم. قال معاوية: قد وليتني فوليت قوما لا يأتيتك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتهما، قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراضيت عنهم، وزدتهم عما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشدد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين، إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شرا، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتها جميعا اللين. وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرت به عليّ قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن باباه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمدة ابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يباذي بعيب أحدها، فإن سده شيء فرقق، فذاك والله ليفتح، وليست لأحد على حجة حق، وقد علم الله أنني لم ألتأ س خيرا، ولا نفسي، والله إن رحي الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها، فكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدّهنوا فيها (1).

لقد خالف عثمان رأي أخيه عمرو باتباع الشدة، ولم يخالفه في اتباع سنة صاحب به، فرحى الفتنة دائرة، ولا تعالج بالعنف؛ لأن العنف هو الذي يدبر هذه الرحي، ولن ير ضى أمير المؤمنين أن يكون صاحبها (فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها)، وكان واضحا صريحا فيما لا هوادة فيه وهي حدود الله، فلا مدهانة فيها وما غير ذلك؛ فالرفق أولى والمغفرة أفضل، ولا بد من تأدية الحقوق كلها. (2)

وقد جاءت روايات بسند فيه ضعيف ومجهولون تشوه العلاقة بين عمرو بن العاص وعثمان رضي الله عنهما، وساهمت روايات ساقطة في مسخ صورة عمرو بن العاص، وتحويل علاقته بعثمان إلى علاقة فائك خطط لقتل أميره، ثم عاد بانتهازية ليطلب بدمه. (3) وهذه الرواية ضعيفة ومرفوضة عند أهل التاريخ وأهل الحديث. (4) وقد جاء في رواية بسند فيها ضعفاء ومجهولون أيضا بأن عمرو بن العاص قال: يا عثمان: إنك قد دركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا، وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا وامنض قدما. (5) وجاء في نفس الرواية أن عبد الله بن عامر قال: أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتى يهيم كل رجل منهم قمل فروة رأسه ودبر دابته، وتشغلهم عن الإرجاف بك. (6)

إن عثمان منع الولاة من التتكيل بمثيري الشغب (حبسهم أو قتلهم)، وقرر أن يعاملهم بالحنسنى واللين (7)، وطلب من عماله أن يعودوا إلى أعمالهم، وفق ما أعلنه لهم من

(1) تاريخ الطبري (351/5).

(2) عمرو بن العاص.. الأمير المجاهد، للغضبان، ص 447.

(3، 3) المصدر نفسه، ص 448.

(5، 5) تاريخ الطبري (340/5).

(7) خلافة عثمان، د. السلمي، ص 77.

أسلوب مواجهة الفتنة التي كان كل بصير يرى أنها قادمة (1).

### 1- اقترح احان لمعاوية يرفضهما عثمان رضي الله عنهما:

قبل أن يتوجه معاوية بن أبي سفيان إلى الشام، أتى إلى عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قبل لك به.

قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء ولو كان فيه قطع خيط عنقي. قال له معاوية: إذن أبعث لك جيشاً من أهل الشام، يقيم في المدينة، لمواجهة الأخطار المتوقعة ليدافع عنك وعن أهل المدينة، قال عثمان: لا، حتى لا أقدر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند تساكنتهم، ولا أضيق على أهل الهجرة والنصرة. قال له معاوية: يا أمير المؤمنين، والله لتغتالن أو لتغزين، قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل (2).

لكننا معاوية كان يعلم أن وراء تلك الفتن والشائعات يدا خبيثة تخطط لهدف رهوب ليس دونه ضرب الخليفة والخلافة، لكن عثمان الخليفة الراشد كان له رأي آخر، فهو يريد أن يسير مع هؤلاء لآخر الطريق حتى لا يترك لهم حجة عند الله وعند الناس، فيفضحهم في الدنيا والآخرة، وتلك مصابرة عظيمة من هذا الإمام العادل العظيم (3).

### 2- عثمان يخترق صفوف المتأمرين بعد مجيئهم للمدينة:

كان أمير المؤمنين عثمان من اليقظة والوعي ما يجعله يحقق بقلم استخباراته مع هؤلاء المتأمرين، حيث بث في صفوفهم رجلين من المسلمين كانا قد عوقبا من الخليفة ليطمئن المتأمرين إليهم، فقد أرسل عثمان رجلين، مخزوميا وزهريا فقال: انظرا ما يريدون واعلما علمهم، وكانا مما نالهما من عثمان أدب فاصطبرا للحق ولم يضطغنا، فلما رآوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة، قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلّا؟ قالوا: لا، قالوا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ وشرح هؤلاء القوم للرجلين أبعاد المؤامرة كاملة والخطة المقترحة، وقالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعت في قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أننا قررنا به فلم يخرج ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها، فرجعا إلى عثمان فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء فإنك إن لم تسلمهم شقوا. فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى: الصلاة جامعة، وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وحقيقة ما يريدون من تأكيد الشبهة عليه تمهيدا للخروج عليه وخلعه أو قتله، وقام الرجلان اللذان حادثا السبيين، فشهدا بما أخبروهما به، فقال المسلمون جميعا في داخل المسجد: اقتلهم يا أمير المؤمنين، لأنهم يريدون الخروج على أمير المؤمنين، وتقريب كلمة المسلمين. ورفض عثمان دعوة أصحابه لقتلهم؛ لأنهم مسلمون في الظاهر، من رعيته، ولا يرضى أن يقال: عثمان يقتل مسلمين مخالفين له، ولذلك رد عثمان بن عفان على تلك الدعوة قائلاً: لا تقتلهم، بل نغفو ونصفح، ونبصرهم بجهننا، ولا نقتل أحدا من المسلمين، إلا إذا ارتكب حداً يوجب القتل

(1) الخلفاء الراشدون، للخالدي، ص 151.

(2) تاريخ الطبري، (353/5).

(3) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، ص 214.

، أو أظهر ردة وكفرا<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: إقامة الحجة على المتمردين:

ثم دعا عثمان القوم السبئيين إلى عرض ما عندهم من شبهات وإظهار ما يروونه من أخذ طاء وتجاوزات ومخالفات وقع هو فيها، وكانت جلسة مصارحة ومكاشفة في المسجد على ما رأى ومسمع من الصحابة والمسلمين، فتكلم السبئيون وعرضوا الأخطاء التي ارتكبها عثمان - على حد زعمهم-، وقام عثمان بالبيان والإيضاح وقدم حججه وأدلته فيما فعل، والمسلمون المنصفون يسمعون هذه المصارحة والمحاسبة والمكاشفة، وأورد عثمان ما أخذه عليه، ثم بين حقيقة الأمر ودافع عن حسن فعله، وأشهد معه الصحابة الجالسين في المسجد<sup>(2)</sup>.

**1- قال: قالوا:** إنني أتممت الصلاة في السفر، وما أتمها قبلي رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، لقد أتممت الصلاة لما سافرت من المدينة إلى مكة، ومكة بلد فيها أهلي فأنا مقيم بين أهلي ولست مسافراً، أذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

**2- وقالوا:** إنني حميت حمي، وضيقت على المسلمين، وجعلت أرضاً واسعة خاصة لرعي إبلي، ولقد كان الحمي قبلي لإبل الصدقة والجهاد، حيث جعل الحمي كل من رسول الله وأبو بكر وعمر، وأنا زدت فيه لما كثرت إبل الصدقة والجهاد، ثم لم نمنع ماشية قراء المسلمين من الرعي في ذلك الحمي، وما حميت لما شيتي، ولما وليت الخلافة كنت من أكثر المسلمين إبلاً وغنماً، وقد أنفقتها كلها، ومالي الآن ثاغية ولا راغية، ولم يبق لي إلا بعيران، خصصتهما لحجي، أذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

**3- وقالوا:** إنني أبقيت نسخة واحدة من المصاحف، وحرقت ما سواها، وجمعت الناس على مصحف واحد، ألا إن القرآن كلام الله، من عند الله، وهو واحد، ولم أفعل سوى أن جمعت المسلمين على القرآن، ونهيتهم عن الاختلاف فيه، وأنا في فعلي هذا تابع لما فعله أبو بكر، لما جمع القرآن، أذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

**4- وقالوا:** إنني رددت الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ نفاه إلى الطائف، إن الحكم بن العاص مكّي، وليس مدنيّاً، وقد سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، وأعادته الرسول ﷺ إلى مكة بعدما رضي عنه، فالرسول ﷺ سيره إلى الطائف، وهو الذي رده وأعادته، أذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

**5- وقالوا:** إنني استعملت الأحداث ووليت الشباب صغار السن، ولم أولّ إلا رجلاً فاضلاً محتملاً مرضياً، وهؤلاء الناس أهل عملهم فسلوهم عنهم. ولقد ولي الذين من قبلي من هم أحدث منهم وأصغر منهم سناً، ولقد ولي رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وهو أصغر ممن وليته، وقالوا لرسول الله ﷺ أشد مما قالوا لي، أذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم، إن هؤلاء الناس يعييبون للناس ما لا يفسرونه ولا يوضحونه.

**6- وقالوا:** إنني أعطيت عبد الله بن سعد بن أبي السرح ما أفاء الله به، وإنما أعطيته خمس الخمس - وكان مئة ألف - لما فتح أفريقية، جزاء جهده، وقد قلت له: إن فتح الله عليك أفريقية فلك خمس الخمس من الغنيمة نفلاً، وقد فعلها قبلي أبو بكر وعمر رضي الله

(1) تاريخ الطبري (354/5، 355).  
(2) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 154، 155.

عنهما- ومع ذلك قال لي الجنود المجاهدون: إنا نكره أن تعطيه خمس الخمس ولا يحق لهم الاعتراض والرفض، فأخذت خمس الخمس من ابن سعد ورددته على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سعد شيئاً، أكذاك؟ قال الصحابة: اللهم نعم.

**7- وقالوا:** إني أحب أهل بيتي وأعطيتهم، فأما حبي لأهل بيتي فإنه لم يحملني على أن أميل معهم إلى جور وظلم الآخرين، بل أحمل الحقوق عليهم وأخذ الحق منهم، وأما إعطاؤهم فإني أعطيتهم من مالي الخاص، وليس من أموال المسلمين، لأنني لا أستحل أموال المسلمين، ولا لأحد من الناس. ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغية من صلب مال أبي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أف حين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وجعلت مالي الذي لي لأهلي وأقاربي، قال الملحدون ما قالوا؟ وإني والله ما أخذت من مصر من أمصار المسلمين مالا ولا فضة، ولقد رددت على تلك الأمصار الأموال، ولم يحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الأغنائم، ولقد تولى المسلمون تقسيم تلك الأخماس، ووضعها في أهلها، والله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فلانداً فما فوقه، وإنني لا أكل إلا من مالي، ولا أعطي أهلي إلا من مالي.

**8- وقالوا:** إني أعطيت الأرض المفتوحة لرجال معينين، وإن هذه الأرضين المفتوحة قد اشترك في فتحها المهاجرون والأنصار وغيرهم من المجاهدين، ولما قسمت هذه الأراضي على المجاهدين الفاتحين، منهم من أقام بها واستقر فيها، ومنهم من رجع إلى أهله في المدينة أو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكاً له، وقد باع بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها في أيديهم.

وبذلك أورد عثمان أهم الاعتراضات التي أثّرت عليه، وتولي توضيحها، وبيّن وجه الحق فيها. (1) وترى من ذلك الدفاع المحكم الذي دافع به عثمان بن عفان، وساجل الصحابة فيه وذاكرهم إياه صورة لما كان يجري من النقد المر العنيف له وما كان يشيعه السبنيون من قالة السوء، وما يعملون على ترويجيه من باطل مزيف، فقد أجمّل ذكر الاعتراضات التي كانوا يعترضون بها عليه، وبيّن وجه الحق فيما يفعل، وأنه كان على بينة من أمره وعلى حجة من دينه، ولكنهم مغرضون لا يريدون رشاداً، ولا يبغون سداداً، فمجادلته لهم مجادلة رجل مخلص مع آخر يتربص به الدوائر ويتسقط هفواته لينفذ أغراضاً، ويلقى في نفوس الناس عنه إعراضاً، ومن كان شأنه كذلك لا تقنعه الحجة، ولا يهديه الدليل، ومن يضل الله فلا هادي له (2).

وقد سمع كلامه وتوضيحه زعماء أهل الفتنة الذين بجانب المنبر، كما سمعه الصحابة الكرام ومن معهم من المسلمين الصالحين، وتأثر المسلمون بكلام عثمان وبيانه وتوضيحه وصدقوه فيما قال، وازدادوا له حباً، وأما السبنيون دعاة الفتنة والفرقة، فلم يتأثروا بذلك ولم يتراجعوا؛ لأنهم لم يكونوا باحثين عن حق، ولا راغبين في خير، إنما كان هدفهم الفتنة، والكيد للإسلام والمسلمين. وقد أشار الصحابة والمسلمون على عثمان بقتل أولئك السبنيين (زعماء

(1) العواصم من القواصم، ص 61-111، تاريخ الطبري (355/5، 356)، الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 158، الفتنة، أحمد عرموش، ص 10-14.

(2) تاريخ الجدل لمحمد أبو زهرة، ص 98، 99.



لفتنة) بسبب ما ظهر من كذبهم وتزويرهم، وحقدهم بل أصروا عليه في قتلهم، ليتخلص المسد لمون من شرهم، وتستقر بلاد المسلمين ويقضي على الفتنة التي يثيرها هؤلاء وأتباعهم، ولك ن عثمان كان له رأي آخر وتحليل مغاير، فأنر أن يتركهم، ورأي عدم قتلهم محاولة منه لتأخذ ير وقوع الفتنة، ولم يتخذ عثمان ضد السبئيين القادمين من مصر والكوفة والبصرة أي إجراء مع علمه بما يخططون ويريدون، وتركهم يغادرون المدينة ويعودون إلى بلادهم<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: الاستجابة لبعض مطالبهم:

استجاب لبعض مطالبهم في خلع بعض الولاة وتولية من طلبوا توليته، هذه الأساليب ب كافية في المعالجة وإقامة الحق والعدل لو كانت الأمور تسير في وضعها الطبيعي، لكن الواقع أن وراء هذه الشكاوى والإثارات أموراً خفية، وأحقاداً جاهلية تسعى لإثارة الفتنة بين المسلمين وتقريق وحدتهم، ووقوع ما أخبر به النبي ﷺ من استشهاد عثمان<sup>(2)</sup>.

#### سادساً: ضوابط التعامل مع الفتن عند عثمان :

إن المتأمل في هدي عثمان في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم في مواجهته للفتن، ومن هذه الضوابط:

**1- التثبت:** فقد أرسل لجان تفتيش للأمصار واستمع لأهلها، واستطاع أن يخترق جماعة السبئيين ويقف على حقيقة أمرهم، ولم يستعجل في إصداره للأحكام عليهم.

**2- لزوم العدل والإنصاف:** فقد اتضح هذا الضابط في كتابه للأمصار، وطلب ممن ادعى أنه شتم أو ضرب من الولاة فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان منه أو من عماله<sup>(3)</sup>.

**3- الحلم والأناة:** ويتضح هذا الضابط في كتابه لأهل الكوفة عندما طلبوا عزل سعيدي بن العاص وتعيين أبا موسى الأشعري وقد جاء في هذا الكتاب: «... والله لأفرشنكم ع رضي، ولأبذلن لكم صبري، ولاستصلحنكم بجهدني، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتهموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه»<sup>(4)</sup>.

**4- الحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرق بين المسلمين:** ولذلك جمع الناس على مصحف واحد كما مر معنا، وعندما عرض عليه الأشر النخعي عروضاً ثلاثة يأتيها صيلها بإذن الله- قال عثمان: «... وإن قتلتموني فلم أرتكب ما يوجب قتلي، والله لئن قتلتموني فإنكم لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدي أبداً، ولا تقاثلون العدو جميعاً بعدي»<sup>(5)</sup>.

**5- لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام:** من خلال سيرة عثمان تتضح صفة قلة كلامه إلا فيما ينفع من علم أو نصح أو توجيه أو رد اتهامات باطلة، وقد كان كثير الصمت قليل الكلام.

(1) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 158، 159.

(2) خلافة عثمان للسلمي، ص 78.

(3) المصدر نفسه (343/5).

(4) البداية والنهاية (184/7).



6- استشارة العلماء الربانيين: فقد كان يستشير علماء الصحابة كعلي، وطلحة، وال زبير، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم جميعاً، فالعلماء هم صمام الأمان، والملجأ في الخطوب المدلهمة والفتن المظلمة؛ لأنهم أبصر الناس بحالها، وأء رفهم بمآلها، فمن التجأ إليهم وجد الفهم السليم والنظر الصحيح، والموقف الشرعي الواضح<sup>(1)</sup>.

7- الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن: إن منهج عثمان أثناء الفتنة و مسلكه مع المتمردين الذين خرجوا عليه لم تفرضه عليه مجريات الأحداث ولا ضغط ال واقع؛ بل كان منهاجاً نابعا من مشكاة النبوة؛ حيث أمره رسول الله ﷺ بالصبر والاحتساب وعدم القتال حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وقد وقى ذو النورين بوعدة وعهده ل رسول الله ﷺ طوال أيام خلافته حتى خر شهيداً مضرجاً بدمائه الطاهرة الزكية<sup>(2)</sup>.

وقد قال محب الدين الخطيب: الذي يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار، هو أنه كان يكره الفتنة، ويتقي الله في دماء المسلمين، إلا أن صار في آخر الأمر يود لو كانت لديه قوة راجحة يها بها البغاة، فيرتدعون عن بغيهم، بلا حاجة إلى استعمال السلاح للوصول إلى هذه النتيجة، وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض علي ه معاوية أن يرسل إليه قوة من جند الشام تكون رهن إشارته فأبى أن يضيق على أهل دار ال هجرة بجند يساكنهم، وكان لا يظن أن الجرأة تبلغ بفريق من إخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أول مهاجر إلى الله في سبيل دينه، فلما نذاعب عليه البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسف ك فيه الدماء جزافاً، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة أن يكفوا أيديهم وأسلحتهم عن م زلق العنف. والأخبار بذلك مستقيضة في مصادر أوليائه وشأنه، على أنه لو ظهرت في ال ميدان قوة منظمة ذات هيئة تقف في وجوه الثوار، وتضع حداً لغرستهم وجاهليتهم، لارتاح عثمان لذلك وسر به، مع ما هو مطمئن إليه من أنه لن يموت إلا شهيداً<sup>(3)</sup>.

\* \* \*

(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص 116.

(1) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 728.

(3) العواصم من القواصم، ص 138.

## المبحث الثالث احتلال أهل الفتنة للمدينة

### أولاً: قدوم أهل الفتنة من الأمصار:

اتفق أهل الفتنة فيما بينهم على القيام بخطوتهم العملية النهائية في مهاجمة عثمان في المدينة، وحمله على التنازل عن الخلافة والإيقاع، وقرروا أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة: مصر والكوفة والبصرة في موسم الحج، وأن يغادروا بلادهم مع الحجاج، وأن يكثروا في صورة الحجاج، وأن يعلنوا للآخرين أنهم خارجون للحج، فإذا وصلوا المدينة، تركوا الحجاج يذهبون إلى مكة لأداء مناسك الحج، واستغلوا فراغ المدينة من معظم أهلها -المشغولين بالحج- وقاموا بمحاصرة عثمان تمهيداً لخلعه أو قتله (1) وفي شوال سنة خمس وثلاثين كان أهل الفتنة على مشارف المدينة (2)، فقد خرج المتمردون من مصر في أربع فرق لكل فرقة أمير، ولهؤلاء الأمراء أمير ومعه شيطانهم عبد الله بن سبأ وأمراء الفرق الأربعة، هم: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشير التجيبي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وأمير هؤلاء الأمراء هو الغافقي بن حرب العكي، وكان عدد الفرق الأربعة ألف رجل. وخرج المتمردون من الكوفة ألف رجل، في أربع فرق، وأمراء فرقهم هم: زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزيد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وأمير متمردي الكوفة هو عمرو بن الأصم. وخرج متمرود البصرة ألف رجل، في أربع فرق، وأمراء فرقهم، هم: حكيم بن جبلة العبدلي، وذريح بن عباد، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرشي ابن عبد الحنقي، وأمير متمردي البصرة هو حرقوص بن زهير السعدي. وكان عبد الله بن سبأ يسير مع هؤلاء مزبواً مسروراً بنجاح خطته اليهودية الشيطانية، وكان أهل الفتنة من مصر يريدون علي بن أبي طالب خليفة، وكان أهل الفتنة من الكوفة يريدون الزبير بن العوام خليفة، وكان أهل الفتنة من البصرة يريدون طلحة بن عبيد الله (3) وهذا العمل منهم كان بهدف الإيقاع بين الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ما ذهب إليه الأجري حيث قال: وقد برأ الله -عز وجل- علي بن أبي طالب وطلحة والزبير رضي الله عنهم من هذه الفرق، وإنما أظهروا ليموهوا على الناس وليوقعوا بين الصحابة، وقد أعاد الله الكريم الصحابة من ذلك (4).

وبلغ خبر قدومهم عثمان قبل وصولهم، وكان في قرية خارج المدينة فلما سمعوا بوجوده فيها، اتجهوا إليه فاستقبلهم فيها، ولم تصرح لنا الروايات باسم هذه القرية، ويحدده المدائني تاريخ قدومهم بليلة الأربعاء هلال ذي القعدة (5)، وكان أول من وصل مصر بين، فقالوا لعثمان: ادع بالمصحف فدعا به، فقالوا: افتح السابعة، وكانوا يسمون سورة يونس بالسابعة، فقرأ حتى أتى هذه الآية: **قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رَبِّ قِ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ دَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**

(1) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 159.

(2) المصدر السابق، ص 159.

(3) تاريخ الطبري (357/5).

(4) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص 148.

(5) فتنة مقتل عثمان، د. محمد الغبان (127/1).

[يونس: 59].

فقالوا له: قف أرأيت ما حميت من الحمى؟ الله أذن لك أم على الله فتفترى؟ فقال: امضه نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصدقة. امضه، قال: فجعلوا يأخذونه بالأيمة، فيقول: امضه نزلت في كذا فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطاً، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً، ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين<sup>(1)</sup>.

### \* علي بن أبي طالب يرسله عثمان للمفاوضة مع أهل الفتنة من الأمصار:

ونزل القوم في ذي المروة، قبل مقتله بما يقارب شهراً ونصفاً، فأرسل عثمان إليهم علياً ورجلاً آخر لم تسمه الروايات، والتقى بهم علي فقال لهم: تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك<sup>(2)</sup>. وفي رواية أنهم شادوه، وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا<sup>(3)</sup>، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفى بقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، وأن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة<sup>(4)</sup>.

وهكذا اصطالح عثمان مع كل وفد على حدة ثم انصرف الوفود إلى ديارها<sup>(5)</sup>.

### \* الكتاب المزعم بقتل وفد أهل مصر:

وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدينية لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطاً آخر يذكي الفتنة ويحييها بقضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار وعثمان، وبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم فيظهر أنه هارب منهم- فكانه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان وعليه خاتمه إلى عامله، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم، أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها<sup>(6)</sup>. ونفى عثمان أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه<sup>(7)</sup>.

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان، وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي السرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور:

### 1- إن حامل الكتاب المزور قد تعرض لهؤلاء المصريين ثم فارقهم، وكرر ذلك مر

(1) المصدر نفسه (128/1).

(2) تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، ص 328، تاريخ خليفة، ص 169، 170.

(3) فتنة مقتل عثمان (129/1).

(4) المصدر نفسه، (129/1).

(5) فتنة مقتل عثمان (129/1).

(6) تاريخ الطبري (379/5).

(7) فتنة مقتل عثمان (132/5)، البداية والنهاية (191/7).

أرا، وهو لم يفعل ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه، ويثير شكوكهم فيه، وكأنه يقول لهم: معي شيء هام بشأنكم. وإلا فلو كان من عثمان لخافهم حامل الكتاب المزعوم، ولأبعد عنهم، وأسرع إلى والي مصر ليضع بين يديه الأمر فينفذه.

**2-** كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين -الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة؛ فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكبا ليحمله ويمثل الدور في (البويب) أمام المصريين، قد استأجروا راكبا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحن؟ (1). بل إن علياً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة (2).

**3-** كيف يكتب عثمان إلى ابن أبي السرح بقتل هؤلاء وابن أبي السرح كان عقب خرج المتמרدين من مصر متجهين إلى المدينة كتب إلى الخليفة يستأذنه بالقدوم عليه، وقد تغلب على مصر محمد بن أبي حذيفة، وفعلًا خرج ابن أبي السرح من مصر إلى العريش وفلسطين فالتقى، فكيف يكتب له عثمان بقتلهم وعنده كتابه الذي يستأذنه به منه بالقدوم عليه؟

**4-** إن عثمان قد نهى عن قتل المتמרدين عندما حاصروه وأبى على الصحابة أن يدافعوا عنه، ولم يأمر بقتال الخارجين دفاعاً عن نفسه، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله، فكيف يكتب مثل هذا الكتاب المزور وقد خرجوا عنه من المدينة مظهرين التوبة والإنابة.

**5-** تخلف حكيم بن جبلة والأشتر النخعي بعد خروج المتמרدين -في المدينة يشير إشارة واضحة إلى أنهما هما اللذان افتعلوا الكتاب، إذ لم يكن لهما أي عمل بالمدينة ليتخلفا فيها، وما مكثا إلا لمثل هذا الغرض، فهما صاحب المصلحة في ذلك (3) وربما كان ذلك بتوجيه من عبد الله بن سبأ، ولم يكن لعثمان في ذلك أية مصلحة، وكذلك ليس لمروان بن الحكم أية مصلحة، والذين يتهمون مروان في هذا إنما ينسبون إلى الخليفة الغفلة عن مهامه، وأن في ديوان الخلافة من يجري الأمور ويقضي بها دون علمه، وبذلك يبرئون ساحة أولئك المجرمين الناقمين، الغادرين، ثم لو أن مروان زور الكتاب لكان أوصى حامل ذلك الكتاب أن يبتعد عن أولئك المنحرفين، ولا يتعرض لهم في الطريق حتى يأخذ نوره وإلا لكان متآمراً معهم على عثمان، وهذا محال.

**6-** إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتاباً على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضى الله عنها -تتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتتفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا (4).

(1) تاريخ الطبري (359/5).

(2) المصدر نفسه (359/5).

(3) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، ص 277.

(4) تحقيق مواقف الصحابة، (334/1).

ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها. (1) ويتهم الوافدون على ما بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم، ويقسم: والله ما كتبت إلّا يكمل كتاباً. (2) كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بالقُدو م إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور الد بعيدة. (3) ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج -قتلة عثمان ن- كتبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به. (4) ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار ك بار الصحابة -علي وعائشة والزبير- أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات. (5) إن الأيدي المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتنة من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروجت على عثمان تلك الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيد دا سعيداً. ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية الـ يهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوه المحرف والأجـ يال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوها هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي ، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما أن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العـ صر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء، قبل أن يحقق ويدق ق حتى لا يسقط كما سقط غيره؟! (6)

### ثانياً: بدء الحصار ورأي عثمان في الصلاة خلف أئمة الفتنة:

لم تقصد الروايات الصحيحة كيفية بدء الحصار ووقوعه، ولعل الأحداث التي سبقتها تلقي شيئاً من الضوء على كيفية بدئه، فبينما كان عثمان يخطب الناس ذات يوم إذا برج ل يقال له أعين (7) - يقاطعه ويقول له: يا نعل (8) ، إنك قد بدلت، فقال عثمان : من هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد، فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجل من بني لي ث يزعهم عنه حتى أدخله الدار. (9) وكان رجوع المتمردين الثاني، وقبل اشتداد الحصار كا ن عثمان يتمكن من الخروج للصلاة ودخول من شاء إليه، ثم مَنع من الخروج من الدا ر حتى إلى صلاة الفريضة (10)، فكان يصلي بالناس رجل من المحاصرين من أئمة الفتنة، حتى إن عبيد الله بن عدي بن الخيار تخرج من الصلاة خلفه، فاستشار عثمان في ذلك، فأشـ

(1) تاريخ خليفة بن خياط، ص 169.

(2) تحقيق مواقف الصحابة، (335/1).

(3) المصدر نفسه (335/1).

(4) البداية والنهاية (175/7).

(5) تحقيق مواقف الصحابة (335/1).

(6) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، ص 228، 229.

(7) أعين بن ضبيعة بن ناجية بن غفال التميمي الحنظلي الزرعي.

(8) هو لقب أطلقه الخارجون على عثمان ، وهذا اللقب أطلق من باب التنقيص.

(9) فتنة مقتل عثمان (143/1)، تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص 247، إسناده حسن.

(10) تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، ص 341، 342، إسناده حسن.

ار عليه بأن يصلي خلفه، وقال له: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم. (1) وفي بعض الروايات الضعيفة أن الذي كان يصلي بالناس هو أميرهم الغافقي (2). ولا صحة لما روى الواقدي من أن علياً أمر أبا أيوب الأ نصاري أن يصلي بالناس فصلى بهم أول الحصر، ثم صلى علي بهم العيد وما بعده. (3) وإضافة إلى شدة ضعف إسناد هذه الرواية، فلو كان الذي يصلي بالناس هو علي، أو أبو أيوب رضي الله عنهما- لما تخرج عبيد الله بن عدي بن الخيار من الصلاة خلفهما (4).

### ثالثاً: المفاوضات بين عثمان ومحاصريه:

وبعد أن تم الحصار، وأحاط الخارجون على عثمان بالدار طلبوا منه خلع نفسه أو يقتلوه (5)، فقد رفض عثمان خلع نفسه، وقال: لا أخلع سربالاً سربلني الله. (6) يشير إلى ما أوصاه به رسول الله ﷺ بينما كان قلة من الصحابة رضوان الله عليهم- يرون خ لاف ما ذهب إليه، وأشار عليه بعضهم بأن يخلع نفسه ليعصم دمه، ومن هؤلاء المغيرة بن الأخنس ، لكنه رفض ذلك (7).

### 1- ابن عمر يحث عثمان على عدم التنازل عن منصب الخلافة:

دخل ابن عمر على عثمان رضي الله عنهما- أثناء حصاره، فقال له عثمان : اذ ظر إلى ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا؟ فقال عثمان : لا، قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال عثمان : لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال: لا، قال: ف لا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوا (8).

رضي الله عن عبد الله بن عمر، ما كان أبعد نظره، إنه لا يريد أن يسن عثمان سنة سيئة للخلفاء، وحاشا لعثمان أن يفعل، فلو تنازل عثمان لهؤلاء الخوارج السبئيين وخلع نفسه، لصار الخلفاء ألعوبة وملهية بأيدي الطامعين أو المغرضين، وبذلك تهتز صورة الخليفة، وتزول هيئته عند الناس، ولقد سن عثمان سنة حسنة لمن بعده بمشورة ابن عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث صبر واحتسب فلم يتنازل عن الخلافة ولم يسفك دماء المسلمين (9).

إن الاستجابة لمطالب المتمردين، وهم فئة قليلة من الأمة ليسوا من أهل الحل والعقد ، ولا من رجالات الإسلام وفقهاء الشريعة، ستكون لها آثار خطيرة على مسيرة الأمة، وهيبة الخلافة وعلاقة الراعي بالرعية، وكان ثمن دفع هذه الآثار السيئة أن دفع الخليفة

(1) البخاري، كتاب الصلاة، رقم (192).

(2) فتنة مقتل عثمان، (145/1)

(3) تاريخ الطبري (444/5).

(4) فتنة مقتل عثمان (145/1).

(5) الطبقات لابن سعد (66/3)، تاريخ خليفة، ص 171.

(6) التمهيد، ص 46، 47.

(7) فتنة مقتل عثمان (147/1).

(8) فضائل الصحابة (473/1)، إسناده صحيح.

(9) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 179.

حياته، وهو يعلم بمصيره ويستسلم له، وهو أمر ثقيل على النفس، ولكنه قدم مصالح الأمة على مصلحته الشخصية، مما يكشف عن قوة وعزيمة، وشجاعة ومضاء، ويرد به على تلك التهم التي وجهت إليه من ضعف في هذه الصفات، فإنه كان قادراً - بإذن الله - على كبح الفتنة، ولكنه قدر حدوث مفاصد تغلب على مصلحة كبحها، فأعرض عن ذلك درءاً لها، وبذلك يعلم خطأ العقاد عندما قال بأن قتل عثمان لا يوصف بأكثر من أنه (مشاغبة دهماء) لم تجد من يكبحها. (1) فإن في ذلك غمزا في شخصية وشجاعة عثمان، وهي حقا فتنة دهماء، ولكن عدم كبحها يعد منقبة لعثمان، لما فيه من تضحية في سبيل الله رجاء تحصيل مصلحة للأمة، وعملا بوصية رسول الله ﷺ (2).

## 2- توعد المحاصرين له بالقتل:

وبينما كان عثمان في داره، والقوم أمام الدار محاصروها دخل ذات يوم مدخل الدار، فسمع توعد المحاصرين له بالقتل، فخرج من المدخل ودخل على من معه في الدار ولونه ممتقع، فقال: إنهم ليتوعدونني بالقتل انفاء، فقالوا له: كيفيكم الله يا أمير المؤمنين، فقال: ولم يقتلونني وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدي ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصائه، أو قتل نفسا بغير نفس»؟ فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا تمنيت أن لي بديني بدلا منذ هداني الله، ولا قتلت نفسا، فقيم يقتلونني؟! (3) ثم أشرف على المحاصرين وحاول تهدئة ثورتهم عن خروجهم على إمامهم، مضمنا كلامه الرد على ما عابوه به، وكشف الحقائق التي لبسها الأعداء، عسى أن يفيق المغرور بهم ويعودوا إلى رشدهم، فطلب من المحاصرين أن يخرجوا له رجلا يكلمه، فأخرجوا له شابا يقال له: صعصعة بن صوحان، فطلب عثمان أن يبين له ما نقموه عليه (4).

## 3- إقامة عثمان الحجة على زيف استدلال صعصعة:

قال صعصعة: أخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله، فقال له عثمان: اتل -أي استدلل بالقرآن- فقرأ: «أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» [الحج: 39].

فقال عثمان: ليست لك، ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي، فقرأ عثمان الآية التي استدلل بها صعصعة وما بعدها، مما يفسرها ويبين زيف استدلال صعصعة بها فتلا: «أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصُّلُوحُ وَبَيَّعَ وَصَلَّوَاتٍ وَمَا سَاجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَدِيرٌ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

(1) ذو النورين عثمان بن عفان، ص 122.

(2) فتنة مقتل عثمان (149/1).

(3) المسند (63/1)، وقال أحمد شاكر (452): إسناده صحيح.

(4) فتنة مقتل عثمان (150/1).



**ة وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** [الحج: 39-41]. فأفهم عثمان الناس الآيات فهما صحيحا كما نزلت، مبينا سبب نزولها وفيه نزلت، وعلى ما تدل؛ لئلا يلبس عليهم من قرأ القرآن، وهو لا يعرف معناه ويستدل به على ما يضاد مراده. (1) كما أن نفي عثمان لمن نفاه إنما هو عمل بالآية التي تلي الآية التي استدلت بها صعصعة، فإنها تأمر من مكنه الله في الأرض أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعثمان خليفة، وفيهم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، لما قاموا به من تعدد على بعض المسلمين، ومن محاولات لإثارة الفتنة. (2)

#### 4- تذكير عثمان الناس بفضائله:

وبعد أن رد عثمان على هؤلاء ذكرَّ الناس بمكانته وبيع بعض فضائله، مناشدا من يعلمها أو سمعها من رسول الله ﷺ ليبينها للناس، فقد قال: أنشد الله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتر الجبل فركله بقدمه ثم قال: اسكن حراء، ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وأنا معه. فانتشد له رجال، ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضد وإن إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال: هذه يدي وهذه يد عثمان، فبايع لي، فانتد له رجال، ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله ﷺ قال: من يوسع لنا البيت في المسجد ببيت له في الجنة، فابتعته من مالي فوسعت به المسجد، فانتشد له رجال، ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟ فجهزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال، ثم قال: أنشد الله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحثها ابن السبيل، قال: فانتشد له رجال. (3)

وعن أبي ثور الفهمي يقول: قدمت على عثمان، فبينما أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا، فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتمهم؟ فقلت: رأيت في وجوههم الشر، وعليهم ابن عديس البلوي، فصعد ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرت، إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته، ثم توفيت، فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زني ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تغني ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيمينتي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولا أتت علي جمعة إلا وأنا أعق فيها رقبة منذ أسلمت إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة، فأجمعها في الجمعة الثانية. (4)

ولما رأى عثمان إصرار المتمردين على قتله حذرهم من ذلك ومن مغيبته فاطلع عليهم من كوة (5) وقال لهم: أيها الناس، لا تقتلوني واستعقبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تقا تلوا جميعا أبدا، ولا تجاهدوا عدوا أبدا، لتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه. (6) وفي رواية أنه قال: أيها الناس، لا تقتلوني، فإني وال وأخ مسلم، فوالله إن أردت إلا

(1) فتنة مقتل عثمان (151/1).

(2) المصدر نفسه (152/1).

(3) المسند (59/1)، وقال أحمد شاکر (420): إسناده صحيح.

(4) المعرفة والتاريخ (488/2)، خلافة عثمان بن عفان للسلمي، ص 91.

(5) الكوة: الخرق في الحائط.

(6) الطبقات (71/3)، تاريخ ابن خياط، ص 171، إسناده صحيح.

الإصلاح ما استطعت، أصبت أو أخطأت، وإنكم إن تقتلونني لا تصلوا جميعا أبدا، ولا تغزوا جميعا أبدا، ولا يقسم فيئكم بينكم<sup>(1)</sup>. وقال أيضا: فوالله لئن قتلوني لا يحابون بعدي أبدا، ولا يقاتلون بعدي أبدا<sup>(2)</sup>. وقد تحقق ما حذرهم منه؛ فبعد قتله وقع كل ما قاله ، وفِي ذلك يقول الحسن البصري: فوالله إن صلى القوم جميعا إن قلوبهم لمختلفة<sup>(3)</sup>.

### رابعاً: دفاع الصحابة عن عثمان ورفضه لذلك:

أرسل عثمان إلى الصحابة رضي الله عنهم- يشاورهم في أمر المحاصرين وتوعدهم إياه بالقتل، فكانت مواقفهم كالاتي:

#### 1- علي بن أبي طالب :

فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جُرِيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي<sup>(4)</sup>.

#### 2- الزبير بن العوام :

عن أبي حبيبة<sup>(5)</sup> قال: بعثني الزبير إلى عثمان وهو محاصر فدخلت عليه في يوم صائف وهو على كرسي، وعنده الحسن بن علي، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فقلت: بعثني إليك الزبير بن العوام وهو يقرئك السلام ويقول لك: إني على طاعتي لم أبدل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك، وكنت رجلاً من القوم، وإن شئت أقمت، فإن بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على ما أمرهم به، فلما سمع يعني عثمان- الرسالة قال: الله أكبر، الحمد لله الذي عصم أخي، أقرئه السلام، ثم قل له: أحب إليّ، وعسى الله أن يدفع بك عني، فلما قرأ الرسالة أبو هريرة قام فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون بعدي فتن وأموالهم»، فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: «إلى الأمين وحزبه»، وأشار إلى عثمان بن عفان، فقام الناس فقالوا: قد أمكنتنا البصائر، فأذن لنا في الجهاد؟ فقال: (أعزم على من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل)<sup>(6)</sup>.

#### 3- المغيرة بن شعبة :

فقد ورد أن المغيرة بن شعبة دخل عليه وهو محاصر، فقال: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثة اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم، فإن معك عدداً وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق باباً سوى الذي

(1) الطبقات (67/3، 68) فتنة مقتل عثمان (156/1).

(2) تاريخ ابن خياط، ص 171، فتنة مقتل عثمان، (157/1) إسناده حسن.

(3) فتنة مقتل عثمان (157/1).

(4) تاريخ دمشق، ص 403.

(5) هو أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام، روى عن الزبير، وسمع أبا هريرة وعثمان محصور.

(6) فضائل الصحابة (511/1، 512) إسناده صحيح.

باب الذي هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف ذاب العالم»، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفرق دار هجرتي ومجاورة الرسول (1).

#### 4- عبد الله بن الزبير :

عزم الصحابة رضي الله عنهم- على الدفاع عن عثمان، ودخل بعضهم الدار، ولكن عثمان عزم عليهم بشدة، وشد عليهم في الكف عن القتال دفاعاً عنه، مما حال بين رغبتهم الصادقة في الدفاع عنه وبين تحقيقها، وكان من ضمن أولئك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فقال لعثمان: قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله، لا أقاتلهم أبداً (2).

وفي رواية: يا أمير المؤمنين، إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منها فأذن لنا، فقال عثمان: أنشد الله رجلاً أهرق في دمه (3)، ثم أمره على الدار، وقال: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير (4).

#### 5- كعب بن مالك، وزيد بن ثابت الأنصارين رضي الله عنهما:

حدث كعب بن مالك الأنصار على نصرة عثمان وقال لهم: يا معشر الأنصار، كونوا أنصار الله مرتين، فجاءت الأنصار عثمان ووقفوا بابه، ودخل زيد بن ثابت وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب، إن شئت كنا أنصار الله مرتين (5). فرفض القتال وقال: لا حاجة لي في ذلك، كفوا (6).

#### 6- الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

وجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقال له: اخترط سيفي؟ قال له: لا أبرأ (7) والله إذاً من دمك، ولكن ثم (8) سيفك، وارجع إلى أبيك (9).

#### 7- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

ولما رأى الصحابة أن الأمر استقل، وأن السيل بلغ الزبي (10) عزم بعضهم على الـ

- (1) البداية والنهاية (211/7).
- (2) طبقات ابن سعد (70/3) إسناده صحيح.
- (3) المصدر نفسه (70/3)، تاريخ ابن خياط، ص 173.
- (4) طبقات ابن سعد (70/3)، إسناده صحيح إلى عبد الله بن الزبير.
- (5) طبقات ابن سعد (70/3)، فتنة مقتل عثمان (162/1).
- (6) فتنة مقتل عثمان (162/1).
- (7) هكذا في الأصل، ولعلها (أبرأ إلى الله).
- (8) هكذا في الأصل، والتم هو: إصلاح الشيء وإحكامه، لسان العرب (79/12)، ويحتمل أن تكون مصحفة من شم، والشم هو: إعادة السيف إلى غمده.
- (9) فتنة مقتل عثمان (162/1)، المصنف لابن أبي شيبه (224/152).
- (10) بلغ الماء الزبي أو الربي، ويروى بلغ السيل الزبي أو الربي، والزبي: جمع زبية الأسد، وهي حفرة تحفر له في مكان مرتفع ليصطاد، فإذا بلغ الماء فهو المجحف. الربي: جمع ربوة، وهذا المثل يضرب في الشر الفظيع، (المستسقى في أمثال العرب) للزمخشري (14/2).

دفاع عنه دون استشارته، فدخل بعضهم الدار مستعدا للقتال، فقد كان ابن عمر معه في الدار، متقلدا سيفه لا يسا درعه ليقاتل دفاعا عن عثمان ، ولكن عثمان عزم عليه أن يخرج من الدار خشية أن يتقاتل مع القوم عند دخولهم عليه فيقتل، كما لبسه مرة أخرى<sup>(1)</sup>.

#### 8- أبو هريرة :

دخل الدار على عثمان يقول: يا أمير المؤمنين، طاب أمضرب<sup>(2)</sup>، فقال له: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي؟ قال: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قُتِلَ الناس جميعا، فرجع ولم يقاتل. وفي رواية: أن أبا هريرة كان متقلدا سيفه حتى نهاء عثمان<sup>(3)</sup>.

#### 9- سليط بن سليط:

قال: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها<sup>(4)</sup>. ويقول ابن سيرين: كان مع عثمان في الدار سبعمائة، لو يدهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم: ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير. ويقول أيضا: لقد قُتِلَ عثمان يوم قتل وإن الدار لغاصة، منهم ابن عمر وفيهم الحسن بن علي في عفته السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا<sup>(5)</sup>. وبذلك يظهر زيف ما اتهم به الصحابة مهاجرين وأنصارا من تخاذل عن نصرته عثمان ، وكل ما روي في ذلك فإنه لا يسلم من علة إن لم تكن عللا قاذحة في الإسناد والمتن جميعا<sup>(6)</sup>.

#### 10- عرض بعض الصحابة على عثمان مساعدته في الخروج إلى مكة:

ولما رأى بعض الصحابة إصرار عثمان على رفض قتال المحاصرين، وأن المحاصرين مصرون على قتله، لم يجدوا حيلة لحمايته سوى أن يعرضوا عليه مساعدته في الخروج إلى مكة هربا من المحاصرين، فقد روى أن عبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، عرضوا عليه ذلك، وكان عرضهم متفرقا، فقد عرض كل واحد منهم عليه ذلك على حدة، وعثمان يرفض كل هذه العروض<sup>(7)</sup>.

#### \* الأسباب التي دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال:

يظهر للباحثين من خلال روايات الفتنة أن هناك أسبابا خمسة هي:

1- العمل بوصية رسول الله ﷺ التي سارَّه بها، وبيَّنها عثمان يوم الدار، وأنها

- (1) فتنة مقتل عثمان (163/1).
- (2) الميم بدل اللام، فأصلها (الضرب) وهي لغة لبعض أهل اليمن.
- (3) تاريخ خليفة بن خياط، ص 164.
- (4) فتنة مقتل عثمان (165/1).
- (5) تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة عثمان، ص 395.
- (6) فتنة مقتل عثمان (166/1).
- (7) فتنة مقتل عثمان (166/1).

- عهدٌ عهد به إليه، وأنه صابر نفسه عليه<sup>(1)</sup>.
- 2- ما جاء في قوله: لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء؛ أي كره أن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك دماء المسلمين<sup>(2)</sup>.
- 3- علمه بأن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيمهم بنفسه<sup>(3)</sup>.
- 4- علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله ﷺ عند تبشيريه إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيقتل مصطبرا بالحق، معطيه في فتنة، والدلالات تدل على أن أوانها قد حان، وأكد ذلك تلك الرؤيا التي رآها ليلة قتله، فقد رأى رسول الله ﷺ وقال له: «أفطر عندنا القابلة»، ففهم أن موعد الاستشهاد قد قرب.
- 5- العمل بمشورة ابن سلام له؛ إذ قال له: الكف الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة<sup>(4)</sup>.
- وتحقق إخبار النبي ﷺ بأن عثمان سوف يقتل، وذلك فيما رواه عبد الله بن حوالة عن النبي ﷺ قال: «**من نجا من ثلاث فقد نجا -ثلاث مرات-: موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبرا بالحق معطيه**»<sup>(6)</sup>.
- وفيما تقدم يتبين هدوؤه في التكبير ، وأن شدة البلوى لم تحل بينه وبين ذلك التفكير الصحيح والرأي السليم، فقد تضافرت الأسباب لتحديد هذا الموقف المسالم في قتال الدجالين عليه، ولا شك أنه كان على الحق في مواقفه التي اتخذها لما صح عن النبى ﷺ أنه أشار إلى وقوع هذه الفتنة، وشهد لعثمان وأصحابه أنهم على الحق فيها<sup>(7)</sup>.
- قال ابن تيمية رحمه الله:- ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكف الناس عن الدماء، وأصبر الناس عمن نال من عرضه، وعلى من سعى في دمه فحاصروه وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاء المسلمون ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم... وقيل له: تذهب إلى مكة؟ فقال: لا أكون ممن ألد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول من خلف محمدا في أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين<sup>(8)</sup>.
- خامساً: موقف أمهات المؤمنين وبعض الصحابييات:**

(1) فضائل الصحابة (605/1)، إسناده صحيح.  
(2) فتنة مقتل عثمان (167/1)، المسند (396/1) أحمد شاكر.  
(3) فتنة مقتل عثمان (167/1)، إسناده صحيح فيه ضعف.  
(4) الطبقات (71/3) إسناده حسن.  
(5) فتنة مقتل عثمان (168/1)، إسناده حسن، أو صحيح.  
(6) مسند أحمد (106/4)، رقم (16973)، ط/ الرسالة.  
(7) فتنة مقتل عثمان (168/1) أنظر الأحاديث الصحيحة التي ذكرتها في فضائله وأخبار النبي ﷺ عن قتله في هذا الكتاب.  
(8) منهاج السنة (202/3، 203).

## 1- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما:

كان موقف السيدة أم حبيبة أم المؤمنين من المواقف البالغة الخطر في هذه الأحداث ، وهو موقف كان من الخطورة بحيث كادت رضي الله عنها- أن تقتل فيه، ذلك أنه لما حوَّصر عثمان ومنع عنه الماء، سرَّح عثمان ابنا لعمر بن حزم الأنصاري - من جيران عثمان - إلى علي بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئا من الماء فافعلوا، وإلى طلحة وإلى الزبير وإلى عائشة وأزواج النبي x، فكان أولهم إنجادا له علي وأم حبيبة<sup>(1)</sup>. وكانت أم حبيبة معنية بعثمان، كما قال ابن عساکر، وكان هذا طبيعيا منها؛ حيث النسب الأموي الواحد، جاءت أم حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن و صابا بني أمية إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأ رامل، قالوا: كاذبة، وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت<sup>(2)</sup> بأم حبيبة فتلقاها النا س وقد مالت راحلتها، فتعلقوا بها، وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها<sup>(3)</sup> ويدو أنها رضي الله عنها- أمرت ابن الجراح مولاها أن يلزم عثمان ، فقد حدثت أحدا ث الدار، وكان ابن الجراح حاضرا<sup>(4)</sup>.

## 2- صفة زوجة رسول الله x:

وما فعلته السيدة أم حبيبة فعلت مثله السيدة صفية رضي الله عنها؛ فلقد روي عن كذ انة<sup>(5)</sup> قال: كنت أقود بصفية لتردد عن عثمان، فلقيها الأشر<sup>(6)</sup>، فضرب وجه بغلتها حتى مالت، فقالت: ذروني لا يفضحني هذا، ثم وضعت خشبا من منزلها إلى منزل عثمان تنق ل عليه الطعام والماء<sup>(7)</sup>.

## 3- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

ولما حدث ما حدث للسيدة أم حبيبة أعظمه الناس جدا، فخرجت عائشة رضي الله عنها- من المدينة وهي ممثلة غيظا على المتمردين، وجاءها مروان بن الحكم، فقال: أم المؤمنين، لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل، فقالت: أتريد أن يصنع بي كما صد ع بأم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني، لا والله لا أعير<sup>(8)</sup>، ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء<sup>(9)</sup>. ورأت رضي الله عنها- أن خروجها ربما كان معينا في فض هذه الجموع، كما سيذ ضح من الرواية الآتية بعد، وتجهزت أمهات المؤمنين إلى الحج هربا من الفتنة، على أ ن خروجهن لم يكن تنزها عن ملابس الفتنة وحسب، ولم يكن هربا محضا، وإنما كان محاولة منهن لتخليص عثمان من أيدي هؤلاء المفتونين، الذين كان منهم محمد بن أب

(1) دور المرأة السياسي، أسماء محمد، ص340.

(2) نذ البعير ونحوه نداء، وندودا: نفر وشرذ.

(3) تاريخ الطبري (401/5)، نقلا عن دور المرأة السياسي، ص340.

(4) تاريخ المدينة (298/2).

(5) كناية بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف العبشمي.

(6) دور المرأة السياسي، ص340.

(7) سير أعلام النبلاء (237/2).

(8) أعير: من العار، وقد يبدى هذا التعبير أن الحالة التي وضع فيها الغوغاء السيدة أم حبيبة كانت شديدة الإيلاء.

(9) تاريخ الطبري (401/5).

بي بكر، أخو السيدة عائشة رضي الله عنها، الذي حاولت أن تستتبعه معها إلى الحج فأبى، ولقد دلل على هذه المحاولة منها أن استتباعها له ورفضه كانا لافتين للنظر حتى إن حظوظة الكاتب<sup>(1)</sup> قد هاله رفض محمد لأن يتبع أم المؤمنين، وقارن بين هذا الرفض وبين متابعتة لأهل الأمصار، قائلاً: يا محمد، تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتدعوك ذؤبان<sup>(2)</sup> العرب إلى ما لا يحل فنتبعهم، فأبى، فقالت السيدة عائشة: أما والله لو استطعت أن أحرهم الله ما يجولون لأفعلن.<sup>(3)</sup> وهذا القول منها بعدما حاولته مع أخيها، دليل على أنها قد بدأت محاولتها لفض الثائرين عن عثمان، ولإثارة الرأي العام عليهم منذ بدأ تفكيكهم في الذهاب إلى مكة، وهذا هو ما أكد عليه الإمام ابن العربي، قال: إنه يروي أن تغيبهم - تغيب أمهات المؤمنين مع عدد من الصحابة - كان قطعاً للشغب بين الناس رجاء أن يرجع الناس إلى أمهاتهم، وأمهات المؤمنين، فبرعوا حرمة نبيهم<sup>(4)</sup>، ويستمعوا إلى كملتهم التي طالما كانوا يقصدونها في كل الأفاق<sup>(5)</sup>. أي أن خروجهم كان نوعاً من التفريق ق لهذه الجموع؛ حيث كان معروفاً عند الناس التماس رأيهن وفتاواهن، وكن رضوان الله عليهن - لا يتصورن أن يصل الأمر بهؤلاء الناس إلى قتل الخليفة<sup>(6)</sup>.

#### 4- مواقف للصحابات:

أ- وقد حاولت أسماء بنت عميس نفس المحاولة التي حاولتها أم المؤمنين عائشة، فبعثت إلى ابنها محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر<sup>(7)</sup> فقالت: إن المصباح يأكل نفسه و يضيء للناس، فلا تأثموا في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكم، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فاتفقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم، فلجاً وخرجاً مغضبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وتقول: ما صنع بكم، ألا ألزمكما الله.<sup>(8)</sup> وقيل الحد يث كان بين ليلي بنت أسماء وأخويها<sup>(9)</sup>.

وهي في ذلك تشير إلى أنه لما جاء أهل الأمصار، وكروا راجعين إلى المدينة بعدم كانوا ناظروا عثمان فناظرهم، وأقام عليهم الحجة، فأظهروا أنهم راجعون إلى بلادهم، ثم ما لبثوا أن عادوا بدعوى أن عثمان بعث رسلاً في قتل أناس كان منهم -حسد ب دعواهم- محمد بن أبي بكر<sup>(10)</sup>، ولعل هذا هو ما يشير إليه محمد بن أبي بكر في قوله: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وقد نفى عثمان نسبة هذا الكتاب إليه وقال: إما أن تقوما شاهدتين عليّ بذلك وإلا فيميني أنني ما كتبت ولا أمرت، وقد يكتب على لسان الرجل ل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه<sup>(11)</sup>.

(1) حظوظة بن ربيع التميمي، كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فسمي الكاتب.

(2) (3) تاريخ الطبري، (401/5).

(4) العواصم من القواصم، ص 156.

(5) دور المرأة السياسي، ص 342.

(6) المصدر نفسه، ص 343.

(7) محمد بن جعفر بن أبي طالب، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة، شهد صفين مع علي، وكان مع أخيه محمد بمصر لما قتل.

(8) تاريخ الطبري، (202/5).

(9) المصدر السابق، (202/5).

(10) دور المرأة السياسي، ص 343.

(11) العواصم من القواصم، ص 120.



لقد كانت السيدة أسماء -رضي الله عنها- واعية بما يجري من تدبير خفي لزعة أحوال المسلمين، وتتحية عثمان عن الخلافة، وهكذا فإن موقفها -رضي الله عنها- من ابنائها، ووضوح الأمر عندها على هذا النحو الذي جعلها لا تتأثر في مقام الأمومة، ولا تبدو إلا محقة للحق في هذا الموقف الواضح، هذا الموقف لا يستهان به ولا شك، وهو يعد صورة جلية لعذالة هؤلاء الصحابة الكرام<sup>(1)</sup>.

### ب- الصعبة بنت الحضرمي:

ولما اشتد حصار عثمان طلبت الصعبة بنت الحضرمي من ابنها طلحة بن عبيد الله أن يكلم عثمان كي يردعه عن إصراره على إسلامه نفسه دون مدافعة من الصحابة، واستنصار بأهل الأمصار، فقد خرجت الصعبة بنت الحضرمي وقالت لابنها طلحة بن عبيد الله: إن عثمان اشتد حصره، فلو كلمته حتى تردعه<sup>(2)</sup>، والرواية يبدو منها إشفاق الصعبة على عثمان، كما يبدو منها كذلك عناية أم عبد الله بن رافع بالأمر، ومتابعتها لما يجري من أحداث الفتنة<sup>(3)</sup>، وهي التي روت عن الصعبة بنت الحضرمي الحادثة<sup>(4)</sup>. هذا هو الموقف العام لنساء المسلمين، فقد كان موقفا معتدلا وقادرا على النظر السليم في المسألة، رغم الغيوم التي كانت ملتبسة بها، وهو على كل حال كان هذا موقف الصحابة جميعا رضي الله عنهم وأرضاهم<sup>(5)</sup>.

سادساً: من حج بالناس ذلك العام؟ وهل طلب عثمان من الولاية نصرته؟

### 1- من حج بالناس ذلك العام (35 هـ)؟

استدعى عثمان عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وكلفه أن يحج بالناس هذا الموسم، فقال له ابن عباس: دعني أكن معك وبجانبك يا أمير المؤمنين في مواجهة هؤلاء، فوالله إن جهاد هؤلاء الخوارج أحب إليّ من الحج، قال له: عزمت عليك أن تحج بالمسلمين، فلم يجد ابن عباس أمامه إلا أن يطيع أمير المؤمنين، وكتب عثمان كتابا مع ابن عباس ليقرأ على المسلمين في الحج، بيّن فيه قصته مع الخوارج عليه، وموقفه منهم، وطلباتهم منه<sup>(6)</sup>. وهذا نص خطاب عثمان للمسلمين في موسم الحج عام 35 هـ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أذكركم بالله -جل وعز- الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البيئات، وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمته، فإن الله -عز وجل- يقول: **وَقُولِ الْحَقَّ: وَأَتَاكُم مِّن كُلِّ مَآسَاءٍ لِّتُؤْمَرُوا وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** [إبراهيم: 34]، وقال عز وجل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ** واعتصم

(1) دور المرأة السياسي، ص 344.

(1، 3) دور المرأة السياسي، ص 345.

(4) المصدر نفسه، ص 345.

(5) المصدر نفسه، ص 345، 346.

(6) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 167، 168.

مُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ  
 أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَـ  
 فَاحِطَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ  
 وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
 ن تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 عَظِيمٌ" [آل عمران: 102-105]، وقال وقوله الحق: +وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَ  
 لِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" [المائدة: 7]، وقال وقوله الحق: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جِ  
 اءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا  
 أَفَعَلْتُمْ نَادِمِينَ +وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ  
 مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَرِيزَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ  
 كَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْ  
 لًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [الحجرات: 6-8]، وقوله عز وجل: +إِنَّ الْأَ  
 ذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي  
 يِ الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ  
 وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [آل عمران: 77]، وقال وقوله الحق: +فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَ  
 عْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَيْحَ نَفْسِهِ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [التغابن: 16]، وقال وقوله الحق: +وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِ  
 ذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ  
 كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ  
 بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْ  
 بَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْذُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ  
 فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ  
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَتَّخِذُوا  
 أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَ  
 دَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا  
 قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ  
 وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ" [النحل: 91-96]، وقال وقوله الحق: +يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إ  
 لَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَ  
 حْسَنُ تَأْوِيلًا" [النساء: 59]، وقال وقوله الحق: +وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ  
 عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خُ  
 وِفِهِمْ أُمَّةً يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَ  
 ئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [النور: 55]، وقال وقوله الحق: +إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا

يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ يَوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" [الفتح: 10].

أما بعد، فإن الله -عز وجل- رضي لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف، ونباكم ما قد فعله الذين من قبلكم، وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم، إن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله -عز وجل- واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف، إلا أن يكون لها رأس يجمعها، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً، وسلط عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرمة بعض، ومتى يفعل ذلك لا يقيم الله سبحانه دين، وتكونوا شيئا، وقد قال الله جل وعز -لرسوله x: +إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" [الأنعام: 159] وإني أوصيكم بما أوصاكم الله وأخذ ركم عذابه، فإن شعيبا x قال لقومه:

+وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيدَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّوْطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" [هود: 89، 90].

أما بعد، فإن أقواما مما كان يقول في هذا الحديث، أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله -عز وجل- والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها، فلما عرض عليه م الحق إذ الناس في ذلك شتى؛ منهم أخذ للحق ونازع عنه حين يعطاه، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر يريد أن يبتزّه بغير الحق، طال عليهم عمري، وراث<sup>(1)</sup> عليهم الإمرة، فاستعجلوا القدر، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم، ولا أعلم أني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئا، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود، فقلت: أقيموها على من علمتم تعداها في أحد، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد، قالوا: كتاب الله يتلى، فقلت: فليتلّه من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب، وقالوا: المحروم يرزق، والمال يوفى ليستن فيه السنة الحسنة، ولا يعتدى في الخمس ولا في الصدقة، ويؤمّر ذو القوة والأمانة، وترد مظالم الناس إلى أهلها، فرفضت بذلك واصطبرت له،... كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر استعجلوا القدر ومنعوا مني الصلاة، وحالوا بيني وبين المسجد، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة. كتبت إليكم كتابي هذا، وهم يخبرونني إحدى ثلاث: إما يقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صوابا، غير متروك منه شيء، وإما أعترل الأمر فيؤمّرون آخر غيري، وإما يرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من الذي جعل الله سبحانه عليهم من السمع والطاعة، فقلت لهم: أما إقادتني من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب فلم يُستتد<sup>(2)</sup> من أحد منهم، وقد علمت أنما يريدون نفسى، وأما أن أتبرا من الإمارة فإن يكلبوني<sup>(3)</sup> أحب إلي من أن أتبرا من عمل الله -عز وجل- وخلافته، وأما قولكم: يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من طاعة تي فليست عليكم بوكيل، ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة، ولكن أتوها طائعين، يبتغون مرضاة الله -عز وجل- وإصلاح ذات البين، ومن يكن منكم يبتغ

(1) راث: أبطأ.

(2) استتاد الحاكم: سأله أن يقيد القاتل بالقتل.

(3) كلابه: ضربه بالكلاب، والكلاب: الحديد التي على خف الراكب.

في الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له، ومن يكن إنما يريد وجه الله وادار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله -عز وجل- والسنة الحسنة التي استن بها رسول الله ﷺ والخليفان من بعده رضي الله عنهما، فإنما يجزي بذلك الله وليس بيدي جزأكم، ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم، ولم يغن عنكم شيئاً، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده، فمن يرض بالذكث منكم فإنني لا أرضاه له، ولا يرضى الله سبحانه أن تتكثروا عهده، وأما الذي يخبرونني فإنما كله النزع والتأخير، فملاكت نفسي ومن معي، ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه، وكرهت سنة السوء، وشقاق الأمة وسفك الدماء، فإنني أنشدكم بالله وبالإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه مني، وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والمؤازرة في أمر الله، فإن الله سبحانه به قال وقوله الحق: **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** [الإسراء: 34] فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون. أما بعد، فإنني لا أبرئ نفسي **وَمَا أBRئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** [يوسف: 53] وإن عاقبت أقواما فما أبتغي بذلك إلا الخير، وإني أتوب إلى الله -عز وجل- من كل عمل عملته، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إن رحمة ربي وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وأنا أسأل الله -عز وجل- أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير، ويكره إليها الفسق. والسلام عليكم ورحة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون). قال ابن عباس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية<sup>(1)</sup> بمكة بيوم.

(1) تاريخ الطبري (431-425/5).

## 2- هل طلب عثمان من الولاة نصرته:

يزعم سيف بن عمر في روايته عند الطبري أن عثمان لما حصر كتب إلى عماله على الأمصار يستمدهم، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري على رأس جيش، وكذا فعلى عبد الله بن سعد في مصر، فأرسل معاوية بن حديج، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو على رأس قواته<sup>(1)</sup> وهذا الزعم لا يتفق مع منهج عثمان في مواجهة الفتنة من إثارة العافية والكف، ولا يتفق مع تيقنه بالقتل، ولا يتفق مع ما لجأ إليه من صرف المدافع عن عنه من كبار الصحابة وأبنائهم، بل عبيده ومواليه الذين نهاهم أشد النهي عن القتال، بل جعل العتق نصيب من يكف يده منهم ولا يقاتل كما سوف نرى. ولكن الذي يمكن تـصوره هو أنه كما بادر جماعة من الصحابة إلى الدفاع عن عثمان دون أن يطلب منهم ذلك ورغم محاولاته العديدة لصرفهم، فإنه قد بادرت جماعات كثيفة من أجناد المسلمين في الأمصار للدفاع عن الخليفة المظلوم من تلقاء أنفسهم وتوجيه من أمرائهم، ولا يصح أن نظن أن رجلاً مثل معاوية في قرابته من عثمان كان سيسعه - لو أراد - أن يتقاعس عن السير إليه أو تسيير الجنود إليه، ولا يمكن أن نفترض أن رجلاً مثل أنصار عثمان به صر - وعلى رأسهم معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وغيرهما من أبطال المسلمين - كانوا سينتظرون قابعين حتى يقتل الخليفة ثم يتحركون للثأر له، ويعرضون نحورهم للقتل في سبيله، بل الذي يمكن تصوره وافترضه أن جنوداً من الأمصار قد تحركت بالفعل نحو المدينة لنجدة الخليفة دون أن يطلب منها نجدة<sup>(2)</sup>.

## 3- آخر خطبة خطبها عثمان :

كان آخر لقاء عام لعثمان مع المسلمين بعد أسابيع من الحصار؛ حيث دعا الناس، فاجتمعوا له جميعاً، المحارب الطارئ من السبئيين، والمسالم المقيم من أهل المدينة، وكان في مقدمة القادمين: علي وطلحة والزبير، فلما جلسوا أمامه قال لهم: إن الله - عز وجل - إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكم الدنيا لتتركوا إليها، وإن الدنيا تقنى والآخرة تبقى، فلا تبترنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، واتقوا الله عز وجل، فإن نقواه جُدة ووقاية من بأسه وانتقامه، والزموا جماعتكم ولا تصيروا أحزاباً، قال تعالى: **وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** [آل عمران: 103]. ثم قال للمسلمين: يا أهل المدينة: إنني أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن إليكم الخلافة من بعدي، وإنني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا، حتى يقضى الله في قضاءه، ولأدعن هؤلاء الخوارج وراء بابي، ولا أعطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين أو دنيا، حتى يكون الله هو الصانع في ذلك ما أحب، وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباهاً لهم، فجلسوا على باب عث

(1) تاريخ الطبري (379/5، 380).

(2) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 278، 279.

مان عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار (1) حتى أتاه أجله.

### سابعاً: استشهاد عثمان :

وفضلاً عن تحرك جيوش الأمصار منها لنجدة الخليفة، فقد كانت أيام الحج تتقضي سريعاً وتوشك جماعات من هؤلاء أن تزحف إلى المدينة لنجدة الخليفة، وبخاصة مع وجود عبد الله بن عباس وعائشة وغيرهما من المدافعين عن عثمان، وقدمت الأخبار إلى المتمردين بأن أهل الموسم يريدون نصرة عثمان، فلما أتاها ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار إليهم أعلقهم (2) الشيطان وقالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا (3).

### 1- آخر أيام الحصار وفيه الرؤيا:

وفي آخر أيام الحصار - وهو اليوم الذي قتل فيه- نام فأصبح يحدث الناس: ليقتلني القوم (4)، ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: يا عثمان ما أفطر عندنا، فأصبح صائماً وقتل من يومه (5).

### 2- صفة قتله:

هاجم المتمردون الدار فتصدى لهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، فنشأ بقتال فناداهم عثمان: الله الله، أنتم في حل من نصرتي، فأبوا، ودخل غلمان عثمان لنصروه، فأمرهم ألا يفعلوا؛ بل إنه أعلن أنه من كف يده منهم فهو حر (6) وقال عثمان في وضوح وإصرار وحسم، وهو الخليفة الذي تجب طاعته: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه (7) ولا تبرير لذلك إلا بأن عثمان كان واثقاً من استشهاده بشهادة النبي ﷺ له بذلك، ولذلك أراد ألا تراق بسببه الدماء، وتقوم بسببه فتنة بين المسلمين (8) وكان المغيرة بن الأحنس بن شريق فيمن حج ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل، ودخل الدار يحمي عنه وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت؟ فأقدم المتمردون على حرق الباب والسقيفة، فثار أهل الدار - عثمان يصلي - حتى منعوهم، وقاتل المغيرة بن الأحنس والحسن بن علي ومحمد بن طلحة وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم وأبو هريرة، فأبلوا أحسن البلاء وعثمان يرسل إليهم في الانصراف دون قتال، ثم ينتقل إلى صلاته، فاستفتح قوله تعالى: **طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى** [طه: 3-1] وكان سريع القراءة، فما أزعجه ما سمع، ومضى في قراءته ما يخطئ وما يتعنع،

(1) تاريخ الطبري (399/5، 400).

(2) أعلقهم: أي وسوس لهم وزين لهم أقوالهم وأفعالهم.

(3) تاريخ الطبري (402/5).

(4) الطبقات لابن سعد (75/3)، فتنة مقتل عثمان (172/1).

(5) الطبقات (75/3)، الخبر حسن لغيره. فتنة مقتل عثمان (175/1).

(6) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 282، البداية والنهاية (190/7).

(7) العواصم من القواصم، ص 133.

(8) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 283.

حتى إذا أتى إلى نهايتها قبل أن يصلوا إليه ثم دعا فجلس وقرأ: **«قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْدِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ»** [آل ع مران: 137].

وأصيب يومئذ أربعة من شبان قریش وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم<sup>(1)</sup>، وقتل المغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي<sup>(2)</sup>، وزیاد الفهري، واستطاع عثمان أن يقتنع المدافعين عنه، وألزمهم بالخروج من الدار، وخلق بينه وبين المحاصرين، فلم يبق في الدار إلا عثمان وآله، وليس بينه وبين المحاصرين مدافع ولا حام من الناس، وفتح باب الدار<sup>(3)</sup>.

وبعد أن خرج من في الدار ممن كان يريد الدفاع عنه، نشر المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه وكان إذ ذاك صائماً، فإذا برجل من المحاصرين لم تسمه الروايات يدخ ل عليه، فلما رآه عثمان قال له: بيني وبينك كتاب الله<sup>(4)</sup>، فخرج الرجل وتركه، وما إن ولي حتى دخل آخر، وهو رجل من بني سدوس، يقال له: الموت الأسود، فخنقه وخنقه قبل أن يضرب بالسيف، فقال: والله ما رأيت شيئاً أليّن من خنقه، لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان<sup>(5)</sup> تردد في جسده، ثم أهوى إليه بالسيف، فاتقاه عثمان بيده فقطعها، فقال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت المفصل<sup>(6)</sup>؛ وذلك أنه كان من كتبة الوحي، وهو أول من كتب المصحف من إملاء رسول الله ﷺ، فقتل والمصحف بين يديه، وع ل أثر قطع اليد انتضح الدم على المصحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قو ل تعالى:

**«فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»**<sup>(7)</sup> [البقرة: 137].

وفي رواية: إن أول من ضربه رجل يسمى رومان اليماني، ضربه بصولجان، ولما دخلوا عليه ليقتلوه أنشد قائلاً:

أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع  
لعاد ملاذاً في البلاد ومرتقى

وقال أيضاً:

ببيت أهل الحصن والحصن مغلق  
ويأتي الجبال في شماريخها<sup>(8)</sup> العلي<sup>(9)</sup>

ولما أحاطوا به قالت امرأته نائلة بنت الفرافصة: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيى الليل بركة يجمع فيها القرآن<sup>(10)</sup>. وقد دافعت نائلة عن زوجها عثمان وانكبت عليه واتق

(1) فتنة مقتل عثمان (169/1)، تاريخ الطبري (404/5) رواية صحيحة.

(2) الخلفاء الراشدون للخلافة، ص 184، 185، البداية والنهاية (196/7).

(3) فتنة مقتل عثمان (188/1).

(4) تاريخ الطبري (405/5، 406).

(5) تاريخ ابن خياط، ص 174، 175، إسناده صحيح أو حسن.

(6) تاريخ الطبري (398/5).

(7) المصدر نفسه (398/5) الخير له طرق عديدة بمجموعها يرتقي إلى درجة الحسن لغيره.

(8) شماريخها: رؤوسها (لسان العرب 31/3).

(9) فتنة مقتل عثمان (191/1)، البداية والنهاية (192/7).

(10) الطبقات (76/3)، فتنة مقتل عثمان (191/1).



ت السيف بيدها، فتعمدها سودان بن حمران ونضح أصابعها فقطع أصابع يدها، وولت، فغمز أوراكها<sup>(1)</sup>.

ولما رأى أحد غلمان عثمان الأمر، راعه قتل عثمان، وكان يسمى (نجيح) فهجم نجح على سودان بن حمران فقتله، ولما رأى قتيبة بن فلان السكوني نجحاً قد قتل سودان، هجم على نجح فقتله، وهجم غلام آخر لعثمان اسمه (صبيح) على قتيبة بن فلان فقتله، فصار في البيت أربعة قتلى شهيدان، ومجرمان، أما الشهيدان: فعثمان وغلامه نجح، وأما المجرمان فسودان وقتيبة السكونيان، ولما تم قتل عثمان نادى مناد القوم السبئيين ين قاتلاً: إنه لم يحل لنا دم الرجل ويحرم علينا ماله، ألا إن ماله حلال لنا، فانهبوا ما في البيت، فعاث رعا السبئيين في البيت فساداً، ونهبوا كل ما في البيت، حتى نهبوا ما على النساء، وهجم أحد السبئيين ويدعى كلثوم التجيبي على امرأة عثمان (نائلة) ونهب الملاءة التي عليها، ثم غمز وركها، وقال لها: ويح أمك من عجيذة ما أتمك، فراه غلام عثمان (صبيح) وسمعه وهو يتكلم في حق نائلة هذا الكلام الفاحش، فعلاه بالسيف فقتله<sup>(2)</sup>، وهجم أحد السبئيين على الغلام فقتله، وبعدما أتم السبئيون نهب دار عثمان، تتادوا وقالوا: أدركوا بيت المال، وإياكم أن يسبقكم أحد إليه، وخذوا ما فيه، وسمع حراس بيت المال أصواتهم، ولم يكن فيه إلا غرارتان من طعام فقالوا: انجوا بأنفسكم، فإن القوم يريدون الدنيا، واقتحم السبئيون بيت المال وانتهبوا ما فيه<sup>(3)</sup>.

حقق الخوارج السبئيون مرادهم، وقتلوا أمير المؤمنين، وتوقف كثير من أتباعهم من الرعا والغوغاء بعد قتل عثمان ليفكروا، وما كانوا يظنون أن الأمر سينتهي بهم إلى قتله، لقد استغفلهم شياطينهم السبئيون، واستغلوهم في الشغب على عثمان، أما أن يقتلوه فهذا ما استقطعوه واستشنعوه، وسقط في أيدي هؤلاء الغوغاء، وحصل لهم كما حصل لبني إسرائيل لما عبدوا العجل، ندم بعضهم، كما قال الله تعالى: **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ دَلِيلِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**<sup>(4)</sup> [الأعراف: 148، 149] وحزن الصالحون في المدينة لمقتل خليفتهم، وصاروا يسترجعون ويبكون، لكن ماذا يفعلون وجيوش الخوارج السبئيين تحتل المدينة، وتعيث فيها فساداً، وتمنع أهلها من فعل أي شيء؟ وكان الحاكم الفعلي للمدينة هو أمير خوارج مصر (الغافقي بن حرب العكي)، وكان معهم شيطانهم المخطط (عبد الله بن سبأ) وهو فرح مسرور لما وصل إليه من أهداف ومآرب يهودية شيطانية.

وعلق كبار الصحابة على مقتل عثمان<sup>(5)</sup> :

أ- الزبير بن العوام : لما علم بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون، فقيل له: إن القوم نادمون، فقال: دبروا ودبروا، ولكن كما قال الله تعالى: **وَوَ**

(1) تاريخ الطبري (406/5، 407).

(2) المصدر نفسه (407/5).

(3) المصدر نفسه (407/5).

(4) البداية والنهاية (197/7، 198).

(5) الخلفاء الراشدون للخلافي، ص 190. البداية والنهاية (197/7).

حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ" [سبأ: 54].

ب- طلحة بن عبيد الله : لما علم بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون، فقيل له: إن القوم نادمون قال: تباً لهم، وقرأ قوله تعالى: **وَمَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**" [يس: 49، 50].

ج- علي بن أبي طالب : لما علم بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون، قيل له: إن القوم نادمون، فقرأ قوله تعالى: **وَكَمْثَلُ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ مَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**" [الحشر: 16، 17].

د- سعد بن أبي وقاص : ولما علم سعد بذلك قال: رحم الله عثمان، ثم تلا قوله تعالى: **وَقُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَدِّ يَأْتِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا ذَقِيمَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَأَوْا ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا** [الكهف: 103-106] ثم قال سعد: اللهم اندمهم واخرهم واخذلهم، ثم خذهم. (1) واستجاب الله دعوة سعد -وكان مستجاب الدعوة- فقد أخذ كل من شارك في قتل عثمان، مثل عبد الله بن سبأ، والغافقي والأشتر، وحكيم بن جبلة، وكنانة التجبي، حيث قتلوا فيما بعد (2).  
ثامناً: تاريخ قتله، وسنه عند استشهاده، وجنازته والصلاة عليه ودفنه:

### 1- تاريخ قتله:

إن في تحديد السنة التي قتل فيها عثمان شبه إجماع من المؤرخين، فلم يقع خلا ف في أنه كان في السنة الخامسة بعد الثلاثين من الهجرة، إلا ما روي عن مصعب بن عبد الله من أنه كان من السنة السادسة والثلاثين (3)، وهو قول شاذ مخالف للإجماع، فمن قال بالقول الأول جمع غفير منهم: عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعامر بن شرحبيل الشعبي، ونافع مولى ابن عمر، ومخرمة بن سليمان، وغيرهم كثير. (4) ولم يختلف المؤرخون في الشهر الذي قتل فيه وأنه ذو الحجة، إلا أنه اختلف في تحديد ما بعد ذلك من اليوم والساعة، والذي ترجح لدي من أقوال العلماء الكثيرة أنه استشهد في (18/12/35هـ). (5) وأما عن تحديد اليوم الذي قتل فيه من أيام الأسبوع ففيه ثلاثة أقوال، والذي ترجح لدي من هذه الأقوال قول الجمهور، وهو يوم الجمعة؛ لأنه قول الجمهور ولا يخالفه قول أ

(1) تاريخ الطبري (407/5، 408)، البداية والنهاية (189/7).

(2) الخلفاء الراشدون للخالد، ص 192.

(3) تاريخ الطبري (435/5، 436).

(4) فتنة مقتل عثمان (193/1، 194).

(5) تاريخ الطبري (435/5).

قوى منه<sup>(1)</sup> وكان وقت قتله صبيحة يوم الجمعة، وهو ما ذهب إليه الجمهور، ولم يخالف بأقوى منه<sup>(2)</sup>.

### 2- سنه عند استشهاده:

اضطربت الروايات في سنه عند استشهاده والخلاف في ذلك قديم، حتى إن الطبري -رحمه الله- يقول: اختلف السلف قبلنا في قدر مدة حياته<sup>(3)</sup>، والذي أميل إليه أنه توفي و سنه اثنتان وثمانون (82 سنة)، وهو قول الجمهور، ويترجح هذا القول لعدة أسباب، منه<sup>1</sup>:

أ- أن نتيجة مقارنة سنة ولادته مع سنة استشهاده تؤيد هذا القول؛ فإنه ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل، واستشهد في السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة، فطرح تاريخ مولده من تاريخ استشهاده يتبين لنا سنه عند استشهاده.  
ب- إنه قول الجمهور ولم يخالفه قول أقوى منه<sup>(4)</sup>.

### 3- جنازته والصلاة عليه ودفنه:

قام نفر من الصحابة في يوم قتله بغسله وكفونه وحملوه على باب، ومنهم: حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، وجبير ابن مطعم، والزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب، وجماعة من أصحابه ونسائه، منهن امرأته نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيان، وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل: الزبير بن العوام، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: مروان بن الحكم، وقيل: المسور بن مخرمة<sup>(5)</sup>، والذي ترجح عندي أن الذي صلى عليه الزبير بن العوام لرواية الإمام أحمد في مسنده؛ فقد بينت تلك الرواية أن الزبير بن العوام صلى على عثمان ودفنه، وكان أوصى إليه<sup>(6)</sup> وقد دفن ليلاً، وقد أكد ذلك ما رواه ابن سعد والذهبي؛ حيث ذكر أنه دفن بين المغرب والعشاء<sup>(7)</sup>، رضوان الله عليه، وأما ما رواه الطبراني من طريق عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكا يقول: قتل عثمان فأقام مطروحا على كناسة بندي فلان ثلاثا<sup>(8)</sup>، فالرواية السابقة ضعيف سندها، وباطل متنها، فأما السند ففيه علتان:

أ- ضعف عبد الملك بن الماجشون الذي كان يروي المناكير عن الإمام مالك.

ب- أن هذه الرواية مرسله؛ حيث إن الإمام مالكا لم يدرك مقتل عثمان، لأنه لم يولد إلا سنة 93هـ<sup>(9)</sup>.

وأما متن هذه الرواية فباطل، وفيه يقول ابن حزم: من قال إنه أقام مطروحا على

(1) المصدر نفسه (436/5).

(2) المصدر نفسه (437/5).

(3) المصدر نفسه (438/5).

(4) فتنة مقتل عثمان (204/1).

(5) البداية والنهاية (199/7).

(6) الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد (555/1)، رجال الإسناد ثقات إلا إنه منقطع.

(7) الطبقات (78/3)، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء)، ص 481.

(8) المعجم الكبير (78/1)، استشهد عثمان، ص 194.

(9) التهذيب، ابن حجر (408/6).

ى مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت، وإفك موضوع، وتوليد من لا حياء في وجهه، ولقد أمر رسول الله ﷺ برمي أجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر في القليب، وألقى التراب عليه م وهم شر خلق الله تعالى، وأمر عليه السلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة، وهم شر من وارثه الأرض، فمؤارة المؤمن والكافر فرض على المسلمين، فكيف يجوز لذي حياء في وجهه أن ينسب إلى علي وهو الإمام، ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا ر جلا ميتا بين أظهرهم على مزبلة ثلاثة أيام لا يوارونه<sup>(1)</sup>.

إنه لا يدخل في عقل أي إنسان سليم من داء الرفض أنهم يتركون إمامهم ملقى دون دفن ثلاثة أيام، مهما كانت قوة أولئك الفجرة الذين جاءوا لحصاره وقتله، فالص حابة كما وصفهم ربهم لا يخافون في الله لومة لائم، وإنما تلك الروايات التي شوهت كتب التاريخ من دس الروافض<sup>(2)</sup>.

#### 4- براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان :

إن قاتل عثمان رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وبيئت أنه سدوس ي الأصل، أسود البشرة، لقب بـ (جبله) لسواد بشرته، كما لقب أيضا بـ (الموت الأسود)، وذهب محب الدين الخطيب إلى أن القاتل: هو عبد الله بن سبأ حيث قال: ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة، وهو في كل الأدوا ر التي مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار، فلعل (الموت الأسود) اس م مستعار له أراد أن يرمز به إليه ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام<sup>(3)</sup>. وقد يشه دله: أن ابن سبأ أسود البشرة، فقد صح عن علي أنه وصفه بالخبث وسواد البشرة، وذلك في قوله: الخبيث الأسود<sup>(4)</sup>.

وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاء ت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري<sup>(5)</sup>. وقد ذكر الدكتور يحيى اليجي عدة أسباب ترجح براءة م حمد بن أبي بكر من دم عثمان، منها:

أ- أن عائشة رضي الله عنها- خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنن عليه لما قتل فيما بعد، وسيأتي تفصيله عند حديثنا عن علي بن أب ي طالب بإذن الله تعالى.

ب- لعن علي لقتلة عثمان وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبيهم وتولييتهم، وقد ولي محمد بن أبي بكر مصر، فلو كان منهم ما فعل ذلك.

ج- ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قالت: هل أند ي محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أذ

(1) الفصل (239/4، 240).

(2) عقيدة أهل السنة (1091/3).

(3) العواصم من القواصم، نقلا عن فتنة مقتل عثمان (207/1).

(4) لسان الميزان (290/3).

(5) فتنة مقتل عثمان (209/1).

ي لست بصاحبي فخرج، ولم يند من دمه بشيء<sup>(1)</sup>.  
 ويشهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجال ثقات عن الحسن البصري  
 ري - وكان ممن حضر يوم الدار<sup>(2)</sup> - أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت  
 مني مأخذا أو قعدت مني مقعدا، ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه<sup>(3)</sup>.  
 وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان، براءة الذئب  
 من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمة هو دخوله قبل القتل<sup>(4)</sup>. وقد ذكر ابن كثير - رحمه  
 الله - أنه لما كلمه عثمان استحي، ورجع، وتندم، وغطى وجهه، وحاجز دونه فلم  
 تفد محاجزته<sup>(5)</sup>.

\* \* \*

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 243.  
 (2) المصدر نفسه، ص 244، تهذيب الكمال، (97/6).  
 (3) مرويات أبي مخنف، ص 244.  
 (4) فتنة مقتل عثمان (209/1).  
 (5) البداية والنهاية (193/7).

## المبحث الرابع

### موقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنهم

شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنه مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين، فالمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي وابن أعثم، وغيرهم من الإخباريين يشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته فاستحق ما استحقه، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان والمؤيد بين ضده. ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف؛ فعمرو بن العاص يقدم لمدينة ويأخذ في الطعن على عثمان، وقد كثرت الروايات الرافضية التي تنتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة وأثاروا الناس، وهذا كله كذب وزور ر. (1) وخلافاً للروايات الرافضية والموضوعة والضعيفة، فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمد الله- الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان والمنافدين عنه،

المتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة أو إثارتها (2).

إن الصحابة جميعاً رضي الله عنهم- أبرياء من دم عثمان، ومن قال خلاف ذلك فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلى مرتبة الصحة، ولذلك أخر ج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً (3) من أهل مصر. وقال الإمام النووي: ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل سفلت الأطراف والأراذل، تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصره حتى قتلوه (4).

وقد وصفهم الزبير بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم ذُرَّاع القبائل (5) ووصفهم ابن سعد بأنهم حثالة الناس متفقون على الشر (6) ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون باغون معتدون (7) ووصفهم الذهبي بأنهم رؤوس شر وجفاء (8). ووصفهم ابن العماد الحنبلي في الشذرات بأنهم أراذل من أوباش القبائل (9).

(1) تحقيق مواقف الصحابة (14/2-18).

(2) المصدر نفسه (18/2).

(3) العليج: كل جاف شديد من الرجال.

(4) شهيد الدار.. عثمان بن عفان، أحمد الخروف، ص148.

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (148/5)، كتاب فضائل الصحابة.

(6) تحقيق مواقف الصحابة (481/1)، طبقات ابن سعد (71/3).

(7) منهاج السنة (206-189/3).

(8) دول الإسلام للذهبي (12/1).

(9) تحقيق مواقف الصحابة (482/1)، شذرات الذهب (40/1).

ويشهد على هذا الوصف تصرف هؤلاء الرعايا منذ الحصار إلى قتل الخليفة ظلما وعدوانا، فكيف يمنع الماء عنه والطعام وهو الذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجان<sup>(1)</sup>، وهو الذي ساهم بأموال كثيرة عندما يلم بالناس مجاعة أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب الناس ضائقة أو شدة من الشدائد؟<sup>(2)</sup> حتى إن عليا يصف هذا الحال وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيها الناس، إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة (الطعام)؛ فإن الروم وفارس لتأسر وتطعم وتسقي<sup>(3)</sup>. لقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ على براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده<sup>(4)</sup>. وإليك أقوال الصحابة في البراءة من دم عثمان:

أولاً: ثناء أهل البيت على عثمان وبراءتهم من دمه:

#### 1- موقف السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أ- عن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة: وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدا عند نبي الله، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهري إليه، وإن جبريل -عليه السلام- ليوحى إليه القرآن وإنه ليقول: «**اكتب عثمان**»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله<sup>(5)</sup>.

ب- وعن مسروق، عن عائشة قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تدبونه كما يذبح الكباش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسوءاء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا<sup>(6)</sup>. وقد مر معنا كذب السبنيين، وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوا كذبا وزورا للسيدة عائشة رضي الله عنها.

ج- ولما سمعت بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتسترت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس، إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب<sup>(7)</sup>، واستعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أسنانهم قبله، وموضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا غدرا خلجوا<sup>(8)</sup>، وبادروا بالعدوان، ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام.

(1) تحقيق مواقف الصحابة (482/1)، البخاري، كتاب مناقب عثمان (202/4).

(2) التمهيد والبيان، ص 242.

(3) تاريخ الطبري (400/5).

(4) تحقيق مواقف الصحابة (18/2).

(5) تحقيق مواقف الصحابة (378/1)، المسند (205/6-261)، البداية والنهاية (219/7).

(6) فتنة مقتل عثمان (391/1)، تاريخ خليفة، ص 176، إسناد صحيح إلى عائشة.

(7) الأرب: الحاجة والدهاء والفتنة والعقل.

(8) خلجوا: تحرکوا واضطربوا.



رام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة<sup>(1)</sup> من اجتماعكم عليه حتى يذُكَل<sup>(2)</sup> بهم غيرهم، ويشرد<sup>(3)</sup> من بعدهم، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، أو الثوب من دَرِّ نه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء<sup>(4)</sup>.

وعلى العكس من الصورة الطيبة التي نفهمها من الروايات السابقة الموثوقة للعلاقة بين أم المؤمنين عائشة وعثمان، فإنه تبقى عند الطبري وغيره روايات أخرى صورت علاقة بين عائشة وعثمان على صورة متناقضة تماماً لما انتهينا إليه، وشوهدت الدور الـ رائع الناصع الواعي الذي قامت به رضي الله عنها، دفاعاً عن حرمان الله عز وجل، ودفعاً عن عثمان، وفهماً للأعيب السبئية<sup>(5)</sup>.

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد، وفي الأغاني، وتاريخ البعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها- في حياة عثمان بن عفان، إن جميع ما تؤدي إليه استدلالات تدين الموقف السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها- لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة، وقيامها على روايات واهية<sup>(6)</sup>؛ فأغلبها روايات غير مسندة، والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته، هذا إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكث ر صحة وقرباً بالحقيقة<sup>(7)</sup>. وقد قامت السيدة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره وبينت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً -كما ذكرت أنفاً- لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُمى أصحابها بالتشيع والـ كذب والرفض لكننا عرضنا لها لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سق وطها، فهي روايات -كما اتضح لنا- حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف، والتكرار بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابية جميعاً<sup>(8)</sup>. ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان - لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين، لكن لم يصح عنها رضي الله عنها- شيء من هذا، وإذا ه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها- من مقتل عثمان فهي روايات كفيفة بإسقاط العدالة عن عائشة رضي الله عنها، وعن الصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالة تهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا أمام الروايات تأكيداً منا على سق وط هذه الرواية ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية والعلمية

(1) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.

(2) ينكل بهم غيرهم: حتى يردعهم ويروع بهم غيرهم.

(3) يشرد: يفرق، ويبدد جمعهم.

(4) تاريخ الطبري (473/5، 474).

(5) دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، ص 352.

(6) انظر أيضاً في هذه الاستدلالات الباطلة: العقاد، الصديقة بنت الصديق، ص 116-124.

(7) دور المرأة السياسي، ص 370.

(8) المصدر السابق، ص 370.

ة والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها بعضاً<sup>(1)</sup>.

## 2- علي بن أبي طالب :

كان علي وآل البيت يجلسونه ويعترفون بحقه فكان:

أ- أول من بايعه بعد عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب<sup>(2)</sup>. وعن قيس بن عبد اد قال: سمعت علياً وذكر عثمان فقال: هو رجل قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»<sup>(3)</sup>.

ب- وقد شهد له بالجنة، فعن النزال بن سبرة قال: سألت علياً عن عثمان فقال: ذاك امرؤ يدعى في المأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضُمن له بيت في الجنة<sup>(4)</sup>.

ج- وكان طائعاً معترفاً بإمامته وخلافته، لا يعصي له أمراً؛ فقد روى ابن أبي شعبة بإسناده عن ابن الحنفية عن علي: قال لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعته<sup>(5)</sup> والصرار: هو الخيط الذي تشد به التوادي على أطراف الناقة لئلا يرضعها ولدها<sup>(6)</sup>، وفيه دليل على مدى اتباعه وطاعته لعثمان رضي الله عنهما<sup>(7)</sup>.

د- ولما جمع عثمان الناس على قراءة واحدة بعد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم وإجماعهم على ذلك، قال علي: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع<sup>(8)</sup>.

هـ- ولقد أنكر علي قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع<sup>(9)</sup>، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما<sup>(10)</sup> وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه<sup>(11)</sup> وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على عليٍّ وافتراء عليه، فعلي لم يشك أرك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روى عنه ذلك وهو الصادق البار<sup>(12)</sup> وقد

- (1) دور المرأة السياسي، ص 371.
- (2) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم (3700).
- (3) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (2401).
- (4) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 227، المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري، مخطوط بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية، وقد طبع هذا الكتاب عن طريق دار الحديث.
- (5) السنة للخلال (325/1)، رقم (416) إسناده صحيح.
- (6) لسان العرب (451/4).
- (7) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 227.
- (8) السنن للبيهقي (42/2).
- (9) البداية والنهاية (202/7).
- (10) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 229، حق اليقين لعبد الله شبر، ص 189.
- (11) المستدرک (103/3).
- (4) منهاج السنة (406/4).

قال علي : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان.(1) وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاعوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَانِكَةُ»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دُفِنَ رجوع الناس، فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى.(2) وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المبرد(3) قال: فرفع يده حتى بلغ بهما وجهه، فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً.(4) وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثاً.(5) وجاء عنه أيضاً أنه قال : من تبرأ من دين عثمان مان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت(6).

و- وقال علي عن عثمان : «... كان أوصلنا للرحم، وأتقانا للرب تعالى»(7).

ز- وعن أبي عون قال: سمعت محمد بن حاطب قال: سألت علياً عن عثمان فقال: هو من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا. ولم يختم الآية(8).

ح- عن عميرة بن سعد قال: كنا مع عليٍّ على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله عز وجل: «وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَدَاتُ فِي الْبَحْرِ كَأَلْأَعْلَامِ» [الرحمن: 24] والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله(9).

ط- وروى الإمام أحمد في مسنده، عن محمد بن حاطب قال: سمعت علياً يقول: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهُ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» [الأنبياء: 101] منذ هم عثمان(10)، وقال علي : إنما وهنت يوم قتل عثمان(11). وقد اعتنى الحافظ ابن عساکر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثرة ر من أئمة الحديث(12).

- (1) العقيدة في أهل البيت، ص 230، إسناده حسن.
- (2) المستدرک (95/3) حديث صحيح علي شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
- (3) موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.
- (4) فضائل الصحابة (555/1)، رقم (733) إسناده صحيح.
- (5) الطبقات (82/3)، البداية والنهاية (202/7).
- (6) الرياض النضرة، ص 543.
- (7) صفة الصفوة (306/1).
- (8) فضائل الصحابة (580/1)، إسناده صحيح.
- (9) المصدر نفسه (559/1، 560) إسناده لغيره، رقم: (379).
- (10) المصدر نفسه (580/1)، رقم 771 إسناده صحيح.
- (11) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (61/5).
- (12) البداية والنهاية (193/7).

## 3- عبد الله بن عباس :

روى الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس أنه قال: لو اجتمع الناس على قتل عثمان لم رموا بالحجارة كما رمى قوم لوط. (1) وقال في مدح عثمان وذم من ينتقصه: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة وأفضل البررة، هجّاداً بالأسفار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهّاضاً عند كل مكرمة، سباقاً إلى كل محنة، حبيباً أبيعاً وفيّاً، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله ﷺ، فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين (2).

## 4- زيد بن علي رحمه الله:

روى ابن عساكر بإسناده إلى السدي قال: أتيت -أي زيد- وهو في بارق حي من أحياء الكوفة، فقلت له: أنتم سادتنا وأنتم ولّاء أمورنا، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: تو لهما، وكان يقول البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي، والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان (3).

## 5- علي بن الحسين رحمه الله:

وقد ثبت عن علي بن الحسين البراءة من قول الرافضة في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقد روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين أنه قال: جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان فقال لهم: أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين **وَالَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**؟ [الحشر: 8] قالوا: لا، قال: فأنتم من الذين **تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**؟ [الحشر: 9] قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتهم وشهدتكم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله -عز وجل- فيهم: **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا** [الحشر: 10]، فقوموا عني، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزون بالإسلام، ولستم من أهله (4).

## ثانياً: موقف عمار بن ياسر :

جاء في الروايات التاريخية التي تحمل في طياتها غثاً وسميناً أن هناك خلافاً بين عمار وعثمان رضي الله عنهما، وقد خطم بعضها بأسانيد، وأخرى لا خطام لها ولا زمام، ولم أجد من أغنى فيه بحثاً وتحليلاً إلا لَمَاماً، والتعرض لمثل هذا الموضوع الذي يمس كرامة أظهر خلق الله وأحبهم إليه وإلى نبيه، لا يمكن معه الاعتماد على روايات تسرح فيه أعراض الصدحابة كما تشاء وتمرح من غير زمام أو خطام (5) ومن التهم الساقطة التي ساققتها الروايات الضعيفة:

- (1) فضائل الصحابة (563/1)، رقم (746).
- (2) العقيدة في أهل البيت، ص 234، مروج الذهب للمسعودي (64/3).
- (3) العقيدة في أهل البيت، ص 335، تهذيب تاريخ دمشق (21/6).
- (4) العقيدة في أهل البيت، ص 236، البداية والنهاية (112/9)، الجامع لأحكام القرآن (31/18، 32).
- (5) عمار بن ياسر، أسامة أحمد سلطان، ص 122.

## 1- ضرب عمار بن ياسر:

تعتبر الروايات التي تحدثت عن ضرب عثمان لعمار من أشهر الروايات في هذا الموضوع وأكثرها، ولقد تقفن واضعوها في ذكر الأساليب التي استخدمها عثمان بالاضرب، وفي ذكر ما نتج عنه، وهي مع فساد أسانيدها تحمل نكارة شديدة في متونها. (1) يقول القاضي أبو بكر بن العربي في عواصمه ضمن تقنيده لما نسب إلى عثمان من افتراءات: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فثق أمعاءه ما عاش أبدا، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشغل بها؛ لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا نذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له. (2) إن أخلاق عثمان في سنه وإيمانه وحيائه ولين عريكته ورقة طبعه وسابقته وجليل مكانته في الإسلام أجل من أن تنزل به إلى هذا الدرك من التصرف مع رجل من أجلاء أصحاب النبي x، يعرف له عثمان سابقته وفضله مهما كان بينهما من اختلاف في الرأي، أفيرضى عثمان لنفسه وهو الذي أبى على الناس أن يقاتلوا دونه، ورضى بالموت صابرا محتسبا حقنا لدماء المسلمين واتقاء للفتنة العامة، أفيرضى أن يصنع بعمار - وهو أعلم بسابقته وفضله في الإسلام - ما ذكرت الروايات المزعومة بأنه أمر غلمان به أن يضربوه حتى أغمى عليه، ثم يقوم عثمان في هذه الحال فيطأه في بطنه؟ ثم هل ترضى أخلاق عثمان وحيأؤه بأن يدعو بدعوة الجاهلية فيعير عمارا بأمة سمية وهي من أهل السابقة والفضل، وعثمان يعرف شرف انتساب عمار إلى أمه سمية رضي الله عنها، أول شهيدة في الإسلام؟

كلا إن الأخبار الصحيحة والموثوقة لا يوجد فيها ما يدني عثمان من هذا الأسلوب المنحط في الزجر والتأديب، علاوة على أن أخلاقه وطبيعته وسيرته تستبعد ذلك تماما، ومما لا شك فيه أن عرض أمثال تلك الروايات الموضوعية على ما عرف من مواقف وأخلاق أولئك الأئمة الأعلام، والأخذ بالاعتبار بمقاييس ذلك العصر ومعاييره لهو أصدق ميزان في النقد لكشف دخائل الموضوعين والمفترين. (3)

## 2- اتهام عمار بالمساهمة في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان:

اعتمد المؤرخون في نسبة هذه الافتراءات إلى عمار على روايات لم تسلم إحداها من الطعن في صحة أسانيدها أو في استقامة متونها، وتتنوع التهم المنسوبة إلى عمار في تحريكه لأمر الفتنة، وتحريضه على عثمان، وسعيه بين العامة للتمرد عليه، فمذها ما يذكر من إرسال عثمان له إلى مصر لاستجلاء ما يحدث فيها مما نقل إليه عن تمرد العامة هناك، وأن السببيين استطاعوا استقطاب عمار والتأثير عليه. وهذا الخبر الذي يرويهِ الطبري (4) فيه شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي راوية كتب سيف، فيه جهالة، وقال عنه الراوي: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار، فيها بعض النكارة، وفيها ما فيه من تحامل على السلف. (5) ورواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة وفيه شيخ عمر: علي

(1) عمار بن ياسر، أسامة أحمد سلطان، ص 122.

(2) العواصم من القواصم، ص 82-84.

(3) الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان، ص 14-41، عمار بن ياسر، ص 137.

(4) تاريخ الطبري (348/5).

(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص 30.

بن عاصم، قال عنه ابن المديني: كان على بن عاصم كثير الغلط، وإذا رد عليه لم يرجع ، وكان معروفًا في الحديث، ويروي أحاديث منكرة<sup>(1)</sup>، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء<sup>(2)</sup>، وقال مرة: كذاب ليس بشيء<sup>(3)</sup>، وقال النسائي: متروك الحديث<sup>(4)</sup>، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم، يتكلمون فيه<sup>(5)</sup>، وهناك من تلطف بالكلام عليه وقال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ ويصر، ورمي بالتشيع<sup>(6)</sup>. وخبرٌ هذا حال إسناده لا يمكن الاطمئنان إليه لاسيما ما عرف عن عمار من الورع الذي يربأ به عن الانغماس في مثل تلك الأودال، التي ما عهدنا مرتادا لها إلا سببها يهوديا حاقدا، ومعاذ الله أن يصل الحال بصحابي من صحابة النبي ﷺ إلى هذا المستوى، يقول خالد الغيث: وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلا عن عدم وروده من طريق صحيح<sup>(7)</sup>.

ومن الروايات الباطلة في هذا الباب ما نسب إلى سعيد بن المسيب، وفيها أن الـ صحابة بمجملهم نعموا على عثمان مع من نعم، وحققوا عليه، وخاصة أبا ذر واد ن مسعود وعمار بن ياسر<sup>(8)</sup> رضي الله عنهم. وآفة هذه الرواية أن فيها تدليسا ليس من النوع الممكن إقراره والتجاوز عنه، فقد أسقط منها راوٍ متهم بالوضع والكذب وهو إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله، ولذلك جاء تضعيف علماء الحديث لهذه الرواية، وبيان زيفها عند ترجمتهم لمحمد بن عيسى بن سميع راوي الخبر عن ابن أبي ذئب، يقول الإمام البخاري عن ابن سميع: يقال إنه لم يسمع من ابن أبي ذئب هذا الحديث، يعني حديثه عن الزهري في مقتل عثمان. ويقول ابن حبان: إن ابن سميع لم يسمع مع حديثه من ابن أبي ذئب، وإنما سمعه من إسماعيل بن يحيى، فدلس عنه. وقال الـ حاكم: أبو محمد يعني ابن سميع - روى عن ابن أبي ذئب حديثا منكرا وهو حديث م قتل عثمان، ويقال: كان في كتابه عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب فأسقطه، وإسماعيل ذاهب الحديث<sup>(9)</sup>. ويقول الدكتور يوسف العش: والرواية المنسوبة إلى سعيد بن المسيب يجب استبعادها، فهي بعد التحري تظهر موضوعة، فقد نص الحاكم النيسابوري أن أحد رجال سندها قد أسقط من السند رجلا واهيا، وأنها منكرة، والواقع أنها لا تنبئ عن الاحترام الذي يكنه سعيد بن المسيب للصحابة في أقواله الأخرى الصحيحة<sup>(10)</sup>.

### 3- براءة عمار من دم عثمان رضي الله عنهما:

وما يروى في ذلك اتهام مسروق وأبي موسى لعمار بذلك عند قدومه مع الحسد ن لاستتفار أهل الكوفة، وهذه الرواية قد وهي إسنادهما بشعيب المجهول، وسيف المعلول ، كما أن الرواية التي في صحيح البخاري لا تذكر شيئا من ذلك، فزيادتها لا تحتل القبول، لاسيما مع طعنها في صحابي مثل عمار بن ياسر المجار - على لسان النبي ﷺ - م

(1) سير أعلام النبلاء (253/9).

(2) المصدر نفسه (255/9).

(3) المصدر نفسه (257/9).

(4) المصدر نفسه (255/9).

(5) تقريب التهذيب، ص 403.

(6) تقريب التهذيب، ص 403.

(7) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص 86.

(8) تاريخ دمشق (415/39)، عمار بن ياسر، ص 144.

(9) تحقيق مواقف الصحابة (18-16/2)، التاريخ الكبير للبخاري (203/1)، التهذيب (391/9)، تهذيب

ب التهذيب (392/9).

(10) الدولة الأموية (39).

(3) البخاري، رقم (3743).

ن الشيطان<sup>(1)</sup>، والملئ إلى المُشاش من الإيمان<sup>(2)</sup>.

وقد بيّن العلماء بطلان مثل هذا الاتهام الذي لم يختص بعمار فحسب، بل تدهاه إلى مجموعة أخرى من أجلاء الصحابة، يقول ابن كثير: أما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة، بل كلهم كرهه ومقتته وسب من فعله<sup>(3)</sup>. ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: فهذا أشبه ما روي في الباب، وبه يتبين أصل المسألة سلوك سبيل أهل الحق - أن أحدا من الصحابة لم يسع عليه، ولا قعد عنه، ولو استتصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفا بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقى يده إلى المصيبة<sup>(4)</sup>. ويقول: وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا: إن كان فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلباً، وبما جرى عليه راضياً واخترعوا كتاباً فيه فصاحة، وأمثال كتب عثمان به مستصرخاً إلى علي، وذلك كل مصنوع، ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضيين والخلفاء الراشدين، فالذي يدخل من ذلك أن عثمان مظلوم محجوج بغير حجة، وأن الصحابة براء من دمه بأجمعه، لأنهم أتوا إرادته، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً: براءة عمرو بن دم عثمان:

لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ولم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابنه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شاء الله<sup>(6)</sup>. وعندما جاءه الخبر عن مقتل عثمان وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب قال عمرو: أنا أبو عبد الله تكون حرب من حك فيه قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب، إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذا كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف<sup>(7)</sup> تخرج الحق من حافة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسي على مالك      وهل يصرف مالك حفظ القدر؟

أنزع من الحر<sup>(8)</sup> أودى بهم      فأعذرهم أم بقومي سكر

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه، أنعي الحياء والدين حتى قدم دمشق<sup>(9)</sup>.

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو والمتتالية مع شخصيته، وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا،

(2) عمار بن ياسر، ص 147.

(4) العواصم من القواصم، ص 129.

(5) المصدر نفسه، ص 132.

(6) تاريخ الطبري، نقلاً عن عمرو بن العاص، للغضبان، ص 464.

(7) أشاف: جمع أشفى وهو المثقّب.

(8) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.

(9) تاريخ الطبري، نقلاً عن عمرو بن العاص، للغضبان، ص 481.



فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب<sup>(1)</sup>. وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين فأهواوا بعمره إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب<sup>(2)</sup>، وعبد الخالق سيد أبو رابية<sup>(3)</sup>، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمره رضي الله عنهما - بأنهما: انتهازيان صاحباً مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: «... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقدروا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما، ولولاه لما كان بينهما اتفاق»<sup>(4)</sup>.

إن شخصية عمرو بن العاص الحقيقية، أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرته عثمان، وبكى عليه بكاء مرّاً حين قُتل، فقد كان من أقرب أصحابه وخلائقه ومستشاريه، وكان يدخل في الشورى - في عهد عثمان - من غير رولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما - ليتعاونوا معا على حرب قتلة عثمان مان والثار للخليفة الشهيد<sup>(5)</sup>. لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرأوا على حرم رسول الله وقتلوا خليفته على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمرّاً كل همه السلطة والحكم<sup>(6)</sup>.

### رابعاً: من أقوال الصحابة في الفتنة:

#### 1- أنس بن مالك :

قيل لأنس بن مالك: إن حبّ علي وعثمان لا يجتمعان في قلب، فقال أنس: كذبوا، لقد اجتمع جبهما في قلوبنا<sup>(7)</sup>.

#### 2- حذيفة بن اليمان :

عن خالد بن الربيع قال: سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري في نفر فيهم إلى المدائن، قال: ثم ذكر قتل عثمان، فقال: اللهم إني لم أشهد، ولم أقتل، ولم أَرْضَ<sup>(8)</sup>. وأخرج أحمد بن حنبل عن ابن سيرين عن حذيفة قال: لما بلغه قتل عثمان قال: اللهم إنك تعلم برأيتي من دم عثمان، فإن كان الذين قتلوه أصابوا، فإني برئ منهم،

(1) عمرو بن العاص، للغضبان، ص 481.

(2) سفراء النبي ✕، محمود شيت خطاب، ص 508.

(3) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص 316.

(4) عمرو بن العاص للعقاد، ص 231، 232.

(5) عمرو بن العاص للغضبان، ص 489، 490.

(6) المصدر نفسه، ص 492.

(7) تحقيق مواقف الصحابة (25/2)، التهذيب لابن حجر (141/7).

(8) المصدر نفسه (27/2).

وإن كانوا أخطأوا فقد تعلم براءتي من دمه، وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله لحلبنا بذلك لبذًا، وإن كانت أخطأت بقتله لتحتلبن بذلك دمًا، فاحتلبوا بذلك دمًا، ما رفعت عنه م السيوف ولا القتل<sup>(1)</sup>. وروى ابن عساكر عن جندب بن عبد الله -له صحبة- أنه لقي حذيفة فذكر له أمير المؤمنين عثمان فقال: أما إنهم سيقتلونه، قال: قلت: فأين هو؟ قال: في الجنة، قلت: فأين قاتلوه؟ قال: في النار<sup>(2)</sup>.

### 3- أم سليم الأنصارية رضي الله عنها:

قالت أم سليم الأنصارية - رضي الله عنها- لما سمعت بقتل عثمان: رحمه الله، أما إن نه لم يحلبوا بعده إلا دما<sup>(3)</sup>.

### 4- أبو هريرة :

وعن أبي مريم قال: رأيت أبا هريرة يوم قتل عثمان وله صغيرتان، وهو ممسك بهما وهو يقول: قتل والله عثمان على غير وجه الحق<sup>(4)</sup>.

### 5- أبو بكر :

روى ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكر قال: لأن أخرج من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أشرك في قتل عثمان<sup>(5)</sup>.

### 6- أبو موسى الأشعري :

عن أبي عثمان النهدي قال أبو موسى الأشعري : إن قتل عثمان لو كان هدي احتلبت به الأمانة لبذًا، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به دما<sup>(6)</sup>.

### 7- سمرة بن جندب :

روى ابن عساكر بإسناده إلى سمرة بن جندب قال: إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم تلموا في الإسلام ثلثة بقتلهم عثمان، وإنهم شرطوا أشرطة، وإنهم لم يسدوا ثلثتهم أو لا يسدونها إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم<sup>(7)</sup>.

### 8- عبد الله بن عمرو بن العاص :

وأخرج أبو نعيم في (معرفة الصحابة) بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لعثمان بن عفان ذو النورين قتل مظلوما، أوتي كفلين من الأجر<sup>(8)</sup>.

### 9- عبد الله بن سلام :

(1، 4) تحقيق مواقف الصحابة (28/2)، تاريخ دمشق، ص388.

(3) البداية والنهاية (195/7).

(4) تحقيق مواقف الصحابة (31/2)، تاريخ دمشق، ص493.

(5) تحقيق مواقف الصحابة (31/2)، تاريخ دمشق، ص493.

(6) تاريخ المدينة (1245/4).

(7) تحقيق مواقف الصحابة (31/2)، تاريخ دمشق، ص493.

(8) معرفة الصحابة (245/1)، المعجم الكبير (46/1).

قال : لا تقتلوا عثمان، فإنكم إن فعلتم لم تصلوا جميعاً<sup>(1)</sup> أبداً. وفي رواية: والله لا تهرقون محجماً من دم -أي: من دم عثمان- إلا ازددتم به من الله بُعداً<sup>(2)</sup>.

#### 10- الحسن بن علي :

عن طلق بن خشاف قال: انطلقنا إلى المدينة ومعنا قُرط بن خيثمة، فلقينا الحسن بن علي فقال له قرط: فيم قُتل أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قتل مظلوماً<sup>(3)</sup>.

#### 11- سلمة بن الأكوع :

وعن يزيد بن أبي عبيدة قال: لما قتل عثمان خرج سلمة بن الأكوع -وهو بدري- من المدينة قبل الربذة، فلم يزل بها حتى كان قبيل أن يموت<sup>(4)</sup>.

#### 12- عبد الله بن عمر :

فعن أبي حازم قال: كنت عند عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكر عثمان، فذكر فضله ومناقبه وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم ذكر علي بن أبي طالب فذكر فضله وسابقتها وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم قال: من أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليدع<sup>(5)</sup>. وقال ابن عمر -رضي الله عنهما- أيضاً: لا تسبوا عثمان؛ فإننا كنا نعهده من خيارنا<sup>(6)</sup>.

#### خامساً: أثر مقتل عثمان في حدوث فتن أخرى:

لقد كانت فتنة قتل عثمان سببا في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، فتغيرت قلوب الناس وظهر الكذب، وبدأ الخط البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته<sup>(7)</sup>. وكان مقتل عثمان من أعظم الأسباب التي أوجدت الفتن بين الناس، وبسببه تفرقت الأمة إلى اليوم<sup>(8)</sup>؛ فتفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزا عنها، وعجز عن الخير والصالح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أدرق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل من بقي، لكن القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة، فلم تنفد الكلمة ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدون من الخير، ودخل في الفرقة والفتنة أقوام<sup>(9)</sup>.

وبدأ ضعف الفتوحات تدريجيا خلال السنين الأخيرة من خلافة عثمان، عندما بدأت الفتن تضرب بلاد الإسلام ومركز الخلافة، ثم توقفت عندما قتل عثمان، واستمرت متوقفة إلى بل تراجع في بعض الأماكن إلى بداية عهد معاوية؛ حيث استقرت أحوال المسلمين فانطلقت الفتوحات شرقا وغربا وشمالا<sup>(10)</sup>.

(1) تحقيق مواقف الصحابة (34/2) فضائل الصحابة، إسناده صحيح.

(2) الطبقات (81/3).

(3) تاريخ المدينة (145/4).

(4) تحقيق مواقف الصحابة (379/1).

(5) تحقيق مواقف الصحابة (379/1) فضائل الصحابة، إسناده صحيح.

(6) المصدر نفسه، ص 590.

(7) المصدر نفسه (163/25).

(8) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 591.

سادساً: الظلم والاعتداء على الآخرين من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة:  
 إن الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال الله -عز وجل-: **وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا** وإن المنتبِع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يمهلهم، بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم فلم ينجُ منهم أحد<sup>(1)</sup>.

روى خليفة بن خياط في تاريخه بإسناد صحيح إلى عمران بن الحدير قال: إن لم يكن عبد الله بن شقيق حدثني أن أول قطرة قطرت من دمه يعني عثمان -عليه **فِيكَهْمُ اللَّهُ** [البقرة: 137] فإن أبا حُرَيْثٍ ذكر أنه ذهب وسهيل النُميري، فأخرجوا إليه المصحف، فإذا القطرة على **فِيكَهْمُ اللَّهُ**، فإنها في المصحف ما حكى. وفي تاريخ ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة، فإذا رجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، قلت: يا عبد الله، ما سمعت أحدا يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت الله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قُتِل وضع على سريه في البيت، والناس يجيئون فيصلون عليه، فدخلت كأني أصلي عليه، فوجدت خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه فطمت وجهه، وسجيت، وقد بيست يميني، قال محمد بن سيرين: رأيتها يابسة كأنها عود<sup>(2)</sup> ولو لم يكن من آثار ظلم هؤلاء الحاقدين إلا سل المسلمين السيف عليهم إلى يوم القيامة لكفى بذلك رادعاً لهم ولكل من سار في فكهم، قال القاسم بن محمد: مر عليّ على رجلين بالمدينة بعدما قتل عثمان، وقبل بيعته وهما يقولان: قتل ابن ببيضاء، ومكانه من الإسلام والعرب، ثم والله ما انتطح فيه عزان، فقال علي: ما قتلتما؟ فأعادا عليه فقال: بلى والله، ورجال بعد رجال، وكتائب بعد كتائب، أو يخرج ابن مريم<sup>(3)</sup>.

### سابعاً: تأثر المسلمين لمقتل عثمان وما قيل من أشعار:

كان وقع المصيبة على نفوس المؤمنين عظيماً، فجللهم الحزن وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء على عثمان، والترحم عليه، وقام حسان بن ثابت يرثي أمير المؤمنين ويكثر التمجع لمقتله، ويهجو قاتليه، ويقرعهم بما كسبت أيديهم<sup>(4)</sup> فيقول:

أتركتهم غزو الدروب وراعكم

وغلزومتونا عند قبر محمد

ولبئس أمر الفاجر المتعمد

فلبئس هدى المسلمين هديتم

حول المدينة كل لين مذود<sup>(5)</sup>

إن تَوَدُّمُوا نجعل قري سرواتكم

ولم يرثلُ أمر أميركم لم يرشد

أو تدبروا فلبيس ما سافرتكم

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (483/1).

(2) سير الشهداء.. دروس وعبر للسحباني، ص 67، تاريخ دمشق، ص 458، تحقيق مواقف الصحابة (485/1).

(3) تحقيق مواقف الصحابة (485/1)، التمهيد والبيان، ص 223.

(4) سير الشهداء للسحباني، ص 62.

(5) مذود: آلة الذود.

وكان أصحاب النبي عشية

أبكي أبا عمرو لحسن بلائه

وقال حسان أيضا:

ماذا أردتم من أخي الدين باركت

قتلتكم ولي الله في جوف داره

فهلا رعيتم ذمة الله بينكم

ألم يك فيكم ذا بلاء ومصدق

فلا ظفرت أيمان قوم تبايعوا

وقال حسان أيضا:

من سره الموت صرفا لا مزاج له

مستشعري حلق الماذي<sup>(4)</sup> قد شذفت

صبرا فدئ لكم أمي وما ولدت

فقد رضىنا بأهل الشام نافرة

إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا

لتسمعن وشيكا في ديارهم

وقال أيضا:

إن تُمس دار ابن أروى منه خاوية

فقد يصادق باغي الخير حاجته

يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم

بُدن تَذَبَّحُ عند باب المسجد

أمسى مقيما في بقيع الغرقد<sup>(1)</sup>

يدُ الله في ذاك الأديم المقدد<sup>(2)</sup>

وجئتم بأمر جائر غير مهتد

وأوفيتم بالعهد عهد محمد

وأوفاكم عهدا لدى كل مشهد

على قتل عثمان الرشيد المسدد<sup>(3)</sup>

فليأت مأسدة في دار عثمانا

قبل المغاطم<sup>(5)</sup> بيض زان أبدانا

قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا

وبالأمير وبالإخوان إخوانا

ما دمت حيا وما سُدُميت حسانا

الله أكبر يا ثارات عثمانا

باب صريع وباب محرق خرب

فيها ويهوى إليها الذكر والحسب

لا يستوي الصدق عند الله والكذب

(1) تاريخ الطبري (445/5).

(2) الأديم المقدد: الجلد اليابس.

(3) البداية والنهاية (205/7).

(4) الماذي: خالص الحديد.

(5) المغاطم: الأنوف.

قوموا بحق مليك الناس تعترفوا  
فيهم حبيب شها بالوت يقدُّمُهم  
وقال كعب بن مالك :  
ويحُّ لأمر قد أتاني رائع  
قتل الإمام له النجوم خواضع  
يا لهف نفسي إذا تولوا غدوة  
ولَّوا ودلَّوا في الضريح أخاهم  
من نائل أو سودد وحمالة  
كم من يتيم كان يجبر عظمه  
فرجتها عنه برحمك بعد ما  
ما زال يقبلهم ويرأب ظلمهم  
أمسي مقيما بالبقيع وأصبحوا  
النار موعدهم بقتل إمامهم  
جمع الحمالة (4) بعد حلم راجح  
يا كعب لا تنفك تبكي هالكا  
وقال كعب أيضا:  
فكفَّ يديه ثم أغلق بابه  
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم  
فكيف رأيت الله صبَّ عليهم

بغرة عُصَب من خلفها عُصَب  
مستلئما قد بدا في وجهه الغضب (1)  
هدَّ الجبال فأنغضت برجوف  
والشمس بازغة له بكسوف  
بالنعش فوق عواتق وكتوف  
ماذا أجنَّ ضريحه المسقوف (2)  
سبقت له في الناس أو معروف  
أمسى بمنزلة الضياع يطوف  
كادت وأيقن بعدها بحتوف  
حتى سمعت برنة التلهيف  
متفرقين قد أجمعوا بحفوف (3)  
عثمان صهر في البلاد عفيف  
والخير فيه مبين معروف  
ما دمت حيا في البلاد تطوف  
وأيقن أن الله ليس بغافل  
عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل  
العداوة والبغضاء بعد التواصل؟

(1) حبيب بن مسلمة الفهري، تاريخ الطبري (446/5).

(2) التمهيد والبيان، ص 210.

(3) التمهيد والبيان، ص 211.

(4) المصدر نفسه، ص 211.

وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار النعام الجوافل؟ (1)

وقال راعي الإبل النميري في ذلك:

عشبة يدخلون بغير إذن على متوكل أوفى وطابا

خليل محمد وزير صدق ورابع خير من وطئ التراب (2)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

\* \* \*

(1) البداية والنهاية (205/7).  
(2) أي: خير من وطئ التراب في أمة محمد × بعد رسول الله × ثم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، البداية والنهاية (206/7).



## الخلاصة

- 1- كان عثمان في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه؛ فهو عريض الجاهة، ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونها. لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترب فاحشة قط، فلم يشرب الخمر في الجاهلية.
- 2- كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تلك أو تلغثم، بل كان سابقاً أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين.
- 3- فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحاً شديداً، وتوثقت بينه وبينهم عرى المحبة وأخوة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله ﷺ رقية.
- 4- إن سنة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنة في الصحابة الكرام، وتحملوا من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات، وبذلوا أموالهم ودماهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء؛ فقد أودى عثمان وعذب في سبيل الله تعالى على يدي عمه الحكم بن أبي العاص.
- 5- منذ اليوم الذي أسلم فيه عثمان لزم النبي ﷺ حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه أو في مهمة من المهام التي يندب لها، ولا يغني فيها أحد غناؤه، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الراشدين جميعاً، كأنما هي خاصة من خواصهم رشحهم لها ما رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين.
- 6- كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الكبرى من سنتها الأولى، فلم يفته من أخبار النبوة الخاصة والعامة في حياة النبي ﷺ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية.
- 7- كان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان، وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم المنزل من عند رب العالمين.
- 8- إن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ وتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه، كما لازمه في المدينة بعد هجرته؛ فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديها، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.
- 9- لم يكن عثمان بن عفان ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشد ه، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ؛ لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسل وول ومتابعته، وعثمان خرج فيمن خرج مع رسول الله ﷺ، فردّه ﷺ للقيام

على ابنته، فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله وتخليفه، وقد ضرب له بـ سهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله واثقي أده لهما.

10- في الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور منها: اختصاه ب إقامة يد النبي الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى من بمكة أسيراً من المسلمين، و ذكر شهادة النبي ﷺ لعثمان بموافقه في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة.

11- قبل رسول الله ﷺ شفاعته عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة.

12- من حياة عثمان الاجتماعية في المدينة: زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ، و وفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أم كلثوم رضي الله عنهما.

13- من مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة: شراء بئر رومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكثير على جيش العسرة.

14- وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان ، منها ما ورد في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضله وحده، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان.

15- كان عثمان من الصحابة وأهل الشورى الذين يؤخذ برأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق؛ فعمر بن الخطاب للحزم والشدائد، وعثمان للرفق والأناة، وكان عثمان أمينها العام، ونا موسى الأعظم، و كاتبها الأكبر.

16- كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يسمى الرديف، والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء تثلثوا بالعباس.

17- من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جميع الأمة على عثمان.

18- هناك أباطيل شيعية وأكاذيب رافضية دست في التاريخ الإسلامي في قصة الشورى، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يحوا الروايات وحققوا في سندها ومنتها فانتشرت بين المسلمين.

19- جاءت الأدلة الكثيرة التي تشير وتنبيه إلى أحقية خلافة عثمان بالخلافة، و

لا نزاع عند المتمسكين بالكتاب والسنة في ذلك، وقد أجمع أصحاب رسول الله ﷺ وكذا من جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنة والجماعة على أن عثمان بن عفان أحق الناس بخلافة النبوة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

20- عندما بويع عثمان بالخلافة قام في الناس خطيباً وأعلن عن نهجه السياسي، مبيناً أنه سيتقيد بالكتاب والسنة وسيرة الشيخين، كما أنه أشار في خطبته إلى أنه سيسوس الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبه من الحدود، وحذرهم من الركون إلى الدنيا والافتتان بحطامها خوفاً من التنافس والتباغض والتداسد بينهم، مما يفضي بالأمة إلى الفرقة والخلاف.

21- إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف بصفات القائد الرباني، من العلم والقدرة على التوجيه والتعليم، والحلم، والسماحة، واللين، والعفو، والتواضع، والحياء، والعفة، والكرم، والشجاعة، والحزم، والصبر، والعدل، والعبادة، والخوف، والبكاء، والمحاسبة، والزهد، والشكر، وتقصد أحوال الناس، وتحديد الاختصاصات والاستفادة من أهل الكفاءات.

22- إن معرفة صفات الخلفاء الراشدين، ومحاولة الاقتداء بهم خطوة صحيحة لمع رفة صفات القادة الربانيين، الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة.

23- قامت سياسة عثمان المالية على الأسس العامة التالية: تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية، عدم إخلال الجباية بالرعاية، أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين، وأخذ ما على أهل الذمة لبيت مال المسلمين بالحق، وإعطائهم ما لهم وعدم ظلمهم، وتخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء، وتقادي أي انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة.

24- كانت النفقات في عهد عثمان تصرف على: صرف مرتبات الولاة، ومرتبات الجند، وعلى أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعبية إلى جدة، وحفر الآبار، والإنفاق على المؤذنين، وغيرها من الأمور.

25- اتهم عثمان من قبل الغوغاء والخوارج بإسرافه في بيت المال وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد ساند هذا الاتهام حملة دعائية باطلة قادها السبئيون وتلقفها الشيعة الروافض إلى يومنا هذا، وتسربت في كتب التاريخ، وتعامل المفكرون والمؤرخون على كونها حقائق، وهي باطلة لم تثبت لأنها مختلقة.

26- يعتبر عهد ذي النورين امتداداً للعهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي فيه خاصاً بامتداداً للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

27- كانت خطة عثمان في الفتوحات تنسم بالحسم والعزم، وتمثلت في الآتي: إخضاع المتمردين من الفرس والروم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قوا

عد ثابتة يرباط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك.

28- كانت معسكرات الإسلام ومسالحه<sup>(1)</sup> في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق في الكوفة والبصرة، ومعسكر الشام في دمشق بعد أن خلس الشام كله لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر وكان مركزه القسطنطينية، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام ومواصلة الفتوحات وشر الإسلام.

29- من أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان : الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

30- كانت معركة ذات الصواري من مظاهر تفوق العقيدة الصحيحة الصلبة على الخبرة العسكرية والتفوق في العدد والعدد، فلقد كان الروم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مروا بتجارب طويلة في الحروب البحرية، بينما كان المسلمون حديثي عهد بركوب البحر والقتال البحري.

31- من أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات عثمان بن عفان تحقق وعد الله بالنصر والتمكين للمؤمنين، التطور في فنون الحرب والسياسة، ركوب المسلمون البحر، جمع المعلومات عن الأعداء، الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو.

32- يظهر من قصة جمع القرآن في عهد عثمان مدى فهم الصحابة رضي الله عنهم- لآيات النهي عن الاختلاف؛ حيث إن الله نهى عن الاختلاف وحذر منه، فلعمق فهمهم لهذه الآيات ارتعد حذيفة عندما سمع بواكر الاختلاف في قراءة القرآن، فرحل فوراً إلى المدينة النبوية، وأخبر عثمان بما رأى وبما سمع، وفي مدة قصيرة حسم عثمان الأمر وأغلق باب الخلاف.

33- إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، وهذه الخطوة مهمة في إعزاز المسلمين وإقامة دولتهم وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلى في أبهى صورة في جمع عثمان للأمة على مصحف واحد.

34- كانت أقاليم الدولة الإسلامية في عهد عثمان تضم كلاً من: مكة، والمدينة، والبحرين، واليمامة، واليمن، وحضرموت، والشام، وأرمينية، ومصر، والبصرة والكوفة.

35- اتخذ عثمان أساليب متنوعة لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم، منها: حضوره لموسم الحج، سؤال القادمين من الأمصار والولايات، إرسال المفوضين إلى الولايات، استقدام الولاة وسؤالهم، وغير ذلك من الأساليب.

36- من حقوق الولاة في العهد الراشدي: الطاعة في غير معصية الله، بذل النصيحة

(1) مسالحه: ثغوره.

حة للولاة، إيصال الأخبار الصحيحة إليهم، احترامهم بعد عزلهم، وإعطائهم مرتباتهم.

37- من واجبات الولاة في العهد الراشدي: إقامة أمور الدين، تأمين الناس في بلادهم، الجهاد في سبيل الله، بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس، تعيين العمال والموظفين، رعاية أهل الذمة، مشاوراة أهل الرأي في ولايتهم، النظر في حاجات الولاية العمرانية، مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية.

38- إن عثمان خليفة راشد يقتدى به، وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر بن لمن بعده التخرج عن تقريب الأقربيين، فكان عثمان سن لـ من بعده تقريب الأقربيين إذا كانوا في كفاءتهم الإدارية، وكل ما أنكر على عثمان لا يخرج من دائرة المباح.

39- إن الولاة الذين ولاهم عثمان من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولايتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

40- إن الذي يرجع إلى الصحيح المحض من وقائع التاريخ، ويتتبع سيرة الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين عثمان، وما كان لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية، بل ما كان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها، فإنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب والفخر كلما أمعن في دراسة ذلك الدور من أدوار التاريخ الإسلامي.

41- إن عثمان لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضعيفة والرافضية، وبنوا أحكاماً باطلة وجائرة في حق عثمان، مثل طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى)، وراضي عبد الرحيم في كتابه (النظم الإسلامية)، ومحمد الريس في كتابه (النظريات السياسية)، وعلي حسين الخربوطلي في كتابه (الإسلام والخلافة)، وأبي الأعلى المودودي في كتابه (الملك والخلافة)، وسيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية) وغيرهم، لقد كان عثمان بحق خليفة الأمة مظلوم الذي افتقر عليه خصومه الأولون ولم ينصفه المتأخرون.

42- إن الحقيقة التاريخية تقول: إن عثمان لم ينفأباً ذراً، إنما استأذن فأذن له، ولكن أعداء عثمان كانوا يشيعون عليه بأنه نفاه.

43- إن أبا ذر لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بآراء عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد أقام بالرذلة حتى توفي ولم يحضر شيئاً مما وقع من الفتنة.

44- من أسباب فتنة مقتل عثمان أمور عدة، منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان، مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تأمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة

ة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة.

45- كانت بداية اشتعال الفتنة بالكوفة، وقد تم نفي رجالها إلى الشام، ثم استقر أمرهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالجزيرة، ثم رجعوا إلى الكوفة بعد مكاتبة يزيد بن قيس لهم بالمجيء للكوفة.

46- كانت سياسة عثمان في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد اتخذ عدة أساليب لمواجهتها، منها: إرسال لجان تفتيش وتحقيق، كتب إلى أهل الأمصار كتابا شاملا بمثابة إعلان عام لكل المسلمين، مشورة عثمان لولاة الأمصار، إقامة الحجة على المتمردين، الاستجابة لبعض مطالبهم.

47- إن المتأمل في هدي عثمان في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم على مواجهة الفتن، ومن هذه الضوابط: التثبت، لزوم العدل والإنصاف، الحلم والأناة، الحرص على ما ينفع مع ونبذ ما يفرق بين المسلمين، لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، استشارة العلماء الربانيين، الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن.

48- يظهر للباحثين أن هناك أسبابا دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال، وهى: العمل بوصية الرسول ﷺ التي سار بها يوم الدار، وأنها عهدٌ عهد به إليه، وأنه صابر نفسه عليه، كره أن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك دماء المسلمين، علما بأن البغاة لا يريدون غيره فكّره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه، علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيم أخبره بها رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيقبّل مصطبرا بالحق معطيه في فتنة، العمل بمشورة ابن سلام له إذ قال له: الكف الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة.

49- إن قاتل عثمان رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وأما ما يتعلّق بتهمة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بمشاقصه فهذا باطل والروايات بذلك ضعيفة، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري.

50- إن الصحابة جميعا رضي الله عنهم- أبرياء من دم عثمان، وقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده، كما أوردنا ذلك بالروايات الصحيحة.

51- إن عثمان كان متيقظا ولم تتطل عليه المؤامرة ولا أهدافها، بل استطاع أن يخرق صفوف المتمردين وكشف مخططهم كاملا، وواجه الأحداث بشجاعة فائقة، وكره أن يكون أول من يسل السيف في المسلمين، وأثر أن يفدي الأمة بنفسه، وهذه قمة النقدية والإيثارة.

52- كانت فتنة مقتل عثمان سببا في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تليها، فتغيرت قلوب الناس، وظهر الكذب وبدأ الخط

البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته.  
 53- إن الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: **وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا** [الكهف: 59]. وإن المتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يمهلهم بل أذلهم وأخزاهم و انتقم منهم، فلم ينجُ منهم أحد.

54- كان وقع المصيبة على نفوس المسلمين كبيراً، فذهلت عقولهم وجللهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء على عثمان والترحم عليه، وقام حسان بن ثابت يرثي أمير المؤمنين ويكثر التفعج لمقتله، ويهجو قائله بقصائد مبكية حزينة، وحفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون.

55- وبعد.. فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب (عثمان بن عفان شخصيته وعصره)، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أنني كنت حريصاً على بيان الحقائق والبراهين والأدلة التي تبين حقيقة الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختتم هذا الكتاب بقوله تعالى: **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** [الحشر: 10].

ويقول الشاعر:

إن تجد عيباً فسد الأخلاق  
 جلَّ من لا عيب فيه وعلا

ويقول الشاعر:

اطلب العلم ولا تكسل فما  
 أبعد الخير على أهل الكسل

احتفل للفقه في الدين ولا  
 تشتغل عنه بمال ودول

واهجر النوم وحصله فمن  
 يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه  
 كل من سار على الدرب وصل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إ



+

+

شخصيته وعصره

عثمان بن عفان

لى عفو ربه

ومغفرته و

رحمته ور

ضوانه

علي محمد

محمد الص

لابي

8 ربيع الثاني

ي 1423 هـ

200/6/18

م2

+

+

## تعريف بعض المناطق التي ذكرت في البحث (1)

- 1- طبرستان: منطقة تقع جنوب بحر قزوين، عاصمتها مدينة همدان، جاء اسمها من جمع كلمة طبر التي تعني في اللغة الفارسية الفأس، مع زنان التي تعني الذساء.
- 2- أذربيجان: أصل الكلمة أتروباتن، التي تعني أرض النار، تقع هذه المنطقة غرب بحر قزوين، عاصمتها مدينة أردبيل.
- 3- أرمينيا: صقع كبير يقع شرق آسيا الصغرى جنوب البحر الأسود، جاءت تسميتها من سكانها الأرمن، وهم قبائل هندوأوربية، اعتنقوا النصرانية في بداية القرن الرابع الميلادي، بعد ذلك تحولوا إلى المذهب المنوفيسي (أصحاب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام)، كان سكانها قد قاوموا الفتح الإسلامي لبلادهم وبقوا محافظين على ديانتهم النصرانية.
- 4- طخارستان: إقليم يقع جنوب غرب بلاد ما وراء النهر عاصمتها بلخ، تقع غالبية أراضيها حالياً ضمن أفغانستان، أهم مراكزها اليوم قندز وخوست.
- 5- خراسان: معناها مشرق الشمس، تقع شرق الهضبة الإيرانية، عاصمتها مرو.
- 6- سجستان: منطقة تقع جنوب إقليم خراسان عاصمتها بست، جاء اسمها من سكنة قوم فيها يدعون بالسাকা (الأسكيثيين)، أما الترجمة الحرفية لها فتعني أرض الكلاب، على أساس أن سلك تعني الكلاب في اللغة الفارسية، واستان المنطقة، وحاليا تدعى سيستان.
- 7- بلاد ما وراء النهر: وهي الأراضي الواقعة ما بين نهري جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا)، ومن مدنها بخارى وسمرقند وطشقند، وحاليا تقع ضمن جمهوريات تركمنستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان.
- 8- جرجان: إقليم يقع شرق بحر قزوين، وكان اسمها سابقاً إقليم باكتريا؛ حيث بشد ر فيه زرادشت بدعوته.
- 9- خوزستان: إقليم يقع جنوب غرب الهضبة الإيرانية، يحاذي العراق العربي، قصد بتها الأهواز، أطلق عليها العرب اسم إقليم عربستان، سيطر عليه الشاه رضا بهلوي سنة 1925م، بعد أن اعتقل حاكمها العربي الشيخ خزعل الكعبي، وهي مشهورة بالنفط.

\* \* \*

(1) التعريف بهذه المناطق قام بها الدكتور فرست مرعي الدهوكي جزاء الله خيرا.

## المصادر والمراجع

- 1- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط، بيروت، المكتب الإسلامي.
- 2- أثر التشيع على الروايات التاريخية، د. عبد العزيز نور ولي، دار الخضير، المدينة.
- 3- أحداث وأحاديث الفتن الأولى، عبد العزيز صغير دخان، تحت الطبع.
- 4- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- 5- أدب صدر الإسلام، واضح الصمد.
- 6- الأدب في الإسلام في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د. نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
- 7- الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية، سعيد حوى، دار السلام، 1409 - 1989م.
- 8- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، أبي الحسن بن علي بن محمد د الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.
- 9- أشهر مشاهير الإسلام، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م.
- 10- أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم م حمد الرجب، بغداد، مكتبة المثنى، 1367هـ - 1947م.
- 11- أصول مذهب الشيعة الإمامية، ناصر بن عبد الله الغفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع.
- 12- أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب.
- 13- أعلام المسلمين لخالد البيطار.
- 14- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1997م.
- 15- الأموال لأبي عبيد.
- 16- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الميلاد إلى الاستشهاد، د. أحمد السيد يعقوب يوسف الرفاعي، دار الفضيلة، القاهرة.
- 17- الأمين ذو النورين، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1418هـ.
- 18- الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت، الناشر محمد أمين دمج.
- 19- أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.
- 20- الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية.
- 21- الإتقان للسيوطي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1407هـ - 1987م.
- 22- إتمام الوفاء في سيرة الخفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، 1996م.
- 23- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، نشأتها وتطورها، الدكتور سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، جامعة أم القرى، معهد البحوث وإحياء التراث.
- 24- إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، عبد العزيز محمد السلطان، مطابع الخالد، الرياض، الطبعة الأولى 1406هـ.

- 25- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 26- الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، د. علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م.
- 27- الاجتهاد في الفقه الإسلامي، عبد السلام السليمان، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، طبعة 1417هـ- 1996م.
- 28- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري.. در اسة نقدية، د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1418هـ.
- 29- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.
- 30- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي.
- 31- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين ابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، طبع مطابع العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1404هـ.
- 32- البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، عبد الرحمن عبد الكريم الـ نجم، دار الحرية، بغداد، 1973م.
- 33- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الريان.
- 34- البيان والتبيين، للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر.
- 35- تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول والخلفاء الراشدين، د. جميل عبد الله الـ مصري، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
- 36- تاريخ ابن خلدون، دار النفائس، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1999م.
- 37- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، 1407هـ- 1987م.
- 38- تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتـ اب العربي، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.
- 39- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة، لإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى 1418هـ- 1998م.
- 40- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السـ عادة، الطبعة السادسة، 1373هـ- 1954م.
- 41- تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1934م.
- 42- تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد، مطبعة المعارف 1388هـ- 1969م.
- 43- تاريخ القضاء في الإسلام، د. محمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعـ صر، لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ- 1995م.
- 44- تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلفاء للإمام القاضي محـ مد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.
- 45- تاريخ المدينة، أبو زيد بن شبه النميري البصري، تحقيق محمود شلتوت، نشر الـ سيد حبيب محمود أحمد، المدينة، 1393هـ.
- 46- تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، طبعة 1400هـ- 1980م.
- 47- تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، حسن سليمان محمود، بغداد 1969م.
- 48- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت، 1397م.

- 49- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ترجمة عثمان ، تحقيق سكيئة الشهابي، نشر المجل س العلمي بدمشق، 1984م.
- 50- تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، على الصلابي، دار ال صحابة، الطبعة الأولى، 1421هـ.
- 51- التبيين في أنساب القرشيين، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حققه محمد نايف الدليمي، عالم الكتب.
- 52- تجريد أسماء الصحابة، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين، طبعة شرف الدين الكتبي وأولاده، بومباي، الهند، 1389هـ.
- 53- تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.
- 54- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، تأليف د. محم د أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض 1415هـ- 1994م.
- 55- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار إحياء التراث، بيروت.
- 56- التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء، المنصورة، مصر 1418هـ - 1998 م.
- 57- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصار، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1965م.
- 58- التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد بن بيله بن مرهان العجمي، مكتبة العبيد كان، الرياض، الطبعة الأولى.
- 59- تقريب التهذيب، لابن حجر.
- 60- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م.
- 61- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، صالح ا لعللي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت 1969م.
- 62- تهذيب ابن عساكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1407هـ- 1987م.
- 63- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، دار صادر، بيروت.
- 64- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، مؤسسة ال كتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ- 1990م.
- 65- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دائ رة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند، 1372هـ.
- 66- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام هارو ن، القاهرة، 1382هـ.
- 67- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، الطبعة الخامسة، 1416هـ- 1995م.
- 68- حذيفة بن اليمان، إبراهيم العلي، دار القلم، دمشق، 1417هـ- 1996م.
- 69- حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل، الطبع ة الأولى، 1400هـ- 1980م.

- 70- حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد بن سالم، دار المنار.
- 71- الحضارة العربية في الإسلام، د. واضح الصمد، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان.
- 72- حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية.
- 73- الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض.
- 74- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 75- الخراج لأبي يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع.
- 76- الخراج وصناعة الكتابة، أبو الفتوح قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، شرح وتحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، 1981م.
- 77- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة.
- 78- الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرادوي، 1403هـ- 1983م.
- 79- خلافة عثمان بن عفان، د. محمد بن صامل السلمي، مكتبة سالم، العزيزية، جامعّة أم القرى، الطبعة الأولى، 1419هـ.
- 80- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، المستشار سالم البهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية، 1418هـ- 1997م.
- 81- الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث، د. أمين القضاة، دار الفرقان، الأردن.
- 82- الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ- 1995م.
- 83- الخلفاء الراشدون، حسن أيوب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1418هـ- 1997م.
- 84- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، لبنان. 1406هـ- 1986م.
- 85- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، د. حسن فاضل زغبين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، طبعة 1989م.
- 86- الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.
- 87- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم يم، مركز دار إشبيليا، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.
- 88- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1999م، دار الفكر المعاصر، صنعاء.
- 89- الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة بغداد، 1969م، وداد على القزاز.
- 90- دماء على قميص عثمان بن عفان، دار البشير، 1421هـ- 2001م.
- 91- الدوحة النبوية، د. فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، 1420هـ- 2000م.
- 92- دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، تأليف أسماء محمد أحمد د زيادة، دار السلام بمصر، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م.
- 93- الدولة الأموية المفترة عليها.. دراسة الشبهات ورد المفتريات، د. حمدي شاهين، دار القاهرة للكتاب، 2001م.
- 94- الدولة الأموية، يوسف العث، دار الفكر، الطبعة الثانية 1406هـ- 1985م.

- 95- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين، دار القاهرة.
- 96- الدولة والسيادة، د. فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة، مصر، 1404هـ- 1984م.
- 97- الدين الخالص، محمد صديق حسن القنوجي البخاري، تحقيق محمد زهري البخار، مكتبة الفرقان.
- 98- ديوان أعشى همدان، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، تحقيق د. حسن عيسى أبو ياسين، الرياض، دار العلوم، 1403هـ- 1983م.
- 99- ذات الصواري، شوقي أبو خليل، دار الفكر، 1400هـ- 1980م.
- 100- ذو النورين عثمان بن عفان، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1402هـ- 1982م، بيروت، لبنان.
- 101- ذو النورين عثمان بن عفان، محمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، 1410هـ- 1989م.
- 102- الرد على الرافضة، لأبي حامد محمد المقدسي، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، الدار السلفية، بومباي الهند، طبعة أولى 1403هـ.
- 103- الرقة والبكاء، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1422هـ- 2001م.
- 104- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، طبعة 1387هـ.
- 105- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة، القاهرة.
- 106- زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق ق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 13، 1406هـ.
- 107- الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، 1409هـ- 1988م.
- 108- سفراء النبي x، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، ودار الأندلس الخضراء بجدة، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1996م.
- 109- سنن أبي داود، الإمام أبو داود، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، سوريا.
- 110- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
- 111- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، 1398هـ.
- 112- السنن الكبرى، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف، الرياض.
- 113- السنة والبدعة، عبد الله باعلوي الحضرمي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، طبعة دار القلم، الأولى، 1413هـ- 1992م.
- 114- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط 1، 1410هـ.
- 115- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1965م.
- 116- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أحمد بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1969م.
- 117- السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب إبراهيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.



- 118- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ.
- 119- سير الشهداء.. دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني، دار الوطن.
- 120- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق.
- 121- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1412هـ- 1999م.
- 122- السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، 1417هـ- 1997م.
- 123- السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة التاسعة، 1406هـ- 1986م.
- 124- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي، دار الصداية، الشارقة، طبعة أولى، 2001م.
- 125- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن حمد الحذلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.
- 126- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، طبعة 1981م.
- 127- الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، د. علي محمد الصلابي، مكتبة الصداية، الشارقة، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.
- 128- شعراء الخلفاء، نبال تيسير الخماش.
- 129- شهيد الدار.. عثمان بن عفان، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمار.
- 130- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين ابن تيمية.
- 131- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بدون تاريخ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.
- 132- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر.
- 133- صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، مصر.
- 134- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، ط3، 1408هـ- 1998م.
- 135- صحيح النسائي للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
- 136- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
- 137- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1408هـ.
- 138- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1972م.
- 139- الصديقة بنت الصديق، للعقاد، مطبعة المعارف، مصر، 1943م.
- 140- صفة الصفوة للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.
- 141- صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد بن حسين العفاني، دار الرسالة.
- 142- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 143- الطبقات الكبرى، محمد سعيد بن منيع الهاشمي، دار صادر، بيروت.
- 144- عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، 1391هـ- 1971م.

- 145- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العو  
دة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1412هـ.
- 146- عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، 1410هـ- 1990م.
- 147- عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ضياء الدين الرئيس، مطابع سجل العر  
ب، الطبعة الثالثة، سنة 1969م.
- 148- عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، عبد الستار الشيخ، 1412هـ- 1991  
م.
- 149- عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية، 1410هـ- 1990م.
- 150- عثمان بن عفان، محمد حسنين هيكل.
- 151- العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض، مؤسسة المختار، القاهرة.
- 152- عصر الخلافة الراشدة، الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم.
- 153- عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد الحميد بخيت، دار المعارف بمصر.
- 154- عقائد الشيعة، روندسن دوايت، تعريب (ع.م) القاهرة، مكتبة الخانجي، 1365  
هـ- 1946م.
- 155- العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب، دار الفكر، بيروت  
ت.
- 156- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنبرية، للشيخ إسماعيل الصا  
بوني، نشر محمد أمين دمج، بيروت 1970م.
- 157- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، الدكتور ناصر بن علي عاي  
ض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض.
- 158- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن سالم بن رجاء السد  
يمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى 1420هـ- 2000م.
- 159- العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسيهر، أجناس ترجمة، د. محمد يوسف مو  
سى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.
- 160- عمار بن ياسر.. رجل المحنة وميزان الفتنة، أسامة محمد سلطان، المكتبة المك  
ية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م.
- 161- عمدة القاري شرح صحيح البخاري.
- 162- عمرو بن العاص.. الأمير المجاهد، د. منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى.
- 163- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، 1408هـ- 1988م.
- 164- عمرو بن العاص، محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- 165- العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد  
محمد سعيد مبيض، دار الثقافة، قطر، الدوحة، الطبعة الثانية، 1989م.
- 166- غزوة الحديبية لأبي فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- 167- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب، دار ا  
لريان، القاهرة، ط1، 1407هـ.
- 168- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوك  
اني، دار الفكر للطباعة والنشر، 1403هـ- 1983م.
- 169- الفتنة الكبرى، عثمان، طه حسين، دار المعارف بمصر، 1947م.
- 170- الفتنة الكبرى، علس وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر، 1966م.
- 171- فتنة مقتل عثمان، د. محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، 1419هـ- 1999م.

- 172- الفتنة، أحمد عرموش.
- 173- فتوح البلدان، لأبي العباس، أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة المعارف بيروت، لبنان، 1407هـ- 1987م.
- 174- فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، نسخة عن طبعة لندن، 1339هـ- 1920م، نشر مكتبة المثنى بغداد.
- 175- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م.
- 176- فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، محمد صالح الغرسي، دار السلام، مصر.
- 177- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخازن جي، مصر.
- 178- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ- 1999م.
- 179- فقه الأولويات، محمد الوكيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، 1416هـ- 1997م، الطبعة الأولى.
- 180- فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، د. عبد الرزاق أحمد السنهواري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.
- 181- الفكر الإسلامي بين المثالية والتطبيق، كامل الشريف.
- 182- فيض القدير للمناوي.
- 183- قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م.
- 184- قادة فتح السند وأفغانستان، محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1988م.
- 185- قادة فتح بلاد المغرب، محمود شيت خطاب، دار الفكر، 1404هـ- 1984م.
- 186- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 187- القواعد الفقهية.. مفهومها تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، تطبيقاتها، على محمد الندوي، بيروت، دار القلم، ط1، 1406هـ- 1986م.
- 188- القيود الواردة على سلطة الدولة، عبد الله الكيلاني، دار البشير، عمان، مؤسسة الرسالة.
- 189- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1408هـ- 1989م.
- 190- الكامل في اللغة والآداب، لأبي العباس محمد بن يزيد، الناشر البابي الحلبي، مصر، طبعة 1356هـ- 1937م، مؤسسة الرسالة.
- 191- كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1422هـ- 2001م.
- 192- الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، د. عبد الله قادري، دار المجتمع، جدة.
- 193- كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ محمد قطب، دار الوطن السعودية.
- 194- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- 195- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف

- ف العثمانية، 1331هـ- 1912م.
- 196- ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، د. صالح مصط في مفتاح المزيبي، منشورات جامعة قاريونس، بيبغزي، الطبعة الثالثة، 1994م.
- 197- مبادئ الاقتصاد الإسلامي، سعاد إبراهيم صالح، دار عالم الكتب، الرياض.
- 198- المجروحون من المحدثين، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق إبراهيم محمود زايد، حلب دار الوعي.
- 199- مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر.
- 200- مجلة المؤرخ العربي، رقم 21.
- 201- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1374هـ- 1955م.
- 202- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحريه الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1402هـ.
- 203- مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، دار الوفاء، 1418هـ.
- 204- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، 1405هـ- 1985م.
- 205- المدينة المنورة.. فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ- 1994م.
- 206- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ.
- 207- مرويات العهد المكي، عادل عبد الغفور.
- 208- مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- 209- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ- 1990م.
- 210- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- 211- المعارف لابن قتيبة.
- 212- معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد، منير محمد الغضبان، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1417هـ- 1996م.
- 213- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1397هـ- 1977م.
- 214- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، 1406هـ- 1985م.
- 215- معرفة الصحابة لأبي نعيم المتوفى سنة 430هـ، تحقيق محمد راضي ابن حاج عثمان، مكتبة الدار في المدينة النبوية، ومكتبة الحرمين في الرياض، 1408هـ.
- 216- المعرفة والتاريخ للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1394هـ.
- 217- المغازي، محمد عمر الواقدي، د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1404هـ- 1984م.
- 218- المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق د. عبد الله الت

- ركي، د. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط1، 1412هـ.
- 219- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.
- 220- مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث، 1391هـ.
- 221- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 222- منهج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.
- 223- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، ط5، 1403هـ- 1983م.
- 224- منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه، د. السيد محمد نو ح، نشرته جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1411هـ- 1990م.
- 225- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تحقيق حسين الداراني، عبده كوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط1، 1411هـ.
- 226- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط للمقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين أبو العباس المقرئزي.
- 227- موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، 1996م.
- 228- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ- 1999م.
- 229- موسوعة فقه عثمان بن عفان، الدكتور محمد رواس قلعجي، دار النفائس، طبعة 1404هـ- 1983م.
- 230- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1382هـ.
- 231- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 232- نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.
- 233- نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره، محمد السائيس، مطبعة الأزهر، 1387هـ- 1967م، مجمع البحوث بالأزهر، المؤتمر الرابع.
- 234- نظام الأراضي في صدر الدولة الإسلامية، محمد حسن أبو يحيى، دار عمار، عمان.
- 235- نظام الحكم في الإسلام، عارف أبو عبيد، دار النفائس، الأردن، 1416هـ- 1996م.
- 236- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ- 1987م.
- 237- نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، المؤسسة الجماعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- 238- نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، الدكتور مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية.
- 239- النظم الإسلامية، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- 240- النظم الإسلامية، وقائع ندوة أبو ظبي، مكتب التراث العربي لدول الخليج.
- 241- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، الهيدئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1395هـ.

- 242- الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1417هـ- 1996م.
- 243- وجوب التعاون بين المسلمين للسعدي، دار المعارف، الرياض، طبعة 1402هـ.
- 244- الوحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة.
- 245- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- 246- ولاية مصر، أبو يوسف محمد يوسف الكندي، تحقيق د. حسن نصار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- 247- ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض.
- 248- الولاية على البلدان، في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمر.
- 249- اليمن في صدر الإسلام، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر، دمشق.

\* \* \*

## فهرس الكتاب

الموضوع

لصفحة

الإهداء	3
المقدمة	4

## الفصل الأول: ذو النورين عثمان بن عفان بين مكة والمدينة

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته ومكانته في الجاهلية	11
أولاً: اسمه ونسبه وكنيته وألقابه	11
ثانياً: أسرته	12
ثالثاً: مكانته في الجاهلية	14
رابعاً: إسلامه	15
خامساً: زواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ	17
سادساً: ابتلاؤه وهجرته إلى الحبشة	18
المبحث الثاني: حياة عثمان مع القرآن الكريم	21
المبحث الثالث: ملازمته للنبي ﷺ في المدينة	25
أولاً: عثمان في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ	26
1- عثمان وغزوة بدر	26
2- عثمان وغزوة أحد	28
3- في غزوة غطفان (ذي إمر)	29
4- في غزوة ذات الرقاع	29
5- في بيعة الرضوان	29
6- شفاعته عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة	32
7- غزوة تبوك	33
ثانياً: من حياته الاجتماعية في المدينة	35
1- زواجه من أم كلثوم سنة 3 هـ	35
2- وفاة عبد الله بن عثمان	36
3- وفاة أم كلثوم رضي الله عنها	36
ثالثاً: من مساهماته الاقتصادية في بناء الدولة	37
1- بئر رومة	37
2- توسعة المسجد النبوي	38
3- العسرة وعثمانها المعطاء	38
المبحث الرابع: من أحاديث الرسول ﷺ في عثمان بن عفان	39
أولاً: فيما ورد في فضله مع غيره	39
1- افتتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه	39



- 2- اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ..... 39
- 3- اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ..... 39
- 4- حياء عثمان ..... 40
- 5- استحياء الملائكة من عثمان ..... 40
- 6- أصدقها حياء عثمان ..... 40
- ثانيًا: إخبار رسول الله ﷺ عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان ..... 41
- 1- من نجا من ثلاث فقد نجا ..... 41
- 2- يقتل فيها هذا المقنع يومئذ ..... 41
- 3- هذا يومئذ على الهدى ..... 41
- 4- تهيج فتنة كالصياصي، فهذا ومن معه على الحق ..... 41
- 5- هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى ..... 52
- 6- عليكم بالأمين وأصحابه ..... 52
- 7- فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه ..... 52
- 8- إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا، وإنني صابر نفسي عليه ..... 43
- المبحث الخامس: ذو النورين في عهد الصديق والفروق ..... 45
- أولاً: في عهد الصديق ..... 45
- 1- من أهل الشورى في مسائل الدولة العليا ..... 45
- 2- أزمة اقتصادية في عهد الصديق ..... 46
- ثانيًا: في عهد الفاروق ..... 47
- 1- الديوان ..... 48
- 2- التاريخ ..... 48
- 3- أرض الخراج ..... 49
- 4- حجه مع أمهات المؤمنين ..... 49
- الفصل الثاني: استخلاف ذي النورين ومنهجه في الحكم، وأهم صفاته الشخصية
- المبحث الأول: استخلاف ذي النورين ..... 50
- أولاً: الفقه العمري في الاستخلاف ..... 50
- 1- العدد الذي حدده للشورى وأسماءهم ..... 51
- 2- طريقة اختيار الخليفة ..... 51
- 3- مدة الانتخابات أو المشاورة ..... 51
- 4- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة ..... 51
- 5- الحكم في حال الاختلاف ..... 52
- 6- جماعة من جنود الله تراقب الاختيار وتمنع الفوضى ..... 52
- 7- جواز تولية المفضل مع وجود الأفضل ..... 53
- 8- جمع عمر بين التعيين وعدمه ..... 53
- 9- الشورى ليست بين الستة فقط ..... 53

- 10- أهل الشورى أعلى هيئة سياسية ..... 53  
 ثانيًا: وصية عمر للخليفة الذي بعده ..... 54  
 1- الحرص على تقوى الله وخشيته ..... 56  
 2- الناحية السياسية ..... 56  
 3- الناحية العسكرية ..... 57  
 4- الناحية الاقتصادية والمالية ..... 57  
 5- الناحية الاجتماعية ..... 57  
 ثالثًا: منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى ..... 58  
 1- اجتماع الرهط للمشاورة ..... 58  
 2- عبد الرحمن يدعو إلى التنازل ..... 59  
 3- تفويض ابن عوف بإدارة عملية الشورى ..... 59  
 4- الاتفاق علىبيعة عثمان ..... 60  
 5- حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطة الشورى ..... 60  
 رابعًا: أباطيل رافضية دست في قصة الشورى ..... 62  
 1- اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين ..... 63  
 2- حزب أموي وحزب هاشمي ..... 63  
 3- أقوال نسبت زورا وبهتانا لعلي ..... 64  
 4- اتهام عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ..... 64  
 خامسًا: أحقية خلافة عثمان بن عفان ..... 65  
 سادسًا: انعقاد الإجماع على خلافة عثمان ..... 68  
 سابعًا: حكم تقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما ..... 72  
 المبحث الثاني: منهج عثمان بن عفان في الحكم ..... 73  
 أولاً: كتب عثمان إلى عماله وولاته وأمراء الجند وعامة الناس ..... 73  
 1- أول كتاب كتبه عثمان إلى جميع وولاته ..... 74  
 2- كتابه إلى قادة الجنود ..... 75  
 3- كتابه إلى عمال الخراج ..... 75  
 4- كتابه إلى العامة ..... 76  
 ثانيًا: المرجعية العليا للدولة ..... 77  
 1- المصدر الأول: كتاب الله ..... 77  
 2- المصدر الثاني: السنة المطهرة ..... 77  
 3- الاقتداء بالشيخين ..... 77  
 ثالثًا: حق الأمة في محاكمة الخليفة ..... 78  
 رابعًا: الشورى ..... 78  
 خامسًا: العدل والمساواة ..... 79  
 سادسًا: الحريات ..... 80

- 80..... سابغاً: الاحتساب
- 80..... 1- إنكاره على لبس الثوب المعصفر
- 81..... 2- إنكاره على قاصدات العمرة والحج وهن في العدة
- 81..... 3- أمره بذبح الحمام
- 81..... 4- احتسابه على اللعب بالنرد
- 81..... 5- إخراج من يراه على شر أو يشهر سلاحاً في المدينة
- 81..... 6- ضربه لمن استخف بعم النبي x
- 82..... 7- نهيه عن الخمر لأنها أم الخبائث
- 82..... 8- من خطب عثمان في المجتمع ومن حركمه
- 82..... أ- خطبة في الاستعداد ليوم المعاد
- 82..... ب- التذكير بمكارم الأخلاق
- 83..... ج- من حكمه التي سارت بين الناس
- 84..... 9- عثمان والشعر والشعراء
- 86..... المبحث الثالث: أهم صفاته
- 86..... أولاً: العلم والقدرة على التوجيه والتعليم
- 90..... ثانياً: الحلم
- 90..... ثالثاً: السماحة
- 91..... رابعاً: اللين
- 91..... خامساً: العفو
- 92..... سادساً: التواضع
- 92..... سابغاً: الحياء والعفة
- 93..... ثامناً: الكرم
- 94..... تاسعاً: الشجاعة
- 95..... عاشراً: الحزم
- 96..... حادي عشر: الصبر
- 97..... ثاني عشر: العدل
- 97..... ثالث عشر: عبادته
- 98..... رابع عشر: خوفه من الله وبكاؤه ومحاسبته لنفسه
- 98..... خامس عشر: زهده
- 99..... سادس عشر: الشكر
- 99..... سابغ عشر: تقفد أحوال الناس
- 100..... ثامن عشر: تحديد الاختصاصات
- 100..... تاسع عشر: الاستقادة من أهل الكفاءات
- ..... الفصل الثالث: المؤسسة المالية والقضائية في عهد عثمان
- 102..... المبحث الأول: المؤسسة المالية

- 102..... أولاً: السياسة المالية التي أعلنها عثمان عندما تولى الحكم
- 103..... 1- نية عثمان تطبيق سياسة مالية عامة
- 103..... 2- عدم إخلال الجباية بالرعاية
- 105..... 3- أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين
- 105..... 4- إعطاء المسلمين ما لهم من بيت المال بالحق
- 106..... 5- عدم ظلم أهل الذمة وأخذ ما عليهم لبيت المال بالحق وإعطائهم حقوقهم بالحق كذلك
- 107..... 6- عدم ظلم اليتيم
- 108..... 7- تخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء
- 108..... 8- أثر تكامل النعم على مسار الأمة
- 108..... 9- المقارنة بين السياسة العمرية والعثمانية
- 109..... ثانيًا: توجيهات عثمانية توضح للناس قواعد زكاتهم
- 112..... ثالثًا: خمس الغنائم
- 115..... رابعًا: الإيرادات العامة من الجزية في عهد عثمان
- 119..... خامسًا: الإيرادات العامة من الخراج والعشور في عهد عثمان
- 199..... سادسًا: سياسة عثمان في إقطاع الأرض
- 122..... سابعًا: سياسة عثمان في حمى الأرض
- 122..... ثامنًا: أنواع النفقات العامة في عهد عثمان
- 122..... 1- نفقات الخليفة
- 122..... 2- صرف مرتبات الولاة من بيت المال
- 123..... 3- الإنفاق من بيت المال على مرتبات الجند
- 123..... 4- الإنفاق العام على الحج من بيت المال
- 123..... 5- تمويل إعادة بناء المسجد النبوي من بيت المال
- 124..... 6- تمويل توسعة المسجد الحرام من بيت المال
- 124..... 7- الإنفاق على إنشاء أول أسطول بحري
- 124..... 8- الإنفاق على تحويل الساحل من الشعيبة إلى جدة
- 124..... 9- تمويل حفر الآبار من بيت مال المسلمين
- 125..... 10- الإنفاق على المؤننين من بيت المال
- 125..... 11- تمويل أهداف الإسلام العليا
- 125..... تاسعًا: استمرار نظام الأعطيات في عهد عثمان بن عفان
- 126..... عاشرًا: أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية والاقتصادية
- 127..... حادي عشر: عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال
- 131..... المبحث الثاني: المؤسسة القضائية وبعض الاجتهادات الفقهية
- 133..... \* ابن عمر يعتذر عن القضاء
- 133..... \* دار القضاء
- 133..... \* أشهر القضاة في خلافة عثمان

- أولاً: فيما يتعلق بالقصاص والحدود والتعزير ..... 134
- 1- أول قضية واجهت عثمان قضية قتل ..... 134
- 2- قتل اللصوص ..... 135
- 3- رجل قتل تاجراً لماله ..... 136
- 4- عقوبة الساحر ..... 136
- 5- جناية الأعمى ..... 136
- 6- جناية المقتتلين على بعضهما ..... 136
- 7- الجناية على الحيوان ..... 137
- 8- الجناية على الصائل ..... 137
- 9- استتابة المرتد وحده ..... 137
- 10- إنني قتلت، فهل لي من توبة؟ ..... 137
- 11- حد الخمر ..... 137
- 12- إقامة الحد على أخيه من أمه، الوليد بن عقبة ..... 138
- 13- سرقة الغلام ..... 138
- 14- الحبس تعزيراً ..... 138
- 15- حد القذف بالتعريض ..... 139
- 16- عقوبة الزنا ..... 139
- 17- التعزير بالنفي والطرء ..... 139
- 18- دفع الناس عن جنازة العباس ..... 140
- ثانياً: في العبادات والمعاملات ..... 141
- 1- إتمام عثمان الصلاة بمنى وعرفات ..... 141
- 2- زاد الأذان الثاني في يوم الجمعة ..... 143
- 3- اغتساله كل يوم منذ أسلم ..... 143
- 4- سجود التلاوة ..... 144
- 5- صلاة الجمعة في السواحل ..... 144
- 6- استراحة عثمان في الخطبة ..... 144
- 7- جعل القنوت قبل الركوع ..... 144
- 8- أعلم الناس بأحكام الحج ..... 144
- 9- النهي عن الإحرام قبل الميقات ..... 145
- 10- سفر المعتدة للحج والعمرة ..... 145
- 11- النهي عن متعة الحج ..... 145
- 12- أكل لحم الصيد ..... 146
- 13- كراهية الجمع بين القرابة في الزواج ..... 146
- 14- في الرضاعة ..... 146
- 15- في الخلع ..... 146

- 147.....16- يجب الإحداد على المعتدة لوفاة زوجها  
 147.....17- لا تتكحها إلا نكاح رغبة  
 147.....18- طلاق السكران  
 148.....19- هبة الوالد لولده  
 148.....20- الحجر على السفية  
 149.....21- الحجر على المفلس  
 149.....22- تحريم الاحتكار  
 149.....23- ضوال الإبل  
 150.....24- توريث المرأة المطلقة في مرض الموت  
 151.....25- توريث المطلقة ما لم تنقض عدتها  
 151.....26- توريث الحميل

### الفصل الرابع: الفتوحات في عهد عثمان بن عفان

- 152.....تمهيد  
 153.....المبحث الأول: فتوحات عثمان في المشرق  
 153.....أولاً: فتوحات أهل الكوفة: أذربيجان 24هـ  
 154.....ثانياً: مشاركة أهل الكوفة في إحباط تحركات الروم  
 154.....ثالثاً: غزو سعيد بن العاص طبرستان 30هـ  
 155.....رابعاً: هروب ملك الفرس (يزدجر) إلى خراسان  
 155.....خامساً: مقتل يزيد بن ملك الفرس 31هـ  
 157.....سادساً: تعاطف النصارى مع يزيد بعد مقتله  
 158.....سابعاً: فتوحات عبد الله بن عامر 31هـ  
 159.....ثامناً: غزو الباب وبلنجر سنة اثنتين وثلاثين  
 159.....1- مقتل يزيد بن معاوية  
 160.....2- ما أحسن حمرة الدم في بياضك  
 160.....3- ما أحسن لمع الدماء على الثياب  
 160.....4- إن هؤلاء يموتون كما تموتون  
 160.....5- صبرا آل سلمان  
 161.....تاسعاً: أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام 32هـ  
 162.....عاشراً: فتوحات ابن عامر سنة 32هـ  
 163.....حادي عشر: القتال بين جيش الأحنف وأهل طخارستان والجوزجان والطاقان والفارياب  
 164.....ثاني عشر: صلح الأحنف مع أهل بلخ 32هـ  
 165.....ثالث عشر: لأجلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا  
 165.....رابع عشر: هزيمة قارن في خراسان  
 166.....خامس عشر: من قادة الفتح في بلاد المشرق في عهد عثمان: الأحنف بن قيس

- المبحث الثاني: الفتوحات في الشام ..... 173
- أولاً: فتوحات حبيب بن مسلمة الفهري ..... 173
- ثانياً: أول من أجاز الغزو البحري عثمان بن عفان ..... 173
- ثالثاً: غزو قبرص ..... 174
- رابعاً: الاستسلام وطلب الصلح ..... 176
- خامساً: عبد الله بن قيس قائد الأسطول الإسلامي بالشام ..... 177
- سادساً: القبارصة ينقضون الصلح ..... 178
- سابعاً: ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه ..... 179
- ثامناً: عبادة بن الصامت يقسم غنائم قبرص ..... 180
- المبحث الثالث: فتوحات الجبهة المصرية ..... 181
- أولاً: ردع المتمردين في الإسكندرية ..... 181
- ثانياً: فتح بلاد النوبة ..... 183
- ثالثاً: فتح إفريقية ..... 184
- رابعاً: بطولة عبد الله بن الزبير في فتح إفريقية ..... 187
- خامساً: معركة ذات الصواري ..... 189
- \* أحداث المعركة ..... 191
- \* نتائج ذات الصواري ..... 193
- سادساً: أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات عثمان ..... 195
- 1- تحقيق وعد الله للمؤمنين ..... 195
- 2- التطور في فنون الحرب والسياسة ..... 195
- 3- بدء التجنيد الإلزامي في عهد عمر، واستمراره في عهد عثمان ..... 196
- 4- اهتمام عثمان بحدود الدولة الإسلامية ..... 196
- 5- قسمة الغنائم بين أهل الشام والعراق ..... 198
- 6- الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو ..... 199
- 7- شرط ما يحتاج إليه الجنود في بنود الصلح ..... 199
- 8- جمع المعلومات عن الأعداء ..... 199
- 9- عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي من قادة الفتوح في عهد عثمان ..... 199
- 10- سلمان بن ربيعة الباهلي من قادة الفتوح في عهد عثمان ..... 201
- 11- حبيب بن مسلمة الفهري من قادة الفتوح في عهد عثمان ..... 203
- المبحث الرابع: أعظم مفاخر عثمان جمع الأمة على مصحف واحد ..... 206
- أولاً: المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم ..... 206
- 1- المرحلة الأولى: في العهد النبوي ..... 206
- 2- المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر الصديق ..... 207
- \* بعض نتائج جمع القرآن الكريم في المرحلة الثانية ..... 208
- \* المقومات الأساسية لزيد بن ثابت للقيام بهذه المهمة ..... 208



- \* الفرق بين المكتوب في العهد النبوي، وعهد الصديق ..... 209  
 3- المرحلة الثالثة في جمع القرآن: في عهد عثمان بن عفان ..... 210  
 \* الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان ..... 210  
 ثانيًا: استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان ..... 211  
 ثالثًا: الفرق بين جمع الصديق وجمع عثمان رضي الله عنهما ..... 212  
 رابعًا: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟ ..... 213  
 خامسًا: عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار ..... 214  
 سادسًا: موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان ..... 215  
 سابعًا: فهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف ..... 217

### الفصل الخامس: مؤسسة الولاية في عهد عثمان

- المبحث الأول: أقاليم الدولة في عهد عثمان وسياسته مع الولاية ..... 220  
 أولاً: مكة المكرمة ..... 220  
 ثانيًا: المدينة المنورة ..... 220  
 ثالثًا: البحرين واليمامة ..... 221  
 رابعًا: اليمن وحضرموت ..... 222  
 خامسًا: ولاية الشام ..... 223  
 سادسًا: أرمينية ..... 234  
 سابعًا: ولاية مصر ..... 235  
 ثامنًا: ولاية البصرة ..... 226  
 تاسعًا: ولاية الكوفة ..... 229  
 المبحث الثاني: سياسة عثمان مع الولاية وحقوقهم وواجباتهم ..... 234  
 أولاً: سياسة عثمان مع الولاية ..... 234  
 ثانيًا: أساليب عثمان لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم ..... 235  
 1- حضوره لموسم الحج ..... 235  
 2- سؤال القادمين من الأمصار والولايات ..... 235  
 3- وجود أناس من أهل البلاد يكتبون إلى الخليفة ..... 236  
 4- إرسال المفتشين إلى الولايات ..... 236  
 5- السفر إلى الولايات والاطلاع على أحوالها مباشرة ..... 236  
 6- طلب الموفدين من الولايات لسؤالهم عن أمرائهم وولاتهم ..... 236  
 7- استقدام الولاة وسؤالهم عن أحوال بلادهم ..... 237  
 8- المراسلة مع الولاية ..... 237  
 ثالثًا: حقوق الولاية ..... 238  
 1- الطاعة في غير معصية الله ..... 238  
 2- بذل النصيحة للولاية ..... 238

- 3- يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه ..... 239
- 4- مؤازرة الوالي في موقفه ..... 239
- 5- احترامهم بعد عزلهم ..... 239
- 6- مرتبات الولاية ..... 239
- رابعاً: واجبات الولاية ..... 240
- 1- إقامة أمور الدين ..... 241
- 2- تأمين الناس في بلادهم ..... 242
- 3- الجهاد في سبيل الله ..... 243
- 4- بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس ..... 244
- 5- تعيين العمال والموظفين ..... 244
- 6- رعاية أهل الذمة ..... 245
- 7- مشاوراة أهل الرأي في ولايته ..... 245
- 8- النظر إلى حاجة الولاية العمرانية ..... 245
- 9- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية ..... 245
- 10- أوقات عمل الوالي ..... 246
- المبحث الثالث: حقيقة ولاية عثمان ..... 247
- أولاً: معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي ..... 248
- ثانياً: عبد الله بن عامر بن كريز ..... 252
- ثالثاً: الوليد بن عقبة ..... 256
- رابعاً: سعيد بن العاص ..... 261
- خامساً: عبد الله بن سعد بن أبي السرح ..... 264
- سادساً: مروان بن الحكم ووالده ..... 266
- سابعاً: هل جامل عثمان أحداً من أقاربه على حساب المسلمين؟ ..... 268
- المبحث الرابع: حقيقة العلاقة بين أبي ذر الغفاري وعثمان رضي الله عنهما ..... 271
- أولاً: مجمل القصة ..... 271
- ثانياً: بطلان تأثير ابن سبأ على أبي ذر ..... 277
- ثالثاً: وفاة أبي ذر وضم عثمان عياله إلى عياله ..... 279

### الفصل السادس: أسباب فتنة مقتل عثمان

- المبحث الأول: أهمية دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان، وما ترتب عليها من أحداث، والحكمة من إخباره x بوقوعها ..... 280
- أولاً: أهمية دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان ، وما ترتب عليها من أحداث
- ث في الجمل وصفين وغيرهما ..... 280
- ثانياً: الحكمة من إخباره x بوقوعها ..... 285
- المبحث الثاني: أسباب فتنة مقتل عثمان ..... 289

- 292..... أولاً: الرخاء وأثره في المجتمع.
- 295..... ثانياً: طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان
- 296..... 1- المتغيرات في نسيج المجتمع البشري.
- 300..... 2- تكوينات نسيج المجتمع الثقافي
- 301..... 3- ظهور جيل جديد
- 302..... 4- استعداد المجتمع لقبول الشائعات
- 303..... ثالثاً: مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما
- 304..... رابعاً: خروج كبار الصحابة من المدينة
- 305..... خامساً: العصبية الجاهلية
- 305..... سادساً: توقف الفتوحات
- 306..... سابعاً: المفهوم الخاطئ للورع
- 306..... ثامناً: طموح الطامحين
- 307..... تاسعاً: تأمر الحاقدين
- 308..... عاشر: التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان
- 309..... حادي عشر: استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس
- 310..... ثاني عشر: أثر السبئية في أحداث الفتنة
- 310..... 1- السبئية حقيقة أم خيال؟
- 314..... 2- دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة

### الفصل السابع: مقتل عثمان بن عفان

- 318..... المبحث الأول: اشتعال الفتنة
- 319..... أولاً: تأذي أصحاب الأهواء من الإصلاح
- 320..... ثانياً: عبد الله بن سبأ اليهودي على رأس العصابة
- 322..... ثالثاً: أهل الفتنة يفسدون في مجلس سعيد بن العاص
- 323..... رابعاً: أهل الفتنة منفيون عند معاوية
- 328..... خامساً: رجوع أهل الفتنة إلى الكوفة ثم نفهم إلى الجزيرة
- 329..... 1- أهل الفتنة بالبصرة يفترون على أشج عبد القيس
- 330..... 2- ابن سبأ يحدد سنة أربع وثلاثين للهجرة للتحرك
- 330..... 3- أوضاع أهل الكوفة عند تحرك أهل الفتنة
- 330..... 4- القعقاع بن عمرو التميمي يقضي على التحرك الأول
- 331..... 5- يزيد بن قيس يكاتب أهل الفتنة عند عبد الرحمن بن خالد
- 332..... 6- القعقاع بن عمرو يرى قتل قادة أهل الفتنة
- 332..... 7- أهل الفتنة يمنعون سعيد بن العاص من دخول الكوفة
- 334..... 8- أبو موسى الأشعري يهدئ الأمور، وينهى عن العصيان
- 334..... 9- كتاب عثمان إلى الخارجين في الكوفة

- المبحث الثاني: سياسة عثمان في التعامل مع الفتنة ..... 335
- أولاً: رأي بعض الصحابة بأن يرسل عثمان لجان تفتيش وتحقيق ..... 335
- ثانياً: كتب إلى أهل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين ..... 336
- ثالثاً: مشورة عثمان لولاة الأمصار ..... 337
- 1- اقتراحان لمعاوية يرفضهما عثمان رضي الله عنهما ..... 338
- 2- عثمان يخترق صفوف المتأمرين بعد مجيئهم للمدينة ..... 339
- رابعاً: إقامة الحجة على المتمردين ..... 340
- خامساً: الاستجابة لبعض مطالبهم ..... 343
- سادساً: ضوابط التعامل مع الفتن عند عثمان ..... 343
- 1- التثبت ..... 343
- 2- لزوم العدل والإنصاف ..... 343
- 3- الحلم والأناة ..... 343
- 4- الحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرق بين المسلمين ..... 343
- 5- لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام ..... 344
- 6- استشارة العلماء الربانيين ..... 344
- 7- الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن ..... 344
- المبحث الثالث: احتلال أهل الفتنة للمدينة ..... 345
- أولاً: قدوم أهل الفتنة من الأمصار ..... 345
- \* علي بن أبي طالب يرسله عثمان للمفاوضة مع أهل الفتنة من الأمصار ..... 346
- \* الكتاب المزعوم بقتل وفد أهل مصر ..... 347
- ثانياً: بدء الحصار، ورأي عثمان في الصلاة خلف أئمة الفتنة ..... 350
- ثالثاً: المفاوضات بين عثمان ومحاصريه ..... 350
- 1- ابن عمر يحث عثمان على عدم التنازل عن منصب الخلافة ..... 351
- 2- تواعد المحاصرين له بالقتل ..... 352
- 3- إقامة عثمان الحجة على زيف استدلال صعصعة بن صوحان ..... 352
- 4- تذكير عثمان الناس بفضائله ..... 353
- رابعاً: دفاع الصحابة عن عثمان ورفضه لذلك ..... 354
- 1- علي بن أبي طالب ..... 354
- 2- الزبير بن العوام ..... 355
- 3- المغيرة بن شعبة ..... 355
- 4- عبد الله بن الزبير ..... 356
- 5- كعب بن مالك وزيد بن ثابت الأنصاريان رضي الله عنهما ..... 356
- 6- الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ..... 356
- 7- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ..... 357

- 8- أبو هريرة ..... 357
- 9- سليط بن سليط ..... 357
- 10- عرض بعض الصحابة على عثمان مساعدته في الخروج إلى مكة ..... 358
- \* الأسباب التي دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال ..... 358
- خامساً: موقف أمهات المؤمنين وبعض الصحابييات ..... 359
- 1- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما ..... 359
- 2- صفية زوجة رسول الله ﷺ ..... 360
- 3- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ..... 360
- 4- مواقف للصحابييات ..... 362
- سادساً: من حج بالناس ذلك العام؟ وهل طلب عثمان من الولاية نصرته؟ ..... 363
- 1- من حج بالناس ذلك العام (35هـ)؟ ..... 363
- 2- هل طلب عثمان من الولاية نصرته؟ ..... 367
- 3- آخر خطبة خطبها عثمان ..... 367
- سابعاً: استشهاد عثمان ..... 368
- 1- آخر أيام الحصار وفيه الرؤيا ..... 368
- 2- صفة قتله ..... 369
- ثامناً: تاريخ قتله، وسنه عند استشهاد وجنازته والصلاة عليه ودفنه ..... 373
- 1- تاريخ قتله ..... 373
- 2- سنه عند استشهاد ..... 373
- 3- جنازته والصلاة عليه ودفنه ..... 374
- 4- براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان ..... 375
- المبحث الرابع: موقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنهم ..... 377
- أولاً: ثناء أهل البيت على عثمان وبراءتهم من دمه ..... 378
- 1- موقف السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ..... 378
- 2- علي بن أبي طالب ..... 381
- 3- عبد الله بن عباس ..... 383
- 4- زيد بن علي رحمه الله ..... 383
- 5- علي بن الحسين رحمه الله ..... 384
- ثانياً: موقف عمار بن ياسر ..... 384
- 1- ضرب عمار بن ياسر ..... 384
- 2- اتهام عمار بالمساهمة في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان ..... 385
- 3- براءة عمار من دم عثمان رضي الله عنهما ..... 387
- ثالثاً: براءة عمرو بن العاص من دم عثمان ..... 388
- رابعاً: من أقوال الصحابة في الفتنة: ..... 390

- 1- أنس بن مالك ..... 390
- 2- حذيفة بن اليمان ..... 390
- 3- أم سليم الأنصارية رضي الله عنها ..... 390
- 4- أبو هريرة ..... 390
- 5- أبو بكر ..... 391
- 6- أبو موسى الأشعري ..... 391
- 7- سمرة بن جندب ..... 391
- 8- عبد الله بن عمرو بن العاص ..... 391
- 9- عبد الله بن سلام ..... 391
- 10- الحسن بن علي ..... 391
- 11- سلمة بن الأكوع ..... 392
- 12- عبد الله بن عمر ..... 392
- خامساً: أثر مقتل عثمان في حدوث فتن أخرى ..... 392
- سادساً: الظلم والاعتداء على الآخرين من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة ..... 393
- سابعاً: تأثير المسلمين لمقتل عثمان وما قيل من أشعار ..... 394
- الخلاصة ..... 397
- تعريف ببعض المناطق التي ذكرت في البحث ..... 406
- المصادر والمراجع ..... 407
- فهرس الكتاب ..... 421

\* \* \*